تاريخ المصريين

١٨٩

يهود مصر

منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ م

عرفه عبده على

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

يهود مصر

منذ عصر الفراعنة

عرفه عبده على

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٠

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب

تقـــديم

يسرنى أن أقدم للقارىء العزيز هذا الكتـــاب عن « يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ » للباحث عرفة عبده على ٠

وهو يتتبع حياة اليهود فى مصر عبر العصـــور التاريخية ، فيبدأ باليهود فى مصر الفرعونية ، ويتعرض لحـــادثة الخـــروج وأهميتها فى التاريخ اليهودى ، وينتقل الى عصر البطالمة ، فالعصر الرومانى ، ثم الاسلامى ٠ ويتناول حياة اليهود الادارية والسياسية فى العصر الاســلامى ، وتنظيمهم الطائفى ، وزعمائهـم ، وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٠

كذلك تناول الكتاب أثر الثقافة العربية فى ثقافة الجماعات اليهودية ، وتحدث عن وثائق جنيزة القاهرة ، وانتقل الى يهود مصر الحديثة ، ومؤسساتهم الاجتماعية والثقافية والرياضية ومدارسهم ومحافلهم ، ومعابدهم ، وتقاليدهم ، وأعيادهم ٠

كذلك تحـــدث عن عصر الهيمنة اليهودية على الاقتصـــاد المصرى ، ومؤسساتهم التجارية والماليـــة ونشاطهـم الســياسى ، وعلاقاتهم بالقصر الملكى فى عهود عباس الأول واسماعيل وتوفيق وعباس حلمى ، ودورهم فى الصحافة والأدب والفن ٠

كمـا تعرض للنشـــاط الصهيونى فى مصر ، وتنظيماتهـــم الشيوعية . ومنظمات التجسس ، وفضيحة لافون • وتناول يهود الاسكندرية ، ومؤسساتهم الاجتماعية ، ومعابدهم ، ودورهم فى الفن •

وقد اختتم الكتاب ببحث عن المصـــطلحات اليهودية . وعن مصادر دراسة تاريخ يهود مصر فى القرن التاسع عشر ، وتناول خروج اليهود من مصر فى عصر عبد الناصر ، ووضعهم الحالى فى مصر ، كما ألحق بالكتاب عدد مهم من الصور والأشكال التى تصور حياة اليهود فى مصر •

والكتاب على هذا النحو يقدم عرضا شاملا لحياة اليهود فى مصر عبر العصور التاريخية حتى العصر الحاضر ، وهو يفيد القارئ المثقف فى رسم صورة عريضة لليهود فى مصر ، وتكوين خلفية تاريخية تصلح مدخلا للدراسات الأكاديمية المتخصصة •

والله الموفق

رئيس التحــــرير
د • عبد العظيم رمضـــان

مقـــدمة

قبيل تأسيس « الكيان الصهيونى » بخمس سنوات ، وقف « دافيد بن جوريون » أمام حشـد من اليهـود فى القدس ليعلن « أن يهود العالم يكونوا شعبا واحدا فى العالم ، شـعبا لا وطن ولا خلاص له الا بالعودة الى أرض الميعاد » ! ··

وبعد أن تم اعلان الدولة ، اعتقد الكثيرون أن العمل السياسى للحركة الصهيونية قد انتهى باعلان قيام : دولة اسرائيل « وأن تتوقف بالتالى عن الادعاء بوجود أى علاقة سياسية أو قانونية بين يهود العالم واسرائيل اذ أن هؤلاء اليهود يعتبرون فى نظر ـ القانون الدولى ـ رعايا ومواطنين دولهم الأصلية ويحملون جنسياتها ·

وجاء اعلان قيام الدولة صدمة للكثيرين ، عندما تضمن أن يهود العالم يشكلون شعبا متميزاً له قوميته الخاصـة وأن ··· « رسالة الدولة هى العمل على ضم جميع أبناء هذه القومية ! ··· ونسب الاعلان الى « وعد بلفور » وصك الانتداب التأكيد على وجود « الشعب اليهودى » ويعتبر الاسرائيليون أن هذا الوعد هو أول ـ اعتراف دولى ـ فى التاريخ الحديث بوجود « الشعب اليهودى » ·· ويذكر الاعلان أيضا أن « دولة اسرائيل سوف تفتح أبوابها أمام الهجرة اليهودية لتجمع شمل المنفيين » ! ·· أى أن الدولة الصهيونية تنظر الى يهود العالم باعتبارهم « اسرائيليون فى المنفى » !!

واستغل الصهاينة فكرة « العودة » التى نسبوها للدين اليهودى كوسيلة لدعم يهود العالم للأهداف الصهيونيـــة ، واثارة حميتهم الدينية بالزعم أن « اسرائيل ليست دولة مثل باقى دول العالم » ٠٠ بل لها رسالة خاصة تهدف الى « خلاص الشعب اليهودى » !! ٠٠ لتتحول اليهودية على أيدى زعماء الصهيونيـــة من دين الى حركة سياسية قومية ! ٠

وعندما تردد الصهيونية واسرائيل أن اليهود فى العالم يشكلون كيانا متميزا وشعبا منفصلا له خصائصه ، انما تجعل من نظرية الجنس أو العرق أساسا جوهريا لها ، والنظرية العنصرية ليست غريبة على الحركة الصهيونية بل هى متأصلة فيها منذ قيامهـــا ، فتيودور هرتزل (الأب الروحى للصهيونية) يردد فى كتابه الشهير « الدولة اليهودية » ان أصل اليهود يختلف عن سائر الأصـــول البشرية وأنهم يشكلون شعبا واحدا وجنسا متميزا ٠٠ وان عليهم أن يتمسكوا بهذه الفوارق التى تميزهم عن الآخرين من أجل الحفاظ على عنصرهم ، فهل يوجد من الناحية العلمية جنسا أو عنصرا يمكن تسميته عنصرا يهوديا (Jewish Race) .

اذا نظرنا الى الواقع نجد أن يهود العالم لا يكونون « شـعبا واحـدا » أو « أمة واحدة » أو وحـدة جنسية منسجمـة بالمعنى السليم استنادا الى آراء علماء الأجناس والسلالات البشرية ٠ واذا كان بعض المتعصبين من اليهود يعتقدون بأنهم سلالة عناصر سامية نقية ممتازة ، فان هذا الاعتقاد لا تؤيده الأبحـاث الأنثروبولوجية ، فمن الثابت وجود فوارق وتباين واضـــح فى المميزات الجنسية للجماعات اليهودية المنتشرة فى جميع دول العالم فهم ينحدرون من شعوب وســلالات متعددة ومتباينـــة ويؤكد ذلك جوان كوماس Juan Comas أستاذ التاريخ التطبيقى للأجنـــاس البشرية فى

الجامعة الوطنية بمكسيكو فقد أعد بحثا بعنوان « أسطورة الجنس اليهودى » The Mythez of Jewish Race رد فيه انثروبولجيا على المزاعم الصهيونية والاسرائيلية القائلة بانتماء يهود العالم الى كيان عنصرى واحد تسميه « الشعب اليهودى » ونظرا لأهمية هذا البحث فاننا سنعرض لبعض الآراء الواردة به ٠

ففى مستهل بحث جوان كوماس نجـده يؤكد الحقيقة التى يظهرها تاريخ الأجناس البشرية والتى توضـــح أن اليهـود غير متجانسين كعنصر وأنه ليس هناك أى أساس للادعاء القائل بوجود جنس يهودى « انثروبولوجيا » فهجرة اليهود المستمرة خلال التاريخ وعلاقتهم بمختلف الأمم والشعوب قد أوجدت شيئا من التهجين ٠

ثم يضيف جوان كوماس أن التحليل العام لليهود وتصنيفهم تبعا لأصلهم ينتهى بنا الى المجموعة الآتية :

(أ) المنحدرون من اليهود المهاجرين من فلسطين وهم قلة ٠

(ب) المنحدرون من الاندماج بين يهود من أصـــل أسيوى مختلط أو بين اليهود ومجموعات بشرية أخرى ، وهم ما يمـكن تسميتهم بسلالة تهجين التهجين ٠

(جـ) اليهود من الناحية الدينية فقط حيث أنهـــم من ناحية التاريخ الطبيعى للأجناس البشرية ليس لهم أى صلة بيهود فلسطين، وهم عبارة عن أفراد من أصول بشرية أخـرى اعتنقوا اليهودية ، والمثال الواضح لهذه الفئة « بولان » ملك الخزر الذى اعتنق اليهودية عام ٧٤٠ م مع كثيرين من نبلائه وأتباعه ، كما أن هناك عددا كبيرا من اليهود فى بولندا وجنوب روسيا يمكن نسبتهم الى هذه الفئة ٠

وهناك شواهد تاريخية عديدة تؤيد حقيقة اختلاط وامتزاج العناصر اليهودية بالشعوب التى عاشوا بينها منذ زمن بعيد ، فقد

صدرت عدة قوانين في فجر المسيحية كانت تحـــرم الزواج بين المسيحيين واليهود ، مثل دســتور تيودوسيدس الثانى فى القرن السادس الميلادى والقوانين التى أصدرتها السلطات المسيحية فى توليد عام ٥٨٩ وفى روما عام ٤٧٣ الميلادى ، وكذلك القوانين التى أصدرها لادبسلاس الثانى ملك المجر عام ١٠٩٢ ، وضرورة التحريم فى هذه القوانين توحى بأن الزواج بين اليهود والمسيحيين كان امرا شائعا ومألوفا كما قدرت نسبة الزيجات اليهــودية فى ألمانيا التى تجمع بين شريكين يهوديين فى الفترة ما بين عامى ١٩٢١ ، ١٩٢٥ بـ ٥٨٪ ، وتلك التى تجمع بين شريك يهودى وآخر غير يهودى قدرت بـ ٤٢٪ وقد عقدت عام ١٩٢٦ (٨٦١ زيجة يهودية كاملة) و ٥٥٤ زيجة مختلطة ، وهذه الأرقام لها دلالة خاصة اذا أخذنا فى اعتبارنا العدد الكبير من الأزواج الذين أصبحوا يهودا دون أن يكون لهم أى صلة باليهودية ٠

والادعاء بوجود قومية أو أمة يهودية أو شعب يهودى على أساس دينى وادعاء دولة من الدول حق الولاية على أتباع دين معين يعتبر خطوة انتكاسية انتهى أوانها ! ٠٠٠ فضلا عن أن وصف اسرائيل « بالدولة اليهودية » يعتبر جزءا من التضليـــل الصهيونى المرتبط بادعاء « الجنسية اليهودية » التى يراد فرضها على يهود العالم !!

ومحاولة اسرائيل ربط مفهومها للشعب اليهودى بالدين ، لا تتمشى مع الاتجاه السائد فى العالم ، فلقد تعدت الأديان الرئيسية فى العـــالم حـــدود جنسها ولم تعـد أية ديانة مقتصرة على عنصر أو جنس معين ! ٠

ولعل خير رد على الادعاء الاسرائيلى والصهيونى القائل بأن الدين اليهودى يؤكد وجود « الشعب اليهودى » ما جاء بكتـــاب المجلس الأمريكى اليهودية وعنوانه « اليهودية دين لا قومية » فهو

يؤكد أن « الشعب اليهودى » ليس له وجـــود بالمعنى الطائفى والسياسى ، ففى الماضى كانت تستعمل عبــارات مثـــل « الشعب اليهودى » وشعب اسرائيل ، ولكنها دائما كانت ترمز الى تعميمات نفسية تمثل استمرار وجود هذه الجماعة فى التاريخ ، وذلك لأنها جماعة تتعلق بالناحية الروحانية ، أما فى الأعوام الأخيرة فقد كان هناك من رغبوا فى تحويل هذه الصفة الروحانية الى جماعة طائفية قائمة بذاتها ، أى بتحويلها الى قومية ، أو الى أمة لها مميزاتهــا الجنسية أى التى تتعلق بالأجناس ، ولذلك قام هؤلاء بتغيير نفس الألفاظ ، فباطلاقهم اسم « اسرائيل »على دولة سياسية غيروا معنى « شعب اسرائيل » وأن عبارة « الشعب اليهودى » ما هى الا تلفيق سياسى ، فليست لها وجود فى اليهودية ، كما أنها لا توجد فى أى نص من نصوص اليهود المقدسة ٠ وتعد تحريفــا مبتذلا لعبــارة « شعب اسرائيل » وهذه العبـــارة هى المرادف الذى وضــعته الصهيونية لأمة اليهود والستار الذى عملت على اخفائها به ، فقبل انشاء اسرائيل كان اصطلاح « اسرائيل » له معنى دينيا صرفا ، فعبارة « شعب اسرائيل » الواردة فى التوراة ، كانت تشير الى الأشخاص الذين يعبدون الها واحدا ويعتنقون الديانة اليهودية ٠

كما أن المجلس الأميركى لليهودية عارض اعتبار اسرائيـــل وطنا قوميا لجميع يهود العالم استنادا الى أن غالبية اليهود فى العالم لم يقيموا فيها على الاطلاق ، ولا يرغبون فى هذه الاقامة مستقبلا ، كما أن غالبية يهود العالم لا يدينون لها بالولاء السياسى !!

وبينما الفليسوف اليهودى « مندلسون » رائد حركة التنوير اليهودية « الهسكالاة » قد حدد رؤية جديدة فى الفكر اليهودى ، عندما طالب اليهود بنبذ « عقلية الجيتو » وأن يندمجوا فى الشعوب التى يعيشون بينها ٠٠ كان زعماء الحركة الصهيونية أشد حرصا وأكثر حذرا من « الخطر الأكبر » : اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها و « ضياع الصفات اليهودية المميزة » !!

ومن الملاحظ ، أن ظاهرة « الجيتو » التى عاشها قسرا يهود أوربا ، لم تعرفها الجماعات اليهودية التى عاشت فى محيط ثقافى عربى اسلامى ٠٠ وبينما يهود الحضارة الاسلامية ، كانوا مندمجين فى نسيج هذه الحضارة : لغويا وفكريا واجتماعيا وسياسيا ٠٠ كان أقرانهم فى أوربا ـ فى العصور الوسطى والحديثة ـ يتعرضون لأبشع أنواع الاضطهاد ! ٠٠ وان كان اليهود قد بالغوا فى مسألة المحارق النازية « الهولوكست » والتى أثبت بعض المؤرخين اليهود ـ زيف هذه الأسطورة التى اخترعتها الصهيونية وأنها كانت نوع من « تجارة الآلام الكاذبة » !! ٠

وعلاقة اليهود بمصر ، هى علاقة قديمة ، تعود الى زمن نزول أولاد « يعقوب فيها ، ثم الى بقاء البعض منهم فى منطقة الفيوم ، عقب خروج « موسى » من مصر ، فى حدث تاريخى هام ، يحيطه قدر هائل من الغموض ! ٠

وقد أثبت المؤرخون وجود طائفة يهودية فى مصر ، فى القرن السادس قبل الميلاد حيث استقر بعضهم فى مدن الدلتا ، والبعض الآخر فى جزيرة « اليفانتين » بمصر العليا ، ثم جاءت جماعة أخرى ، بعد فتح الاسكندر الأكبر لفلسطين عام ٣٢٢ ق٠م وقد شجع بطليموس الأول اليهود على الاستقرار بالاسكندرية ، وبعد سقوط القدس فى يد « تيتوس » عام ٦٦ م ٠ أرسل الآلاف من الأسرى اليهود الى مصر ٠ وتعرضوا لتقلبات عديدة ، حتى كان الفتح العربى لمصر ، فتحسنت أوضاعهم ، وشهدت الطائفة نوعا من الازدهار ، وانتقل كثير منهم الى الفسطاط ، التى أصبحت عاصمة لمصر ، ولتصبح أيضا مركزا روحيا كبيرا لليهود ٠

وتشير المصادر التاريخية ، الى أن يهود مصر لم يعيشوا فى معزل أو داخل جيتو ، ولم يعتبرهم المجتمع ـ جالية أجنبية ـ بل

مصريون اعتنقوا الدين اليهودى ، والسلوك الاجتماعى لم يميزهم عن بقية أبناء المجتمع المصرى ، التســـامح الفطرى وعلاقات الود تسود الجميع : مسلمين ويهود وأقباط ، معايشة مجردة من كل تعصب دينى ٠

وفى عصر الدولة الفاطمية ، والدولة الأيوبية ، وعصر سلاطين المماليك عاش يهود مصر ازدهارا اجتماعيا واقتصاديا وثقافيـــا ، مماثل لما شهدته الطوائف اليهودية فى الأندلس والمغرب العربى ، تحت ظلال الحكم الاسلامى ٠

ثم كان الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ ، وقد حافظ « النظام الملى » فى ذلك العهد ، على حقوق والتزامات الطوائف الدينية ، وتمتع كثير من اليهود بنظام الامتيازات ، وتحقق للطائفة نوع من « الاســـتقلال الذاتى » من الناحية الدينية والادارية ٠٠ وكان « الحاخام باشى » فى استانبول ، يمثل كل يهود الامبراطورية أمام « الباب العالى » ٠٠ ولرؤساء الطوائف المحلية مكانتهم فى الهيئة الدينية الرسمية للدولة ٠

وبدأت موجات من الهجـرة اليهـودية ، من مختلف أرجـــاء الامبراطورية العثمانية تنضـــم الى العنصر اليهودى الوطنى ٠٠ تزامنت مع بداية هجرات مماثلة من بعض دول أوربا ٠٠ وتبلغ هذه الهجرات ذروتها ، بحلول عام ١٨٤٠ ، بفضل تشجيع محمد على باشا وأسرته والجاليات الأجنبية فى مصر ، فتزايد توافد يهـــود أوربا الذين وجدوا مع سائر الأقليات والجاليات الأجنبية « مناخا ملائما » لاغتنام الفرص فى عالم المال والتجارة والسمسرة ، وبسقوط البلاد « فريسة للديون الأجنبية » وسيطرة الأوربيين على ماليـــة مصر ، تمتع اليهود بالامتيازات وحماية القناصل الأجانب ، وكان افتتاح السويس عام ١٨٦٩ ، ايذانا بتـوالى المزيد من المهاجـرين

اليهود ، وشهد عهد الخديو اسماعيل توسعا فى استخدام اليهود فى وظائف الدولة ، وتوجهت الطائفة الى تشييد المدارس والمعابد والمستشفيات والمراكز الاجتماعية واصدار الصحف والمجلات ، ولم يكن فى القوانين القائمة ما يعوق حريتهم ونشاطهم فى التجارة وأعمال الصيارفة والبورصة والوظائف الحكومية ·

ومما لاشك فيه ، أن الاحتلال البريطانى قد هيأ لليهود ـ ظروفا أنسب ـ للازدهار المالى والنفوذ الاقتصادى والسياسى ، فالاحتلال الأوربى ـ بصفة عامة ـ ارتكز فى محاولته لتوسيع مساحة نفوذه فى العالم العربى الاسلامى ، على فرض « الحماية » والرعاية لأبناء الأقليات ، ومنحهم حقوقا وامتيازات ، لم تكن متاحة للأغلبية ، بحيث تتحول الأقلية الى « جيب سكانى » ترتبط مصالحه وطموحاته بالقوى الاستعمارية صاحبة الحماية · بمعنى آخر ، أقلية محلية مندمجة فى المجتمع ، تتحول الى عنصر سكانى « غريب » يدين بالولاء لقوة خارجية ! ·

وقد أسهم التركيب الوظيفى الاقتصادى للطائفة اليهودية ـ خاصة بين المهاجرين الأوربيين ـ فى تعميق الاتجاه نحو « التغريب » ·· حيث نشاطهم فى مجالات مرتبطة أساسا بالقوى الأجنبية المهيمنة ، مثل التجارة الدولية والبنوك وأعمال البورصة ·

أيضا يرجع ازدهار المجتمع اليهودى فى مصر ، ليس فقط للانفتاح الاقتصادى على أوربا ، بل الى اعتقاد رسخ فى عقيدة اليهود المصريين ، بأن مصر هى « أرض الميعاد » !

وقد لعبت المؤسسات اليهودية العالمية دورا بارزا فى توجيه يهود مصر ، وكان على رأسها « الاتحاد الاسرائيلى العالمى ـ « الاليانس » الذى اضطلع بمهمة انشاء المدارس اليهودية فى جميع

أنحاء العالم العربى والاسلامى ، ضمت أبناء الطوائف اليهودية ــ المحلية والوافدة ــ وتركز اهتمام هذه المدارس على مناهج تختلق جذورا ثقافية ودينية وتاريخية للأفكار الصهيونية ، واحياء اللغة العبرية ، كأساس لخلق شخصية قومية مشتركة بين الطوائف اليهودية ، بعد أن كانت العبرية قاصرة على المعابد وبطون الكتب !

كذلك أسهمت هذه المدارس فى عملية المسخ الحضارى « الاستلاب الثقافى » من خلال تدريس تاريخ الاضطهادات الأوربية للجماعات اليهودية ، فى اطار صياغة « تاريخ موحد مزيف لجميع اليهودى ! » جوهره الحقد النابع من المعاناة التاريخية الطويلة ــ الشتات ــ والحنين الى الحياة فى ظل مجتمع يهودى آمن فى « أرض الأجداد » !

وقد نجحت تلك المدارس ــ بتعميق هذه الأفكار وتطوير أهدافها ــ فى انتزاع يهود مصر والبلاد العربية ، من بيئاتهم وحضارتهم وقوميتهم ٠٠ ووضعتهم أداة طيعة فى يد الغرب ، ليصوغ منهم مادة المشروع الاستيطانى فى فلسطين !٠٠ مع تزايد نشاط الحركة الصهيونية ، التى سعت الى استئصال اليهود العرب من تقاليد مجتمعاتهم ، وجردتهم من انتماءهم ، ليكون ولائهم فقط للشعب اليهودى والدولة الصهيونية ! ٠

وقد حمل المهاجرون اليهود من أوربا معهم ، عقدة الانعزال عن البشر ، وادعاء التمايز والاستعلاء على شعوب الأرض ، وهم الذين وجدوا أنفسهم ــ فى مجتمعاتهم الأوروبية ــ عرضة لكراهية الأمم الأخرى ، ووجدت هذه العقد طريقها بسهولة الى الشخصية اليهودية ، وأصبحت ــ عوامل أساسية ــ فى تكوين هذه الشخصية ، سواء عن طريق الانسان أو الذكريات الدينية والسياسية ، التى تضخمت مع الزمن ٠٠ مما يؤكد مدى أهمية

الخرافة والأسطورة ، فى خلق الاطار النفسى العنصرى اليهودى ، وبشكل يتجاوز الحقيقة التاريخية ! •

وظاهرة العزلة الاجتماعية داخل « الجيتو » •• التى ميزت الوجود اليهودى عبر التاريخ ، عبر عنها « ناحوم جولدمان » بقوله :

« ان الجيتو يعتبر اكتشافا يهوديا من الناحية التاريخية ! •• ومن الخطأ القول بأن ـ الجوبيم ـ قد أرغموا اليهود على الانفصال عن بقية المجتمع ، هناك فرق بين أن يختار بحريته جيرانه ، أو أن يكون مرغما على السكن فى مكان معين •• ان الجيتو ، لم يكن مجرد مجموعة من المنازل والمؤسسات اليهودية المحاطة بسور ، سواء كان هذا السور مبنيا أو سورا نفسيا ، لم يكن ـ سجن جماعى ـ لليهود ، فرضه الآخرون عليهم ، وانما كان سور دفاعى داخلى ، حقيقى ورمزى فى أن واحد ، شكل حصنا ، شيده اليهود لأنفسهم ضد ـ عداء ـ غير اليهود » !

واذا كانت الطائفة اليهودية فى مصر ، قد حققت ازدهارا على المستوى الاجتماعى والاقتصادى ، أتاح لزعمائها نفوذا سياسيا وماليا ، وعلاقات قوية بالقصر الملكى ، فقد حققوا أيضا ازدهارا ثقافيا ، تمثل فى حرية التعبير المطلقة من خلال الصحف والمجلات ، التى كانت أبرز الوسائل فى التعريف بالفكرة الصهيونية والترويج له ! •• وقد امتد النشاط الثقافى الى مجـالات الأدب والمسرح والموسيقى والسينما •

فيهود مصر الحديثة ـ ويهود الشرق عموما ـ لم يرد فى تفكيرهم أية مشاعر للتمايز أو الايمان بـ « أشياء مقدسة » ولم يشيروا مطلقا الى « اله اسرائيل » أو الانتماء الى « الشعب المختار » •• فقط كانوا يسعون الى الاندماج فى المجتمعات التى تضمهم دون أية

رغبة أو سعى ملموس من أجل « اعادة بناء هيكل سليمان » ! ..
أو التفكير فى « مصير دولة اسرائيل » !

ان يهود مصر كانوا جزءا من النسيج المصرى العام ، يفضلون البقاء فى مصر ، طالما أن الظروف الخارجية لا تضغط عليهم من أجل الانسلاخ عن هذا النسيج ، واذا ما أجبرتهم الظروف على ذلك ، فانهم كانوا يفضلون الحياة فى أى عاصمة أوروبية ، واذا ما تفاعلت يهودية ـ البعض منهم ـ مع الدوافع الصهيونيـــة ، وذهبـوا الى اسرائيل ، فقد كان ذلك بدافع الأمل فى العثور على وجود يهودى حقيقى فى هذه الدولة التى لا ترحب بأمثالهـــم كيهـود شرقيين الا ليمارسوا « دور الخادم للأسياد من يهود الغرب » !!

واليهود المصريون لايتحدثون عن حياتهم فى مصر بعد مغادرتهم لها بصيغة اللعنة على هذه الحياة ، ولكنهم يتحدثون بصيغة « الندم » شأنهم فى ذلك شأن أسلافهم من « بنى اسرائيل » عندما خرجوا من مصر بقيادة موسى عليه السلام ! .

والحقيقة الثابتة تاريخيا ، أن يهود مصر لم يعانوا أى نوع من الاضطهاد ، وأنهم عوملوا بروح من التسامح والمودة وحسن الجوار بين المصريين ، دون أى تفرقة بسبب عامل الدين ، وتشهد على ذلك الباحثة اليهودية التى أطلقت على نفسها «بنت النيل !» ـ بت هيئور ـ فى مقدمة دراستها عن يهود مصر ، بأنهم لم يعانوا الاضطهاد الذى عانوا منه فى سائر البلاد .. « فمصر هى بلد الحضارة القديمة ، وكانت لفترات طويلة مركزا لحكمة الأقدمين وبؤرة للحضارات ، لقد كانت منفتحة على العالم الخارجى ، ومنحت الشعوب الأجنبية بسخاء من ارثها الروحى كما أنها هى الأخرى ازدادت ثراء من علوم الآخرين . وعلاوة على ذلك ، فان حب السـلام المغـروس فى طابع الشعب المصرى حال بينه وبين الأحداث العنيفة والوحشية على غرار

تلك التي سـودت صحف تاريخ الكثير من الأمم الأخرى ۰ واذا ما تجاوز المصرى فى بعض الأحيان حدوده فان هذا يحدث بسبب دفع السياسيين والمتعصبين من رجال الدين ولكنه كان دائما فى نهاية الأمر يظهر روح التسامح والمشاعر الانسانية أكثر من أبناء الطبقة الحاكمة له » ۰

ويمكننا القول بأن النصف الأول من هذا القرن ، كان عصرا ذهبيا للطائفة اليهودية فى مصر ، تألقت فيه على جميع المستويات ، والعقد الرابع ، شهد تحسنا فى أحوال الطبقة اليهودية الفقيرة ، التى كانت تقطن دروب وأزقة « حارة اليهود » ۰۰ بشكل نسبى وان ظل البعض منهم مثل : الباعة الجائلين ، والعاطلين ، ومن احترفوا الشحاذة والتسول ، يعانون البؤس وشظف العيش ، وليس لهم من أسلوب للحياة ، سوى ما يتصدق به الناس ، أو ما يجود به عليهم ــ فى المناسبات الدينيـة ــ يهـود الطبقة الأرسـتقراطية الثرية « البارونات » ۰۰ الذين كانوا يقطنون الأحياء والضواحى الراقية بالقاهرة والاسكندرية ، متمتعين برغد العيش وكل ألوان الرخاء الأرستقراطى ، يعيشون حياة نادى الجزيرة ، ملتفين حول الملك بنادى السيارات بالقاهرة ، ونادى اليخت الملكى بالاسكندرية ! ۰

وتجدر الاشارة الى استغلال الصهيونية العالمية لأحدث وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال ، حيث أوجدت على « شبكة الانترنت » موقعا باسم : « تاريخ مجتمع اليهود المصريين » على درجة عالية من التنظيم ومدعما بالصور والوثائق ۰۰ والمادة المعروضة تمت صياغتها فى اطار سياسى يفرض على المتلقى : الزعم بالاضطهاد الذى لاقاه يهود الشتات فى مصر ! ۰۰ ويبرز الزيف والتناقض عندما تشير المادة « العلمية ! » الى أن كل ما تحقق من نمو حضارى فى مصر الحديثة كان « بالرغم من الاضطهاد » بفضل اليهود !! ۰۰ تماما مثلما يحاولون نسبة كل ما أبدعه الانسـان المصرى القديم الى

أنفسهم !! .. فالهدف محدد : « تأصيل ذاكرة مزيفة لتاريخ اليهود » !!

وهذه الدراسة هي اسهام أقدمه بكل تواضع ، لاستكمال نقص هائل في المكتبة العربية ، ولأن الدراسات العربية ـ على ندرتها ـ والتي تناولت جوانب من هذا الموضوع الهام ، افتقرت الى الرؤية الشاملة الفاحصة المدققة .. كما تأثرت بالوضع السياسي الراهن في المنطقة العربية .. وهو ما ينطبق ـ أيضا ـ على الدراسات اليهودية ، التي اهتمت بمعالجة هذا الموضوع ، في اطار « التوظيف السياسي للتاريخ » ! .

ولعل هذه الدراسة ، تدحض مزاعم المؤرخين الاسرائيليين ، وادعائهم بأن الطائفة اليهودية في مصر ، كانت متمايزة : دينيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وقوميا ، وأنها كانت تشكل جزءا مما يسمى بـ « الشعب اليهودي » ! .. الذي اختلقوه من ظلمات الأوهام وضباب الأساطير استنادا الى تلك « الصلات الدقيقة التي تربط بين يهود العالم على الرغم من تباين العادات والتقاليد .. !!

ان اختلاف الدين بين أبناء المجتمع الواحد ، ليس مبررا لادعاء الاستقلال الحضاري والتمايز الاجتماعي والثقافي .. !!

وأتمنى أن تقدم هذه الدراسة ، مادة جديدة ، للباحثين في تاريخ الطائفة اليهودية في مصر ـ عبر العصور ـ تشكل صورة موضوعية ، دقيقة ، بمختلف أنساقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية .

عرفه عبده على

اليهود فى مصر الفرعونية

أجمع المؤرخون على أنه ليس لليهود ـ مراحـــل استيطان تاريخى طويلة ـ فى بقعة من الأرض ، أقاموا فيها مجتمعا حضاريا على أساس من قيم الإستقرار والأمن الاجتماعى ٠٠ وهى ســمة بارزة فى التاريخ اليهودى بوجه عام ! ٠

فلم يزل اليهود فى هجرتهم الدائمـة ما بين بلاد العـــراق وحوران وكنعان ـ يعيشون بجوار القبائل ـ ولم يكن فى استطاعتهم التغلب على واحدة من هذه القبائل حتى لجأوا الى مصر وخرجوا منها بعد قرون الى الأرض التى ادعوا أنها « أرض الميعاد » ٠٠ بمقتضى ارث سماوى مزعوم !!

ولم يستفد اليهود من هجرة فى تاريخهم كله ـ كما استفادوا من هجرتهم الى مصر ـ ومع ذلك نجد أن « ســـفر الخـروج ـ Exode » الذى يعرض تاريخهم فى مصر القديمة وخروجهم مع « موسى » ٠٠ وتاريخهم أثناء مرحلة « التيه » التى قضـــوها فى صحراء سيناء واستغرقت أربعين عاما ٠٠ نجد أن سفر الخروج يقطر حقدا ومرارة على المصريين !! ٠٠ بالرغم من أنهم لم يعرفوا الاستقرار والحياة الرغدة الا على ضفاف نيل مصر ، حيث نهلوا من مناهل الحضارة المصرية ، مما زاد فى خبرتهم بتدبير شئونهم والدفاع عن أنفسهم ٠٠ فأصبحوا يمارسون فنون الزراعة ، كما أحسنوا

حمل السلاح حتى أصبحوا قادرين على منازلة قبائل البادية التى عجزوا عن مقاومتها طوال خمسة قرون ! ٠

وقد ذهب المؤرخون الى أن هجرة أبناء « يعقوب » كانت بداية التواجد اليهودى فى مصر ، لتبدأ قصتهم الطويلة مع التاريخ الذى شوهوا معالمه بالزيف ، كما كان بداية قصة الصراع الذى ـ لفقت ـ له جذور مصطنعة وميراث أوهام مدعاة تعلق بها الأبناء بعد الآباء فى عنصرية فريدة من نوعها ! ٠٠ فنسبة يهود اليوم الى « بنى اسرائيل » ليست سوى احدى محاولات الحركة الصهيونية لاختلاق جذور لما يسمى بـ « الشعب اليهودى » ٠٠ ثم ليست هنـــاك دلالات تاريخية كما يقول عالم المصريات د ٠ « رمضان عبده » تؤكد أن « يعقوب » هو نفسه « اسرائيل » !! ٠٠ سوى التوارة « المحرفة » ومزاعم صهيونية غير مقبولة لاختلاق « تاريخ موحد مزيف لجميع اليهود » !! ٠٠ فلم يكن لليهود تاريخ يذكـر فى مصر القديمـــة الا بعض التجمعات فى جزيرة الفنتين ـ كما سيرد فيما بعد ـ وبالتالى تسقط كل دعاوى نسبة الحضارة المصرية القديمة الى اليهود !! ٠٠

وقد اختلفت علاقة اليهود بمصر القديمة ، تبعا لاختلاف وضع فلسطين بالنسبة لمصر ، والصلات التى قامت بين مصر وفلسطين من ناحية ، وشعوب الشرق الأدنى المجاورة من ناحية أخرى ٠٠ فعندما آلت فلسطين الى الأشوريين ، نزح كثير من اليهود الى مصر ، غير مبالين بتحذير نبيهم « ارميا » وانذاره لهم بعدم الهجرة اليها (١) ! ٠

وحين ورثت بابل آشور ، ووفد نبوخذ نصر **(Nebughadnezzer)** على رأس جيوش أبيه ملك بابل ، وأنزل الهزيمة بالملك نخاو الثانى ملك مصر (٦٠٩ ـ ٥٩٣ ق٠م ٠) فى موقعـة قرقميش عام ٦٠٥ ق٠م٠ وأجلاه عن فلسطين ، آل ملكها الى بابل ٠ وفى عام ٥٩٧ ق٠م٠ ثارت مملكة يهوذا ، فبادر نبوخذ نصر ـ وقد صار ملكا على بابل ـ

الى اخماد هذه الثورة ، واحتلت جيوشه أورشليم ونهبت الهيكل ·
وقد عادت يهوذا الى الثـــورة مرة ثانية (٢) (٥٨٨ ـ ٥٨٦ ق·م)
مؤملة ان يسارع ملك مصر « أبريس » (وهو خفرع فى التوراة (٣)
٥٨٩ ـ ٥٦٩ ق·م) الى نجدتها · وفى هذه المرة أخمد ملك بابل
الثورة بكل عنف ودمر أورشليم وهيكلها تدميرا تاما شاملا ، فقضى
بذلك على ما تبقى ليهوذا من استقلال ووجه ضربة قاضية لحياة
اليهــود بهـــا ·

وقد فتح أبريس صدره لليهود الذين نجـــوا مـــن السبى
البابلى · فكانت تلك الموجة الجديدة من هجرة الى مصر · وقد عرفنا
أنباءها من سفر ارميا ومن الخطاب المنسوب الى ارستياس ، ومن
وثائق الفنتين الآرامية ·

وتحدثنا مصادرنا بأن أبريس أنزل اليهود فى تل الدفنة (٤)
(تحفنحيس فى التوراة) وكانت تقع على بعد أثنى عشر ميلا غربى
القنطرة وتتحكم فى مدخل الدلتا من جهة الشرق · ولكن لما كانت
هذه المدينة ذات موقع استراتيجى هام وكانت فى العصر الصاوى
المركز الرئيسى للجند المرتزقة فانها كانت أبعد من أن تصلح معسكرا
للاجئين ، ولذلك يبدو أن أبريس لم يبق بها من لاجئى اليهود غير
أولئك الذين انخرطوا فى سلك الجيش ولاسيما أننا نسمع أن
كثيرا من أولئك اللاجئين تفرقوا بين تانيس ومنف وأرض باثروس
(Parhros) أو أرض الصعيد ·

وقد صادف قدوم اليهود قبولا لدى ملوك العصر الصاوى ،
اذ كانوا يشجعون الأجانب على المجىء الى مصر للاشتغال بالتجارة
والجندية (٥) وقبل أبريس ، اســـتخدم الملك ابسماتيك الأول
(٦٦٤ ـ ٦٠٩ ق·م) كثيرا من اليهود جندا مرتزقة ولا يبعد أن
ابسماتيك الثانى (٥٩٣ ـ ٥٨٩ ق·م) كان قد استعان بهم فى
حملته على بلاد النوبة فى عام ٥٩١ ق·م ·

وعلى أى حال فان المصادر القديمة تحدثنا بأن اليهود انتشروا فى العصر الصاوى وبعده فى مختلف أرجاء مصر : منف والفيوم ودهشور والبهنسا والأشمونيين وأخميم وطيبة وأبيدوس وأدفو الفنتين وأسوان ، وبأن جاليات اليهود فى هذه الأرجاء كانت على اتصال وثيق فيما بينها ٠

ومن بين المناطق التى استقر بها اليهود ، وتهمنا بصفة خاصة جزيرة الفنتين عند حدود مصر الجنوبية ، حيث قامت مستعمرة عسكرية كان اليهود يؤلفون أحد عناصرها (٦) ٠ وترجع أهمية هذه المنطقة الى ما عثر فيها من البرديات الآرامية (٧) ٠ وهذه البرديات تعطينا صورة واضحة مفصلة عن حياة الجالية اليهودية فى الفنتين من كافة النواحى الدينية والاجتماعية والقانونيـــة والاقتصادية ، كما تمدنا ببعض المعلومات عن أماكن أخرى ، استقر بها اليهود ، وذلك بفضل الرسائل التى كان أولئك اليهود يتبادلونها مع اخوانهم فى الفنتين ٠ وفضلا عن ذلك فان هذه البرديات تعتبر بمثابة سجل حافل بالأحداث التاريخية التى كانت الفنتين بل مصر كلهـــا الى حد ما مسرحا لها فى العصر الفارسى ٠

وتكاد تتفق الآراء على أن يهود الفنتين كانوا من سلالة الجند المرتزقة الذين عملوا فى جيش ابسماتيك الثانى أو من سلالة الذين نجـــوا من السبى البـــابلى بعـــد تدمير هيكل أورشـــليم فى عام ٥٨٦ ق٠م (٨) ٠

ومما يجدر بالملاحظة أن اليهود ، الذين كانوا يؤلفون جانبا من الحاميـــة العسكرية (Haila) التى أقيمت فى الفنتين ، لم يكونوا الا جزءا من الجالية اليهودية التى اســـتقرت فى تلك المنطقة وكانت تضم الى جانب أولئك الجنود أسرا يمتلك بعضها المنازل فى الفنتين والبعض الآخر فى أسوان (٩) ٠

وقد سمح لليهود باقامة معبد ليهوه الى جوار معبد خنوم الاله المصرى الرسمى لهذه المنطقة وقد تجمعت منازل يهود الفنتين حول هذا المعبد فنشبأ هناك حى خاص باليهود أخذ يتسع تدريجيا حتى بلغت حدوده مشارف الحى المصرى الذى كان يقع جنـــوبى معبد اليهود ولما كانت احدى الوثائق الآرامية التى عثر عليها فى الفنتين تشير الى أن المعبد الذى أقامته المستعمرة اليهودية فى الفنتين يرجع الى عهد ملوك مصر فان الرأى السائد اليوم هو أن قيام تلك الجالية يرجع الى ما قبل الفتح الفارسى سنة ٥٢٥ ق٠م ٠

وقد استمر يهود تلك المستعمرة يقومون بمهمتهم فى خدمة مصر وصد الهجمات التى تتعرض لها من جهة الجنوب ٠ ولم يتدخل ملوك العصر الصاوى فى شئون الجالية الداخلية وسمحوا لأفرادها بقسط وافر من الحرية الدينية ٠ وبالرغم من وجود معبد يهوه فى الفنتين الى جانب معبد خنوم فانه لم يحدث طوال العصر الصاوى أى صدام بين اليهود والمصريين بسبب التعصب الدينى أو اختلاف العقائد بين الفريقين ٠ ولم يكن اليهود العنصر الأجنبى الوحيـــد فى الفنتين وأسوان ٠ كما أن يهوه لم يكن الاله الأجنبى الوحيد فى هذه المنطقة من أرض مصر التى ألف أهلها كثرة العناصر الأجنبية العاملة فى الجيش والقائمة على حراسة الحدود ٠ وكيف نفسر اذن الصدام الذى وقع بين اليهود والمصريين فى العصر الفارسى (١٠) !

يذهب « G. Ricciotti » (١١) الى أن اليهود سارعوا الى تقديم فروض الولاء للملك الفارسى وفى الوقت نفسه وجد الفرس فيهم أداة طيعة يستطيعون اســـتخدامها فى السيطرة على بلاد لم تكن فقط بعيدة عن مقر الحكم فى الامبراطورية بل كانت أيضا قوية فى شعورها بذاتيتها وحريصة على استرجاع استقلالها ٠ وقد تعزى مبادرة اليهود بالاعلان عن ولائهم للملك الفارسى الى أنهم كانوا بوجه عام يدينـــون للملك قورش الثـــانى (٥٥٩ ـ ٥٣٠ ق٠م)

بانقاذهم من السبى البابلى وردهم الى ديارهم • وعندما جاء قمبيز الى مصر أظهر عطفه على اليهود ، ولم يمس معبد اليهود بأى سوء فى حين أن كثيرا من معابد المصريين تعرضت للتدمير والتخريب • وتكشف احدى البرديات الآرامية عن حقيقتين (١٢) ، احداهما أنه حين ثار المصريون على الفرس عقب ارتقاء دارا الثانى العرش فى سنة ٤٣٤ ق•م • بقى اليهود على ولائهم للادارة الفارسية • والأخرى انه استدعى والى مصر الفارسى فى عام ٤١٠ ق•م • لمقابلة الملك الفارسى فى العاصمة تآمر كهنة خنوم مع ويدرانج Widrang الفارسى (وكان يشغل منصب Pitrk) حاكم الاقليم وهو مركز سام فى الادارة الفارسية المحلية وأعطوه مالا وأشياء أخرى ذات قيمة ، وبذلك تمكنوا من الحاق الأذى باليهود وعطلوا لهم بئرا وعاقوهم عن عبادة يهوه •

ولهاتين الحقيقتين دلالة بينة اذ أنهما تشيران الى وقوف اليهود موقفا سلبيا من المصريين حين ثاروا على أعدائهم ، والى تحين المصريين فرصة غياب الوالى الفارسى لالحاق الأذى باليهود • وهذا فى حد ذاته يدل على تمتع اليهود برعاية الفرس ، وعلى رغبة المصريين فى الانتقام منهم ، ولا نستبعد أن مبعث هذه الرغبة لم يكن مجرد التزام اليهود الحياد بين المصريين والفرس وانما مساهمة اليهود فى اخماد الثورة • فلابد من أنه قد آلم المصريين وحز فى نفوسهم أن يقف اليهود منهم هذا الموقف بعد أن أفسحوا لهم صدرهم وأكرموا غربتهم !! •

ويمكن التعرف على مصير يهود الفنتين بعد هذا التاريخ فى ضوء تطورات الحوادث فى مصر بصفة عامة فى هذه الفترة من كفاحها للتحرر من حكم الفرس • اذ أن مصر تمكنت فى عام ٤٠٤ ق•م من أن تحرر نفسها من حكم الفرس وكون آمون حر (Amyrtaeus)

أحد مواطنى سايس ، الأسرة الثامنة والعشرين ودام حكمة ست سنوات (٤٠٤ ـ ٣٩٩ ق٠م) ٠ ويبدو أن حكمه لم يشمل مصر بأكملها ، اذ تشير القرائن الى أن جالية الفنتين اليهودية كانت لا تزال تعترف بالحكم الفارسى ، فقد وصلتنا بردية مؤرخة فى العام الرابع (١٣) من حكم الملك الفارسى أرتاخشـــاير شاه الثــانى (Artaxerxes II) فى ١٢ ديسمبر ٤٠٢ ق٠م ووصلتنا بردية أخرى مؤرخة فى العام الخامس من حكم ملك أغفل ذكر اسمه ٠ ويميل البعض الى تاريخ هذه البردية باليوم الثـــانى من شهر يونيـو ٤٠٠ ق٠م ٠ ، والى القول بأن الملك المقصود هنا هو الملك آمون حر وأن اغفال اسمه كان أمرا متعمدا ، لأن هوى يهـــود الفنتين كان لايزال مع الحكم الفارسى ولأنهم لايزالون يعللون النفس بعودة هذا الحكم ٠ وتؤكد احدى البرديات أنه حوالى هذا التاريخ كانت جالية الفنتين اليهودية قد اعترفت بحكم الملك المصرى (١٤) فلم يجد أفرادها بدا من اظهار ولائهم له ٠ وعلى أى حال لم يكن اليهـود يتوقعون أن يلقوا عطفا من ملوك هذه الأسرة التى حررت مصر من حكم حماتهم الفرس ٠

ولم يعمر حكم الأسرة الثامنة والعشرين طويلا ٠ اذ قام على أثره حكم الأسرة التاسعة والعشرين التى أسسها الملك نايف عاورود الأول (Nepherites I) (٣٩٨ ـ ٣٦ ق٠م) وأصله من تل الربع (منديس) فى الدلتا حيث كان مركز عبادة الاله الكبش ٠ وقد كان طبيعيا أن تولى هذه الأسرة اهتمامها للاله خنـــوم فى الفنتين مما أكسب كهنته قوة ونفوذا كانا نذيرا بخطر جسيم يتهدد اليهود ومعبد يهوه ٠ فلا عجب أن أفضى عصر هذه الأسرة الى اضمحلال جالية اليهود فى الفنتين وتدهورها ٠ وربما ترك اليهود تحت رحمة المصريين وكهنة خنوم الذين وجدوا الفرصة سانحة ليشفوا ما فى قلوبهم من كراهية ضد اليهود وتكرر حينئذ ما حدث لليهود سنة ٤١٠ ق٠م ٠ ولكن كان هذه المرة بطريقة أشد عنفا بحيث لم نعد

نسمع عن تلك الجالية · ويرجح الأستاذ كرايلنج ناشر برديات متحف بروكلين أن عهد الملك نايف عاورود الأول قد شهد نهـــاية جالية الفنتين اليهودية وذلك لأن آخر بردية مؤرخة وصلتنـــا من الفنتين تحدثت عن توليه هذا الملك عرش مصر (١٥) ·

وهكذا قدر لهذه الجالية أن تختفي بعد عدة سنوات من توارى الحكم الفارسى عن مصر · ولعل نكبة يهود الفنتين ترجع الى أن أكثرهم كانوا أعضاء جالية عسكرية فبادروا الى اظهار ولائهم للملك الفارسي وشاركوا في اخماد ثورات المصريين في حين كان باقي يهود مصر من المدنيين ولم تكن لهم يد في مناهضة الثورات المصرية ومن ثم لم يتعرضوا لما تعرض له يهود الفنتين ، بل أن هؤلاء استطاعوا أن يجدوا لديهم ملجأ وملاذا ·

ومن أجل استكمال الصورة العامة عن جالية يهود الفنتين بقى أن نعرض في شيء من الايجاز الجوانب الأخرى المتعلقة بحياة هذه الجالية بقدر ما يمكن استخلاصه من البرديات الآرامية · وهي المرجع الأساسى لدراسة النواحى الاقتصادية والدينية والقانونية لتلك الجاليـــة ·

ولا تكاد البرديات تفصح عن نوع التنظيم الذى كانت عليه الجالية اليهودية ، وان كان يتبين من بعض البدريات أن شـــخصا بعينه يدعى يدونيا بن جماريا (Yedoniah B. Gemariah) (١٦) كان ينوب عن اليهود في مفاوضة السلطات الفارسية ويقوم أيضا بجمع المال الذى كان يهود الجزيرة يساهمون به من أجل المعبد اذ كانوا يدفعون ضريبة ليهوه · مقدارها شاقلان من الفضة يؤديها للمعبد الرجال والنساء على الســواء · وتذكرنا هذه الضريبـــة بالضريبة التى فرضتها الشريعة اليهودية على يهود فلسطين اذ كانوا يدفعون على عهد نحميا ثلث شاقل لمعبد أورشليم ، ثم زيدت الضريبة

الى نصف الشاقل · ولما كان يهود الفنتين يدفعهون شاقلين ، فان هذا معناه أن الأمر كان أكثر من ضريبة حددتها الشريعة ويقصد به كذلك مواجهة مطالب الجالية فيما يبدو · لكننا لا نعرف مدى التزام يهود الفنتين بصفة خاصة ويهود مصر بصفة عامة بدفع ضريبة نصف الشاقل لهيكل أورشليم · ويرجح بعض المؤرخين (١٧) أن يدونيا بن جماريا كان يشغل منصب رئيس الطائفة وهو يقابل منصب الاثنارخيس (Ethnarches) في العصرين الاغريقى والرومانى · وسواء أقبلنا هذا الرأى أم رفضناه فانه مما لاشك فيه أنه كان يسود الجالية نظام معين يسمح بتحصيل ضريبة خاصة بمعبدها ، وأن هذه الأموال كان ينبغى أن يعهد بها الى هيئة معينة تقوم بالأشراف على شئون المعبد والجالية ، ومن الجائز أن هذه الهيئة كانت تتألف من الأحبار · وعلى كل حال يبدو أن هذه الهيئة كانت تقوم بدور هام وقت الأزمات ومثل ذلك أنه عندما دمر معبد الفنتين بادرت بالكتابة الى أحبار أورشليم وحاكمها وحاكم السامرة الفارسيين على نحو ما أسلفنا · وأغلب الظن أنه كان يأتى فى مقدمة اختصاصات هذه الهيئة مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث وكافة الأمور التى يراعى فيها تطبيق أحكام الشريعة الموسوية ·

ويبدو أن جالية الفنتين كانت تتمتع من الناحية الاقتصادية بقدر من الاستقرار الاقتصادى والرخاء المادى فقد كانت بعض أسرها تمتلك العبيد والمنازل ، وكان بعض أفرادها يقرضون الأموال بمقتضى صكوك يثبتون فيها سعر الفائدة (١٨) ، وتقرأ كذلك فى أكثر من بردية عن بيع أو شراء منازل أو حصص فيها أو تنازل عنها · وترينا البرديات أيضا قيام معاملات بين اليهود وغير اليهود من المقيمين فى الفنتين ويسجل عدد من البرديات (١٩) أن بعض أفراد الجالية حققوا نوعا من الترف فى معيشتهم فقد كانوا يلبسون الملابس الصوفية ، ويستعملون زيت الزيتون ، والدهون

والبلسم ، ولا نتصور أن الاشتغال بالجندية هو الذى أتاح لليهود كل ذلك ٠

ولما كانت طبيعة تربة الفنتين تمنع اهلها من ممارسة الزراعة ، فلابد اذن من أن المدنيين منهم كانوا يشتغلون بالتجارة مع اثيوبيا والنوبة والسودان ، وفى النقل النهرى وجباية المكوس الجمركية على السلع الواردة الى مصر ٠

وتساعدنا البرديات الآرامية أيضا فى استجلاء بعض المظاهر الاجتماعية ، وكان من أبرزها الأمور المتعلقة بالأسرة من زواج وطلاق وميراث وما الى ذلك ٠ وتتبين من الوثائق أن الزوج كان يبرم العقد مع وكيل عن الزوجة ، كان فى الغالب والدها ، وأن الزوج كان يقدم الصداق (المهر) Mohar الى هذا الوكيل ، وأن الزوجة كانت تذهب الى بيت الزوجية ومعها منقولاتها ، وانه فى حالة الطلاق كان من حق الزوجة استعادة هذه المنقولات وأن الزوج يفقد ما دفعه من صداق ، بل انه اذا طرد الزوجة دون مسوغ قانونى فانه كانت تفرض عليه غرامة جزاء سوء تصرفه ٠ ويرجح أن أحبار المعبد كانوا يفصلون مثل هذه المنازعات ٠ وتوضح البرديات كذلك انه كان يحق للزوجة طلب الطلاق وكانت فى هذه الحالة تدفع لزوجها تعويضا مناسبا مع احتفاظها بحقها فى منقولاتها ٠

ولما كانت المرأة اليهودية فى الفنتين تباشر بنفسها ادارة شئونها الخاصة واستثمار أموالها ، وتساهم مثل الرجل سواء بسواء فى دفع الضريبة الخاصة بالمعبد ، ويحق لها طلب الطلاق من زوجها ، فان ذلك كله يدل على سمو مكانتها فى المجتمع اليهودى (٢٠) ٠

وقد يكون من الطريف أن نشير الى أن بعض البرديات تبين أنه كان من الممكن أن يقوم زواج بين مصرى ويهودية ، وبين يهودى

وأمة مصرية (٢١) • ونظرا لاختلاط الأسماء المصرية بالأسماء السامية يمكن القول بأنه كان هناك قدر معين من اندماج اليهود بالمجتمع المصرى أو على الأقل التأثر به •

واذا انتقلنا الى الناحية الدينية فاننا نجد أن اليهود لم يكونوا على درجة كبيرة من الدقة فى مراعاة تعاليم شريعتهم • اذ تلاحظ عدة أمور جديرة بالاهتمام وهى :

أولا : كانت اقامة معبد الفنتين فى حد ذاتها مخالفة صريحة لهذه الشريعة اذ أن سفر التثنية ينص على ألا يكون لليهود غير هيكل واحد هو هيكل أورشليم ولا يجوز أن تقدم القرابين الا على مذبحه •

ثانيا : كان اليهود يقدسون بعض الآلهة الوثنية مثل اشم بيتاءل (Eshembethel) وعنات بيتاءل (Anathbethel) ويعبدونها الى جانب ربهم يهوه • ويمدونها بالمال مثل ما كانوا يمدون يهوه ولعل هذا الانحراف يرجع الى تأثيرات أجنبية لعلهم تعرضوا لها أثناء فترة السبى البابلى ، أو لعلهم خضعوا لمؤثرات البيئة المصرية المحلية ، أو أنهم لم ينزلوا هذه الالهة نفس المنزلة التى كانت ليهوه بل اعتبروها تابعة له وتدور فى فلكه ، أو لعل ذلك كان نوعا من التسامح الدينى اضطرتهم اليه ظروف قيام الجالية وسط خليط من الشعوب الوثنية مثل المصريين والفرس والفينيقيين والبابليين كما سبق القول • وتتساءل هل كان مرد هذا التسامح الرغبة فى التعايش السلمى دون أن يخطر على بال اليهود أنه ينطوى على أى قدر من الشرك أو الانحراف (٢٢) •

وثمة ناحية أخرى يبدو فيها واضحا أن اليهود أغفلوا أوامر شريعتهم : ذلك أنهم كانوا يباشرون اقراض الأموال بفوائد فاحشة قد تصل أحيانا الى ٦٠٪ فى السنة واذا عجز المدين عن سداد دينه

فان الفائدة التى لم تدفع كانت تضاف إلى أصل الدين وفى هذه الحالة كان على المدين أن يدفع ربحا مركبا • ولم تقتصر الفوائد على المال المقترض فحسب بل كانت تؤدى أيضا الى الدائن فى حالة اقراض الحبوب (٢٣) •

ومع ذلك فان القرائن تدل على أن اليهـود كانوا يهتمون بمراعاة بعض العادات والتقاليد الدينية عندهم اذ من المحتمل أنهم كانوا يراعون أيام السبت ، وأنهم كانوا يحتفلون بعيد الفطير (Mazzoth) وبعيد الفصح • ولما كان العيد الأخير عيدا رعويا قديما عند اليهود ومرتبطا بعادة نحر الضأن والماعز ، وكان ذلك ـ كما رأينا ـ يثير غضب كهنة خنوم فان بعض المؤرخين يرى أن الاحتفال بهذا العيد كان يتخذ شكلا يغاير ما اعتاده يهود فلسطين •

أما عن العلاقة الدينية بين أورشليم والفنتين فان يهود أورشليم لم يرحبوا بقيام هيكل ليهوه فى غير مدينتهم (٢٤) وتحدثنا بردية آرامية بأن الملك الفارسى دارا الثانى حدد ليهود الفنتين موعـد الاحتفال بعيد الفطير والمدة التى يستغرقها هذا العيد • وقد حدا هذا ببعض المؤرخين الى القول بأن يهود الفنتين لم يعتادوا الاحتفال به فرغب يهود أورشليم وبابـل الى الملك الفارسى أن يحملهـم على الاحتفال به حتى تسود الوحدة الدينية فى تلك الأقطار من ناحية المظهر الدينى على الأقل (٢٥) ولا نستطيع أن نؤكد أو ننفى أن يهود الفنتين كانوا يدفعون ضريبة نصف الشاقل الى هيكل أورشليم ، وربما كان أحبار أورشليم غير راضيين بوجه عام عن يهود الفنتين اذ كانت يهوديتهم تجافى الروح اليهودية الصحيحة كمـا ينبغى أن تكون •

ومما لاشك فيه أن معظم الوثائق القانونية ضمن البرديات الآرامية قد كتبت بأسلوب قانونى راق ، وأن يهود الفنتين شغفوا

يرفع الدعاوى شغفهم بتسجيل ما يبرمون من عقود واتفاقات ٠ ولاشك أنه من الأهمية بمكان في ضوء هذه الحقائق أن نتبين الاستقلال الذاتي الذى كانت تتمتع به الجالية اليهودية من حيث تطبيق الأسس القانونية التى نص عليها التشريع اليهودى ، ومدى خضوع الجالية اليهودية لقضاء الدولة فى اطار نظام الحكم الفارسى بمصر ، ونوع المحاكم التى كانت تفصل فى قضايا يكون طرفا النزاع فيها أو أحدهما من اليهود ٠

وبذلك تكون برديات الفنتين الآرامية قد أمدتنا بمعلومات لها قيمتها عن كثير من جوانب حياة الجالية اليهودية ٠ ولسوء الحظ أننا نفتقر الى المعلومات التى تمكننا من دراسة أحوال بقية يهود مصر وهكذا يصعب تكوين فكرة شاملة عن كل يهود مصر قبل الفتح المقدونى ومن العسير كذلك أن نتخذ مما نعرفه عن يهود الفنتين أساسا لتوضيح أوضاع اليهود فى مصر كلها ٠

وأين ذهب يهود الفنتين ؟ هل عادت الى أرض يهوذا تلك القلة التى نجت ؟ يستبعد بعض المؤرخين أن يكون ذلك قد حدث ، ويرجح آخرون أن نفرا من تلك الجالية اتجهوا الى ادفو شمالا اذ عثر على شواهد قبور تحمل كتابة آرامية ترجع الى القرنين الثالث والثانى ق٠م ٠ وسنعرف فيما بعد أن اليهود فى العصرين البطلمى والرومانى اختصوا بالحى الرابع من أحياء هذه المدينة ٠

ونتساءل كذلك عما حل باليهود فى الأماكن الأخرى مثل طيبة والأشمونين ومنف التى كانت تتبادل الرسائل مع الفنتين ٠ هل تحققت نبوءة النبى ارميا وما أنذر به يهود مصر من نقمة وعذاب وتقتيل وتشريد ٠٠ !!

حادثة الخروج •• والفرصة التاريخية !

حادثة الخروج « La Sortie » — « Exodus » هي محور تاريخ اليهود ، وهي اللحظة التى ولد فيها بنى اسرائيل كجماعة دينية ، وهي النموذج الذى يؤكد قدرة الأساطير اليهودية على الدمج الوثيق بين العناصر القومية والدينية والتاريخية التى تشير الى العلاقة بين العهد القديم والأرض المقدسة و « الشعب المختار » •• فى توافق يشكل فى النهاية المنطق الروحى لليهودية السياسية !

وتبرز أهمية الخرافة والأسطورة فى خلق الاطـــار النفسى العنصرى اليهودى ، وبشكل يتجاوز الحقيقة التاريخية •• من خلال الفكر الصهيونى الذى يثير دائما فى تفسيراته وتوجهاته : مشاعر التفوق وادعاء التميز والاستعلاء على شعوب الأرض لديمومة البقاء اليهودى ، وتتضخم الذكريات الدينية والسياسية بتوالى الأزمان وتعاقب الأجيال ، ويجعل الفكر الحاخامى العنصرى من هذا البقاء : « اختيار الهى » و « ارادة الهية لا قدرة للبشر على مقاومتها » •• وبأن الله قد « اختار اليهود كى يطهروا العـــالم كله من الشوائب والظلمات » •• ومثـــل هذه الآراء ، لابد أن تؤثر على الجماعات اليهودية ، فكرا وســـلوكا ، بانتمائهـــا الى « الشعب المقدس » و « الشعب المعجزة » وتصبح الدولة اليهودية وســـيلة لتحقيق « الرسالة الخاصة » لليهود !

ويصف العالم اليهودى « س • فرويد » فى كتابه « اليهودية ـ موسى والتوحيد » ادعاءات اليهود بالتمايز والقداسة بأنها خرافة

و « ٠٠ تلك حالة لانظير لها على الاطلاق فى تاريخ العقائد الدينية ، فلم يحدث قط أن اختار الله عابديه » !!

ولا يمكننا دراسة التأثير المصرى على العقيدة اليهودية ، دون الرجوع الى آراء « فرويد » (١) التى تتلخص فى أن موسى ــ عليه السلام ــ مصرى الدم والعقيدة ، وليس يهوديا كما يزعم اليهود ، وأهم الأسس التى اعتمدها فرويد : اسم موسى ونشـــأته وتعلمه وأعماله قبل خروجه من مصر ، ثم أثر ذلك بعد الخروج ، وزعامته للطوائف التى خرج بها ، واسلوبه فى سياستها والزامها بعقيدته ، وانقطاع الصلة بينه وبين الأصول الإسرائيلية التى يدعى اليهود نسبته اليها ٠

ويشـــير المؤرخ اليهـودى « فلافيوس يوسـيفوس » الذى عاش فى القرن الأول الميلادى ، فى كتابه « تاريخ اليهود القديم » الى أن موسى كان حاكما وكاهنا مصريا ، وكان أيضا من كبار قادة الجيش المصرى و « ٠٠ لا صلة فى دم أو فى نشأة أو ثقافة أو زواج بينه وبين بنى اسرائيل الذين سبقوا عصره بنحو ستمائة عام ٠٠ ولا صلة فى الدم أو فى الثقافة كذلك بين جماعته الذين خرج بهم من مصر ، وبنى اسرائيل الذين كانوا عند هجرتهم من فلسطين الى مصر أسرة واحدة ، عدد أفرادها نحو السبعين ، فلابد أنهم ــ خلال تلك القرون الستة ــ قد ذابوا فى المصريين والهكسوس الذين فتحوا مصر خلال ذلك وظلوا يحكمونها ، الى أن طردهم أمراء مصر ٠٠ » ٠

وقصة الخروج ، مازال يحيط بها قدر هائل من الغموض ، فالوثائق المصرية لاتتضمن مجرد اشارة عابرة لهذا الحدث التاريخى الهام ، وكان لعلماء المصريات والدراسات الشرقية آراء متباينة فى هذا الموضـــوع ، فيقول عالم المصريات الألمانى الشهير « هنريك برجش » فى محاضرة عام ١٨٧٩ : « قضيت من عمرى ثلاثين عاما فى

دراسة تاريخ وآثار مصر القديمة ، وقد استحوذ على تفكيرى بداية أن أربط بين ما جاء في التوراه عن خروج بني اسرائيل من مصر ، وبين ما يمكن أن نجده مذكورا في بعض النقوش أو الوثائق ، ومع تقديرى لما ورد في الكتب المقدسة ، أرى نفسى مقصرا اذا تغاضيت عما هو ثابت منها في المجال الأثرى ، حتى تتكون لدى قناعة بصحة ما ورد في الكتاب الثاني من أسفار موسى ٠٠ وخروج بني اسرائيل من مصر هو أهم أحداث هذا الشعب » ٠

ويشير عالم المصريات الكبير د ٠ « رمضان عبده » في كتابه « تاريخ مصر القديمة » أن بعض علماء الدراسات المصرية القديمة قد اتجهوا ـ دون الاعتماد على نصوص أثرية مصرية ـ الى أن خروج بني اسرائيل من مصر قد حدث في عصر الهكسوس ، ورأى بأنهم خرجوا في عصر الأسرة الثامنة عشرة ، وبالتحديد في عهد الملك تحوتمس الثالث ، بينما يذهب البعض الى أن الخروج قد حدث في عهد ابنه امنحتب الثاني ، وعلى رأسهم المؤرخ « مانيتون » (٢) ٠٠ ورأى آخر بحدوثه في عهد امنحتب الثالث ٠

أما عالمة المصريات الشهيرة « نوبلكور » (٣) في كتابها « Ramses le grand » فتذهب الى رأى مخالف ، فتقول بأن حادثة الطرد أو الخروج ، قد تمت فيما بين العام العاشر والعام الثامن عشر من حكم رمسيس الثاني ، على الرغم من أنه ليس هناك أية وثيقة تشير الى ذلك ، وأن اسم موسى هو اسم من أصل مصرى ، ونشأ في بلاط الملك ، وكان بعض اليهود قد تلقوا علومهم في المدارس المصرية ، وكان سيدنا موسى يتمتع بحماية خاصة من الملك حور محب الذى كان مشغولا بمشكلات الآسيويين في مصر ، وقام الملك سيتى الأول بتشييد الحصون في شرق الدلتا ، وشيد قصره في « قنطير » التى أصبحت العاصمة في عهد رمسيس الثاني ٠٠

وكان سيتي الأول يضطهد اليهود في « بيثوم » وهرب موسى الى « مدين » بعد مقتل أحد زبانية الاضطهاد وتزوج من ابنة كاهن مدين في غرب وادي عربة ــ ايلات ، ثم عاد موسى الى مصر ، عقب تولي رمسيس الثاني عرش مصر ، وطلب منه أن يذهب مع شعبه لعمل تضحية في الصحراء ، ولكن الملك رفض طلبه ، فكان ذلك سببا في بداية الصراع ، وحدث هذا الطلب بين السنة الخامسة والسنة السابعة من حكم رمسيس الثاني ، وخلال تلك السنوات ، شاعت القلاقل على الحدود الشرقية لمصر ، وتمادى الملك في اضطهاد اليهود ٠٠ وبدأ الخروج من مدينة رمسيس واتجه اليهود الى وادي الطميلات ، جنوب خليج السويس ، وهو طريق خال من التحصينات، ويبدو أن الصدام مع جيش فرعون قد حدث في المناطق الضحلة في « كليسما ــ Clysma » على البحر الأحمر ، وهنا حدثت معجزة انشقاق مياه البحر ، ثم اتجه موسى عقب ذلك الى صحراء النقب في سيناء ٠

والرأي الوحيد الذي يعتمد على نص أثري « مشكوك في صحة قراءته وتفسيره ، فهو القائل بأن خروج بني اسرائيل من مصر كان في عهد الملك مرنبتاح ــ ابن رمسيس الثاني ــ اعتمادا على الفقرة التي وردت في السطر ٣٧ من لوحة مرنبتاح ، وتقول : « ٠٠ وسهل يزريل أقفر ولم يعد له بذور » وقد قرأ معظم العلماء اسم « يزريل » / « اسرائيل » ! وقد اعتمد أكثرهم هذه الفقرة للتحدث عن الخروج في عهد هذا الملك !

وبالتحليل العلمي لهذه الفقرة ، يسهب د ٠ رمضان عبده (٤) في تفنيد هذا الرأي ، مؤكدا على أن « تسجيل أحداث الخروج ، بما فيها من وقائع وتفاصيل ومعجزات ، يحتاج الى مئات الأسطر وربما الى أكثر من نقش على لوحة واحدة ، ومن المحتمل أيضا أن أحداث الخروج قد حزفت عن عمد من النصوص ، لأنها تمس

العقيدة ، ولهذا فلا يجب الاعتماد على فقرة قصيرة فى نص مرنبتاح للادلاء بآراء كبيرة ، والربط بينها وبين حدث دينى هام مثل حادث الخروج ، وتخيل قيام مملكة اسرائيل قبل قيامها الفعلى بأربعة قرون تقريبا ، يتعارض مع حقائق التاريخ » ٠

وفى الواقع ، أن كل هذه الآراء لا تعتمد على مصادر أو شواهد أثرية مؤكدة لكى تدعمها ، بل على العكس ، ظلت المصادر الأثرية والنصوص المختلفة حتى يومنا هذا على صمتها ازاء هذا الموضوع ، الذى أصبح يمثل مشكلة من مشاكل تاريخ مصر القديمة !

فى اليوم الرابع عشر من الشهر الأول من السنة العبرية (نيسان ـ ابريل) يحتفل اليهود بعيد الفصح : ذكرى نجاة موسى وقومه من فرعون وخروجهم من مصر ، وذكرى الخروج هى فى وعى اليهودى دائما ، وعندما يجتاز عتبة بيته ويضع يده فى مستوى معين من العتبة العليا للباب ، حيث وضعت مخطوطة تحتوى أربعة نصوص من التوارة تذكره ب « جذوره التاريخية » ! ٠٠ فهذه العتبة مثبتة فى الحقيقة عند « باب التاريخ البشرى » كما زعم المؤرخ « رافائيل درائى » (٥) أستاذ التاريخ والدراسات اليهودية بجامعة اكس بروفانس ومؤلف كتاب « La Sortie » الذى حاول أن يؤكد بأن الخروج من مصر : لم يكن مجرد عبور للبحر فى عملية هروب مضطربة ، ولكنه كان مسيرة واعية واضحة / لم يكن فقط خروج جغرافى ، بل هو خروج فكرى ونفسى / عبور من العبودية الى الحرية / مفتتح الحرية / تحطيم للسجن / أساس التاريخ / خروج عن مذاهب الدولة والأفكار والشعارات الرسمية / خروج عن الأنظمة الاقتصادية والايديولوجيات الميثولوجية / خروج الى الذات ٠٠ نحو المكان والزمان !!

وقد بذل المؤلف جهدا ملحوظا فى التحليل اللغوى ، وتفسير الممارســـات الشعائرية والكوارث العشر التى أصابت المصريين ، والظواهر الطبيعية والاصطلاحات الفلكية التى ارتبطت بالتعبير عن ظواهر طلوع القمر ومساره ، وارجاع آيات سفر الخروج الى أصولها اللغوية العبرية ٠

الا أننا نسجل تحفظاتنا تجـــاه بعض الآراء الغير مقبولة منطقيا ، منها على سبيل المثال : ادعائه بأن « موسى هو الذى فرق البحر وليس الله ! » ٠٠ ومسألة بحر الرمال أو الرمال المتحركة نقلا عن تيودور الصقلى وسترابون ، بالرغم من ورود لفظة البحر صريحة فى التوارة وفى القرآن الكريم ٠٠ ووصفه للملك اله باسم « بوزيريس » بأنه كان آكلا للحوم البشر ! فى حين لم يذكر لنا التاريخ أن واحدا من فراعنة مصر القديمة كان من أكلة لحوم البشر ٠٠ ليس الا الطعن فى أول من أبدعوا علماً وفكراً انسانياً حضارياً ، فضلا عن أنه لم ترد اشارة فى مصدر تاريخى عن اله من آلهة المصريين القدماء بهذا الاسم !

وقصـــة الخروج تستعرضها التوارة فى « سفر الخروج » ووقائع الحدث نفسه فى الفصل الثانى عشر من هذا السفر ، الذى يفيض حقدا رهيبا على الشعب المصرى ، وفيه جعلوا الههم يهواه ينكل بالمصريين فى صورة عمليات انتقامية دامية ، ردا على جميل الاقامة لنحو خمسة قرون نعموا خلالها بخيرات مصر ، وهى الخيرات التى ندموا على تركها عندما عانوا الأهوال والجوع والتشرد فى التيه ٠ واقرارهم فى كتابهم المقدس بأنهم كانوا عبيـــدا وخدما للمصريين « ٠٠ لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البريه » ٠٠ « ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر ، حيث كنا نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام شبعنا فلم أخرجتمانا الى هذه البرية لتقتلا هذا الجمهور كله بالجوع » ! والحديث موجه الى موسى

وأخيه هارون ٠٠ وأخلاق القوم المتوارثة تدل عليهم « ٠٠ وصنع بنو اسرائيل ـ كما أمر موسى ـ فطلبوا من المصريين أمتعة فضه وأمتعة ذهب وثيابا ، وآتى الرب الشعب حظوة فى عيون المصريين فأعاروها لهم وسلبوا المصريين » !

وقصة موسى وقومه تحدث عنها القرآن الكريم فى مواضـــع كثيرة ، واشارات لوقائع الحدث : عندما أوحى الله الى موسى أن يضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، ونجاته ومن معه ، وغرق فرعون وجيشـــه ٠٠ فى ســـورة البقـــرة ، الآيتين ٤٩ ، ٥٠ والآيات ٩٠ ـ ٩٢ من ســـورة يونس ، والآيات ٧٧ ـ ٨٠ من سورة طه ، والآيات ٦٠ ـ ٦٦ من سورة الشعراء ٠٠

لقد أضفى اليهود على أمانيهم ورغباتهم « قدســـية الهية » تستر ما يخفونه من تآمر وحقد دفين ضد الشعب المصرى خاصة ، وشعوب الأرض جميعا ، والفكر الصهيونى المغرق فى عداءه للتاريخ وتسخيره لخدمة الأهداف الصهيونية ، مازال يعمل على بث مفاهيم وادعاءات زائفة باستخراج نصوص توراتيه يبرر بها جرائمه ، و « التوظيف السياسى للتاريخ » قاعدة ثابتة فى الفكر الاسرائيلى المعاصر ٠٠ يؤكدها المؤلف بقوله : « ٠٠ مصر التى تركوها تؤسس نفسها مرة أخرى فى قلب مملكة اسرائيل » !! ٠٠ كما وصفها بأنها « مقبرة التاريخ البشرى » ٠٠ « ماذا فيها حاليا من ديانات توحيدية أخرى : المسيحية ، الاسلام وممارســـات اســتعبادية وتبريرات لاهوتيـــة » !!

والكيان الاسرائيلى يعيش تعاليم وأفكار صهيونية ، فيقول آشير جنزبرج : « سيسود شعبنا كل الشعوب الأخرى ، ان اسرائيل هى الأمة العليا التى تملك القدرة على التوسع وعلى أن تصبح سيد العـــالم ، وما خلقت الأمم الأخـــرى الا لتخدم هذه النخبـــة المختـــارة » !

أما الفيلسوف هربرت شيفى لا يكتفى بهذا الفكر المتواضع !٠٠ فيذهب الى القول بأن « اسرائيل هى الخالق الثانى للعالم ، الا أن الاسرائيليين يعملون بصورة جوهرية وبسرعة أكبر من سرعة الاله عند الخلق الأول للعالم » !! ٠٠ الى هذا الحد يعتقد اليهـــود أن قدرتهم تفوق قدرة الله ! ٠٠ كما صورت لهم شياطينهم !

وتستمر القرصنة التاريخية لحساب الايديولوجية العنصرية الصهيونية لافتعال تاريخ لما يسمى ب « الشعب الاسرائيلى » ٠ واصطناع « حضـــارة اسرائيلية » ٠٠ فأحـــلام الصهاينة المدمرة التوسعية الاجرامية ٠٠ تتلاءم مع أحلامهم فى غزو التاريخ !

الهـــــوامش

أولا : هوامش اليهود في مصر الفرعونية

(١) سفر « ارميا » اصحاح ٤٢ ، آيات ١٥ ـ ١٧ ؛ اصحاح ٤٣ ، ايات ٢ ـ ٧ .

(٢) G. Ricciotti : The History of Israel, Vol 1, p. 403 Milwauke 1955.

(٣) سفر « ارميا » اصحاح ٤٤ اية ٣٠ .

(٤) G. Ricciotti : op. cit., p. 32.

(٥) د. ابراهيم نصحي : « تاريخ مصر في عصر البطالمة » ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ ـ ١٥٨ ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

(٦) R. Weill : Un Document Oraméen de la Moyenne Egypte Rev. Et. Juiv. 65, pp. 16-23.

(٧) E. Kraeling : Brooklyn Aramic Papyri, new Haven. 1953, p. 42-47.

(٨) G. Ricciotti : Op. cit., p. 128.

(٩) E. Kraeling : Op. cit. ,p. 23.

(١٠) Idem, p. 84.

(١١) G. Ricciotti : Op. cit., p. 159.

(١٢) E. Kraeling : Op. cit., pp. 103-109.

(١٣) Idem., p. 112.

(١٤) Idem, p. 113.

(١٥) Idem, p. 115.

(١٦) Idem., p. 87.

(١٧) Idem, p. 222.

(١٨) Idem., p. 41.

(١٩) Idem, pp. 55-59.

(٢٠) E. Bickerman : Beitrage Zur antiken Urkundgeschichte, Arch. pap. VIII, P. 216-233.

(٢١) E. Kraeling : op. cit., p. 52-53.

(٢٢) Idem, p. 84.

(٢٣) Idem, p. 56.

(٢٤) Idem, p. 107.

(٢٥) Idem, p. 92.

ثانيا : هوامش حادثة الخروج .. والفرضة التاريخية

(١) س. فرويد : « اليهودية فى ضوء التحليل النفسى » ترجمة : عبد المنعم الحنفى ـ القاهرة ١٩٧٢ .

(٢) De Wit : The Data and Route of the Exodus, p. 20, 1960.

(٣) Descroches-Niblecourt : Ramses le grand, p. xxviii-xlv. 1976.

(٤) لمزيد من التفاصيل ، راجع : « تاريخ مصر القديمة » ، د. رمضان عبده ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ ـ ١٨٥ ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٩٣ .

(٥) Rafaèl Draie : la Sortie, Paris, 1990.

يهود مصر فى عصر البطالمة

فى دراسته القيمة « اليهود فى مصر فى عصر البطالمة »

يقول : د. مصطفى كمال عبد العليم

كانت مصر تحت حكم البطالمة من بين الدول الهيلينستية التى استوعبت عددا كبيرا من يهود الشتات (١) الذين هاجروا من يهوذا وانتشروا على نطاق واسع فى تلك الدول ، وقد أسلفنا أن اليهود كثيرا ما هبطوا مصر فى فترات من تاريخها القديم فوجدوا فيها الحياة الرغدة الآمنة التى كانوا ينشدونها ، ولم تكن مصر لتخلو تماما من اليهود فى بداية العصر البطلمى ، ومن المرجح أنه كانت لا تزال بها بقايا بعض الجاليات اليهودية من العصر الفارسى (٢) ، وأن هجرة اليهود الجديدة دفعتها وبعثت فيها الحياة من جديد ، وعلى أى حال فان اليهود انتشروا فى شتى أرجاء مصر وقامت لهم بها جاليات منظمة ، كان أبرزها جالية الاسكندرية دون شك ، وقد نقل اليهود الى تلك المدينة ـ التى أصبحت فى وقت وجيز من أهم مدن العالم الهيلينستى ـ نشاطهم الفكرى والاقتصادى مما جعل منها مركزا من أهم مراكز اليهودية حتى أنه كان لا يقل خطورة وأهميه عن أورشليم أو بابل يوم أن كانتا من أهم تلك المراكز فى العالم القديم (٣) ، ويكفى أن نذكر أن جالية الاسكندرية أخرجت ليهود العالم المنتشرين فى كثير من أنحائه

الترجمة الاغريقية للتوراة ، أو بعبارة أخرى التوراة فى صورتها الاغريقية ، ومن الاسكندرية انساب اليهود الى كثير من أقطار البحر الأبيض المتوسط وأصبحوا عنصرا هاما من عناصر سكانه ٠

ويشير المؤرخ اليهودى « يوسفيا » (٤) (أو يوسيفوس) الى أن الاسكندر عندما كان يحاصر صور ، بعث الى الحبر الأعظم في أورشليم يطلب اليه أن يمده بجنيد يعينونه على حصارها ، فأبى عليه الحبر ذلك تعبيرا عن ولائه للملك دارا الثالث ، وعندئذ ثارت ثائرة الاسكندر وأقسم أنه سيعطى يهود أورشليم ، فى شخص حبرهم ، درسا لن ينسوه ٠ وعندما تقدم الاسكندر الى أورشليم بعد استيلائه على غزة أوجس الحبر الأعظم منه خيفة ، ولكن أوحى اليه أن يتخذ وزملاؤه الأحبار ملابس بيضاء وأن يكونوا فى استقبال الاسكندر خارج المدينة ، وما أن رأى الاسكندر الحبر الأعظم حتى هرع الى تحيته ، وقد فسر الاسكندر لمرافقية سبب تصرفه على هذا النحو الذى أدهشهم ، بأن هذا الحبر تراءى له فى منامه في مقدونيا مبشرا أباه بالنصر على الفرس ! ٠٠٠ وبعد ذلك ذهب الاسكندر مع الحبر الأعظم الى هيكل أورشليم حيث قدم القرابين الى رب اليهود ، وعرض عليه اليهود سفر دانيال الذى تنبأ فيه هذا النبى بأن أحد الأغارقة سيقضى على امبراطورية الفرس (انظر سفر دانيال ٧ ـ ٦) ورحب اليهود بالخدمة في جيشه عندما عرض عليهم ذلك وأقطع الجند السامريين الذين صحبوه الى مصر ، أرضا فى اقليم طيبة ، وعهد اليهم كذلك بأعمال الحراسة فى هذا الاقليم ٠ وقد أضاف اليهود فى العصر الهيلنيستى الى سيرة الاسـكندر المنسوبة الى كاليسثيينس PS Callisthenes قصة أخرى عن زيارة الاسكندر أورشليم ، وهى وان كانت تختلف عن رواية يوسفيا فى التفاصيل الا أنها تنتهى الى نفس النهاية ٠ !

وإذا قارنا بين ما يرويه يوسفيا عن خدمة اليهود فى جيش الاسكندر وبين ما يذكره أريانوس (Arrianos) (٥) من أن بعض اليهود انضموا الى جيش الاسكندر وذهبوا معه الى مصر ثم غادروها الى آسيا ، فان هذا يعنى أنهم جاءوا اليها وخرجوا منها ، ولكنهم لم يستقروا بها ٠

ينبغى ألا نعول كثيرا على ما ذكره يوسفيا ، اذ أن ذلك لا يعدو أن يكون ضربا من ضروب الدعاية التى حذقها اليهود فى العصرين الهيلنيستى والرومانى وعملوا على ترويجها دون أى اهتمام بالحقائق التاريخية ٠ وكانت هذه الدعاية تهدف ، بين ما تهدف اليه الى أن تنشر بين الناس أن اليهود كانوا موضع عطف الاسكندر وحبه وأنهم كانوا يقيمون فى الاسكندرية منذ اللحظة الأولى التى أنشئت فيها هذه المدينة ، ليتخذ اليهود من هذه المزاعم دعامة قوية يرتكز عليها ما ادعوه لأنفسهم من حقوق وامتيازات كان مصدرها الاسكندر نفسه (٦) ٠

وكان من بين العبيد الذين جلبهم معه بطليموس الأول الى مصر ـ بعض اليهود بمحض رغبتهم ـ بعد أن لمسوا عطف الملك ، الذى أدرك من ناحيته امكانية استخدام اليهود فى جيشه ، فنقل أعدادا منهم ومنحهم اقطاعات ليستقروا فى مصر كالاغريق والمقدونيين ! ٠٠٠ وكان أن اجتذبت الحياة الجديدة فى مصر هجرات يهودية وفدت لتنعم بخيرات البلاد ٠

وبصفة عامة لم يكن المهاجرون الأوائل الذين أتوا الى مصر فى الفترة الأولى من الطبقات الممتازة فى « مملكة يهوذا » أو من الطبقات التى كانت قد تأغرقت بشكل واضح ، بل كانوا فلاحين بسطاء وأسرى حرب وجندا مرتزقة وأجراء يعملون فى الزراعة

أو رعى الماشية ، وقد عمل الأسرى منهم فى الخدمة العسكرية أو أقطعوا أرضا زراعية كما فعل بطليموس الثالث عندما أنزل فى أراضى الفيوم التى استصلحت حديثا من أسرى اليهود الذين أتى بهم بعد انتهاء حملته فى سوريا · ولا تتوقع لقوم على هذه الشاكلة أن يكون لهم أى نفوذ أو تأثير فى مجريات الأمور فى البلاد · ولذلك فان هذه الفترة تمتاز بأن اليهود كانوا يعيشون فى هدوء وسلام ولم يحدث شىء من شأنه أن يعكر صفو العلاقات بينهم وبين جيرانهم من الاغريق أو المصريين ـ بل أنهم عملوا على اكتساب ثقة البطالمة الذين فتحوا أمامهم أبواب العمل فى الوظائف الحكومية وفى الجيش وفى مختلف المهن والحرف ، وتعتبر هذه الفترة أيضا هامة جدا بالنسبة لتاريخ اليهود فى مصر لأنها كانت بالنسبة لهم فترة استقرار بطىء فى أرض جديدة وفى بيئة غريبة عنهم بعض الشىء ، فنشطوا الى اقامة البيع (المعابد) وتشكيل الجاليات وتوفير البيئة المناسبة لحياتهم طبقا لتعاليم التوراة · وكانت البيع وبصفة خاصـــة بيعة الاســكندرية (المعبد الكبير) بمثابة المراكز التى يتجمعون حولها ويدبرون منها شئون دينهم ودنياهم · واذا تحدثت مصادرنا عن معبد لليهود فى مكان ما ، فان هذا معناه أنه كانت تقوم لليهود فى هذا المكان جالية منظمة ، ونسب الى هذه الفترة ترجمة التوراة الى اللغة الاغريقية · وفى هذا دلالة على أن اللغة الاغريقية حلت محل اللغة العبرية أو الآرامية فى معاملات اليهود(٧) فيما بينهم وفى التفاهم مع جيرانهم بحيث استدعى الأمر ضرورة التعجيل بترجمة التوراة الى اللغة الاغريقية ·· وبايجاز فقد استمر استقرار اليهود فى مصر البطلمية نحو مائة سنة نعموا فيها بالحماية والازدهار ·· الى أن تدخلت الصراعات السياسـية و « خياناتهـم » المعتادة لتحيل حياتهم الى نوع من الاضطراب وعدم الاستقرار ! ·

ففي سنة ٥٥ ق ٠ م اتخذ تدخل اليهود في شئون مصر مظهرا خطيرا وذلك أنه في تلك السنة اقتحم جابينيوس حاكم سوريا الروماني حدود مصر الشرقية ليعيد بطليموس الثاني عشر أوليتس الى عرشه ٠ وبفضل حامية يلزيوم اليهودية التى أفسحت الطريق أمام الجيش الروماني اطاعة لأوامر انتيباتر (والد هيرود الأكبر) استطاع جابينيوس أن ينجح في مهمته بكل سهولة ٠ وتخلى اليهود عن برينيكي الرابعة التي كان رعاياهـــا من الاغريق راضين عن حكمها !

وفي سنة ٤٧ ق ٠ م عندما كان يوليوس قيصر محاصرا في الاسكندرية جاءت الى نجدته حملة رومانية كان يقودها مثراداتيس البرجامي ـ كما يشـير د٠ ابراهيم نصحي (٨) ـ وقد كان في امكان حامية ليوتنوبوليس اليهودية أن تقف في وجـــه الجيش الروماني لولا أنه أبرز خطابا في أتنيباتر بأن يبذل يهـود مصر المسـاعدات لهذا القائد ٠ وهكذا للمرة الثانية اسـتطاع جيش روماني الوصول الى الاسكندرية بفضل مساعدة اليهود ٠ وقد كان من الطبيعي أن يحقد الاسكندريون على اليهود والا يغفروا لهم هذه الخيانة المتعمدة في المرتين !! ٠

ويخبرنا يوسف بعد ذلك بأن كليوباترة السـابعة ـ آخر ملـــوك البيت البطلمي ـ عندما قامت بتوزيع القمح على مواطني الاسكندرية في احدى المجاعات التي ألمت بها اســـتبعدت اليهود باعتبارهم غير مواطنين وقد حمل عليهـــا يوسف بسبب ذلـك ٠ ولا يبعد أن تكون كليوباترة قد لمست بنفسها من الشواهد ما يدل على أن اليهود كانوا يقفون في صف خصومها وعلى كل حال فانهم وقفوا منها موقفا سلبيا في صراعها اليائس مع أوكتافيانوس ، ذلك الصراع الذي أنهى حكم البطالمة لمصر (٩) وهكذا خذل اليهود

الاسكندرية للمرة الثالثة · وكان من الطبيعي أن تشتد روح العداء ضد اليهود وأن تتوتر العلاقات بينهم وبين الاغريق ، وأن تنطوى صدور الاسكندريين على حقد دفين لليهود بسبب تلك الخيانات المتتالية !! ·

واذا جاز القول أن تأييد اليهود للجانب الذى تؤيده روما فى الصراع الأسرى فى البيت البطلمى كان بمحض الصدفة فكيف نفسر الخدمة التى أسدوها لقيصر والترحيب الذى اســتقبلوا به أوكتاثيانوس ، قاهر كليوباترة وسليلة البيت الذى طالما أسبغ النعم عليهم ؟ فى رأينا أن الأمر لم يكن صدفة بل ان اليهود ، وقد فطنوا الى أن حكم البطالمة آخذ فى الضعف والتدهور وأن الأمر سيؤول فى النهاية الى روما عاجلا أو آجلا ، رأوا مصــلحتهم فى المسارعة الى كسب ود حاكم الشرق الجديد · ولا عبرة عندنا بنوايا الرومان وانما العبرة بتلك الخيانة التى ارتكبها اليهود وهم الذين وكل اليهم البطالمة مهمة الدفاع عن الحدود الشرقية !! ·

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

كان اليهود أحد العناصر التى شجعها البطالمة على الوفود الى مصر ، والاعتماد عليهم لتثبيت دعائم حكمهم ، وليكونوا سندا لهم فى استغلال ثروات البلاد وتنمية مواردها ·· ولنتتبع جوانب من نشاط اليهود فى مصر البطلمية ·

١ ـ الخدمة فى الجيش والشرطة ·

كانت الخدمة فى الجيش من أبرز الأعمال التى مارسها اليهود عقب مجيئهم الى مصر (١٠) ، اذ أن وضعهم كأسرى لم يحل دون استخدام عدد منهم فى حاميــات الحدود ، أو ارسالهم فى عهد

بطليموس الأول الى « برقة » لتقوية قبضته على تلك البلاد ، وقد خدم اليهود في فرق المشاة والفرسان على حد سواء ، ووصل بعضهم الى رتبة الضباط ، ومنهم من تولى مناصب قيادية بالجيش البطلمي مثل « خلكياس » و « أنانياس » ٠

وتشير بعض المصادر التاريخية الى احتمال أن رئيس الشرطة في « أثريب » كان يهوديا ، ولا تستبعد أن فئة رجال الشرطة الذين كانوا تحت امرته كانت تضم بعض اليهود وتنص احدى البرديات على أن أحد اليهود كان يعمل شرطيا Phylakites في قرية Hephaistios (في اقليم الفيوم) وأن يهوديا آخر كان حارسا Phylax يقوم بحراسة مخازن الغلال بفيلادلفيا (١١) ٠

وكان لليهود نصيب في أعمال الحراسة على النيل (Potmophylakia) وربما كانت هذه المهمة تشمل تحصيل المكوس الجمركية ٠ وفي رأى « فلكن » أن الموظفين الذين يدعون « حراس النهر » كانوا موظفين من قبل الادارة المالية ولا شأن لهم بأعمال الحراسة (١٢) ٠

مناصب كبرى :

ولم يقتصر نشاط اليهود في خدمة الحكومة البطلمية على النواحي العسكرية والشبيهة بالعسكرية فقد كان منهم بعض كبار رجال البلاط الملكي في العاصمة وكذلك بعض كبار الموظفين في مختلف فروع الادارة الحكومية وخاصة في الادارة المالية ٠

ومن أمثلة الشخصيات اليهودية البارزة دوسيثيوس Dositheos ابن دريمولوس Drimylos كان يمثل مكان بارزة في بلاط الملك بطلميوس الثالث وبطليموس الرابع ، فقد كان في

عام ٢٤٠ ق٠م سكرتيرا للملك ، كما كان هاهناً لـ « الملوك المؤلهين » الاسكندر وبطليموس الثالث ٠٠٠ ! ٠

ويبرز يهودى آخر يدعى أونياس كان موظفا كبيرا فى الادارة البطلمية ويرجح أنه كان قائدا Strategos فى اقليم هليوبوليس وقد سجلت احدى البرديات خطابا رقيقا موجها اليه من هيرودس (Herodes) وزير مالية بطليموس السادس فيلومتور الذى عرف عنه الميل الى اليهود ويستلفت النظر بوجه خاص أن يتحدث الوزير الى أونياس عن صحة الملك والملكة وأطفالهما ٠٠٠ حتى أن بعض المؤرخين يذهب الى أنه لم يكن مجرد موظف كبير بل لابد أنه كان أيضا أحد أفراد البلاط الملكى ! ٠

النشـاط المـالى :

وتمدنا الأوستراكا (١٣) من مصر العليا بمعلومات كثيرة عن دور اليهود فى الشئون المالية ويلاحظ أن غالبيتها ترجع الى عصر بطلميوس السادس (١٨٠ ـ ١٤٥ ق ٠ م) وبطلميوس الثـامن يورجتيس (١٤٥ ـ ١١٦ ق ق٠م) ٠

وتنبئنا هذه الأوستراكا بأن بعض اليهود كانوا يشـغلون منصب مديرى البنوك Trapezitai اذا كان منهم مدير بنـك (Diospolis Magna) فى طيبة ٠ ومدير بنك فى قفط ٠ كما تنبئنا بأن بعضهم كان يتولى الإشراف على مخازن التبن achurothekai ونتبين من هذه الاوستراكا أيضـا أن بعض اليهود كانوا يعملون ملتزمين لجباية بعض الضرائب مثل : ضريبة النقل فى النيل ، وصيد الأسماك ، وزراعة الكروم والنخيل ، والمراعى ، وصناعة النعال ! ٠

ويرى « تشيريكوفو » (١٤) أن العمل فى التزام الضرائب كان يجلب على مزاولية كراهية الأهالى فضلا عن أنه لم يكن عملا مربحا بالقدر الذى كان يغرى اليهود بالاشتغال به نظرا للرقابة الدقيقة التى كانت مفروضة على الملتزمين لأن الدولة كانت لا تسمح لأى فرد بأن يثرى عن طريق غير قانونى · ويفسر هذا المؤرخ السبب الذى حدا بثراة اليهود مثل سيمون بن العازار ، الذى رددت اسمه الاستراكا من طيبة ، الى القيام بهذا العمل بأن ممارسته كانت تتيح للملتزمين اليهود نوعا من النفوذ يدنيهم من المكانة التى كان الاغريق يتمتعون بها فى المجتمع فى القرى والأقاليم بفضل تلك المناصب الكبرى فى الادارة المحلية التى سبقوا اليهود الى شغلها ·

اشتغالهم بالربا :

ولما كنا نقرأ فى بردية من العصر الرومانى ، أن تاجرا اغريقيا حذر زميلا له فى الاسكندرية من اليهود ، ولعله يقصد تحذيره من المرابين اليهود · فانه يبدو بجلاء أن بعض يهود الاسكندرية على الأقل كانوا يعملون مرابين ويجنون أرباحا طـــائلة من وراء استثمار أموالهم باقراضها بفوائد باهظة لمن كانوا فى حاجة اليها من رجل الأعمال !! ·

النشاط الحرفى

يؤكد « جوستر » (١٥) على أن التلمود قد أشار الى وجود ما يمكن أن نسميه بلغة العصر « نقابات مهنية » خاصة بالصناع والحرفيين اليهود فى الاســكندرية ! ·· منها صناعة النسيج ، والنجارة والفخار ، وصناعة النبيذ ·

النشاط الزراعى

كان هناك أيضا يهود يعملون فى شئون الزراعة (١٦) ٠ ويأتى فى مقدمتهم أرباب الاقطاعات من الجند اليهود الذين استوطنوا ريف مصر وكانوا أبرز العناصر اليهودية فى القرى وأوسعها ثراء ، وكغيرهم من أرباب الاقطاعات من الأجانب كانوا يجمعون بين صفتهم العسكرية وبين عملهم فى الزراعة وقد تحولت أقطاعاتهم بمضى الزمن الى ملكية خاصة يتوارثها أبناؤهم ٠ وكانوا يقومون باستغلال أراضيهم بأنفسهم أو يعرضونها للايجار مقابل ايجار ثابت يؤدى لهم ٠

والى جانب أرباب الاقطاعات نجد كثيرين من الفلاحين اليهود العاديين ممن يقومون على زراعة الأرض فى اقليم الفيوم ومصر العليا اذ أننا نجد فى الفيوم يهودا كان بعضهم يستأجرون أرضا يزرعونها لحسابهم وبعضهم يعملون لحساب غيرهم بوصفهم اجراء **georgoi** ومنهم من عمل كذلك فى تربية وتجارة الماشية ٠

مما سبق يتضح لنا أن اليهود فى مصر البطلمية كانوا مندمجين فى المجتمع ٠٠٠ ومارسوا حياتهم فى حرية تامة فى مختلف المجالات والأنشطة ٠٠ حتى تبوأوا المكانة الثانية بعد الاغريق فى ذلك العصر ! ٠

التنظيم الطائفى والقضاء

سمح البطالمة لليهود بتكوين جاليات قومية (politeuma) (١٧) مثل غيرهم من العناصر الأجنبية ونعرف أن الملك البطلمى كان يصدر مراسيم تنظيم قيام تلك الجماعات وتحديد عضويتها وحقوق أفرادها حتى نالت الصفة الشرعية التى تمكنها

من مباشرة نشاطها وحياتها القومية • ويمكن أن تتصور أن أهم الحقوق التى حصل اليهود عليها كانت الحق فى أن يعيشوا طبقا لشرائعهم المتوارثة وقوانين آبائهم Tois patrio's nomois chresthai وبعبارة أخرى قوانين موسى أى أن التوراة كانت القانون الأساسى الذى التزمته الجاليات اليهودية فى مصر •

ويشير المؤرخ « سترابون » (١٨) بأنه كان على رأس الجالية اليهودية رئيس Ethnarches يباشر سلطات ادارية وقضائية واسعة كما يرجح بعض المؤرخين أن هذه الجالية كانت تضم مجلسا يسمى : synedrion على غرار ما عرفته التنظيمات اليهودية فى أروشليم •

ونخلص الى القول بأن هذه الجالية كانت تباشر اختصاصات قضائية وادارية ومالية ودينية ومن حقها أن تتولى ادارة ممتلكاتها وهذا يعنى أنها اكتسبت الصفة القانونية وأن الدولة قد اعترفت بشخصيتها المعنوية (١٩) ، ويعنى هذا أن اليهود كانوا يتمتعون داخل جالياتهم تلك بقدر كبير من الحرية والاستقلال الذاتى فهل كانوا يطمعون بعد ذلك الى أن تكون لهم حقوق المواطنة فى الاسكندرية ؟ •

ولقد أثار المؤرخ « يوسفيا » الجدل بين المؤرخين المحدثين عندما زعم أن اليهود كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة فى الاسكندرية •• !

وهذا الزعم كان يستتبع اما أن يكون اليهود قد خرجوا عن دينهم أو أنهم على الأقل قبلوا أن يشركوا عبادة آلهة المدينة مع عبادة يهوه • ونحن نشك فى أن اليهود سواء

المتحرر منهم أو المتزمت · كانوا يقبلون التخلى بسهولة عن شريعتهم فى مقابل أن يصبحوا مواطنين فى المدينة ، ومما يقوى هذا الشك أننا لم نعثر على أية وثيقة من العصر البطلمى ذكر فيها اسم يهودى من الاسكندرية مقرونا باسم حى من أحيائها (٢٠) · ومن الطريف أن كاتب السفر الثالث من كتاب المكابيين ذكر أن بطلميوس الرابع فيلوباتور عرض على اليهود أن يصبحوا مواطنين فى الاسكندرية بشرط قيامهم بعبادة الاله ديونيسوس ولكنهم رفضوا · فسلط عليهم نقمته وفتنهم فى دينهم وشاء الرب أن يثوب الملك الى رشده فأذن لليهود أن يقتلوا كل يهودى استجاب للاغراء وصبأ عن دينه · لو كان الدين أمرا ثانويا بالنسبة لليهـود ولم يروا بأســا فى التضحية به فى سبيل الحصول على مواطنة الاسكندرية لجاءت قصة اضطهادهم على نحو آخر هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لو كان اليهود يتمتعون بحقوق المواطنة منذ عهد الاسكندر والبطالمة الأوائل لما كان فى عرض فيلوباتور ما يغريهم بترك دينهم · والواقع أن هذا العرض يدل على أنهم كانوا لا يتمتعون بهذه الحقوق وأنهم كانوا يتحرقون شوقا الى الفوز بها · !

على أية حال لم يكن نيل حقوق المواطنة فى الاسكندرية يمثل أهمية كبيرة ليهود الاسكندرية فى العصر البطلمى بعكس الحال فى العصر الرومانى (٢١) حيث كانت هذه الحقوق هى السبيل الوحيد لرفع اليهود من الهوة التى انحدروا اليها نتيجة لخضوعهم لضريبة الرأس التى فرضت عليهم ووضعتهم فى نفس المرتبة مع المصريين وأبعدتهم عن الاغريق الذين كانوا فى نظرهم لا يفضلونهم فى شىء · والثابت لدينا أن كتاب العصر الرومانى مثل فيلون ويوسف هم الذين أثاروا الجدل الكثير حول مسألة حقوق المواطنة وحق اليهود فى الحصول عليها ولا نكاد نعثر فى المخلفات الأدبية فى العصر البطلمى على شىء خاص بهذه الحقوق فى ذلك العصر · وانما هم

كتاب العصر الروماني الذين أرادوا أن يثبتوا حق يهود عصرهم في التمتع بحقوق المواطنة في الاسكندرية لأنهم اكتسبوا هذا الحق منذ انشاء الاسكندر هذه المدينة ٠ ولذلك لجأ كاتب مثل يوسف الى كل وسيلة ممكنة لاثبات أن اليهود كانوا مواطنين فى الاسكندرية مثل الاغريق سواء بسواء !

كذلك انتشر اليهود داخل أقاليم وقرى مصر ، حيث أسسوا البيع أو مراكز العبادة ، وكان لهذه المراكز الدينية دور هام أيضا فى حياتهم الاجتماعية هذه التجمعات كانت تتخذ شكل الجاليات وان لم يكون لها اسم « البوليتوما » ٠٠ وكان أكثر الأسماء شيوعا التى أطلقت على أماكن العبادة : proschuche و synagoge الذى يطلق على بعض المعابد اليهودية حتى يومنا هذا ٠

ويمكننا القول بأن اليهود فى مصر كانوا من حيث الوضع القانونى على درجات ، فيهود الاسكندرية انتظموا مثل غيرهم من الاغريق غير المواطنين والأجانب فى جالية ولكنهم لم يرقوا الى مرتبة المواطنين ، وسمحت الدولة لبعض جماعات منهم فى الريف بتشكيل جاليات من المرجح أنها لم ترق الى مستوى جالية الاسكندرية ، لكن ليس من المستبعد أنها تمتعت بقدر من الحقوق والامتيازات ثم يأتى فى المؤخرة اليهود المنتشرون بين جنبات الوادى فى اعداد قليلة وكانوا فى نفس الوضع الذى كان عليه المصريون ٠

كذلك تجدر الاشارة الى اهتمام يهود الاسكندرية بنوع من الكتب اليهودية عرفت باسم أبوكروفا (Apocrypha) (٢٢) وحرصوا على نقلها الى اللغة الاغريقية ، وكان واضعوها يهدفون الى نقد الأوضاع الظالمة التى يعيش فيها اليهود ، والى اشاعة الأمل فى مستقبل أسعد ٠٠٠٠

وقد كان اليهود يألفون هذا النـــوع من الأدب عندما كانت بابل وأشور تهددان بالقضاء عليهم قضاء مبرما ، وما لبثوا أن عادوا اليه فى الشطر الثانى من حكم البطالمة كرد فعل للضغط الذى أحسوا به والكراهية التى أحاطت بهم عندما أثاروا حقد اغريق الاسكندرية عليهم ! ٠

•

ومن المرجح أن يهود مصر البطلمية كانوا قبل أسلافهم يهود الفنتين على قدر كبير من المرونة وأنهم قد تأثروا تأثرا واضـحا بالبيئة المحيطة بهم وأنهم لم يروا بأسا فى التخلى عن شريعة موسى حيث اضطرتهم الظروف الى ذلك حتى لا يقفوا بمعزل عن الحياة المتدفقة من حولهم ٠ واذا كانت الدولة لم تشأ أن تحرمهم من حق تطبيق قوانينهم فى مسائل الأحوال الشخصية فانهم كثيرا ما كانوا يفضلون الاحتكام الى القانون الاغريقى ٠ واذا كان اليهود أنفسهم لم يستمسكوا بشريعتهم ، بمعنى أن تطبيق هذه الشريعة لم يكن شائعا حتى بين اليهود ، فاننا نستبعد أنه كان لهذه الشريعة من الأثر بحيث يتأثر بها المصريون والاغريق فى معاملاتهم ٠

واذا كان هذا الخليط الغير متجانس من اليهود الذين وفدوا الى مصر البطلمية قد ألفوا بسرعة ـ البيئة الجديدة ـ وتحققت لهم فيها حياة مستقرة (٢٣) ، وحقق البعض منهم حياة رغدة ، وتمكن البعض الآخر من الوصول الى مكانة مرموقة فى البلاط الملكى ، الا أنهم كانوا على قدر كبير من التفـاوت من الناحية الاجتماعية ـ سمة كل عصر ـ واذا كانت البرديات الأرامية قد أشارت الى سماح البطالمة لهؤلاء اليهود بتشكيل جالية كانت تتمتع بقدر لا بأس به من الاستقلال المالى والادارى والقضائى (٢٤) ، وخصوهم بالحى الرابع من أحياء المدينة ، فمعنى ذلك أن اليهود كان فى امكانهم مباشرة حياتهم الخاصة دون أى تدخل من جيرانهم أو أى اكراه

من الدولة ، وكان لديهم كل المقومات التى تمكنهم من اقامة مجتمع يهودى متماسك ٠٠ ونتساءل هل انطوى اليهود على أنفسهم داخل معابدهم وفى نطاق جاليتهم ، وقصروا اقامتهم على الحى الرابع ونأوا بأنفسهم عن المجتمع الاغريقى فى المدينة ؟ وماذا كان موقفهم من الحضارة الهيلينستية وحياة المدينة المتأثرة فى شتى مظاهرها بتلك الحضارة ؟ وهل كان فى امكانهم تجاهلها وهم يعيشون فى عاصمتها ويشهدون كل يوم شتى مظاهرها مثل تلك المهرجانات الوثنية والمواكب الصاخبة التى تخترق شوارع المدينة حاملة صور ايزيس وسيرابيس وديونيسوس ، وأفروديت وأدونيس فتشيع البهجة وتبعث فى نفوس أهلهـــا المرح الذى لا يعرف التقوى أو الورع ، وحيث دار العلم والمكتبة التى طبقت شهرتها الأفاق الزاخرة بروائع التراث الفكرى عند الاغريق ! ٠٠ واذا كان كثير من يهود مصر البطلمية أميل الى التشبه بحضارة ـ الاغريق ـ العنصر الغالب فى البيئة التى عاشوا فيها ، فقد كان ذلك فقط تحقيقا لمآربهم الشخصية !! ٠

الهـــــوامش

(١) G. Ricciotti : The History of Israel, Vol II, p. 169, ,Milwauke 1955.

(٢) E. Bevan : History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty, p. 3, London 1927.

(٣) G. Ricciotti : Op. cit., Vol. II, p. 170.

(٤) R. Marcus : Josephus, Vol VI, App. C. pp. 512-532.

(٥) J.B. Mahaffy : The Empire of the Ptolemics, p. 85, London, 1895.

(٦) M. Launey : Recherches Sur les Armées Hellenistiques, Vol. I, p. 542, Paris 1949.

(٧) Box, Judaism in the Greek period, p. 56, Oxford, 1953.

(٨) د. ابراهيم نصحى : « تاريخ مصر فى عصر البطالمة » ، ص ١٦٧ القاهرة ، ١٩٦٠ .

(٩) C.A.H. Vol X : P. Graindor, La Guerre d'Alexandrie, p. 135, le Caire, 1931.

(١٠) Ps. Aristeas, 13, Jos. Ant. XIV, p. 99.

(١١) R. Reinach : La Communaute Juive d'Athribis, R. Et. J. 17 1888, pp. 235-238.

(١٢) A. Wilcken : Ostraka I : 282-285, Wien 1924.

(١٣) Bodl. Tait, 233-234 ; C.P. Jud I, 65-69.

(١٤) V. Tcherikover : The Jews in Egypt, p. 9.

– راجع ايضا : د. ابراهيم نصحى « تاريخ مصر فى عصر البطالمة » ، ج ٢ ، ص ٦٤٢ – ٦٤٥ .

(١٥) J. Juster : les Juifs dans l'Empire Romain p. 378, Paris, 1914.

(١٦) P. Cairo Zen. 59377, C.P. Jud I, 13.

(١٧) W. Tarn S. Griffith : Hellenistic Civilisation p. 147. Loadon, 1952.

(١٨) Strabo op. Jos. Ant. XIV, p. 117.

(١٩) J. Juster : Op. cit., p. 718.

(٢٠) V. Chapot : l'Egypte Romaine, p. 264, Paris, 1933.

(٢١) R. Taubenschlag : The law of Graeci-Romain Egypt, p. 9. Warsowa 1955.

(٢٢) R. Charles : The Apocrypha and Psuedoepigrapha of the Old Testament, Oxford 1913.

(٢٣) J. Juster : Op. cit,, p. 718.

(٢٤) Jos. Ant. XII. pp. 125-127.

اليهود فى مصر الرومانية

رأينا فى الفصل السابق كيف ازدهرت أحوال الطائفة اليهودية فى مصر البطلمية ـ خاصة يهود الاسكندرية ـ وأنهم عندما شعروا بأفول عصر البطالمة ، وبأن حكم مصر سيصير الى الرومان ، أخذوا يعدون أنفسهم لاستقبال العهد الجديد ٠٠ ورأينا كيف تأزمت العلاقات بين اغريق الاسكندرية واليهود فى نهايات العصر البطلمى ٠٠ وقد أشار بعض المؤرخين الى أن الادارة الرومانية قد أدركت مبكرا أنه يمكن استغلال هذا الموقف لصالحها فعملت على بث الفرقة بين الفريقين ليتسنى لها اخضاع الاسكندرية وكبح جماح الاغريق من مواطنيها الذين طالما تمردوا على الحكم البطلمى نفسه ، وأنها تمشيا مع هذه السياسة آثرت اليهود بكثير من الحقوق والامتيازات فى حين أنها لم تعبأ باجابة الاسكندريين الى مطالبهم لتشعرهم بالمهانة مقابل المكانة الممتازة التى منحت لليهود ! ٠

ويشير « بيكرمان » **Bikermann** (١) الى أن الامبراطور أوجستوس « **Augustus** » قد اعترف بمكانة الاسكندرية المتميزة ، متبعا تقليدا رومانيا يجعل للمدن الاغريقية فى الشرق وضعا خاصا يميزها عن سائر المدن ، وتمثل هذا الاتجاه فى اعفاء المواطنين فى المدينة من « ضريبة الرأس » ٠٠٠

كما سمح للسكندريين بتكوين مجلس للشيوخ ومزاولة حياتهم السياسية ، أما بالنسبة لليهود ، فكانت سياسته على النحو التالى (٢) : —

— أخضع يهود الاسكندرية ، جميعا لضريبة الرأس يؤدونها كاملة غير منقوصة ·

— أقر الامتيازات التى اكتسبتها جالية اليهود فى الاسكندرية منذ عصر البطالمة ·

— أقر حق اليهود فى تطبيق قوانينهم داخل جالياتهم ·

— سمح لهم بتشكيل مجلس شيوخ Gerousia .

وعلى أى حال فانه لم يحدث فى عصر أوجستوس أى شىء من شأنه أن يعكر على اليهود صفو حياتهم ، وقد مر كذلك عصر خلفه الامبراطور تيبريوس بسلام بالرغم من أن هذا الامبراطور شن حملة اضطهاد عنيفة ضد اليهود في روما (٣) · وفجأة فى صيف عام ٣٨ م فى عهد الامبراطور جايوس (كاليجولا) حدثت تلك الفتنة المروعة بين الاغريق واليهود وكانت موضوع عدة كتب وضعها « فيلون » الفيلسوف اليهودى الاسكندرى بقى منها كتابان الأول Eis Flakkon والثانى Presbeia pros Gaion وقد أورد فى الكتاب الأول تفصيلا دقيقا للفتنة وأحداثها بينما خصص الكتاب الثانى للحديث عن سفارة يهود الاسكندرية الى الامبراطور جايوس فى روما وكان هو نفسه على رأس هذه السفارة ·

وفى هذا الجو المتوتر — كما صوره فيلون — وصل الى الاسكندرية ذات ليلة من ليالى صيف عام ٣٨ م أجريبا « (٤) حفيد هيرود الأكبر وقد عرفه الاسكندريون من قبل يهوديا مفلسا

فر من الاسكندرية هربا من دائنيه ٠ ولكن جايوس نصبه ملكا على مملكة صغيرة على حدود يهوذا باسم الملك أجريبا ، ويبدو أن هذا الملك اليهودى كان على علم بمشاعر الاسكندريين نحوه ولذلك فانه كان يريد الابحار الى فلسطين عن طريق بلاد الاغريق وسوريا لولا أن الامبراطور أشار عليه بأن يسلك طريق الاسكندرية ولم يشأ أن يعارضه واحتاط للأمر بأن نزل المدينة ليلا واستخفى فى بيت مضيفة حتى يحين موعد استئناف رحلته الى فلسطين (٥) ولكن ما أن شاع نبأ قدومه فى الأوساط اليهودية فى المدينة حتى اعتبرت مجيئه فى هذا الوقت بالذات دليل العناية الالهية اذ كانوا يعلمون مكانته لدى الامبراطور فبسطوا أمامه قضيتهم وشكوا اليه موقف الحاكم الرومانى منهم وأقنعوه بأن يتجول فى المدينة محوطا بالحراس حتى يشعروا الاغريق والحاكم بما له من نفوذ وسلطان ٠ بيد أن زعماء الاغريق لم يدعوا الفرصة تفلت من أيديهم فأوغروا صدر الحاكم على اليهود وأسروا اليه أن هذا الملك اليهودى تجاوز حدوده اذ أحاط نفسه بنفس المظاهر التى ينبغى أن ينفرد بها الحاكم دون غيره ٠ ولم يتهور فلاكوس فيقدم علانية على التعرض للملك اليهودى بما يسيىء اليه وآثر أن يبدى له بعض مظاهر الود حتى لا يجلب على نفسه غضب الامبراطور ٠ وفى نفس الوقت صمم الاسكندريون على السخرية من هذا الملك اليهودى المفلس صنيعة الامبراطور فالبسوا أحد الحمقى تاجا من ورق وطافوا به فى الشوارع ٠ وإمعانا فى السخرية به كانوا يهتفون « مارين ٠٠٠ مارين » وهى كلمة سورية تعنى الملك أو السيد (٦) ، وكان الاسكندريون يدركون تماما أن أجريبا عميل المرابين فى مدينتهم لن ينسى سخريتهم منه وأنه سيبلغ الامبراطور أمر تلك الاهانة التى لحقته ٠ وكانوا يعرفون أن كاليجولا يريد أن يحكم كملك هيلينستى مؤله ينبغى على كافة رعاياه أن يعترفوا بالوهيته وأن

اليهود لا يمكن أن يعترفوا به ربا ٠ ولذلك عمد الاغريق الى أيقونات Eikonas تحمل صور الامبراطور في المعابد اليهودية ٠

وفي هذا ـ كما يقول فيلون ـ كان الاغريق دهاه بقدر ما كانوا أشرارا ، فقد اتخذوا من الامبراطور ستارا للتنكيل باليهود وقرنوا اسمه بجرمهم لعلمهم أن اليهود عندما يقاومون وضع مثل هذه الأيقونات في معابدهم يعدون عصاه وخارجين على طاعة الامبراطور (٧) وقد قاوم اليهود فعلا هذا العمل دون استعمال أسلحة ، لكن تبع ذلك حدوث أعمال العنف وحرق بعض دور عبادتهم وتدمير البعض الآخر ٠ ويتهم فليون فلاوكوس بأنه لم يفعل شيئا لايقاف الاغريق عند حدهم وينعى عليه أنه تجاهل عدد اليهود الضخم في مصر وفي الاسكندرية وأنه لم يفطن الى خطورة وضع الأيقونات في بيع اليهود اذ أن في ذلك تحديا واضحا لليهود جميعا وانتهاكا لعاداتهم المتوارثة فكان لا يمكن أن يمر مثل هذا الحادث بسلام ولا سيما أنه اذا سرى خبر تلك الفتنة الى خارج مصر فان الشعوب الأخرى التي يقيم اليهود بين ظهرانيهم ستعمد بدورها الى انزال أشد الضربات باليهود ، ولم يكتف اغريق الاسكندرية بما فعلوه بل طلبوا الى فلاكوس أن يحدد الوضع القانوني ليهود المدينة فأصدر قراره الذى أعلن فيه أنهم أجانب وغرباء عن المدينة (٨) ٠ وبهذا القرار وجه فلاكوس ضربة قاضية الى حقهم في أن يكون أعضاء في جالية وكانت هذه العضوية هي الضمان الوحيد لسلامتهم اذا ما تعرضوا لضروب النقمة والعذاب وزاد على ذلك بأن أمر بأن يعاقب اليهود بالطريقة التى كان يعاقب بها المصريون وليس على نحو ما كان يعاقب به اغريق الاسكندرية ٠ وقد فسر اغريق الاسكندرية قراره بأن ليس لليهود الحق في تجاوز الحي الذى كان مخصصا أصلا لاقامتهم فحشروا في هذا الحي الذى ضاق بهم حتى التمسوا المأوى في أكوام القمامة خارج المدينة أو على

الساحل ودمر أكثر من أربعمائة مسكن من مساكن اليهود التي طردوا منها ونهبت متاجرهم وفتشت مساكنهم بحثا عن أسلحة وحرم على اليهود الخروج الى الأسواق (٩) . واستدعى فلاكوس زعماء اليهود للاجتماع به ويبدو أن هذا الاجتماع لم يسفر عن شيء أن بعض أعضاء مجلس الشيوخ اليهودى ارتكبوا أعمالا أوقعتهم تحت طائلة القانون واسندعى فلاكوس زعماء اليهود للاجتماع به ويبدو أن هذا الاجتماع لم يسفر عن شيء ، غير أن بعض أعضـــاء مجلس الشيوخ اليهودى ارتكبوا أعمالا أوقعتهم تحت طائلة القانون واستحقوا العقاب فجلدوا علنا في مسرح المدينة مما أدى الى وفاة بعضهم واصابة البعض الآخر بالأمراض . وبلغت الفتنة ذروتها يوم ٣١ أغسطس وهو يوم عيد ميلاد الامبراطور اذ اتسمت الأحداث بالعنف الذى بلغحد الفوضى الشاملة واستمتع اغريق الاسكندرية وهم يشاهدون العذاب ينزل باليهود ألوانا ! (١٠) .... وفجأة ألقى القبض على فلاكوس بأمر من الامبراطور ورحل من فوره تحت حراسة مشددة الى روما حيث أسرعايسيدوروس ولامبون من زعماء الاغريق ليتهماه بالخيانة العظمى . وقد خصص فيلون حوالى خمس كتابه (Eis Flakkon) للحديث عن المصير الحالك الذى كان ينتظر هذا الحاكم الذى اعتبره لعنة سلطت على بنى قومه ! .

ويبدو أن يهود الاسكندرية لم يخلدوا الى السكينة ... بالرغم من أن الامبراطـور الجديد « كلاوديوس » قد أقر كافة الحقوق والامتيازات التى كانت لليهود قبل سنة ٣٨ .. فما لبثوا أن أيقظوا الفتنة من جديد بعد أن استقدموا يهودا من داخل مصر ومن سوريا ، فاصــــدر كلاوديوس أوامره الى حــاكم مصر لقمـع الفتنة بكل حزم (١١) ، وقد تطلب ذلك تدخل القوات الرومانية فوضعت حدا لسفك الدماء وأعمال العنف . ومما يدل على عنف هذه الفتنة ان كلاوديوس استعمل كلمة « حرب » Polemos عند الحديث عنها

فى رسالته المشهورة التى بعث بها الى الاسكندرية · وتدل مهاجمة اليهود لاغريق الاسكندرية على هذا النحو على أنهم لم ينتظروا النتائج التى قد تسفر عنها مقابلة وفدهم لجايوس قبل أن يلقى مصرعه فى منتصف فبراير سنة ٤١ م · بل أعدوا عدتهم للانتقام من اغريق الاسكندرية · لكن الحاكم الرومانى هذه المرة كان أكثر حزما من فلاكوس فلم يسمح للفتنة أن تستشرى على نحو ما حدث سنة ٣٨ م ·

وما أن هدأت الأحوال حتى بادر كل من الاغريق واليهود الى ارسال وفد عنهم الى روما وكان الهدف الظاهر للبعثتين تهنئة الامبراطور بتوليته عرش الامبراطورية ومحاولة التخلص من تبعة مسئولية الحوادث التى جرت مؤخرا فى الاسكندرية ·

وبعد مضى نحو ثلاثة عشرة عاما على تلك الأحداث التى وقعت على عهد كلاوديوس انفجر الموقف مرة أخرى فى الاسكندرية فى عهد خلفه الامبراطور « نيرون » ·· وبيان ذلك أنه فى ١٦ مايو سنة ٦٦ اندلع لهيب الثورة فى أورشليم (١٢) ، نتيجة لصراع بين الطبقات العليا التى اتفقت مصالحها مع مصالح روما والطبقات الدنيا من اليهود فى يهوذا وتطور الأمر الى الثورة ضد روما نفسها وظهور عدة حركات ارهابية قامت بها جماعات متطرفة كان من أبرزها « عصبة الخنجر » وازاء ذلك عدلت السلطات الرومان فى مصر عن الحملة التى كانت تعد العدة لارسالها الى بلاد النوبة وبادرت بارسال جميع الفرق الرومانية فى مصر الى فلسطين فيما عدا الحامية العادية التى كان يعهد اليها بالمحافظة على الأمن فى العاصمة · وفى أعقاب ذلك وقع الصدام بين اليهود الاغريق فى الاسكندرية ولعله كان انعكاسا للأحداث الجارية فى فلسطين · ومصدرنا الوحيد عن حوادث الاسكندرية عام ٦٦ م هو

يوسفيا (١٣) ، الذى يحدثنا بأن الفتنة بدأت عندما اجتمع حشد كبير من الاغريق فى الملعب المدرج بالعاصمة للتباحث فى ارسال بعثة الى الامبراطور نيرون · وحدث أن تسلل الى الاجتماع عدد كبير من اليهود ، ما أن رآهم الاغريق حتى صاحوا : « جواسيس ··· أعداء ··· » واندفع الاسكندريون للقبض عليهم ولكن غالبية اليهود تمكنوا من الفرار وأراد الاسكندريون أن يحرقوا منازل أولئك اليهود الذين وقعوا فى أيديهم · وعندئذ سارع جمع حاشد من اليهود لنجدة اخوانهم ، وأول الأمر رجموا الاغريق بالحجارة ثم حاولوا اضرام النار فى الملعب مهددين بحرق جميع من فيه من الاغريق · وكاد اليهود أن ينجحوا فى تنفيذ ما هددوا به لولا تدخل تيبريوس يوليوس اسكندر حاكم مصر اليهودى الصابىء الذى حاول أولا أن يرد اليهود الى جادة العقل والصواب حتى لا يضطر الى استخدام القوة ، ولما لم يستجيبوا الى نصحه استعان عليهم بالجند الرومان الذين كانوا فى طريقهم من برقة الى فلسطين كما استعان بالفرقتين المعسكرتين فى نيقوبوليس ، وأباح للجند الرومان نهب متاجر اليهود واستباحة مساكنهم ! ·

وثورة اليهود فى عهد « تراجان » تستحق بعض الاهتمام بسبب الطابع الذى تميزت به فقد بدت كحلقة جديدة فى سلسلة الفتن Staseis العادية التى كانت تنشب بين الاغريق (١٤) واليهود الا أنها اتسعت وأضحت صداما مسلحا بين اليهود والرومان ، ففى الاسكندرية ، وخارجها خاضت القوات الرومانية معارك حقيقة ضد اليهود · وقد وصفت البرديات الصدام بين اليهود والرومان بأنه كان حربا Polemos وأطلق عليها يوزيبيوس عبارته المشهورة «حرب ليست بالصغيرة » Polmos ou smikos وفضلا عن ذلك رجعت البرديات أصداء القصص الخيالية التى كان الاغريق يتداولونها عن قسوة المحاربين اليهود وشراستهم ، فقد مر بنا كيف أن أم

أبوللونيوس كانت تعتقد مخلصة أن اليهود يشوون أسراهم ·
وكشفت بعض البرديات أيضا عن تدابير اليهود لتدمير الطرق والمعابد والمبانى الزراعية فى ريف مصر · وقياسا على ذلك لابد من أن ضروب الوحشية التى ارتكبوها فى برقة قد ارتكبوا مثلها فى الاسكندرية وخارجها من أنحاء مصر · واذا كان المؤرخون لم يقدروا عدد ضحايا الفريقين فى مصر فاننا نستنتج من عنف القتال وانتشاره فى أكثر من ناحية والهزائم التى ألحقها اليهود أول الأمر بالرومان والاغريق والمصريين ، أن عددهم كان كبيرا دون شك ·
ولئن نزل بأعداء اليهود خسائر فادحة فى الأرواح فقد نزل باليهود مثلها اذ لم ينجوا فى آخر الأمر من الانتقام الذى كالته لهم القوات الرومانية التى تعقبتهم فى كل مكان وأهلكت منهم الكثيرين حتى ليظن أن مصر أوشكت أن تقفر من اليهود عقب أحداث تلك الثورة ·

ويستوقفنا وصف اليهود بالالحاد Anoisoi فى البرديات التى تتحدث عن ثورتهم فى عصر تراجان · ويلاحظ أن هذا الوصف يتردد بشكل واضح فى الوثائق الرسمية فضلا عن رسائل الأفراد التى تتناول أحداث هذه الثورة ولعل اطلاق هذا الوصف على اليهود يرجع الى تدميرهم لمعابد أعدائهم فقد كان تدمير المعابد ظاهرة واضحة سواء فى برقة أو فى مصر ·

ومما يجدر بالملاحظة أن اليهود لم يتخلوا عن فكرة « ظهور واحد منهم يحكم العالم أجمع » ! ·· (١٥) ومن المحتمل أن سيمون (شمعون) بن جيورا Simon ben Giora ، أحد زعماء ثورة ٦٦ ــ ٧٠ م ، كان يعتبر نفسه ملكا اذ كان يلبس ملابس الملوك عندما استسلم للرومان (١٦) ، ولابد من أن لوكاس (لوقا) ملك يهود برقة كان واحدا من هذا النوع فقد كان يعتبر نفسه منقذ بنى جلدته من حكم الرومان · وقد كان يعمد الى اثارة الحماس الدينى

في نفوس أتباعه ولذلك كان تدمير المعابد جزءا من حركته • وهكذا فكرة الخلاص هي التي أوحت الى هذا الزعيم اليهودى بالقيام بهذه الثورة التي اختار لها وقتا مناسبا لكن تراجان كان موفقا في حملته في الشرق ، ولو أحسن اليهود اعمال رأيهم لربما آثروا عدم القيام بالثورة على الاطلاق • ومع ذلك استمرت فكرة الخلاص تستهوى اليهود وتسيطر على عقولهم فسنرى مخلصا آخر يظهر في عهد هادريان ويجر الويلات على بنى قومه • ورب متساءل يقول ولم لم تكن فلسطين مهدا لهذه الحركة التي تستهدف تخليص اليهود ؟ لعل السبب هو أن التفرقة بين يهود فلسطين ويهود الشتات كانت قد زالت منذ تدمير الهيكل واخضاع يهود الامبراطور جميعا لضريبة اليهود • وربما اختيرت برقة عن عمد لبعدها عن مراكز تجمع الجيوش الرومانية التي كانت تحارب تحت قيادة تراجان ضد البارثيين • ومع هذا لا نستبعد أن يكون ابتداء قيام الثورة في برقة بالذات كان من باب الصدفة وأن ذلك يستتبع اعتبارها شيئا أكثر من صدام عادى مع اليهود هناك على نحو ما كان يحدث في مصر من مصادمات لا تتعدى المجال المحلي ، ولكن ظهور هذا المخلص لوكواس كان السبب في ازدياد النار اشتعالا • وقد أعمت فكرة الخلاص اليهود عن تقدير الموقف حق قدرة وعن أنهم يحاربون قوى تفوقهم في كل شيء ، فسيطر على عقولهم شيء واحد وهو أنهم « جند الرب الذى سيقودهم الى النصر ويعيدهم الى هيكل أورشليم » ! •• فاندفعوا مسلوبى الارادة الى قبرص والى مصر يقتلون ويدمرون ويبطشون بالاغريق والرومان وأهل قبرص وأهل مصر لا يفرقون بين جنس وجنس ولعلهم بتدميرهم معابد الوثنيين كانوا ينتقمون لما لحق بهيكلهم من دمار على أيدى الرومان !

ولم يكن عهد الامبراطور « هادريان » بصفة عامة عهد خير وبركة لليهود فقد شهدت بدايته اخماد ثورتهم الكبرى (١٧) •

وصدر الأمر بابطال عادة الختان عند اليهود ، وقرب نهايته قامت في فلسطين سنة ١٣٢ م ثورة عاتية تزعمها مخلص آخر هو سيمون بار (بن) كوخفا أو بار (بن كوزيفا) وذلك عندما أمر الامبراطور بأن تشيد مستعمرة رومانية محل أورشليم وتحمل اسم (Colonia Aelia Capitolina) (١٨) وأن يقام لجوبتير معبد محل الهيكل . وقد بذل الامبراطور مجهودا ضخما حتى استطاع اخماد الثورة سنة ١٣٥ م وبعد ذلك حظر على اليهود أن تطأ أقدامهم « الأرض المحيطة بأورشليم ! » فيما عدا اليوم التاسع من شهر آب (أغسطس) فى ذكرى ذلك اليوم الذى دمرت فيه أورشليم .
ومن المرجح انه حدثت فى مصر بعض القلاقل ولكنها لم تكن ذات أهمية تذكر . وعلى كل حال لم نعد نسمع عن اليهود كعنصر يتسبب وجوده فى اثارة الفتنة الا فى عام ٤٢٥ م حين قام كيرلس **kyrillos** أسقف الاسكندرية على رأس جماعة من المسيحيين باحتلال جميع معابد اليهود وطردهم من المدينة !! (١٩) .

المهن والحرف

الخدمة فى الجيش والاسطول والشرطة :

كانت خدمة اليهود فى الجيش البطلمى من أهم الأعمال التى أسهم بها اليهود فى خدمة الملك البطلمى وحكومته . لكن بعد دخول الرومان مصر آلت كل المسئوليات العسكرية الى الجيش الرومانى ، وسرح الجيش البطلمى بكافة تشكيلاته مما يجعلنا نرجح اختفاء جيش أونياس فى ليونتوبوليس ، باعتبار أنه كان متصلا اتصالا معينا بالجيش البطلمى . غير أن المؤرخ الفرنسى جوستيه (J. Juster) (٢٠) يرجح أن اليهود خدموا فى الجيش الرومانى ، ويستدل على ذلك بأن المؤرخ اليهودى يوسف ذكر أن الحكومة

الرومانية سمحت لليهود بالاستمرار فى عملهم فى حراسة النهر (Fluminis custodia) ، وبأنه لم يكن فى وسع أغسطس تسريح الجند اليهود نظرا لضخامة عددهم ولأن الكثيرين منهم كانوا من أرباب الاقطاعات العسكرية ، ولو أنه أقدم على ذلك فعلا لوقعت اضطرابات كثيرة فى البلاد وفى رأيه أن اليهود استمروا فى خدمة الجيش الرومانى حتى استبعدهم الامبراطور تراجان ثم الامبراطور هادريان بعد ثورتهم الكبرى ١١٥ ـ ١١٧ م . لكنهم ـ فى رأيه ـ ما لبثوا أن عادوا الى الخدمة العسكرية فى مستهل القرن الثالث الميلادى ودليله على ذلك قائمة بأسماء جند رومان كانوا يعسكرون فى أوكسيرينخور (البهنسا) ويحمل بعضهم أسماء سامية عادية ، ويقطع بأن أحدهم وهو باريخيوس (Barichius) كان يهوديا (٢١) .

وعلى النقيض من رأى هذا المؤرخ ينفى « تشيريكوفر » (٢٢) نفيا باتا أن اليهود كانوا يخدمون فى الجيش الرومانى ويفند رأى « جوستيه » . بأن عمل اليهود فى حراسة النهر لم يكن عملا عسكريا وأن يوسف وهو يتحدث عن يهود الاسكندرية لم يخطر بباله مهام الحامية اليهودية التى كانت مكلفة بأعمال الحراسة والدفاع عن الفرع البلوزى فى أواخر عصر البطالمة ، وانما كان يدور بخلده خدمة اليهود فى أعمال الحراسة فى النيل وهى المعروفة باسم (٢٣) Potamophylakia ، وأن عمل اليهود كان مقصورا على جباية المكوس الجمركية ويرجح أن الحكومة الرومانية عهدت بهذه المهمة الى الموظف المعروف باسم مدير الضرائب الجمركية (Arabarches) ونعرف ان هذا الموظف كان مختصا بجباية المكوس الجمركية على السلع الشرقية القادمة من موانى البحر الأحمر الى موانى البحر الأبيض مارة بالصحراء الشرقية فقط . ونعرف كذلك أن هذا الموظف كان فى الوقت نفسه هو اثنارخيس اليهود فى

الاسكندرية · ويرى أن هذا الفرض تفسير للطريقة التى أبرز بها يوسف أهمية قيام اليهود بهذا العمل ! ·

وقد يعين على توضيح مسألة خدمة اليهود فى الجيش الرومانى الالتماس الذى رفعه فى سنة ٤٣ ق · م الحبر الأعظم هيركانوس الثانى الى دولابلا (Dolabeila) حاكم ولاية آسيا يطلب فيه اعفاء اليهود من الخدمة العسكرية لأنهم لا يستطيعون أن يطعموا من طعام الجند الرومان ولا أن يقاتلوا فى أيام السبت · وقد أكد ذلك دولابلا فى القرار الذى أصدره باعفاء اليهود من الخدمة العسكرية بآسيا بقوله « أن الجندى اليهودى لا ينبغى له السير الى القتال يوم السبت » (٢٤) وهـذا يتماشى مع تعـاليم الربانيين من أن اليهودى لا يستطيع أن يبعد عن مدينته أو قريته أكثر من ألفى خطوة فى يوم السبت ومع ذلك لم يحل هذا كله بين اليهود · والخدمة فى الجيش البطلمى · ولذلك فاننـا نميل الى الاعتقاد بأن الحكومة الرومانية كانت لا ترحب كثيرا بخدمة اليهود فى جيشها فى مصر نظرا لتلك الاضطرابات التى اجتاحت البلاد وكان اليهود سببا فيها · وفى خدمة الشرطة يصادفنا اسم حارس يهودى هو « يعقوب Jacob ابن أخيلليوس Achilleos » فى قائمة تضم أسماء عدد من الخفراء والحراس كانوا يقومون فى أواخر القرن الثالث الميلادى بأعمال الحراسة فى أوكسير نخوس ·

ويحتمل أن يكون بعض اليهود قد عملوا فى حراسة الموانى Hormo Phylakia عند أسوان ·

الخدمة فى الحكومة :

اذا كان اليهود قد باشروا نشاطا ملحوظا فى خدمة الحكومة البطلمية وكان منهم بعض كبار الموظفين وكثير من ملتزمى الضرائب وجباتها فقد باشروا نشاطا مماثلا فى خدمة الحكومة الرومانية ·

كان بين وظائف الادارة المالية التى شغلها اليهود وظيفة مدير الضرائب الجمركيـة arabarces أو alabarces كما يكتبهـا يوسف (٢٥) الذى يحدثنا عن اثنين من أبرز شخصيات الجالية اليهودية بالاسكندرية ممن شغلوا هذه الوظيفة وقد كان كل منهما فى الوقت نفسه يشـغل وظيفة اثنارخيس للجالية اليهـودية السكندرى ٠ وهو والد شخصيتين هامتين هما تيبريوس يوليوس الاسكندر اليهودى الصابىء حاكم مصر من قبل الرومان ، والآخر هو ماركوس أحد كبار رجال الأعمال اليهود فى الاسـكندرية ٠ والأراباخيس الثانى هو ديمتريوس صـهر أجريبا الأول الملك اليهودى (٢٦) ٠ وكان اختصاص هذا المنصب الأشراف على تحصيل المكوس الجمركية على السلع الشرقية فى الطرق المؤدية من وادى النيل الى موانى البحر الأحمر مثل ميوس هرموس وبرينيكى عبر الصحراء الشرقية وقد زاد من أهمية هذه الوظيفة أن شاغلها كان فى الوقت نفسه حاكما لمنطقة طيبة (٢٧) ولا جدال فى أن الادارة الرومانية كانت تهتم بأن يكون الطريق الى البحر الأحمر آمنـا ولذلك عهدت بادارة المنطقة التى تخترقها طرق التجارة الى موظف واحـد ٠

وفيما عـدا وظيفة مدير الضرائب الجمركيـة لا نعثر فى مصـادرنا على شواهد تشير الى أن بعض اليهود شغلوا مناصب حـكومية كبيرة أخرى ولا نستطيع أن نقيس على حالة تيبريوس يوليوس اسكندر الذى شغل عدة مناصب هامة فى الجيش والادارة حتى وصل الى منصب الحاكم العام لمصر وذلك لأنه كان يهوديا صـابئا ، ولولا ذلك لما تأتى له الفـوز بهذه المكـانة السـامية (Praefectus) ٠

النشاط الاقتصادى :

يشير المؤرخ « فيلون » الى جوانب من حياة اليهود الاقتصادية فى صدر العصر الرومانى · وقد ذكر فى كتابه (In Flaccum) (٢٨) فى معرض حديثه عن فتنة ٣٨ م أنه نتيجة لهذه الحوادث خسر اليهود محالهم (ergatiria) وأن توقفهم عن العمل كان أفدح من الخسائر التى لاحقتهم نتيجة لأعمال النهب التى قام بها اغريق الاسكندرية اذ فقد أصحاب رؤوس الأموال Hoic Poristai مستودعاتهم Enthekas وحرم كل شخص سواء أكان مزارعا Georgos أو من أصحاب السفن Naukleros أو تاجرا Emporos أو صانعا Technitos من مباشرة عمله ·

وتأتى طبقة أصحاب رؤوس الأموال (Hoi Poristai) فى المقدمة ويبدو أن أفراد تلك الطائفة لم يستثمروا أموالهم فى التجارة فحسب بل أيضا فى نواح شتى كان من أبرزها اقراضها مقابل فوائد للتجار أو لغيرهم على نحو ما فعل اسكندر ليسياخوس عندما أقرض الملك أجريبا الأول اليهودى · وربما لم يكن أجريبا عميلة الوحيد · ولعل اشتغال اليهود باقراض الأموال هو الذى أثار ضدهم ذلك الشعور بالكراهية المشوبة بالحذر الذى نلمسه فى ذلك التحذير الذى وجهه تاجر اغريقى الى صديق له مقيم فى الاسكندرية سنة ٤٠ م حتى لا يتعامل مع اليهود ولعل المقصود هنا النص على تحذيره من التعامل مع المرابين اليهود ·

وقد لعبت الطائفة الثانية Hoi naukleroi دورا هاما فى النشاط الاقتصادى فى الاسكندرية · وخاصة فى التجارة البحرية ونقل القمح الى ايطاليا · وكان القمح المصرى كما نعلم أحد مصادر (Annona) الرئيسية للامبراطورية · وكان يقوم الى جانب هؤلاء

فى داخل البلاد طائفة من اليهود يعملون فى نقل القمح الى الاسكندرية كما سنرى فيما بعد ٠

أما الطائفة الثالثة Hoi Emporoi فكانت تضم طائفة من التجار العاديين الذين كانوا يعملون فى تجارة التجزئة ٠

وكانت الطائفة الرابعة (Hoi Technitai) تضم طائفة من الصناع ٠ وقد سبق التحدث عن هذه الطائفة فى العصر البطلمى من واقع ما ذكره فيلون ومما جاء فى التلمود عن صناع الاسكندرية ٠ وقد جاء فى التلمود أن جموع الصناع كانوا يجلسون فى البيعة حسب مهنهم مثل العاملين فى صناعة المعادن والصائغين والنساج والنجارين والحدادين ، وأن أى يهودى يريد العمل فى مهنة معينة كان يتعين عليه الاتصال بالنقابات المهنية اليهودية ٠ واهتمام التلمود بهذه الطائفة من الصناع يدل على أهمية الدور الذى لعبته فى الحياة الاجتماعية ليهود الاسكندرية ، ولم يكن فى استطاعة هذه الطائفة من الصناع الانضمام الى النقابات المهنية العامة فى الاسكندرية وذلك لأن هذه النقابات كانت تقوم على أساس دينى ومن المرجح أن طائفة الصناع اليهود كانت تجمع بين العمل فى حرفة معينة وبين التجارة فى السلع التى كانوا يضعونها فى حوانيتهم ٠

أما الطائفة الخامسة (Hoi Georgoi) فأغلب الظن انها كانت تتألف من المزارعين الذين كانوا يشتغلون بالفلاحة فى الريف المجاور للاسكندرية ٠ وينقلون الى العاصمة فى سفنهم الصغيرة منتجات أراضيهم ٠ وقد ذكر فيلون أن الاغريق هاجموهم فأحرقوا سفنهم واغرقوا سلعهم ٠

والى جانب هذه الطوائف اليهودية كان يوجد كثير من الفقراء العاملين فى مهن متواضعة (٢٩) .

الوضع الدستورى للطائفة

سبقت الاشـارة الى أن الامبراطور « أوجستوس » قد أقر ليهود الاسكندرية بكافة الامتيازات والحقوق التى اكتسبوها فى عصر البطالمة ... ويحدثنا « سترابون » (٣٠) الذى زار الاسكندرية على عهد أوجستوس ، عن الطائفة اليهودية وتنظيمها الداخلى ... فيقول أنه « كان على رأسها الاثنارخيس Ethnarches كان يحكم الشعب Ethnaos اليهودى ويباشر اختصاصات قضائية وادارية واسعة كما لو كان أرخونا فى مدينة حرة ويمدنا كل من فيلون ويوسف ببعض المعلومات الهـامة عن التنظيم الداخـلى للجالية اليهودية فى الاسكندرية غير تلك التى نستمدها من استرابون ، فيروى فيلون أنه فى عهد الحاكم الرومانى أكويلا Aquila فى عام ١١ م . توفى رئيس الجالية وكان يطلق عليـه اسم جنارخيس Genarches فبعث أغسطس بتعليماته الى ماجيوس ماكسيميوس Magius Maximius الحاكم الرومانى الجديد بأن يقيم لليهود مجلسا للمسنين أو الشـيوخ Gerousia ويضيف يوسفيـا الى ذلك أن كلاوديوس أرسل خطابا الى حاكم مصر فى عام ٤٢ م ذكر فيه أن لم يمنع اليهود من أن يكون لهم اثنارخيس بعد وفاة الاثنارخيس السابق على عهد أكويلا . ويذكر يوسفيا أيضا أن مجلس الشيوخ اليهودى ظل قائما حتى عصره (أى فى عصر فسباسيان) وأنه كان على رأس الجالية جماعة من الرؤساء عرفوا باسم رؤساء الشيوخ Hoi proteuntes Gerousias (٣١) .

أما عن مجلس الشيوخ فانه لم ترد فى مصادرنا معلومات تفصيلية عن عدد أعضائه ، لكننا نرجح أنهم كانوا واحدا وسبعين

عضوا وذلك قياسا على عدد أعضاء مجلس Synedrion (٣٢) فى فلسطين · واستنادا الى الرأى القائل بأن الجالية بأكملها كانت مشكلة على نسق النظام المعمول به فى أورشليم ·

والى جانب الاثنارخيس مجلس الشيوخ كان يوجد عدد من الأراخنة أو الحكام كانوا يشغلون بعض المناصب الخاصة كما كانت توجد أيضا طائفة من الرؤساء كانوا يعرفون باسم أراخنة السيناجوج (Arhisynagogoi) (٣٣) · وقد كشفت احدى الوثائق البردية عن وجود دار لحفظ السجلات والوثائق الخاصة باليهود كانت تعرف باسم دار أرشيف اليهود (Arheion ton Loudaion) .

ومما تقدم يتضح أن الجالية اليهودية كانت تتمتع بكثير من مظاهر الحكم الذاتى وأنها بلغت قدرا كبيرا من التنظيم وأفادت بشكل واضح من الامتيازات التى منحت لها فى العصر البطلمى · وعندما جاء العصر الرومانى ازدادت تماسكا وتنظيما وأفادت من اعتراف القانون الرومانى بقيام هذا النوع من الجاليات أو الاتحادات وسماحه لها بعقد الاجتماعات الخاصة بأفرادها فضلا عن أنه كفل للجالية الحرية والحماية ورفع الشكاوى الى الامبراطور دفعا لظلم أو التماسا لمنفعة · وقد اعتبرت الادارة الرومانية الدين مسألة خاصة بمعتنقية لا تتدخل فى الشئون المتصلة به وذلك تحقيقا لمبدأ التسامح الدينى الذين درجت عليه الامبراطورية الرومانية ·

وهكذا نرى أن الطائفة التى شكلها اليهود فى الاسكندرية فى العصر البطلمى استمرت قائمة كذلك فى العصر الرومانى ، مستمدة كيانها من استمساكها بدينها ووفرة عددها ونشـــاطها الاقتصادى · وقد كان فى استطاعة هذه الطائفة أن تظل بمنأى عن تدخل السلطات الرومانية اذا ما راعت الحدود التى ينبغى أن

تقف عندها • واذا كان اليهود فى العصر البطلمى قد قنعوا بالحقوق والامتيازات التى ترتبت على عضويتهم لهذه الجالية دون أن يفوزوا بحقوق المواطنة فى الاسكندرية فهل استمر وضعهم كذلك فى العصر الرومانى ؟

وزعم يوسفيا أن يهود الاسكندرية فى العصر الرومانى كانوا مواطنين كاملين وأنهم كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة منذ بداية العصر البطلمى ، ان لم يكن الاسكندر نفسه هو الذى منحهم هذه الحقوق • وأجهد هذا المؤرخ اليهودى نفسه لاثبات صحة دعواه • وكان « أبيون » ألد أعداء اليهود يسخر بدوره من هذه الدعوى ويدلل على زيفها (٣٤) • ولما كان يوسف قد عنى بالرد على أبيون فان هذا يوحى بأن مسـألة تمتع اليهود بحقوق المواطنـة فى الاسكندرية قد انعكست أثارها فى كتابات المؤرخين المحدثين الذين تصدوا لبحث الوضع المدنى لليهود فى الاسكندرية فانقسم هؤلاء المؤرخـون بدورهم الى فريقين فريق يقول بتمتع اليهـود بحقوق المواطنة فى الاسكندرية وفريق ينكر عليهم ذلك ! •

يشير بعض المؤرخين الى وثيقة هامة أعانت على تفهم الوضع القانونى ليهود الاسكندرية « بردية لندن رقم ١٩١٢ » التى تتضمن الخطاب الذى بعث به الامبراطور كلاوديوس الى الاسكندرية سنة ٤١ م • بعد استماعه الى الوفد الاسكندرى والوفد اليهودى أثر تجدد الاضطرابات فى ذلك العام • وقد تناول هذا الخطاب مسائل شتى سبق أن عرضنا الى جانب منها وفيما يلى ما جاء فى هذا الخطاب خاصا باليهود (٣٥) : —

« •• ولهذا أناشد ، للمرة الثانية الاسكندريين من ناحية أن يبدوا روح التسامح والود لليهود الذين عاشوا فى المدينة نفسها

منذ سنوات طويلة ، وألا يعتدوا عليهم أثناء قيامهم بطقوس عبادتهم التقليدية ، وان يدعوهم يمارسون عاداتهم كما كانوا يفعلون أيام المؤله أغسطس ، والتى أقررتها بعد سماع أقوال الطرفين .

وأناشد اليهود من ناحية أخرى ألا يتطلعوا الى أكثر مما حصلوا عليه حتى الآن ، وألا يرسلوا بعد اليوم بعثتين كما لو كانوا يعيشون فى مدينتين ، فذلك أمر لم يحدث أبدا من قبل وألا يقحموا أنفسهم فى مباريات النوادى وتدريبات الشباب ، بل عليهم أن ينتفعوا بما فى حوزتهم ، ويتمتعوا فى مدينة ليست بمدينتهم En Allotria Polei بوفرة من الخيرات كافة » .

وأهم النقاط التى تعنينا فى هذا المقام من أمر هذا الخطاب هى : —

أولا : أن كلاوديوس حث اليهود على أن يقنعوا بما لديهم من امتيازات ولعله كان يقصد تلك الامتيازات التى كانت جاليتهم تتمتع بها من حيث أنها كانت تكفل لها الحرية الدينية التامة وقدرا لا بأس به من الاستقلال على نحو ما رأينا .

ثانيا : أن الامبراطور حظر على اليهود بكل صراحة وحزم الاشتراك فى نشاط الجمنازيوم ومبارياته وهذه كما نعرف كانت جزءا لا يتجزأ من التعليم فى الجمنازيوم ومعنى ذلك أنه لا يعترف لهم بأى حق بأن يكونوا أعضاء فى منظمات الشباب وبالتالى ليس لهم حق الانتساب الى هيئة المواطنين .

ثالثا : ناشد الامبراطور اليهود ألا يطالبوا بمزيد من الامتيازات فى مدينة لم تكن مدينتهم ، وهو فى هذا يتفق كل الاتفاق مع قول فلاكوس أن اليهود أجانب وغرباء وفى هذا دليل

قاطع على أن اليهود أجانب وغرباء (Xenoi Kai Epeludai) كانوا يملكون حق الاقامة فى المدينة (Origo) دون أن يكون لهم حق الاندماج فى هيئة مواطنيهـا ، واعتراف الرومان بالجالية اليهودية لم يترتب عليه أكثر من حق اليهود فى الاقامة الدائمة فى المدينة وممارسة حقوق معينة فى نطاق هذه الجالية ٠

وبذلك يكون الامبراطور كلاوديوس قد أوضح وضع اليهود القانونى بأنهم يشكلون جالية تعترف الدولة رسميا بتكوينها وبما اكتسبته هذه الجالية من امتيازات محددة لكنه أوضح فى الوقت نفسه أنهم ليسوا مواطنين بدليل أنه حظر عليهم الاشـتراك فى مباريات الجمنازيوم ٠ وقد مر بنا مدى حرص الادارة الرومانية على تحرى الدقة فى اثبـات أسماء المواطنين فى سجلات الشباب وبالتالى فى قوائم الجمنازيوم ، واذا جاز لأعداء اليهود أن يصروا على اعتبارهم أجانب عن المدينة فانه ما كان يجوز لامبراطور فى مثل فطنة كلاوديوس ودقته أن يلقى الكلام على عواهنه ويصفهم على هذا النحو الا اذا كانوا رسميا كذلك ٠ وقد رأى من الحكمة افهام اليهود ادراكه حقيقة وضعهم فى المدينة بعبارات واضحة لا لبس فيها ! ٠

والواقع أن الوثائق القانونية القليلة المتعلقة باليهود فى العصر الرومانى لم توضح الا النزر اليسير من التصرفات القانونية لليهود فى الاسكندرية وخارجها (٣٦) ، وان كانت قد أطلعتناعلى أن بعض اليهود فى الاسكندرية كانوا يسجلون عقود زواجهم وطلاقهم أمام المكتب القانونى الذى كان يديره رجل اغريقى وأنهم كانوا يسجلون لديه أيضا بعض الاتفاقات المالية من قروض وغيرها سواء أكانت معقودة فيما بينهم أو مع غير يهود ٠

وفي ضـــوء دراســة الأوضـــاع القانونية عند اليهود فى مستعمرتهم فى الفنتين فى القرن الخامس ق٠م وفى مصر على عهد البطالمة نستطيع القول بأن اليهود فى العصر الرومانى لم يحجموا عن التعامل مع جيرانهم من غير اليهود بل أنهم خضعوا فى معظم هذه المعاملات للقواعد التى رسمتها التقاليد القانونية عند الاغريق والرومان دون أن يأخـذوا فى اعتبارهم أن بعض هـذه القواعد لا تتفق مع شرائعهم ومبادىء دينهم !

الحيـاة الاجتماعية

كان اليهود فى العصر البطلمى ، بالرغم من تأثيرهم الواضح بالبيئة المحيطة بهم ومن رغبتهم الشديدة فى مسايرتها ، يؤلفون مجتمعا منفصلا بفضل احتفاظهم بوجه عام بتقاليدهم ومراعاتهم لتعاليم شريعتهم ، الا حيث اضطرتهم ضرورات الحياة الى مسايرة اتجاهات المجتمع المحيط بهم اذ كانوا لا يترددون فى التخلى عن تلك التقاليد والتعاليم أو جعلهما فى المقام الثانى من الأهمية اذا تضاربت مع مصالحهم ٠

وقد فقدوا تبعا لذلك بعض المظاهر التى كانت تميزهم عن غيرهم اذ اكتسبت بعض عناصرهم فى الاسكندرية مسحة اغريقية تمثلت فى اصطناع اللغة الاغريقية واتخاذ الأسماء الاغريقية وارتداء الزى الاغريقى (٣٧) ، وكيف تأثر كذلك بعض يهود الريف بالبيئة المصرية فكانوا يتحدثون باللغـة المصرية ويستخدمون الأســماء المصرية ٠ وبالرغم من كل ذلك ظل يهود الاسكندرية مثل ما ظل يهود الريف فى جوهرهم يهودا لم تجرفهم البيئة التى يعيشـون فيها ٠٠ فالى أى مدى تأثرت الطائفة اليهودية بالظروف الجديدة التى سادت مصر فى العصر الرومانى ؟ ٠٠٠

قدر « فيلون » عدد يهود الاسكندرية بنحو ٢٠٠ ألف نسمة ، وقد ازداد عددهم حتى أنهم شغلوا حيين من أحياء المدينة ، بعد أن كان لهم حي واحد في العصر البطلمي ، وانتشرت معابدهم في أكثر من حي من أحياء المدينة ٠

والى جانب ما كان يتمتع به اليهود في المدينة من أمن وطمأنينة في الفترة السابقة لحوادث سنة ٣٨ م أطلق لهم الرومان الحرية الدينية الكاملة واستمرت بيعتهم الكبرى قائمة (٣٨) ٠ وقد ظفرنا من التلمود بوصف لها يفهم منه أنها بلغت من الاتساع حدا كان لابد معه من استخدام نظام الاشارات حتى يتسنى للمصلين متابعة شعائر الصلاة ٠ وكانت هذه البيعة الكبيرة المركز الذى يتجمع حوله يهود المدينة ، فقد كانت تتيح لهم حياة دينية تمكنهم من تدارس التوراة واقامة الصلوات في الوقت الذى لا تطلب منهم الدولة أداء أى التزام نحو العبادات المحلية أو المشاركة في العبادة الرسمية للدولة ٠ وقد أوضحنا من قبل مدى الجزع الذى أصاب جالية يهود الاسكندرية عندما استباح الاغريق بيعتهم وأصروا على وضع تماثيل الامبراطور فيها ، وذكرنا أن ذلك التصرف لم يكن مشروعا نظرا لتعارضه مع الامتيازات التى منحت لليهود وجرى الأباطرة على احترامها ولذلك لم يتردد كلاوديوس في اعادة الأمور الى نصابها فأكد من جديد حق اليهود في التمتع بالحرية الدينية الكاملة ٠

وقد دأب يهود الاسكندرية على مراعاة تقاليدهم وعاداتهم واحترام أيام السبت وساءهم أن يتدخل فلاكوس في ابطال الاحتفال بذلك اليوم وقد أورد فيلون نص خطبته يظن أنها لفلاكوس جاء فيها (٣٩) : « اذا ما حدث هجوم فجائى على مصر أو فاض النيل أو شب حريق ، أو هبت عاصفة ، أو حاق بالبلاد مجاعة ، أو طاعون

أو اذا زلزلت الأرض زلزالها أو حدث أي شيء من هذا القبيل فى يوم سبت هل تلتزمون مساكنكم هادئين لا تحركون ساكنا ؟ أم تتجولون فى الشوارع طبقا لعاداتكم ، وقد خبأتم أيديكم فى ملابسكم حتى لا تضطروا الى مد يد العون لأولئك الذين يقومون بعمليات الانقاذ ، أو تظلون فى بيعكم ، تقرؤون كتبكم المقدسة ، أم هل تشاركون فى انقاذ آبائكم وأبنائكم وأموالكم وكل ما هو عزيز عليكم » ٠٠ ولم تحل السلطات الرومانية دون اليهود والاحتفال بأعيادهم ذلك الاحتفال الذى اعتادوا اقامته كل عام بمناسبة اتمام الترجمة السبعينية للتوراة فى جزيرة فاروس ٠ واحترمت الدولة مشاعرهم الدينية فلم تجبرهم على المساهمة فى الأعياد الوثنية أو الأعياد الامبراطورية (٤٠) ولم تعترض على حجهم الى أورشليم ولا ارسالهم الهبات والأموال الى الهيكل قبل تدميره عام ٧٠ م ولم يكن فى استطاعة اليهود مراعاة لتقاليدهم أن يطعموا على موائد الوثنيين اذا حرموا على أنفسهم أنواعا معينة من الأطعمة مما أثار فى نفوس الاغريق نوعا من الدهشة مصحوبا بالسخرية حتى أنهم ساقوا نساء اليهود الى المسرح أثناء فتنة سنة ٣٨ م وحملوهن على أكل لحم الخنزير باعتبار ذلك غاية ما يمكن أن يوقعوه باليهود من ارهاب وتعذيب (٤١) ! ٠

وثمة ناحية أخرى متصلة بالدين كان لها أثرها فى أن اليهود انتحوا فى حياتهم ناحية خاصة بهم وقد تمثل ذلك فى ابتعادهم عن المنظمات والنقابات المهنية التى كانت تنتظم العاملين فى المهن والصناعات وذلك لأن الدين كان عنصرا أساسيا فى تشكيل هذه النقابات فقد كانت تقوم على أساس عبادة يشترك فيها أعضاؤها ومن ثم لم يكن فى استطاعة اليهود الى تكوين نقابات خاصة بهم مثل نقابة العاملين فى نقل القمح الى روما (Navicalarii) وكانت نقابة منفصلة تماما عن النقابة العامة للمدينة وكانت واحدة من

الاتحادات المهنية اليهودية الصرفه التي لم تعترف لهـــا الدولة بشخصية معنوية (٤٢) ، واذا كان اليهود بفضل سياسة التسامح الديني التي درجت عليها الامبراطورية الرومانية قد استطاعوا أن يهيئوا لأنفسهم حياة دينية بعيدة عن تدخـل جيرانهم أو تدخـل السلطات الرومانية ، فانهم تمكنوا كذلك من أن يهيئوا لأنفسهم حياة سياسية خاصة بهم في ظل جاليتهم التي كانت تتمتع بقدر من الاستقلال الاجتماعي والقضائي .

وهكذا استطاعت الطائفة اليهودية أن تحقق لأفرادها كيانا اجتماعيا خاصا بهم . بيد أن هذه الطائفة لم ترق الى نفس المستوى الذي كان عليه الرومان أو الاغريق وذلك لخضوع اليهود لضريبة الرأس المهينة التي نزلت بهم من الناحية القانونية الى مصـــاف المصريين مما حدا بفلاكـوس الى وصفهم بأنهم أجانب وغرباء عن الاسكندرية .

لم يكن في استطاعة اليهود الافلات من عمليـات الاحصـاء المقترنة بضريبتي الرأس واليهود .

وكانت عملية الاحصاء في حد ذاتها عملية مذلة مهينة تبرزهم كعنصر غريب عن المدينة بالفعل . وكان من المحتمل أن يترتب على وضعهم السياسي المهين استسلامهم الى اليأس واعتزالهم المجتمع الاسكندري غير أنه من دراستنا الحياة اليهود الاقتصادية ومختلف أوجه نشاطهم وجدنا أن نشاطهم قد زاد في العصر الروماني نتيجة للسياسة الاقتصادية التي اتبعتها روما في مصر وأتاحت الفرصة أمام استغلال رأس المال الخاص .

ويمكننا أن نقسم المجتمع اليهودى بالاسكندرية الى طائفتين :

أولا : الطائفة الأولى وتضم أثرياء اليهود من أرباب الفئات الخمس التى أشرنا اليها ، وكانت هذه الطائفة تضم دون شك أعضاء مجلس الشيوخ والاثنارخيس وطائفة الزعماء (Hoi Gnoromoi) الذى وسطهم تيبريوس يوليوس اسكندر « حاكم مصر اليهودى الصابئ» لدى زملائهم يهود المدينة الثائرين لوقف القتال سنة ٦٦ م ٠

ثانيا : الطائفة الثانية وتضم عامة اليهود من الفقراء والعاملين فى المهن المتواضعة ٠

ونجاح الطائفة الأولى فى ميدان النشاط الاقتصادى يدل بجلاء على أن فكرة الانطواء على أنفسهم فى جالياتهم لم يكن أمرا مقبولا ولا مستساغا لديهم وعلى أنهم استطاعوا التوفيق بشكل واضح بين مطالب حياتهم الخاصة كما رسمتها لهم شريعتهم وبين مقتضيات الحياة النابضة من حولهم ولعل احساسهم بأنهم يبعدون عن الكيان السياسى للمدينة ومحرومون من الانتماء الى الطبقات الممتازة هو الذى دفعهم الى احراز هذا النجاح ليفوزوا فى الناحية الاقتصادية بما يعيضهم عما افتقدوه من الناحية السياسية ٠

وهناك حقائق معينة يمكن أن نستعين بها فى توضيح العلاقة بين المجتمعين الاسكندرى واليهودى (٤٣) : ـ

أولا : بالرغم من ميل بعض يهود الاسكندرية الى التحرر ، فانهم لم يتخلوا عن دينهم وتعاليم شريعتهم ولا يمكن اعتبار الأسر التى انحرفت عن اليهودية أو صبأ بعض أفرادها دليلا على خضوع

جميع اليهود خضوعا تاما للمؤثرات الوثنية المحيطة بهم . فقد ظلت البيع نشطة فى المدينة واستمرت الحفلات تقام كل عام بمناسبة اتمام الترجمة السبعينية للتوراة بل وظهر بين اليهود مذهب يهودى جديد هو مذهب المتنطسين الذى أشرنا اليه .

ثانيا : بقى فيلون ، وهو الفليسوف المتحرر ، متأثرا بتعاليم دينه فهو عند حديثه عن المرأة اليهودية المحمودة السيرة يقول انه كان عليها أن تصرف الشطر الأعظم من يومها فى البيت ولا تختلط بالناس فى الأسواق وان تختار أهدأ ساعة فى اليوم لتذهب الى البيعة لتؤدى فرائض الصلاة ، وقد أبدى فيلون استنكاره لاقتحام الجند مخادع النساء بحثا عن الأسلحة أثناء فتنة سنة ٣٨ م . ولكنه وهو الحريص على أن تلتزم المرأة تعاليم الشريعة ، ولا ينزعج عندما سلبت القوانين الرومانية من المرأة أهليتها القانونية . وهكذا نرى فى دعوة فيلون الجمع بين أتباع أرقى آداب السلوك فى المجتمع الاغريقى وبين أداء شعائر الدين اليهودى واحترام القوانين التى فرضتها الدولة .

ثالثا : استمر اليهود فى العصر الرومانى مستمسكين بعادات معينة مثل اعراضهم عن أكل لحم الخنزير والاصرار على الختان الى حد أن فيلون تصدى للدفاع عن تلك العادة دفاعا قويا ، وأقام الدليل على فوائدها الصحية . ولم تشأ الدولة الرومانية أن تتدخل لابطال هذه العادة واعتبرتها امتيازا خاص باليهود ، وذلك باستثناء تلك الفترة التى أمر فيها هادريان بتحريم اجراء عملية الختان فقد أعاد الامبراطور أنطونينوس بيوس لليهود امتيازهم القديم .

رابعا : لا نستطيع أن نتصور أن اليهود كانوا يشاركون الاغريق وغيرهم الاحتفال بأعياد المدينة الدينية والمهرجانات والمواكب

التي تقام من حين الى حين واذا كان لا يستبعد أن المتحررين من اليهود أو بعضهم كانوا يقبلون على مشاهدتها فان من المستبعد أنهم كانوا يشاركون فيها مشاركة فعلية ٠

خامسا : كان لليهود مقابر خاصـــة بهم وذلك منذ بداية اقامتهم فى المدينة ٠

سادسا : اعتداد اليهود بجنسهم ودينهم واعتقادهم أن يهوه هو ربهم خالصا لهم من دون العالمين وأنه تبعا لذلك يصعب على الشعوب الأخرى أن تصل اليه وأنهم باعتبارهم شعب الله المختار أرفع منزلة من هذه الشعوب التى تعبد أربابا متفرقة لا تسمو الى مرتبة يهوه ٠ وتنص تعاليم الربانيين أن الدين والجنس عنصران متلازمان لا يمكن الفصل بينهما ومن ثم لا يمكن أن يحدث تقارب بين الدين اليهودى والأديان الوثنية وقد وصف يوسف تيبريوس يوليوس اسكندر حين صبأ مرتد عن دين آبائه وأجداده ، وكان الأحبـــار معلمو الشريعـــة (التنائيم ـ Teanaim) يرددون فى صلواتهم أن جهنم مثوى الصابئين والمرتدين عن دينهم خالدين فيها أبدا !! ٠

سابعا : كان الاغريق ، فيما يبدو ، يرون أن اليهود يحملون أوزار جنسهم ودينهم معا فقد اهتمت الدعاية ضد اليهود بابراز المجتمع اليهودى فى صورة مجتمع منعزل ومنفصل عن حيـــاة المدنية ٠

ومعنى هذا أن اغريق الاسكندرية فى العصر الرومانى كانوا يعتبرون اليهود فعلا عنصرا غريبا ليس على شاكلتهم (٤٤) ٠ واذا أضفنا الى ذلك ما كان هؤلاء الاغريق يكنونه لليهود من حقد لمؤازرتهم

للرومان فاننا نتبين بوضوح أن الاغريق كانوا ينفرون من اليهود ويضيقون بهم ذرعا في مدينتهم . وفضلا عن ذلك فقد أسلفنا أن اليهود وصفوا فى وثائق أعمال شهداء الاسكندرية بأنهم قوم غير متحضرين وأنه بسبب ذلك طالب الاغريق بحرمانهم من الالتحاق بالجمنازيوم وأن الامبراطور كلاوديوس أجاب الاسكندريين الى مطلبهم عندما حظر على اليهود المشاركة فى الألعاب التى ينظمها الجمنازيوم والالتحاق بمنظمات الشباب ، وحرمان اليهود من هاتين المنظمتين يعنى اقصاءهم عن المجتمع الاغريقى السكندرى ودمغهم بعدم الأهلية للاندماج فى هذا المجتمع والقضاء على كل محاولة كانوا يبذلونها فى سبيل التقريب الى جيرانهم ومن ثم يعتبر ردا غير مباشر على محاولة فيلون التقريب بين ثقافة قومه وثقافة الاسكندرية ولعل فلاكوس عندما وصف اليهود فى قراره بأنهم غرباء وأجانب يقيمون فى المدينة لم يصور كيانهم السياسى ووضعهم القانونى فحسب بل صور كذلك نظرة المجتمع السكندرى اليهم وبالاضافة الى ذلك كان الاغريق يصفون اليهود بأنهم كفرة ملحدون (٤٥) (Anosioi) مما يدل على احساس الاغريق العميق بأن دين اليهود دين أجنبى وقد بدأ هذا واضحا فى تنديدهم بالامبراطور تراجان لأنه بدلا من أن يناصر الاغريق الذين تربطهم به الصلات والروابط الدينية للتشابه بين دين الاغريق ودين الرومان ، كان يناصر اليهود الملحدين .

وجملة القول أن الاغريق كانوا يعتبرون اليهود غرباء فى الجنس والحضارة والدين ويرفضون ادماجهم فى مجتمعهم .

واذا كان يهود الاسكندرية بصفة عامة أخذوا بمظاهر الحضارة الاغريقية وكانت فئة قليلة منهم قد ذهبت فى ذلك الى أبعد مدى فارتدت عن دينها وقبلها المجتمع الاغريقى فى صفوفه ،

فان اليهود عامة ، المتحررين منهم والمتزمتين ، احتفظوا بدينهم وعاداتهم بدرجات متقاربة ولا سيما أن المجتمع الاغريقى أوصد دونهم منتدياته وأن الحكومة الرومانية اعتبرتهم غرباء عن المدينة ، فتابعوا حياتهم فى طائفتهم ومجتمعهم اليهودى ·

واذا كانت هذه هى حالة المجتمع اليهودى فى الاسكندرية ، فماذا كان وضعهم الاجتماعى داخل البلاد ؟ ·

أسلفنا أن المجتمع اليهودى فى غير الاسكندرية كان ينقسم فى العصر البطلمى الى عدة طبقات ·

أولا : طبقة تضم كبار الموظفين وكبار ملتزمى الضرائب وجباتها وأرباب الاقطاعات من الضباط والجند ·

ثانيا : طبقة تضم الأجراء والرعاة وأصحاب المهن الحرة ·

ثالثا : طبقة تضم العاملين فى المهن المتواضعة ويلحق بهذه الطبقة العبيد والعبيد المحررون ·

أما فى العصر الرومانى فقد تضاءلت الطبقة الأولى بعد أن قل اعتماد الادارة الرومانية على خدمات الموظفين وملتزمى الضرائب وجباتها من اليهود وبقيت الطبقات الأخرى تباشر حياتها التى اعتادتها من قبل · ونستطيع فى ضوء دراستنا للحياة الاقتصادية لليهود فى هذا العصر أن تقسم المجتمع اليهودى الى عدة فئات : ـ

أولا : ملاك الأرض وهذه طبقة تطورت عن طبقة أرباب الاقطاعات فى العصر البطلمى بعد أن تحولت اقطاعاتهم الى ملكية خاصة ·

ثانيا : أصحاب المهن الحرة مثل المشتغلين بالتجارة وأعمال النقل فى النيل ومن موانى البحر الأحمر واليها ٠

ثالثا : العاملون فى المهن المتواضعة والعبيد الذين أعتقوا من الرق ونالوا حريتهم ٠

وماذا كان اذن نوع الحياة التى يحياهـا يهود الأقاليم ؟ تستطيع أن تتصور أن طبقة أثرياء اليهود حاولت أن تعيش على نمط أثرياء الاغريق فى عواصم الأقلية اذ كانوا على شـاكلتهم يمتلكون الأراضى الزراعية أو يزاولون شتى أنواع النشـاط الاقتصادى التى كانت تدر عليهم ربحا وفيرا وربما تابع فريق من اليهود ما بدأوه فى العصر البطلمى من تقليد حياة الاغريق وان كان الموقف قد تغير تغيرا محسوسا فى العصر الرومانى لأن دخـول الجمنازيوم قصر عندئذ على الاغريق وأصبح الجمنازيوم مؤسسـة تخضع خضوعا مباشرا لاشراف الادارة الرومانية ٠ وكانت هـذه الادارة شـديدة الحرص فى تطبيق الأوامر الخاصـة بدخول الجمنازيوم ، ولذلك أصبح من المتعذر على أى يهودى الحاق ابنـه بالجمنازيوم ليصطبغ بالصبغة الاغريقية التى تمكنه من أن يبدو مثل الاغريق فى شكله ومظهره فيكتسب احتراما خاصا فى المجتمع فى عاصمة الاقليم واذا كان اغلاق الجمنازيوم فى وجه اليهود قد حرمهم من الاندماج فى الوسط الاغريقى والحصول على أرفع أنواع الثقافة الاغريقية فانهم دون شك لم يعدموا وسيلة للفوز بقسط من التعليم الاغريقى على أيدى مدرسين خصوصيين سواء من الاغريق أو اليهود المتأغرقين (٤٦) ٠

واذا كان يهود الاسكندرية قد استطاعوا بفضل جالياتهم أن يحيوا حياتهم الخاصة ويؤدوا طقوس عبادتهم فى يسر وأمن وسلام ،

فان يهود الريف كانوا أيضا ينتظمون فى جاليات تتجمع حول بيعهم الكثيرة المنتشرة فى أنحاء متفرقة من الوجهين البحرى والقبلى وتوفر لهم كل مقومات حياتهم ، فلا عجب أنهم كانوا يستمسكون بدينهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وفى بعض المدن كان اليهود يقيمون فى أحياء خاصة اذ تشير مصادرنا الى حى اليهود فى أوكسيرينخوس، وقد سبقت الاشارة الى أنه كان لليهود حى خاص بهم فى مدينة ادفو هو الحى الرابع فيها ، ولما كان هذا الحى محاطا بسور ومنفصلا عن بقية الأحياء الأخرى ، فانه يمكن اعتباره (جيتو ـ Ghetto) (٤٧) لو صح أنه فرض على يهود ادفو الا يقيموا الا فيه أثناء فتن العصر الرومانى ما جعل اليهود يلجأون الى الاقامة فى الحى الرابع واحاطة الحى بسياج وذلك لأنهم كانوا فى العصر البطلمى يقيمون فى كل أحياء المدينة دون التقيد بحى معين ٠

بعد أن تتبعنا تاريخ اليهود وأوضاعهم الاقتصادية القانونية والاجتماعية منذ أواخر العصر الفرعونى حتى العصر الرومانى أى منذ أن عاشوا فى مصر كأقلية عنصرية متميزة ذات شخصية واضحة المعالم ، وعرفنا أنهم برغم معيشتهم فى وسط غريب عنهم وفى ظل حكومات أجنبية ليست على دينهم قد حافظوا الى حد ما على مقومات حياتهم الخاصة ٠

وبفضل التسامح الدينى الذى ساد العصور القديمة استطاع اليهود أن يباشروا شعائر دينهم فى حرية تامة دون أى تدخل من الدولة أو من جيرانهم ٠ ويلاحظ أن معابدهم وبيعهم لم تدمر أو تغلق الا عقب اضطرابات سياسية كان اليهود أنفسهم فى كثير من الأحيان سببها ٠٠٠ !!

ومع احتفاظ اليهود بجوهر حياتهم ، دفعهم التكالب على أمور الدنيا وتحقيق المنافع المادية الى مجاراة البيئة التى يباشرون فيها نشاطهم فتركت فيهم كل من البيئة الاغريقية والبيئة المصرية آثارا واضحة المعالم ٠

وقد تبينا من دارسة مهن اليهود وحرفهم ومختلف نواحى نشاطهم الاقتصادى أنهم ألفوا سريعا الظروف الجديدة التى كان عليهم أن يعيشوا بمقتضاها واندفعوا يحققون نجاحا ماديا ملحوظا يعوضهم عما كانوا يفتقرون اليه من المكانة السياسية والاجتماعية ٠٠!

ومن خلال هذه الدارسة ، لعلنا لمسنا تشابها بين العوامل التى أدت الى معاداة اليهود فى العصرين الهيلينستى والرومانى وتلك التى أدت الى مناصبتهم العداء فى العصور الحديثة ٠ ولذلك لعلنا لا نسرف فى الرأى اذا اعتبرنا أن مسئولية النكبات التى كانت تحل باليهود انما تقع عليهم بسبب سلوكهم وصفاتهم التى تأصلت فيهم ولازمتهم طول عصور التاريخ !!

الهـــــوامش

(١) Bikermann : Une Question d'Authenticite des Privileges Juifs, An. de l'inst. de Phil. a l'Hist. Orien. T. XIII. p. 396.

(٢) J. Milne : A History of Egypt under the Roman Rule p. 3, London, 1924.

(٣) Suetonuis : Tiberics XXXVI.

(٤) Ricciotti : Histody of Israel, Vol. II, p. 382.

(٥) Philo, in Flacc. 25-28.

(٦) Idem. 29.

(٧) Abdullatif A. Ali : The Conflict between Caligula and Judaea, Ann. Fac. Arts, Vol II, 1953, p. 107.

(٨) Philo, in Flacc. 54.

(٩) Idem. 55-72.

(١٠) Idem. 78-80.

(١١) J. Milne : Op. Cit., p. 19.

(١٢) Ricciotti : op. cit., p. 393.

(١٣) J. Lesquier : l'Armée Romaine d'Egypte d'Auguste à Diocletien, p. 21, 1918.

(١٤) PRUM. III 26-71.

(١٥) C. P. Jud. I p. 90.

(١٦) C. P, Jud. I, p. 92.

(١٧) U. Wiliken : Antisimitismus, p. 815.

(١٨) Dio Cassius : Roman History Lxix, 12-14.

(١٩) U. Wilrken : Op. cit., p. 820.

(٢٠) J. Juster : Op. cit, p. 273.

(٢١) Idem. p. 274.

(٢٢) V. Tcherikover : Op. cit., p. 29.

(٢٣) O. Theb. 36, 93 — C.P. Jud. I. p. 53.

(٢٤) J. Juster : Op. cit., p. 146.

(٢٥) W.O. I, II, 302.

(٢٦) Jos. Ant. 18, 160, 259.

(٢٧) E. Schürer : Geschicht Des Jüdischen, p. 50. Leipzig 1909.

(٢٨) Philo, in Flacc. 35-37.

(٢٩) BGU. 1896 - C.P. Jud. III 489.

(٣٠) Strabo : Jos. Ant. XIV p. 117.

(٣١) Jos. Bel Jud. VII. p. 412.

(٣٢) Ricciitti : Op. cit. p. 179.

(٣٣) Idem, p. 181.

(٣٤) Jos. C.A.P. 2 p. 38.

(٣٥) Jos. Ant., XIX, p. 282.

راجع ايضا : عبد اللطيف احمد علي « مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء اوراق البردي » ، ص ١٠٢ ـ القاهرة ١٩٦٠ .

(٣٦) J. Juster : Op. cit., p. 496.

(٣٧) Jos. B.J. 2, p. 385.

(٣٨) J. Juster : Op. cit., p. 358.

(٣٩) Philo De Somnis, 123. cf. J. Juster : Op. cit., p. 355.

(٤٠) J. Juster. : Op. cit., p. 359.

(٤١) Philo, Legatio, 45.

(٤٢) J. Juster Op. cit., p. 486.

(٤٣) E. Barker : From Alexander to Constantine, p. 133-134, Oxford 1956.

(٤٤) J. Juster : Op. cit., p. 480.

(٤٥) Philo, in Flacc. 26—29.

(٤٦) L. Fucks : Die Juden in Aegyptens, p. 69, Wien 1924.

(٤٧) G. Manteuffel : Fouilles Franco-Polonaises, Rapports Tell Edfou, Vol I, p. 145-146, Vol. III. p. 336-345.

يهــود مصر الاســلامية

عقب الفتح الاسلامى لمصر ، ازدادت الهجرات اليهودية اليها نتيجة تحسن أوضاعهم الاجتماعية ، فقد صار اليهود « أهل ذمة » بعد أن كانوا أقلية منبوذة تحت الحكم البيزنطى ، وخلال القرون الثلاثة التى أعقبت الفتح الاسلامى توافدت هجرات يهودية متعددة من شرق العالم الاسلامى لتستقر فى منطقة حوض البحر المتوسط ، واستوطن معظمهم مصر ، فجو الحرية والتســامح الذى أتاحته « دار الاسلام » على رحابتها ، وفر لليهود فرصا هائلة ـ لم يسبق لها مثيل ـ للمشاركة فى النشاط الاقتصادى المزدهر فى العالم الاسلامى ٠

وتشير المصادر التاريخية الى أن يهود مصر لم يعيشوا فى « جيتو » مثلما كان حال أقرانهم فى أوروبا الكاثوليكية طــوال العصور الوسطى ، فالمجتمع المصرى الاسلامى لم يعزلهم باعتبارهم ـ أقلية منبوذة ـ ومارس يهود مصر أنماطا متعددة فى مجــالات النشــاط التجارى والادارى وفى التعليم والطب والمال والمهن الحرفية ، باختصار شديد مارس يهود مصر الاسلامية نشاطهم بدءا من الوزارة حتى أصغر المهن التى عرفها المجتمع المصرى ٠

وقد اعتمد الاسلام فى نظامه السياسى الأخذ بالمبدأ الشرقى القديم الذى يعتبر القانون شخصيا ، أكثر منه اقليميا (١) ، وعليه

فقد أتاح للأقليات الدينية ، مثل اليهود نوعا من الحكم الذاتى تمارس فى نطاقه شرائعها المتبعة ، فقد بقى التشريع والقضاء والشعائر الدينية والعادات والتعليم والمساعدات الاجتماعية ، من صلاحيات هذه الأقليات ، وكانت السلطة الاسلامية تصدر مرسومات لتعيين زعماء الطائفة ، الذين انتخبتهم الطائفة نفسها ، فى مناصبهم ، وقد أكدت هذه المرسومات من جديد الحقوق الادارية والدينية التى بلورتها وأقرتها التقاليد المتوارثة فى حياة الطائفة اليهودية ٠

ونكاد لا نعرف شيئا عن نمط التنظيم الطائفى اليهودى خلال الفترة الممتدة بين الفتح العربى والقرن العاشر ، ولكننا ، من ناحية أخرى ، نجد سيلا من المعلومات التى أخذت تتدفق علينا مع بداية العهد الفاطمى فبفضل اكتشاف جنيزة القاهرة أصبحنا على معرفة تامة بأسلوب النظام الداخلى لحكم اليهود الذاتى فى مصر (٢) ، خلال القرون ١٠ ـ ١٣ م ، مما يفوق معلوماتنا عن أية جالية يهودية أخرى خلال تلك الفترة ٠

سلطة « اليشيفا » ومنصب « النجيد » رئيس اليهود فى مصر

يذكر المؤرخ اليهودى المصرى يوسف بن اسحاق السمبرى ، فى القرن السابع عشر (٣) ، ان الفاطميين سرعان ما استحدثوا فى مصر سلطة مركزية مستقلة على اليهود ، وهى منصب « النجيد » حيث يقول :

« فى سنة ٣٦٣ للهجرة » (٩٧٣ ـ ٩٧٤ م) تسلم الخلافة ببغداد الخليفة الطائع ، فزوج ابنته بسلطان مصر الذى كان يدعى « عصر الدولة » ووصلت الملكة الى مصر سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ ـ

٩٧٧ م) فسألت ان كان ليهود مصر سلطان أو أمير كما هو الحال فى بابل (أى بغداد) عاصمة الخلافة العباسية ٠٠ فأخبرها السلطان بأن اليهود ليس لهم ملك أو أمير ، فلذلك قالت : ان لهم فى مملكة أبى رئيسا (ناسى) يسمى الداودى لأنه من نسل داود (أى رأس الجالوت) فابعث فى طلب شخص من تلك الأسرة يأتى الى مصر ، فسر السلطان بذلك وبعث برسائل مع السعاة الى بغداد ٠٠ فبعثوا اليه بفلان الحبر العالم والحكيم من أسرة « الناسى » بالعاصمة ، فوضعه سلطان مصر فى أرض مصر ومنذ ذلك الوقت وجد منصب : « النجيد » فى مصر جيلا بعد جيل » ٠

ورغم الأخبار الغريبة التى وردت فى رواية السمبرى ، والتى اشتملت أيضا على وصف رأس الجالوت فى العراق ، وهو ما اقتبس حرفيا تقريبـــا عن الرحالة بنيامين التطيلى ، فان معظم الباحثين يعتقدون باعتماد رواية السمبرى هذه على عنصر تاريخى حقيقى ٠ ويعزز من هذا الاعتقاد ورود هذه الرواية مرة أخرى فى رد كتبه الحبر داود بن أبى زمره كبير حاخامى القاهرة فى القرن السادس عشر (٤) ، وفضلا عن هذا ، فان هذا الاعتقاد يقوم على أســاس منطقى أيضا ، ومفاده أن الفاطميين كانوا متلهفين على استحداث مؤسسة مستقلة لزعامة يهود مصر ، وذلك بغية ابطال ولاء هؤلاء اليهود لرأس الجالوت الذى كان يعينه خصومهم العباسيون فى بغداد ٠

الا أن هذا التفسير للحقائق التاريخية لم يعد ممكنا ـ كما يشير البروفيسور « مارك كوهن » (٥) ٠٠ وذلك لأننا لم نعثر بين العدد الهائل من وثائق الجنيزة الخاصة بمطلع الحكم الفاطمى على شهادة واحدة تشير الى وجود « النجيد » فى مصر ، أو قيام

أى منصب رفيع آخر عهد اليه بالسلطة العليا لادارة اليهود فى العصر الفاطمى ، بل إن وثائق الجنيزة تثبت ، ان الفاطميين فى أول عهدهم قد اعترفوا برئيس المعهد الدينى فى فلسطين رئيسا على يهود دولتهم ٠

أضف الى ذلك ان متطلبات الادارة فى الدولة الفاطمية قد ساهمت بدورها ، فيما يبدو ، فى رفع شأن رئيس المعهد الفلسطينى ٠ فقد تطلع الخليفة الفاطمى ، بعد قيام دولته المستقلة فى مصر وفلسطين ، الى ممارسة صلاحيات الخليفة ، بما فيها العادة التى جرى عليها العباسيون فى تنصيب شخصيات مرموقة من غير المسلمين ، ومن ذوى النفوذ على طوائفهم ومعابدهم وكان من الطبيعى أن يقع اختيار الخليفة ، عند بحثه فى نطاق دولته عن سلطة تماثل سلطة رؤساء المعاهد ورأس الجالوت ببغداد ، على رئيس معهد أورشليم بالذات ، ولما كانت صلاحية اقامة المحاكم الدينية ، وتعيين القضاة الشرعيين ذوى السلطة القانونية على معظم النواحى الداخلية للطائفة ، هى العنصر الأساسى فى الحكم الذاتى الذى منحه الاسلام لغير المسلمين ، فقد كان انتخاب رئيس معهد أورشليم لهذا الغرض طبيعيا وضروريا فى آن معا ، لقد كان من حقه وحده تعيين القضاة الشرعيين ، كما كان ممثلا للسلطة القضائية العليا فى الطائفة اليهودية ، وبناء على ذلك قام الفاطميون ، بعد دخولهم مصر بفترة وجيزة بتعيين رئيس معهد أورشليم رئيسا على اليهود فى الدولة الفاطمية ، ونحن هنا لا نأخذ بالرأى القائل بأن الفاطميين أقدموا على هذه الخطوة بغية ثنى مواطنيهم اليهود عن ولائهم لرأس الجالوت ببغداد العباسية ، وذلك بهدف تفسير مسألة استحداث منصب « النجيد » فقد أقدم الفاطميون على ذلك ، فى الواقع ، رغبة منهم فى ضمان مطالبتهم السياسية بالخلافة وليس لتخوفهم من ولاء اليهود فى دولتهم للزعامة اليهودية فى

العراق ، واذا كان تعيينهم لرئيس معهد فلسطين قد عزز مكانة المعهد الفلسطينى فعلا بين يهود مصر ، فقد كان ذلك نتيجة عرضيه وليس هدفا خططت له السياسة الفاطمية سلفا ٠

وعلى الرغم من دور الفاطميين الكبير فى تحديد شـــخصية الرجل الذى تزعم اليهود فى دولتهم (٦) ، فان تحديد مضمون هذه الزعامة كان يتم ، الى حد بعيد ، من قبل العناصر اليهودية الداخلية وليس من قبل الفاطميين ، فقد أكد مرسوم تعيين الجاءون (رئيس المعهد) حقوقا تأصلت فى تقاليد الطائفة اليهودية ، فقد أسندت اليه السلطة الدينية العليا وحق تفسير التوراة فى الخطبة الدينية ، كما كان رئيس المعهد هو المشرف على شؤون الزواج والطلاق (٧) ، وعلى سلوك اليهود الدينى والأخلاقى ، بما فى ذلك تصرفاتهم ازاء المسلمين ، ومن حقه أيضا فرض الحرمان (الحيرم) وتعيين أو اقالة الخطباء الدينيين والحزانين (أئمة الصلاة فى المعبد) والجزارين الشرعيين ، وتحديد صلاحيات القضاة الشرعيين ومراقبة أعمالهم وأعمال القيمين على المحاكم الشرعية ، وكان يكنى « رئيس المثيبة » ، كما كان قراره فى أمور الدين والادارة نافذا لا رجعة فيه ، وأخيرا فان رئيس المعهد كان يستطيع تفويض صلاحياته لكل من يصطفيه محليا أو فى أى مكان من الدولة ٠

وكان الفاطميون يدعمون منصب رئيس المعهد بدفع هبـــة مالية للمعهد (٨) ، على النحو الذى اتبعوه مع المؤسسات الدينية النصرانية ، بيد أن هذه الهبة المالية توقفت حين شرع الحكم بأمر الله ، فى عشرينات القرن الحادى عشر ، بالتضييق على أهل الذمة !

ويبدو أن التراخى فى الروابط التى شدت يهود مصر الى معهد أورشليم كاد يؤدى الى شكل جديد من الاستقلال الطائفى

ليهود مصر ، وذلك فى العقود الأخيرة من القرن العاشر والربع الأول من القرن الحادى عشر ، فقد أخذ فى هذا الوقت حاخامان تلقيا علومهـــا الدينية فى العراق يطبقان فى مصر أعرافا كادت تزعزع تماما ســــلطة المعهد الفلسطينى على اليهـود فى الدولة الفاطمية ·

وكان أول هذين الحاخامين شمريا بن الحنان ، وهو أحد « الأسرى الأربعـة » الذين يعزو اليهم ابراهيم بن داود مؤلف « سيفر هقبلاه » (٩) نشر شريعة العراق فى كافة أنحاء الأندلس والمغرب ومصر · وقد أنشأ شمريا « مدراش » (مدرسة دينية) لتعليم التلمود بالفسطاط ، وكان نظام هذا المدراش شبيها بنظام مدارس الصبيان التى قامت بجوار المعاهد فى العراق . كما قام شمريا بنشر الردود على الأســـئلة الدينية باسمه ، متبنيا فى مراسلاته أسلوب رؤساء المعاهد ، ثم أنه كان يحمل لقب « أب بيت دين » (رئيس محكمة شرعية) وهو عادة من حق رئيس المحكمة الربانية فى المعهد ، ومن الجدير بالذكر أنه لا يحمل ، فى أى من الوثائق المتعلقة به ، لقب « حبر » الذى كان يمنحه رئيس المعهد الأورشليمى ·

وقد ورد اللقب العربى « رئيس اليهود » منسوبا الى شمريا فى احدى رسائله (١٠) ، وربما كانت السلطة الفاطمية اعترفت به اعترافا رسميا بشكل ما ، وذلك ادراكا منها بأنه شغل فى الواقع كثيرا من المهام التى اقتصرت ممارستها على رئيس المعهد ، بيد أن هذا اللقب لم يستعمل ، باعتباره لقبا رسميا للســـلطة المركزية على يهود الدولة الفاطمية ، الا فى نهاية ذلك القرن ·

وقد فاق الحنان بن شمريا أباه فى امعانه بتحدى رؤســاء المعهد ، فقد مارس القاء الخطبة فى الجماعة ، وكانت من حق

رئيس المعهد فقط ، بل انه عين له معيدا ينقل أقواله الى المجتمعين ، وفرض « الحرمان » الديني ، وجمع التبرعات من طوائف فلسطين بالشام للمدراش الذى أنشأه أبوه بالفسطاط ، كما أنه تمكن أيضا من الحصول على هبة مالية من الخليفة الفاطمى لهذا المدراش ، ويستدل من احدى الرسائل فى جنيزة القاهرة على أن الحنان هذا كان ينوى المطالبة بمرسوم فاطمى يخوله السلطة على يهود مصر (١١) ، وذلك فور اعتلاء الخليفة الظاهر كرسى الحكم فى شباط ١٠٢١ ٠ وازاء هذه التحديات السافرة لصلاحيات رئيس المعهد ، قام المعهد الفلسطينى بمعاقبة الحنان بانتزاعه منه لقب « رئيس محكمة شريعة » الذى كان يحمله أبوه ، كما ألقت عليه « الحرمان » أيضا ٠

فى هذا الوقت بالذات حدثت فى مصر تطورات داخلية ، خلقت الظروف المواتية لاستبدال رئيس المعهد الفلسطينى بأحد الزعماء المحليين من يهود مصر ، رئيس على يهود الدولة الفاطمية ، فقد شرع الوزير بدر الجمالى ، وكان حاكم الدولة الفاطمية الفعلى فى السنوات ١٠٦٤ ــ ١٠٩٤ ، باتباع سياسة جديدة ألزمت الأقباط بنقل مقر بطريركيتهم الدائم من الاسكندرية الى القاهرة وذلك بغية حماية المصالح الفاطمية فى النوبة والحبشة اللتين اعتقدتا بوحدانية طبيعة المسيح وتبعتا فى الوقت ذاته الكنيسة القبطية فى مصر ، ويبدو أن تركيز السلطتين الدينية والعلمانية للأقباط فى القاهرة أدى الى أحداث تطور مماثل لدى اليهود أيضا ، وذلك بقيام سلطة يهودية مقرها القاهرة ، فى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر ٠

ورغم أن العوامل الخارجية كان لها أثر كبير فى هذا التطور ، فان الدور الحاسم فى هذا الأمر كان من نصيب زعيم الطائفة

اليهودية فى العاصمة المصرية (١٢) ، لقد شهد هؤلاء الزعماء وكانوا من مؤيدى المعهد الفلسطينى سابقا ، التطورات الهامة التى جدت داخل المعهد وخارجه ، وما كان من ضعف نفوذه فى مصر نتيجة لذلك ، وازاء الفراغ الادارى نتيجة تضعضع المعهد ، وانتقال مركز الزعامة القبطية الى القاهرة استجابة للتغييرات الجديدة فى السياسة الفاطمية ، فقد تحول هؤلاء الزعماء بولائهم من المعهد الفلسطينى الى أسرة محلية أيضا ، وكانت هذه الأسرة ذائعة الصيت ، عمل كثيرون من أبناءها أطباء فى خدمة الخليفة وعلى رأس هؤلاء الاخوان يهودا ومبوراخ (مبارك) بن سعديا ، واذ تقلد هذا الاخوان السلطة التى كانت من قبل وقفا على رئيس المعهد ، فقد حظيا بتأييد كبار رجال الطائفة اليهودية ، كما حظى المنصب الذى استحدث فيما بعد باعتراف الفاطميين حتى سنة ١٠٨٢ ، وكان صـــاحب هذا المنصب يلقب برئيس اليهود ٠

ففى ذلك العام أقيل مبارك من منصبه ، واستبدل بالرئيس (الناسى) داود بن دانيال بن عزريا ـ الناسى ورئيس المعهد وقد أمعن داود هذا ، الذى تولى الرئاسة فى الفترة ١٠٨٢ ـ ١٠٩٤ ، فى التفرد بمعظم المهام التى منحها الفاطميون فى السابق لرئيس المعهد وذلك رغم المعارضة الشديدة التى أبداها رؤساء المعهد فى أورشليم ، وفى سنة ١٠٩٤ أعيد تنصيب (١٣) « النجيد » مبارك ابن سعديا ، طبيب الوزير الأفضل بن بدر الجمالى ، وفى عهد هذا النجيد الحازم تم استبدال رئيس المعهد برئيس اليهود الذى بسط ســــلطاته الادارية والدينية العليا على كافة اليهـود فى الدولة الفاطمية ٠

وكان مبارك بن سعديا ، باعتباره رئيسا رسميا ليهود مصر ، يسيطر على المهام والمناصب التى اقتصرت سابقا ، بشكل صارم ،

على رئيس المعهد الفلسطينى ، فقد كان مبارك أعلى سلطة قضائية فى البلاد ، قام بتعيين القضاة الشرعيين للطوائف المحلية بواسطة « المحكمة الكبرى » للقضاة فى العاصمة ، وكما كان الحال بالنسبة لرؤساء المعهد ، فقد تولى مبارك رئاسة محكمة الاستئناف الشرعية ، يتوجه اليه المتقاضون من المحاكم المحلية ، كما كان بوسع رئيس اليهود فرض رأيه بما كان له من الهيبة التى يكنها المواطنون فى الأقطار الاسلامية لحكامهم ، وكان يصلح ذات البين لدى العامة والخاصة ، كما لعب دورا هاما فى تنظيم الحياة الدينية ، وخصوصا بتعميمه نصا موحدا للصلاة ، والاشراف على الانضباط فى المعابد ، وسنة بعض القوانين المتعلقة بحياة الأسرة ، وأخيرا فانه قام بدور الوسيط لكافة اليهود عند حكامهم الفاطميين ، ولم يكن رؤساء المعهد سابقا قادرين على هذه المهمة نظرا للمسافة الشاسعة بينهم وبين مركز الخلافة فى القاهرة ٠

وفى عهد مبارك استحال منصب رئيس اليهود ، أو النجيد كما دعى فيما بعد خير ممثل للحاكم الذاتى لليهود فى العـــالم الاسلامى ، وقد بقى هذا المنصب حتى بداية القرن السادس عشر الى أن ألغى فى أعقاب احتلال العثمانيين لمصر ، فى ظروف لم تتضح لنا بعد !

التنظيم الطائفى

لقد كانت أخطر المهام التى انتزعها رئيس اليهود من رئيس المعهد هى تعيين وكلاء محليين لادارة شئون الطائفة على المستوى المحلى ، وهذه الطائفة المحلية ، كانت الخلية الأساسية فى الحياة اليهـودية المنظمة خلال هذه الفترة ، ويبدو أن الأمر يحتاج الى توضيح لمعنى « التنظيم » فالمؤرخين الذين درسوا حياة الطائفة

اليهودية فى القرون الوسطى أشاروا الى بلاد أوروبا الشمالية ، أو الطوائف الاشكنازية ، باعتبارها المكان الأول الذى قامت فيه طائفة يهودية منظمة ومستقلة ، وقد كان ذلك ، وفقا للرأى الشائع ، فى القرن الحادى عشر تقريبا ، وفى نفس الفترة التى ظهرت فيها الكومونات المسيحية على شكل وحدات سياسية منفصلة منحهـــا رجال الاقطاع أو الملوك وثيقة الحكم الذاتى ، وبناء على ذلك تجرى المقـــارنة بين التنظيم اليهودى المحلى والتنظيم المحلى المسيحى ، فتنسب بذلك للطوائف اليهودية المحلية كثير من الخواص النقابية التى اتصفت بها الكومونة المسيحية فى القرون الوسطى (١٤) ٠

أما حياة الطوائف اليهودية فى الشرق الاسلامى فقد قيل عنها أنها مفككة وغير مستقرة ، وقد جرى التأكيد بشكل خاص على طابع المركزية والهيروقراطية عند الطوائف اليهودية فى الدولة الاسلامية ، حيث حال رئيس المعهد أو النجيد دون قيام طائفة مستقلة ومنظمة بشكل « ديمقراطى » ٠ ويرى البعض فى هــذا الشكل الهيروقراطى للتنظيم الطائفى نوعا من الاستبداد ! ٠٠٠ وتبعا لهذا الرأى ، فان تركيز السلطة ، وغياب الحكم الذاتى المحلى فى العالم الاسلامى قد انعكسا على حياة اليهود فى العــالم العربى القروسطى (١٥) ٠

ان جنيزة القاهرة ، بما فيها من فيض الرســائل المتعلقة بحياة يهود مصر ، تقضى فى الواقع باعادة النظر فى هذا الموقف ، ذلك أن الحياة الطائفية المحلية تظهر ، من خلال هذه المصادر ، باعتبارها عنصرا هاما فى العلاقات الاجتماعية اليهودية (١٦) ، ولكن الطابع التنظيمى هنا أقل شكلية ، وأكثر مرونة مما تظهره لنا المصادر المتعلقة بحياة الطائفة اليهودية فى أوروبا الشمالية ٠

وبالنسبة للخدمات الاجتماعية الأساسية فقد كانت مركزية سواء فى جمع الايرادات أو فى انفاق المصروفات ، وكان المصلون ، فى الأماكن التى يقوم فيها كنيسان (معبدان) للربانيين ، يجتمعون تحت سقف واحـد فى المنـاسبات الخاصة ، كما كان القراؤون ينضمون اليهم فى بعض الأحيان أيضا ، وتجدر الاشارة هنا اننا نقصد فترة ما قبل الانشقاق التام بين اليهود الربانيين واليهود القرائين ، والذى حدث فى القرن الثالث عشر نتيجة للحملة العنيفة التى قام بها الرئيس موسى بن ميمون (رمبام) وأعلى فيها الحواجز بين الربانيين والقرائين من يهود مصر (١٧) !!

لم تقتصر عضـــوية الطائفة على جماعات المصلين فى المعابد المختلفة وحسب ، وانما ضمت كل أبناء الطائفة بمن فيهم النساء والأطفال ، وكثيرا ما كان يجتمع أبناء برمتهم للتباحث فى أمور ذات أهميات متباينة ، ونظرا لأن معظم الطوائف كانت صغيرة ، فلم يكن من العسير تجميع كل أبنائها فى مكان واحد ، وقد اتفقت هذه الطوائف على الأخذ بمبدأ الاجماع فى اتخاذها القرارات ، وذلك ان الجدل حـول هذا المبدأ من ناحية ، ومبدأ الأخذ برأى الأغلبية من ناحية أخرى ، والذى شغل الطوائف الاشكنازية طويلا ، لم يكن قائما فى الطوائف المتمثلة فى الجنيزة ، وليس من الغريب أن تكون الكومونة المسيحية فى أوروبا ، بكل اجراءاتها الديمقراطية المستقاه من القانون الرومانى ، قد شكلت قدوة للمشرعين اليهود هناك ، بل دفعهم الأمر أيضـا الى التنقيب فى الشريعة اليهودية بحثا عن التبريرات التى تتيح للأغلبية فرض ارادتها على الأقلية ، أما فى العالم الاسلامى فقد كان الحكم الذاتى أقل تزمتا بل أكثر تسامحا ، بالمقارنة مع أوروبا ، وهكذا فان هذه المشاكل لم تكن قائمة بالنسبة للمسلم أو جاره اليهودى ! (١٨) ٠

أصحاب المناصب

رغم مشاركة الطائفة فى بعض من نواحى الحياة السياسية ، فان القسم الأكبر من شئون الحياة اليومية فى الطائفة كان وقفا على مجموعة صـــغيرة من الرجال ، الذين تمكنوا بفضل مركزهم أو تعيينهم ، أو كليهما معا ، من القيام بالمهام الضرورية ، فهناك جماعة ورد ذكرها فى كل مكان ، وهى جماعة « الشيوخ » ولم تكن مؤسســة « الشــيوخ » هذه ، التى قامت بعد « كهنه » الكنيس المذكورة فى المصادر الهيلينية و « وجهاء المدينة » المذكورة فى الأدب التلمودى ، مقصورة على اليهود فى العالم الاسلامى ، ولكن وثائق الجنيزة توضح ، أكثر من أى مصدر آخر ، المهام التى مارسها هؤلاء « الشيوخ » فى الطوائف اليهودية خلال القرون الوسطى ٠

ويمكن القول ، بوجه عام ، ان شيوخ اليهود فى مصر كانوا نواة من الموظفين المدنيين الذين يتمثل عملهم فى مساعدة المسئولين عن مجالات معينة فى حياة الطائفة ٠

زعيم الطائفة ـ « المقدم »

أشارت بعض الوثائق والمراجع التاريخية (١٩) الى المهــام المتنوعة الواســعة التى مارسها زعماء الطائفة المحلية بأنفسهم ، وقد كان فى ذلك كثير من المرونة ، ذلك ان الزعيم الخبير بأمور الدين مثل افرايم بن شمريا ، وكان يحمل لقب « الحبر » عن المعهد الأورشليمى ، وكان يعالج القضايا الادارية والدينية كلها ، مثل اصدار الأحكام ، وتطبيق الفرائض اليهودية ، ومراقبة سلوك أبناء الطائفة ، والخدمات الاجتماعية ، ولم تكن ســـلطة افرايم القضائية مقصــورة على يهود الفسطاط وحسب ، بل تعدتها الى الطوائف اليهودية المحيطة بالفسطاط أيضا ٠ ومن ناحية أخرى

فان رؤساء الطوائف فى القرى الصغيرة كانوا ، فى الغالب ، أقل الماما بالشريعة من زعماء المراكز الكبيرة كالفسطاط ٠ ولذا فقد كان لوظيفة « الشيوخ » أهمية كبيرة فى تلك الأمكنة النائية ، ولا سيما فى اصدار الأحكام ٠

وقد طرأ خلال الفترة التى نحن بصددها هنا تغيير ملموس على مصطلح وتنظيم الزعامة اليهودية المحلية فى مصر ، فقد جرت العادة ، حتى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر ، وكان رئيس معهد أورشليم مازال يتمتع باعتراف الحكومة الرسمى كرئيس لليهود فى الدولة لفاطمية ، أن يعين رئيس المعهد بنفسه رؤساء الطائفة المحليين فى مصر ، وكان هؤلاء الرؤساء الذين يختارون عادة ، كما هو الحال بالنسبة لافرايم بن شمريا ، من بين « أحبار » المعهد ، من تلامذة الحاخامين والقضاة ، ولكن هذا النموذج لم يكن موحدا : فبالنظر الى الهيكل التنظيمى للطائفة ، آلت ادارة بعض الطوائف الى رجال تدل صفاتهم على أن وظيفتهم الأساسية كانت فى مجال آخر من مجالات الخدمات الطائفية ، وهكذا فاننا نجد الحزانين والنساخ ، على سبيل المثال ، يتقلدون أحيانا هذا المنصب الرفيع فى الطائفة (٢٠) ٠

وحين أدت تقلبات الدهر ، فى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر ، الى تفكك المعهد الأورشليمى ، وتبلور منصب جديد لرئيس اليهود فى الوقت ذاته ، فان تغييرا دقيقا طرأ على المصطلح الدال على الزعامة المحلية ، وكان فى ذلك ما يشير الى تغيير فى غايات التنصيب والتنظيم السياسى ، فقد تضمن التغيير الاصطلاحى استحداث الكلمة العربية « مقدم » واطلاقها على الزعماء المحليين (٢١) ، ولفظة « مقدم » هى مصطلح شديد المرونة فى المعجم السياسى العربى فى القرون الوسطى ، وعلى النحو ذاته

لدى اليهود الناطقين بالعربية أيضا ، وعليه فاننا نجده فى وثائق الجنيزة يدل على مهام كثيرة ومتنوعة مثل : امام الصلاة فى الكنيس ، صاحب وظيفة فى الكنيس ، كبير الحزانين ، كبير الأطباء ، وحتى رئيس المعهد ذاته ٠

وحوالى سنة ١١٠٠ نجد لفظة « المقدم » تستخدم بشكل ثابت للدلالة على المسؤول عن ادارة شئون الطائفة المحلية ، ويبدو أن هذا التجديد الاصطلاحى كان انعكاسا لعلو شأن رئيس اليهود ، بل ان داود بن دانيـــال ، على وجه التحديد ، هو الذى أحدث فيما يبدو هذا التجديد ، فقد كان نجل « الناسى » ورئيس المعهد السابق دانيال بن عزريا ، وهو من أصل عراقى وكان يطمح فى الوصول الى « عظمة » أسلافه من رؤساء الجالوت ، كما كان أول رئيس لليهود يقطع علاقته بالمعهد الفلسطينى علنا ، وكان من بين الاجراءات العصيانية ، التى قام بها بن دنيال تعيين رؤساء الطائفة المحليين ، ولما كان المعهد وحده هو المخول بمنح لقب « الحبر » فقد لجأوا الى المصطلح العربى أى « المقدم » بدلا من اللفظ العبرى ، ليطلق على « الزعيم » وهكذا حصل المنصبون منذ ذلك الحين ، وكان بينهم الحزانون والنساخ ، على لقب « المقدم » بفضل المناصب الادارية التى تقلدوها ، حتى أصبح مصطلح « المقدم » فى عهد خلفاء داود لفظة تدل دلالة ثابتة (وأحيانا يستخدم مصطلح « نائب » أيضا) على الذين اختيروا لادارة شئون الطائفة المحلية ، وبهذا فقد مثل استحداث هذا اللقب انتزاع الحق بتعيين الزعماء المحليين من أيدى رئيس المعهد ٠

وكانت مهام « المقدم » تختلف تبعا لمؤهلاته ومواهبه (٢٢) ، ونستطيع استخلاص مجموعة من الواجبات المناطة بمنصب «المقدم» ، من رسالة موجهة الى طائفة المحلة سنة ١١٠٠ تقريبا ، وتتضمن

رد كبار القضـــاة بالفسطاط ، باسم النجيد مبارك بن سعديا ، وذلك أثر خلاف وقع بين زمرة من أبناء الطائفة وبين « مقدم » المحلة وأدى الى اعتزاله منصبه • وتتجلى مهام « المقدم » بوضوح من خلال وصف الفوضى التى عمت هناك نتيجة لاعتزاله :

(•••) ودخل عليهم الخلل بعدم من ينظر / فى أحكامهم ومشاجراتهم وان ذلك قد انكشف الى موت / هعولام (أى : غير اليهود) وضعف خبر الأسور والهتر (أى : الحرام والحلال) عندهم وعدم سماع / دبرى توراه (أى : كلام التوراه) فى الفصول والموعديم (أى الأعياد الدينية) والشبتوت (أى : أيام السبت) على عاداتهم / وتحنيك صبيانهم ونواشئهم على التوراه والمصوت (أى : الفرائض الدينية) وارشادهم / الى طرق الصواب وارداعهم عن السلوك فى ضدها (•••) •

يتضح مما سبق ان » المقدم » استطاع أن يتولى القضاء ، ويفصل فى أحكام الدين ، ويشرف على السلوك العام ، ويعلم الصغار والكبار (٢٣) ، ومن الجدير بالذكر ان « مقدم » المحلة كان ملما بأصول الدين ، منذ حصوله على لقب « الحبر » وفى ذلك ما يفسر عمله معلما ومربيا • ومع ذلك فانه لم يستمد سلطته الادارية فى الطائفة المحلية من رئيس المعهد الفلسطينى وانما من رئيس اليهود فى مصر ، ولذا فان الخلاف رفع الى مبارك بن سعديا ليبت فيه • وقد كان القرار الذى اتخذ فيما بعد ، كما يتضح من وثائق الجنيزة حول هذه القضية ، باعادة « المقدم » الى منصبه ، من صلاحيات النجيد وكبار القضاة ، اذ هم الذين كانوا عينوه فى منصبه •

وبالاضافة الى « المقدم » الذى تحدد وثائق الجنيزة مكانته فى الطائفة بوضوح ، هناك مسئول آخر تذكره الوثائق كثيرا ،

ولكنها لا توضح ماهية مهامه على الاطلاق ، ويدعى فيها « روش هقهال » أى رئيس الجماعة ، أو « روش هقهيلوت » أى رئيس الجماعات (٢٤) ، وينطوى هذا اللقب على ازدواجية الدلالة فى كلمة « قهال » كما ذكرنا آنفا · ويرى « اشتور » أن « روش هقهال » كان رئيسا على الشيوخ ، وأن مهامه لم تختلف عن المهام التى قامت بها مؤسسة الشيوخ المذكورة ، أما جويتاين فيعتقد أن هذا اللقب قد حل محل اللقب القديم « روش هكنسيت » أى رئيس الكنيس ، كما يرى ان هذا اللقب يشير فى فترة الجنيزة أساسا الى رئيس جماعة المصلين فى كنيس معين ، ولكن جويتاين يضيف قائلا : « بأنه لما جرت العادة فى القرنين العاشر والحادى عشر بتعيين « أحبار » من قبل المعهد الفلسطينى ، ثم تعبين « المقدم » فيما بعد لمنصب رئيس الطائفة ، فقد تطور « روش هقهال » الى لقب فخرى لا ينطوى على أية أهمية ادارية » (٢٥) ·

القضاة الشرعيون والمحاكم الشرعية

لقد كانت المحاكم الشرعية ، بالطبع ، العمود الفقرى فى حياة الطائفة المحلية فى مصر ، ففى مجتمع تكاد تتلاشى فيه الحدود تماما بين الدين والسياسة ، ويحكمه مبدأ القـــانون الشخصى لا الاقليمى ، اكتسب القانون الدينى اليهودى (والقبطى أيضا) صلاحية شاملة ، مما جعل القاضى الشرعى ، تلقائيا ، شخصية ذات شأن كبير فى اطار الحكم الذاتى الا أن هذه المؤسسة المسؤولة عن التفسير اليومى للشريعة اليهودية وتطبيقها كانت مرنة بعيدة عن الصرامة (٢٦) ، شأنها فى ذلك شأن المؤسسات الأخرى للطائفة المحلية ، فقد كان عدد القضاة الذين يجلسون للقضاء ، على سبيل المثال غير موحد · صحيح ان « محكمة الثلاثة » التى يذكرها التلمود كانت قائمة ، الا ان محاكم أكبر منها كانت أيضا من عشرة قضاة أحيانا !

وكان القاضي المتخصص يتقاضى أجره من الطائفة ، ويسمى « ديان » (قاض) أو « بيت دين » (محكمه) ، وهو اختصار « أب بيت دين » (رئيس المحكمه) لم يكن القاضي يجلس وحده للقضاء ، وانما يساعده رجلان على الأقل يوقعان على الاحكام ، وكانا عادة من « الشيوخ » وقد ظل رئيس المعهد الأورشليمي يقوم بتعيين القضاة حتى أواخر القرن الحادى عشر ، ثم خلفه فى هذه المهمه ، رئيس اليهود ، كما كان على القاضى أن ينال تصديق الحكومة الفاطمية على تعيينه ، وفى مسودة طلب مقدم للحكومة الفاطمية للتصديق من جديد على تعيين يوسف الكاهن ، قاضى يهود الاسكندرية ، كتبت ، على ما يبدو ، سنة ١٠٣٦ ، نجد تحديدا لصلاحياته ، ومن بينها النظر « فى أحكامهم وعقد نكاحاتهم وطلاقاتهم على سنن مذهبهم » وبالفعل فان فيض الوثائق القضائية من الجنيزة ، ويقدر بالآلاف ، يؤكد ان القضاة فى مصر قد كرسوا معظم وقتهم للنظر فى القضايا المالية التى نشأت فى الغالب عن الشراكات فى العمل ، والنظر فى الأحوال الشخصية ، وتحدد الوثيقة مسئولية القاضى أيضا عن « نصب حزانين فى معابدهم وعزل من يرى عزله « وليس من الغريب ان يقوم قاضى يهود الاسكندرية بمهام ادارية كتعيين الحزانين والاشراف على الخدمات الاجتماعية، ففى ذلك ما يشير الى الدمج بين المهام الدينية والادارية من جهة ، كما يشير ، من ناحية أخرى ، الى مرونة التنظيم داخل الطائفة اليهودية ذاتها ، وتمثل فى كثرة المهام التى اضطلع بها موظفو الطائفة (٢٧) .

كذلك يمكن الاشارة هنا الى ظاهرة أخرى من ظواهر تداخل الوظائف والمؤسسات المختلفة فى الطائفة ، ففى وثائق الجنيزة من القرنين العاشر والحادى عشر ترد كلمة « هشوفيط » ـ أى الحاكم وقد رأى « جويتاين » احتمال استخدام هذه اللفظة فى

الاشارة الى من اشتغل بالقضاء بشكل جزئى فقط ، دون أن يكون قاضيا شرعيا متخصصا ، أو الاشـارة الى من اشـتغل « حاكما متجولا » ينتقل من مدينة الى أخرى أو حتى الى القاضى المتخصص نفسه أيضـا ٠

وقد مرت مصطلحات التنظيم القضائى ومضمونها بتغييرات طفيفة ، ولكنها بالغـة الأهمية ، وذلك مع ظهور منصب رئيس اليهود كسلطة مركزية عليا بين يهود الدولة الفاطمية (٢٨) ، فى أواخر القرن الحادى عشر ، ففى الفترة الأولى من تولى مبارك بن سعديا منصب رئيس اليهود (حوالى ١٠٧٨ ـ ١٠٨٢) ، قام بتعيين القضاة فى مدينة الاسكندرية ، مبتدئا بذلك مرحلة أدت فى نهايتها الى ضعضعة السلطة القضائية لرئيس المعهد الفلسطينى ٠ وواصل داود بن دانيال، خليفة مبارك، الذى لقبه رؤساء المعهد الأورشليمى بـ « مغتصب السلطة » نقل السلطة القضائية العليا من الشام الى مصر ، فأنشأ أول « محكمة شرعية عليا» فى عاصمة مصر الفاطمية ، بينما كان هذا الاسم مقصورا على المحكمة الشرعية العليا التابعة للمعهد أو لرئيس الجالوت ، وقد مارست هذه المحكمة العليا التى أنشأها داود صلاحيات المعهد فى تعيين المندوبين للمحاكم الأخرى٠

على الرغم من أن المحاكم اليهودية وقضاتها كانوا فى غاية الصرامة (٢٩) ، الا أن سلطتهم القضائية على الطائفة اليهودية لم تكن مطلقة فبرغم حظر الشريعة قديما على اليهود اللجوء الى محاكم غير يهودية ، فقد عمدوا فى مصر كثيرا الى التقدم بشكاواهم الى المحاكم الاسـلامية أو اليهودية دونما فرق ، وذلك لتنفيذ العقود التجارية ، لقد اعترفت الشريعة اليهودية بصلاحية أنواع كثيرة من الصكوك الموقعة فى محاكم غير يهودية ، مما حدا باليهود الى استغلال هذا الترخيص والى الاستعانة بالسلطة غير اليهودية فى

تنفيذ الالتزامات القانونية ، وفى الأحوال التى كان فيها القانون الاسمى أجدى من الشريعة اليهودية للمصلحة الاقتصادية ، كاتفاق المضاربة على سبيل المثال ، فان الأمر لم يكن مقصورا على الازدواجية فقط ، وانما تسربت الأعراف الاسلامية أيضا الى المستندات التى صيغت فى المحاكم اليهودية ، ولكن القضاة المسلمين ، من جهتهم ، كانوا يراعون نظراءهم من القضاة اليهود ، ويمتنعون عن البت فى قضايا حساسة دينيا مثل قوانين الأحوال الشخصية !

وهكذا فان اليهود كانوا على حق فى توقعهم العدالة فى الحكم من القضاة المسلمين ـ كما يشير مارك كوهن نفسه (٣٠) ـ كما كان الشهود المسلمين موضع ثقة ٠ أما المجال الوحيد الذى أمكن فيه الجور فى الحكم ـ من وجهة نظر يهودية لا اسلامية ـ فهو المجال الخاص بقوانين الارث ، فكثيرا ما تدخل القضاة المسلمون فى قانون الارث اليهودى ، اذ يجيز القاضى الشرعى الاسلامى ، على سبيل المثال ، مصادرة الممتلكات المتروكة دون وصية ولكن الأمر لم يكن موجها ضد اليهود بشكل خاص ، ولم يعتبره اليهود كذلك فى تلك الفترة ، ذلك ان النصارى أيضا عانوا من هذا النوع من التدخل ، أضف الى ذلك أن الأمر لم يؤثر على ثقة اليهود الوطيدة بنزاهة القضاة الاسلامى ٠ والواقع ان تهاون اليهود فى الحفاظ على الحواجز الفاصلة، كما يتمثل ذلك فى موقفهم من المحاكم الاسلامية، لم يكون سوى مظهر من المظاهر الكثيرة التى تشير الى اندماج يهود مصر بالأغلبية المسلمة فى الفترة الفاطمية ، وحتى فى الفترات اللاحقـــة !

وكان ثمة نوع آخر من السلطة القضائية خرجت عن نطاق جهاز القضاء المنظم ، وان كانت متممة له ، وقد تمثلت فى رجال الدين الكبار الذين قاموا بفضل سـعة علمهم باصـدار الأحكام

الدينية والرد على الأسئلة التى كانت توجه اليهم ، وان لم يقوموا بدور القضاة بالضرورة ، كان هؤلاء يحملون اللقب العبرى « راب » ويلعبون فى المجتمع اليهودى دورا شبيها بدور « المستشار القضائى » فى الامبراطورية الرومانية والمفتى فى الاسلام (٣١) ، حتى أن اجوبة (تشوبوت) كثيرة كان يطلق عليها « فتاوى » وهى الكلمة العربية المماثلة للمصطلح ٠

اصحاب الوظائف الأخرى :

بالاضافة الى الشيوخ والمقدم والقضاة والكتاب ، والحاخامين أصحاب الأجوبة ـ اذا وجدوا ـ كان هناك عدد آخر من أصحاب الوظائف الذين خدموا الطائفة اليهودية المحلية فكان الحزانون ـ وقد كان منهم كثيرون فى المكان الواحد أحيانا ـ يعتلون المنابر فى الصلاة وينتقلون بين الطوائف الأخرى ، كما يسافرون أحيانا خارج البلاد يديرون الصلاة مقابل الأجر ، وكان هؤلاء يقومون خلال ذلك بمهام يوكلها اليهم النجيد المصرى أحيانا فقد عمل كثيرون منهم كتابا عموميين أو كتاب محاكم ، أو حتى قضاة ، بالاضافة الى وظائف أخرى متنوعة ٠

وكان المشرف المباشر على الكنيس أو المعبد هو « الشماس » (٣٢) وكان يدعى بالعربية « الخادم » وقد كان له نفوذ كبير نظرا لمركزه الهام كمشرف على أهم مبنى عمومى لدى أبناء الطائفة كما كان الخادم ، نظرا لملازمته الكنيس حيث تعقد جلسات المحكمة ،يعمل أحيانا مساعدا للمحكمة ، فيقوم باستدعاء المتقاضين وتسجيل أقوال الأطراف المتنازعة ، وتسليم أوراق الطلاق وغيرها ٠

وكان للطائفة اليهودية جزار شرعى (شوحيط) ، ومراقب على الصلاحية الشرعية للمآكل (أو « الكشروت ») سمى « الحارس » (« الشومير ») • ولدينا وثيقة صدرت عن محكمة القاهرة ، حوالى سنة ١١٠٠ م ، تتضمن شهادة بالكشروت لشحنه من الجبن جاء بها تاجر يهودى الى الفسطاط •

وكان من بين الوظائف الهامة فى الطائفة ، « الفرناس » ، وهو يرعى شئون الفقراء المعوزين ـ أشبه بموظف الشئون الاجتماعيـة •

ايرادات ومصروفـات الطائفـة :

كانت الطائفـة اليهودية فى مصر ، تقـدم لأبنائها الخدمات الاجتماعية المتنوعة ، فمن ذلك اعانة المحتاجين ، ومساعدة عابرى السبيل ، ودفع الجزية عن العاجزين عن الدفع ، وافتداء الأسرى ، وتعليم الصبيان الفقراء وليتـامى ، ونفقات دفن الموتى ، ودفـع معاشات الحاخامين ورؤساء الطوائف ، وصيانة الكنس ، وكان لابد من مصدر دخل لتغطية هذه النفقات، ولكن الطوائف المصرية ، بخلاف الطوائف الاشكنازية ، لم تقم بجباية الضرائب من أبنائها • ففى أوروبا ، حيث كان للطائفـة اليهودية تنظيم تعاونى ، كانت جباية الضرائب من الطائفة قاعدة متبعة ، وذلك لدفع الضرائب الكثيرة التى فرضتها الحكومة على الطائفة ككل ، ولتمويل الخدمات الاجتماعية فى الطائفة ذاتها • أما فى مصر ، حيث التنظيم الطائفى أقل تعاونا وصلابة وأكثر تفككا منه فى البلدان المسيحية ، فقد كان مصدر ايرادات الطائفة هو التبرعات (٣٣) •

كما كانت ادارة حسابات الطائفة والقيام بالخدمات تتمان عن طريق التطوع فى الغالب • وقد انيطت هذه المهـام بأناس

عرفوا بالاستقامة وبأنهم موضع الثقة ، اختارهم زعماء الطائفة وأبناؤها من بين طبقة الأثرياء ، وكان « الفرناس » من أهم أصحاب هذه الوظائف ، ويطلق هذا القب عند اليهود فى أوروبا على رئيس الطائفة المحلية ، وتكمل وظيفة « الفرناس » فى مصر ، أو تماثلها أحيانا ، وظيفة « نئمان بيت هدين » (أى أمين المحكمة) ، وقد تضمنت هذه الوظيفة العامة مهام مختلفة ذات طابع قضائى : مثل الحجز على ممتلكات المدينيين ودفع النفقات للمطلقات لاعالة أولادهن الصغار ، واعطاء القروض للمحتاجين من الودائع التى يشرف عليها ٠

وخير مثال لموظف الخدمات العامة ، الذى شغل وظيفة « الفرناس » (٣٤) ووظيفة «أمين المحكمة » فى الوقت نفسه ، هو الكاهن بن يحيى ، فقد كان شامى الأصل ، على ما يبدو ، وظل يعمل فى هاتين الوظيفتين حوالى خمسين سنة (الوثائق ١٠٥٧ — ١١٠٧) وبالاضافة الى ادارة حسابات الطائفة اليهودية فى العاصمة المصرية ، فقد ساعد أيضا فى تنظيم التبرعات ليهود أورشليم ، ولما كان ابن يحيى أحد وجهاء الطائفة المصرية وأمنائها ، فقد لعب دورا هاما فى الحياة العامة ، كما كان أحد الزعماء المحليين الذى عملوا على استحداث منصب « رئيس اليهود » خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر ٠

وتشهد وثائق الجنيزة ، ولا سيما قوائم المتبرعين منها ، على تنوع المصادر لتمويل الصدقات ، ففى حملات التبرعات الخاصة جمعت الأموال لغايات تعتبر من الفرائض الدينية ، مثل افتداء الأسرى ، وتصف احدى الرسائل ، من فترة احتلال الصليبيين لأورشليم سنة ١٠٩٩ م ، كيف وجه رئيس اليهود ، النجيد مبارك ابن سعديا ، نداء صارخا الى الجمهور ، فجمع ١٢٣ دينارا لاستنقاذ

بعض أسـفار التوراة وافتـداء الأسرى اليهود من أيدى الغزاة الأفرنـج (٣٥) ٠

على أن أهم مصدر لايرادات الطائفة المحلية (فى الفسطاط التى تتناولها معظم المعلومات المتوفرة لدينا) كان « الهقديش » أو الأوقاف من البيـوت والعقـارات ، ويبدو أن « القودش » أو « الهقديش » هو وليد العادة اليهودية القديمة فى تقديم الهدايا للكنيس أو الفقراء ، ولكن هناك ما يماثل ، « الهقديش » فى النظام الاسلامى وهو « الوقف » ، وهكذا فان « الهقديش » اليهودى فى فترة الجنيزة كان يسمى أحيـانا بمصـطلح البيئـة الاسلاميـة « الوقف » ، أو « الحبس » ٠ الا أن اليهود ، بخلاف المسلمين ، لم يعرفوا الا الوقف العام ، أما الوقف الأهلى الشائع فى المجتمع العربى فلا نجد مثيلا له عند اليهود ، وكان الوقف اليهودى يمنح ، بشكل رسمى ، للمحكمة ، وهى تستأثر بادارته وحدها ، وغالبا ما كان الوقف اليهودى يكرس لغايات محددة مثل دعم جماعة معينة من المحتاجين ، كفقراء أورشليم ، كما كان « الفرناس » فى الفترة التى تشملها دراستنا هذه هو القيم على ممتلكات الوقف ، ولكن الموظفين الأخرين ساعدوا فى ذلك أيضا (٣٦) ٠

وكان العمل التطوعى ، الذى يعتبر المبـدأ العـام فى عمل « الفرناس » ، ينطبق على ادارة الأوقاف أيضا ، بيد أن الوثائق تشير الى أن الطوائف شرعت ، منذ خمسينيات القرن الثانى عشر بدفع الأجور للفرناسيين مقابل عملهم ، فكان هـذا الأجر يدفـع اما عن طريق السماح لهم بخصم عشر الايرادات ، أو بتخويلهم جباية المبالغ المستحقة عن ايجار الأملاك غير المنقولة ، ولم يحظ هذا الانتقـال من العمل التطوعى الى العمل بالأجر ، بالتفـسير المناسب حتى اليوم ، وان كان ذلك يتصل بما يذكره الباحث

« موشية جيل » حين يقول أن اعداد الهقديش فى القرن الحادى عشر كانت ضئيلة ، بالنسبة للفترة التى تلتها ، أما فى القرن الثانى عشر فيبدو أن الفرناسيين اضطروا الى تكريس المزيد من وقتهم للقيام بمهامهم ، ولذا فقد تلقوا تعويضا ماليا عن ذلك ، وبمقارنة الايرادات من الأوقاف اليهودية مع المدفوعات التى انفقت على الادارة والصيانة والترميم والتأمين والضرائب الحكومية ، فان فائض الايرادات يبلغ ستين بالمائة حسب تقديرات جيل · ويقدر جويتاين الدخل السنوى العام من الأوقاف بعشرة آلاف درهم (حوالى سنة ١١٨٠ م) ، وقد غطى هذا المبلغ ، الذى يساوى مصروفات عشر عائلات من ذات الدخل المنخفض لمدة عام كامل ، نفقات الطائفة على الخدمات الضرورية الى حد كبير ·

السياسة وأثرها على الطائفة :

مما لا شك فيه أن الطوائف اليهودية مارست خلال القرون الوسطى ، النشاط السياسى أيضا ، وفى الجنيزة شواهد كثيرة على ذلك فيما يتعلق بيهود مصر وبلدان البحر المتوسط الأخرى ، ومن مميزات هذا النشاط البارزة كانت النزعة الى الانقسام وذلك ما تعكسه المصطلحات العربية الواردة فى وثائق الجنيزة ، مثل « العصبية » « الحزب » « التحزب » ، ··· وهى تمثل ظاهرة اجتماعية شائعة بين اليهود ، فقد كان للنزاع على الزعامة دور واضح فى حياة الطائفة (٣٧) ، اذ انعكس سخط الجماهير على المسؤولين عادة فى مقاطعة الذهاب الى المعابد ، حيث كانت تدار شؤون الجمهور باشراف الزعامة المحلية ، وقد استخدم التعبير العربى « لزموا بيوتهم » فى وصف هذا الشكل الشائع من النشاط السياسى الشعبى ، وهو سلوك شبيه ، أو ربما متأثر أيضا ، بالعادة الاسلامية فى مقاطعة صلاة الجمعة فى المسجد ــ أحيانا ــ كتظاهرة ضد الحكومة !

وعلى هذا النحو ، يبدو أن الطائفة اليهودية ســـارت فى أعقاب المسلمين أيضـا ، فى ايجاد التعبير عن ولائها السـياسى لزعمائها ، فقـد كانت خطبـة الجمعة لدى المسلمين تتضمن دعاء للخليفة ، يؤكد الولاء له ، وكذا كان من عادة اليهود أن يرفعوا فى كنسهم صلاة الولاء لزعيمهم الأكبر ، أى لرئيس المعهد فى الشام أو العراق ، أو لرئيس الجالوت ، وكانت هذه الصـلاة المسماة « بحييى » (أو « فى عهد ») المدرجة فى صلاة « القديش » تدعو الله أن يأتى بالاخلاص « فى عهد سيدنا رئيس المعهد » أو « رئيس الجالوت » ··· كما كانت الحال فى المسجد ! ·

وكان حذف هذا النص من الصلاة يعتبر « نوعا من التمرد أو اشارة الى انتقال الولاء من زعيم لآخر » ! · ومع مرور الزمن ، جرت هذه العادة ، أو عادة أخرى شبيهة ، للتعبير عن الولاء لرئيس يهود مصر ، رغم اننا ، فى الواقع ، نجهل الشكل الذى آلت اليه·

وعلى نحو ما كان فى البيئة الاسلامية ، راجت لدى اليهود الظاهرة المسماة « بحوريم » أى الفتيان ، وعلى غرار « الأحداث » المسلمين فى المدن الشامية، كان « البحوريم » فى الطائفة اليهودية (ويسمون فى الجنيزة « الصبيان » ، « الشباب » ، « الشبان » · أو « بحوريم » فى العبرية) يمثلون طبقة من الناس ظهروا فى أوقات خاصة ، ليثيروا الفتن ويتمردوا على الزعامة ، أو يحالفوا احدى الشيع فى الطائفة ، ولم تكن فى مصطلح « البحوريم » دلالة دقيقة على أعمارهم ، فقد يكون من بين « البحوريم » أحيانا طاعنون فى السن أيضـا ، ويبدو أن فى هذه التسمية اشـارة الى فترة سياسية ، لازمت فيها هذه التسمية ، من باب الهجاء ، كل الذين عارضوا السلطة المتمثلة عادة فى طبقة الوجهاء والشيوخ الى حد بعيد ، خصوصا وان نزعة التمرد كانت تعتبر من الصفات المذمومة فى الشباب (٣٨) ·

الحيـــاة العائليـــة :

تفوق معلوماتنـــا عن العـــائلة اليهودية ، فى دول البحر المتوسط الاسلامية خلال القرون الوسطى ، كل ما نعرفه عن هذه العائلة في أى زمان أو مكان ، قبل العصر الحديث ، وذلك بفضل جنيزة القـــاهرة والدراسات التى قـــام بها البـــاحث « ش٠ د٠ جويتـــاين » ٠

وتســـــاعدنا هذه المعلومات الوفيرة المتراكمة ، من جنيزة القاهرة ، حول العائلة ـ وهى المؤسسة التى تعتبر فى نظر معظم المؤرخين الاجتماعيين المعاصرين الخلية الأســـاسية فى المجتمعات البشرية الغابرة ـ على فهم المجتمع اليهودى التقليدى عامة ، والى أبعد الحدود ، فقد كانت العائلة الموسعة تشكل الوحدة التنظيمية الأساسية فى القرابات اليهودية (فقد كانت قرابة الدم أقوى من روابط الزواج، كما يقول جويتاين) (٣٩) ، وما احترام الوالدين، والاخلاص بين الاخوة حتى بعد زواجهم ، والاقتران بذوى القربى وخصوصا من أبناء العمومة ، الا بعض التعبير عن تماسك العائلة الموســـعة ٠

لقد حرص أبناء العائلة الواحدة على العيش متجاورين ، وفى بيوت أو شقق تضمها مساحة واسعة ومسيجة ، وكثيرا ما كانت البيوت ، أو أقسام منها ، جزءا من الأملاك العائلية ، مما أدى ، عند انتقالها بالوراثة ، الى الحفاظ على مشاعر الوحدة عند أبناء العائلة الواحدة ، ولم تقم وحدة العائلة الموسعة على حساب وحدة الأسرة الصغرى المؤلفة من الزوجين ، كانت هذه النواة الأسرية المحدودة ، المؤلفة من الزوج والأولاد ، تتعايش فى وفاق مع العائلة الكبرى الموســـعة ٠

وكانت الفتاة تتزوج ، عادة ، فى سن مبكرة جدا وذلك وفقا للتقاليد اليهودية وتقاليد شعوب البحر المتوسط عامة (لم يكن زواجها فى الثانية عشرة من عمرها أمرا شاذا) • وكان العريس فى الغالب أكبر من العروس سنا ، الا ان فارق السن لم يكن كبيرا جدا • وقد شجعت التقاليد اليهودية والشريعة أهل العروس على تزويد العروسين بالحاجات الضرورية على شكل مهر ذى شأن ، وذلك ما سهل زواج رجال فى مقتبل العمر ، حين تكون قدرتهم على اعالة أنفسهم وجمع الثروة مازالت محدودة •

وفى هذا المجتمع الذى تميز بكثرة التنقل فى سبيل التجارة، تمتعت النساء بقسط من الحرية ، بالمقارنة مع مكانة المرأة المتزوجة فى المجتمع اليهودى التقليدى ، ولعل خير مثال على ذلك ما أثبتته الدراسة التى قام بها الباحث « فريدمان » من حق المرأة اتخاذ اجراءات الطلاق ، اذا قام زوجها ، رغم ارادتها ، بأعمال من شأنها فصم رباط الزوجية ، ومنها الزواج من امرأة ثانية أو ايواء جارية فى بيته ، وقد اعتمد حق المرأة هذا ، فى الشروع باجراءات الطلاق فى حالة تعدد الزوجات ، على حكم شرعى فلسطينى قديم طواه النسيان مع مرور الزمن ، خلال اندماج يهود الشرق الأوسط بالعادات البابلية ، وقد بعث هذا الحكم الشرعى من جديد وسمى « نهج الفسطاط » ، فى أواخر القرن الحادى عشر ، وشاع ، كما يبدو ، مع بداية القرن الثانى عشر ، حين تحددت الشروط المتعلقة بالموضوع كجزء من عقد الزواج ، وعلى يد النجيد مبارك بن سعديا، فى أغلب الظن ، ويبدو ان واقع المجتمع المصرى ، الذى اتسم بالتنقل والدينامية والانفتاح الى حد بعيد ، كان له أكبر الأثر فى جعل « بند الزواج الأحادى » قانونا يحمى المرأة اليهودية المتزوجة فى أواخر القرن الحادى عشر ! •

وقد كان الطلاق فى هذه الفترة واسع الانتشار ، وتعود أسباب ذلك الى كثرة التنقل فى المجتمع ، وبقاء الزوجات وحيدات بعيدات عن أزواجهن فترات طويلة خلال سفر الأزواج التجار الى البلدان النائية ، ولا داعى لاعتبار شيوع الطلاق مظهرا من مظاهر ضعف الأسرة ، كما هى الحال اليوم ، بل انه ، على العكس ، يعتبر دليلا على الأهمية التى أولاها المجتمع لهذه المؤسسة العائلية التى رمى الى حمايتها من الأضرار الناجمة عن الروابط الزوجية الواهية .

وثمة مظهر آخر من مظاهر تماسك الأسرة ، ويتمثل فى مشاعر الود المتبادلة بين الزوج والزوجة ، التى نطالعها ، من حين لآخر فى رسائل الجنيزة ، وقد كتب هذه الرسائل أزواج يتمالكون ، عادة ، عواطفهم خلال تعبيرهم عن تلك المشاعر ، كما أن الاهتمام البالغ الذى كرس لتعليم الأولاد ، وحب الوالدين لأبنائهم ، يشكلان برهانا آخر على تماسك الأسرة واستقلالها بتأثير المجتمع المصرى « الشرقى » .

التعليم :

نكاد لا نجد فى هذه الحقبة التى نحن بصددها اطارا منظما للتعليم « العالى » ، لدى الطائفة اليهودية فى مصر ، وذلك باستثناء الفترة التى أقام فيها شمريا بن الحنان « مدراسا » فى أواخر القرن العاشر ، ونعنى بالتعليم العالى دراسة التلمود على مستوى متقدم فى المعهد الدينى ، واذا مارغب يهود مصر فى طلب مثل هذه العلوم ، دون مغادرة بلادهم ، فقد كان بامكانهم اتمام هذا النوع من الدراسة فى نطاق دروس للكبار ، جرت فى حلقات بالمعابد ، أو الحصول على دروس خصوصية لدى أحد الحاخامين المحليين ، وعلى كل حال ، فان دراسة التلمود كانت تقتصر على عدد محدود جدا ، ممن أنهو دراستهم التلمودية الابتدائية (٤٠) .

أما التعليم الاشتدائى ، وهو مجال لا نعرف عنه الكثير لدى الطوائف الاشكنازية فى هذه الفترة ، فان وثائق الجنيزة تمدنا بمعلومات كثيرة عنه فى كل ما يتعلق بمصر ، فقد كان التعليم الابتدائى فرضا على الأولاد الذكور ، كما تنص التقاليد اليهودية القديمة ، وبوسعنا العثور على اشارات حول تعليم البنات أيضـا فى المدرسة ٠

كان المعلمون يعلمون فى بيوتهم وفى المعابد ، أو فى بيوت الأسرة الغنية ، وكانت العائلات الغنية تدفع للمعلم أجرا أسبوعيا، بينما تكفلت الطائفة بدفع أجور التعليم عن الأيتام وأبناء المعوزين، من صندوقها الخاص ، كما كانت تقام حلقات منتظمة لتعليم الطائفة لهذا الغرض ، وفى وقت لاحق (حوالى أواخر القرن الثانى عشر) أصبح من المألوف ضم أبناء المحتاجين الى حلقات دروس مشتركة مع الصبيان الذين يدفعون أجور التعليم ، والطائفة تدفع أجور هؤلاء المحتاجين ٠

النشـاط الثقافى :

النشاط الثقافى لليهود فى مصر خلال هذه الفترة كان محكوما بحقيقة تاريخية هامة ، تمثلت فى ذوبانهم فى محيط الثقافة العربية الاسلامية الواسع ، فقد أدى النشاط الثقافى الهائل الذى شهدته فترة صعود الحضارة العربية الاسلامية الى تخلى اليهود فى بلدان العالم العربى ـ ومصر من بينها بطبيعة الحال ـ عن اللغة الأرامية واللغة العبرية، واتخاذهم اللغة العربية لغة للكتابة والانتاج الأدبى وهو ما جعل يهود البـلاد العربية يسلكون ، بالضرورة ، دوربا جديدة فتحت آفاقها الحياة الثقافية فى مصر وغيرها ، وفى مصر استخدم اليهود لغتين احداهما العربية والأخرى العبرية، والواضح أن اللغة العربية كانت هى لغة الحياة اليومية ، لأنه لم يحدث منذ

القرون المسيحية الأولى أن كانت اللغة العبرية لغة محكية ، ولذا ظلت اللغة العبرية مرتبطة الى حد كبير بالتراث الديني لدى اليهود، بيد أنه من المهم أن نلاحظ أن كثيرا من الكتابات الدينية للأحبار والعلماء اليهود في مصر كتبت باللغة العربية ··· ويشير البروفيسور « فينكلشتاين » الى أن معظم انتاج الشعراء اليهود كتب باللغة العربية ، وكذلك معظم الانتاج النثرى ، وفيما عدا بعض التعبيرات والمفردات العبرية الخاصة التى وجدت طريقها الى اللغة العربية ، ستخدم اليهود اللغة العربية حتى فى شروح التوراة ، وفي التعليق على التلمود ، وفي رأى بعض الباحثين أن السبب فى ذلك يرجع الى أن الكتابة باللغة العربية فى ذلك الوقت كانت هى الممارسة الطبيعية والأقل جهدا، كما أن اللغة فى المؤلفات العلمية ، لا تحمل مفهوما أيديولوجيا ، كما هو الحال فى الابداع الفنى مثل الشعر ، الا أننا يجب أن نضع فى اعتبارنا أن الأسباب المباشرة لتلك الظاهرة تكمن فى حقيقة تسيد اللغة العربية فى ذلك الحين من جهة ، ورغبة المؤلف فى أن ينتشر لدى جمهور عريض من القراء من جهة أخرى ، فقد كان اليهود المصريين ، شأنهم شأن المسلمين والمسيحين ، وكانت العربية لغتهم ، ومن ثم كان طبيعيا لمن يوجه كتاباته اليهم أن يكتبها باللغة العربية ، كما أن لدينا دليلا قويا على تسيد اللغة العربية بين يهود مصر فى ذلك الحين يتمثل فى وثائق الجنيزة التى كتبت باللغة العربية ولكن فى حروف عبرية !

ولا يوافق « د· قاسم عبده قاسم » (٤١) على عبارات مثل : « الشعر اليهودى » و « الأدب اليهودى » أو ما شابه ذلك من عبارات يستخدمها الكتاب والباحثون اليهود حاليا وهم يتحدثون عن اليهود الذين عاشوا فى رحاب الحضارة العربية الاسلامية فى مصر وغيرها ، فالشعر والأدب الذى كتبه اليهود المصريون فى ذلك

الزمان يعد شعرا وأدبا مصريا ، سواء من حيث لغته أو من حيث مضمونه وأغراضه ، ولا يمكن أن ننسب ثقافة الى دين ما متجاهلين حقائق التفاعل الاجتماعى والاقتصادى والفكرى التى تشكل مع البيئة والتاريخ المشترك ما نسميه الثقافة العامة للمجتمع ، فقد كان اليهود المصريون يستخدمون اللغة العربية فى معظم الأحوال ، وقد وجدوا الفرصة متاحة أمامهم فى حيوية اللغة العربية ومفرداتها الكثيرة لكى يستخدموا التعبيرات العربية فى التعبير عن المشكلات والأغراض التى فرضتها تطورات الحياة الاجتماعية فى مصر خلال تلك العصور ٠

كذلك كان عامة اليهود لا يعرفون غير اللغة الغربية، وتكشف احدى وثائق الجنيزة عن هذه الحقيقة ، والوثيقة عبارة عن خطاب مرسل من نساخ يهودى متجول الى زوجته وفى الخطاب الذى كتب بالعربية بحروف عبرية يذكر الرجل اسم من سيقرأ الخطاب ٠

ومن ناحية أخرى ، كان الخلاف المذهبى الطويل بين الفرق اليهودية المختلفة حول تفسير الكتاب المقدس قد انتج نشاطا أدبيا واسع النطاق ، بيد أن أهـــم ما يلفت النظر هو أن هذه الأعمال اللاهوتية كتبت باللغة العربية فى أغلب الأحوال وهكذا ، لم يكن لليهود المصريين « جيتو ثقافى » ، مثلما لم يكن لهم « جيتو سكنى » أو « جيتو حرفى » ٠ وانما كانوا جزءا عضويا فى كل أكبر ، هو المجتمع المصرى ٠ وفى بعض الأحيان نجد فى مصادر تلك الفترة ما يشير بوضوح الى أن العلاقات الطيبة قد قامت بين المثقفين اليهود والمسلمين ، فقد ذكر « السخاوى » أن المؤرخ الكبير « تقى الدين المقريزى » كان ملما بمذاهب أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى كان أفاضلهم يترددون عليه للاستفادة منه ٠

ولأنه لم توجد حدود صارمة تفصل اليهود ، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً عن مواطنيهم ، فانهم شاركوا فى النشاط الثقافى العام ، بل انهم درسوا القرآن الكريم ، وبذلك سلكوا كل الدروب التى أتاحتها الثقافة لعربية ، وباستثناء اللغة العبرية الحديثة ، فان اليهود لم ينتجوا أعمالا ذات قيمة سوى أثناء الفترة التى سادت فيها اللغة العربية ، وكان لتلك الأعمال صداها البعيد بين كل اليهود على الرغم من أنها كتبت باللغة العربية لأنها تناولت شروح التلمود وتفسيرات دينية أخرى !!

واذا كان ليهود مصر بعض الخصائص الثقافية التى تميزهم، فانها كانت ثقافية فرعية ـ ذات أصول دينية ـ تصب فى المجرى العام لثقافة المجتمع . والمصادر التاريخية تكشف زيف مزاعم الباحثين الاسرائيليين بأن يهود مصر « جالية أجنبية أقامت فى مصر » !! ... فعلاقة الدولة باليهود المصريين كانت منضبطة ومحكومة بالوضع القانونى لأهل الذمة داخل الدولة ، ولم يكن لليهود فى علاقتهم بالدول المصرية ـ أية خصوصية تميزهم عن غيرهم من طوائف أهل الذمة ، فالعلاقة كانت موازية لعلاقتها بغيرهم من الرعايا ولم يكن لليهود أى استثناء .. كما أن المجتمع لم يعتبر اليهود ـ جالية أجنبية ! ... بل اعتبرهم مصريين اعتنقوا الدين اليهودى ـ مارسوا سلوكيات وتفاصيل الحياة الاجتماعية المصرية ... باعتبارهم مصريين عاشوا على أرض مصر ولم يعرفوا ـ فى ذلك الزمان ـ وطنا غير مصر !!

يعقوب بن كلس :

يقودنا البحث حول وضع اليهود فى الحياة السياسية والاقتصادية فى مصر الفاطمية الى اسم يتردد تقريبا فى جميع المصادر التاريخية العربية لذلك العصر ، وهو يذكر دائما كأول

وزير للأسرة الفاطمية في مصر وهذه الشخصية هي : أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ـ أو بايجاز يعقوب بن كلس ـ وتستحق هذه الشخصية أن تكون موضوع بحث خاص ، ليس بسبب أن أعمال وانجازات رجل الدولة هذا توفر لنا رؤية فريدة لآلية العمل الادارى والاقتصادى فى أيامه فحسب ، بل لأن سيرة حياته تقدم لنا تصورا هاما للدور الذى شغله رجل يهودى خلال حكم الأسرة الفـاطمية في مصر (٤٢) ، ويمثـل يعقوب بن كلس واحـدا من الشخصيات الكبيرة ، وبرهن على قدراته وامكاناته غير العادية التى أوصلته الى شغل مناصب عظيمة الأهمية في دولة اسلامية أوقف على خدمتها جميع مواهبه التى امتلكها !

ان الحقيقة الوحيدة التى بقيت لنا فيما يتعلق بحياة يعقوب ابن كلس المبكرة هى أن أبوية كانا يهوديين وذلك بالاضافة الى أصـله البغدادى ٠

فقد ولد من أبوين يهوديين فى سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م فى بغداد ، وقد أشير اليه دوما من قبل المؤرخين العرب باسم « يهودى من بغداد » أو « اليهودى البغدادى » أو « الكاتب اليهودى (٤٣) ، وقد تلقى تعليمه الأول فى بغداد وهاجر من هناك الى بلاد الشام بمرافقـة والده فى سن مبكرة ، ولا نعرف بالضبط تاريـخ هذه الحادثة ، ومن المؤكد أنهما استقرا فى الرملة في فلسطين حيث من اللحتمل أن يعقوب شرع بالعمل هناك للمرة الأولى فى حياته ٠

وتختلف روايات المصـادر حول طبيعـة عمله ، فتبعا لابن تغرى بردى عمل هناك سمسارا ، وجاء فى مصادر أخرى أنه عمل « وكيلا للتجار » وقد جاء وصـفه بأنه كان أمينا فى تعـامله مع الصناع ، بيد أن الحظ لم يبتسم له ، وقد أخفق ، وعندما أصبح غير قادر على الوفاء بالتزاماته هرب من الرملة الى مصر ٠

ولا تسعفنا المصادر في تحديد التاريخ الصحيح لوصول يعقوب بن كلس الى مصر ، ويعتقد ابن خلكان ، أن ذلك كان سنة ٩٤٢ ـ ٩٤٣ م ، لكن هذا بعيد الاحتمال جدا ، وكل ما يمكن قوله بشكل مؤكد أن يعقوب بن كلس كان موجودا في بلاط كافور حاكم مصر في سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م ، ومن الممكن الافتراض أنه كان يعيش في مصر بضع سنوات من ذلك التاريخ ٠

ومهما يكن من أمر فقد نجح يعقوب بن كلس في توطيد مكانته في الفسطاط بعد اقامة قصيرة فيها ، وكما هو الحال في الرملة بدأ حياته هنا كتاجر ، وبهذه الصفة تمكن من الدخول بعلاقات عمل مع كافور ، حيث قام له بعدة مهام ، وهكذا تمكن من الارتقاء بسرعة الى وضع أصبح فيه من قبيل تاجر البلاط، ومن ثم أصبح يعرف باسم « تاجر كافور » (٤٤) !

وقد حصل على تصور ثمين للتنظيم الاقتصادي والمالي للبلاد وذلك من خلال المعلومات والمدفوعات التي قدمها كافور ثمنا لمصنوعات وأشياء وردها يعقوب بن كلس ، فقد جاء الدفع ليس نقدا فحسب بل على صورة حوالات على قرى وممتلكات في مصر ، ونتيجة لذلك توجب على يعقوب القيام بزيارات متوالية لهذه القرى والممتلكات ولذلك ازدادت معارفه بأخبار القرى وأوضاعها، وما لبث أن أصبح خبيرا معترفا به حول الأوضاع الزراعية ، وأصبح دوما على استعداد ـ حسبما قال المقريزي ـ لتقديم المعلومات المعتمدة عندما كان يوجه اليه سؤال حول مكان من الأمكنة أو حجم المحاصيل في منطقة من المناطق وبفضل هذه الامكانات ازدهرت أعماله وشرع في جمع الثروة ٠

ثم تنامت شهرته ، وتوطدت صلته بكافور وعمل مستشارا له ، فتنامى نفوذه حتى أن كافورا قد أصدر تعليماته الخاصة

لجميع دواوين الدولة بالامتناع عن انفاق أصغر المبالغ بدون أمر من يعقوب بن كلس ، ولقد أكد المقريزى أن كل شيء « بات يمر من بين يديه » وتتضح مكانته غير المعتادة في بلاد كافور من خلال الاحترام الذى ناله من الجميع ، حتى روى أن الحجاب والأمراء كانوا يقفون له !

التحول الى الاسـلام :

ولم تشكل اليهودية عائقا لتقدمه على طريق الشهرة، والمكانة، والنفوذ ، والاحترام ، فقد كان معروفا باسم اليهودي وظل كذلك، وقد أكد هذا كله ابن « عساكر » بعدما قام بسرد أخبار حياة ابن كلس ، وأنه ظـل متمسـكا بدينـه ولم يتزحزح عن ايمانـه بيهوديتـه (٤٥) !

ثم حدث تغير فى موقف كافور ، فبعدما جرب كافور حكمة يعقوب طويلا ، وتيقن من نزاهته ، وادراكه السياسى ، بات ميالا لجعله وزيرا له، وروى واحد من المقربين من كافور أنه سمعه يبدى اعجابه بقوله « أى وزير بين جنبية » !!

وكانت حقيقة كونه يهوديا ، على أية حال ، عائقا يقف فى سبيل وصوله الى هذا المنصب ، وروت عدة مصادر قول كافور بهذا الصـدد : ولو كان (يعقوب بن كلس) مسـلما لصلح أن يكون وزيرا (٤٦) !

ولم تخفق هذه المغريات مع ما حملته الوزارة من معان فى تاثيرها على ابن كلس ، فأعلن بنفسه عن دخوله الاسلام ، وسواء أكلف يعقوب تخليـه عن دين أبائـه كثيرا من الآلام أم لا ، فمن

المؤكد أن المصــادر نقلت عن كافور اقراره أن تحوله جـاء بسبب مطامحه الدنيوية لا بسبب قناعاته فقد « تاقت نفسه للسلطان » و « وتطلعت للوزارة » وقد أمن صعوده نحو ما طمح اليه باعتناقه للاســلام !

وتضيف المصادر تفاصيل زخرفية كثيرة لقصة تحوله الى الاسلام ، فقد قيل انه أخذ شيخا الى بيته يعلمه القرآن والفقه وبقية العلوم الاسلام ، حتى اذا جاء يوم جمعة دخل المسجد للمرة الأولى ، وأعلن عن اسلامه وأشهره ، ثم ركب يريد كافور وبصحبته عدد من الناس ، وكان كافور عظيم السرور بذلك فخلع عليه عددا من الخلع ومنحه كمية من الهدايا ، وتحدث المقريزى بأن كافور أقام له استقبالا رســميا حضره رجالات الدولة وأهلهـا لتقديم التهانى له (٤٧) !

وعلى الرغم مما أضفى على يعقوب أثر اعتناقه للاسلام وما ناله من حظوة وتقدم لدى كافور حيث رقاه الى أعلى المناصب ، فان من النتـائج الكبرى التى نجمت عن ذلك كسب العداوة الشـديدة للوزير أبى الفضل بن الفرات ، وكان لهذه العداوة نتائج واسعة جدا ، حيث أنها أرغمت يعقوب على الفرار من مصر ، مما دفعـه للاتصال بالبلاط الفاطمى بالمغرب ٠

وسيرتبط النجاح فى الاصلاح المالى والادارة المالية بشكل عام فى تاريخ مصر دوما باسم يعقوب بن كلس ، فهو الذى أرسى قواعد ادارة مالية سـليمة وفعالة ، تمكن عليها خلفـاء المعز من تكوين الآراء فى ضوء نجاحاتـه ، وقال ، س ٠ هـ ٠ بيـكر فى وصفه : عبقرية مالية ومنظم من الطراز الأول » !

وزير فى دولة العزيز :

وازدادت مكانة يعقوب بن كلس فى الدولة ثباتا بعد وفاة المعز ووصول ابنه العزيز الى الخلافة فى سنة ٩٧٦م ، فقد توسعت أعماله كمشرف ومسؤول عن الضرائب والأموال عن طريق « وضع أعمال أخرى تحت اشرافه » (٤٨) ...

ولم يتم تحديد هذه الأعمال الأخرى ، ونعرف هنا للمرة الأولى أن يعقوب بن كلس كان بالمناسبة يستشار فى مسائل السياسة الخارجية والاستراتيجية ، والاستشارات هذه المتعلقة بالقضايا الخارجية ذات أهمية خاصة ، وتشير الى زيادة رفعة شأنه ، ولاحتلاله فيما بعد للمكانة السامية فى الدولة الفاطمية بتسلمه للوزارة .

واعتمد العزيز اعتمادا مطلقا على رأى يعقوب بن كلس والتجأ الى مشورته ، وقد نصحه يعقوب باعداد حملة ضد البكتين ، وبناء عليه قاد العزيز الحملة بنفسه وعاد منتصرا والبكتين معه وهو أسير ، ونسمع أن أول أعماله أثر عودته كان تعيين يعقوب ابن كلس وزيرا .

وروت المصادر جميعا خبر تعيين يعقوب بن كلس وزيرا ، وهناك خلافات حول تحديد تاريخ التعيين ، ومرد هذه الخلافات بشكل رئيسى الى الاختلاط والمزج بين المرحلتين اللتين مرت بهما عملية تعيينه فى الوزارة : تعيينه وزيرا فى عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م نيله للقب « الوزير الأجل » فى سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م (٤٩) .

وتظهر أهمية تعيين يعقوب من خلال حقيقة أنها كانت المرة الأولى التى جرى فيها تعيين وزير من قبل الحكم الفاطمى فى مصر ،

وتلح المصادر على هذه الحقيقة من خلال قولها انه كان « أول من وزر للدولة الفاطمية فى الديار المصرية » !

ويكفينا أن نذكر عن أعماله كوزير حقيقين هامتين هما :

١ ـ تنظيم الادارة فى عدة دواوين ، وزود كل ديوان بعدد محدد من الكتاب ، أما بالنسبة لديوان الأموال فقد زود بعدد من الجهابذة ، وأقام هؤلاء الموظفون فى قصر يعقوب بن كلس ، وعملوا جميعا تحت اشراف « زمام » محدد ·

٢ ـ مؤسسة الخزائن التى كانت سـمة خاصـة بالادارة الداخلية للفاطميين ولقد قيل انه وضع فى داره عددا كبيرا من الخزائن أشرف على كل منها ناظر خاص ·

وعلى هذا تولى ادارة الدولة الفاطمية بأكملها التى تألفت فى تلك الأثناء من مصر وبلاد الشام والمغرب والمدينتين المقدستين مكة والمدينة ، فقد خضع جميع الموظفين فى هذه البلاد مع كل أعمال الدولة له !

سقوط مؤقت ·· والعودة !

جاء فى المصادر : فى سنة ٩٨٣ ـ ٩٨٤ م أمر العزيز باعتقال وزيره يعقوب ابن كلس ومصادرة أملاكه ، ونقل مبلغ ٢٠٠ر٠٠٠ دينار من دار الوزير الى الخزانة فى دار الخلافة ، وتقرأ بعد هذا ، أن يعقوب بن كلس أودع فى الاعتقال فى القلعة وأن الادارة أسندت الى خبير بن القاسم ، وذلك دون ابداء السبب (٥٠) ، ولهذا نتساءل : ما السبب لهذا العزل المفاجىء ؟ ·

ونقرأ عند ابن الأثير وابن تغـرى بردى أن القضية ارتبطت بتهمة الخيانة وتعلقت بألبتكين الثائر المعتقل من بلاد الشام ، فلقد روينا كيف أعاده العزيز معه أسيرا ، وعلى عكس جميع التوقعـات لم يتم العفو عن هذا العدو الخطير للفاطميين بل أثقل بالخلع الى حد أنه منح مكانة فى البلاط ، وأصبح من ذلك الحين من حاشية العزيز ، وعارض يعقوب بن كلس بشدة هذه المعاملة ، وبعد سنوات من التنافس بين الاثنين تمكن يعقوب بن كلس من دس السـم الى خصمه ، وغضب العزيز لهذا غضـبا شديدا ، ونظـرا لاتهـامه وزيره به ، سجنه ! (٥١) ..

وتجمع المصادر على أن سجن يعقوب قد امتـد الى أقل من شهرين ، ولم يكتف العزيز بعد هذا باعادة كل ما صـادره من يعقوب بن كلس اليه بل أضاف الى ذلك هدايا كثيرة ثمينة وخلع جديدة ، ووقع الخليفة سجلا أعلن فيه عن عودته الى مناصبه فى ادارة الحكومة ، واستمر منذ ذلك الحين يعقوب بن كلس فى تسيير أعمال العزيز بدون انقطاع حتى وفاته فى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩١ م .

ولكن لماذا أعيد الى مناصبه بهذه السرعة بعد اعتقاله ؟ يقول ابن الأثير مجيبا : « ثم وقفت أمور دولة العزيز باعتزال الوزير فخلع عليه ، وأعادة الى وزارته » ! .

النهـاية ..

تلقى العزيز نبأ وفاة يعقوب سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩١ م بعـدما خدمه ما يزيد على اثنتى عشرة سنة بحزن يعدل أهميته الحيوية لمصر ، وتتعدد الروايات التى أوردتها المصادر فيما يتعلق بمرضه ووفاته ..

وفي تاريخ الاسلام هنالك أمثلة قليلة مشابهة لمثل هذه العلاقة الشخصية الحميمة بين خليفة ووزير ، وسيد ومسود ، حيث أن شعوره أنه مغادر هذه الحياة لم يحل بينه وبين تقـــديم نصيحة ثمينة لسيدة ، وأن يبدى عواطفه نحوه ، حسبما يفعل الأصدقاء الأوفيــــــاء !

وكان س ٠ هـ بيكر ، محقا في حديثه (٥٢) عن يعقوب بن كلس من « أن الخلافة الفاطمية لم تستطع أن تجد رجلا آخر قديرا مثله واداريا خبيرا نظيرا له في السياسة الاقتصادية للبلاد ، ذلك أن الازدهار الاقتصــــادى فى وادى النيـــل فى ظل الحكم الفاطمى مرتبط باسمه » ! ٠

أثر الثقافة العربية
فى ثقافة الجماعات اليهودية

[الواقع أن اليهود ، على ضوء وثائق الجنيزه ، يتجلون شريحة صغيرة ، ولكنها هامة ، من السكان المصريين ، فقد عاشوا آمنين نسبيا ·· كما اندمجوا ، على نحو رائع ، بالبيئة من حولهم]

المؤرخ اليهودى : مارك كوهن

اذا كان لليهود بعض الخصائص الثقافية التى تميزهم ، فمن المؤكد أنها كانت ثقافة فرعية ـ ذات أصول دينية ـ نمت داخل الاطار العام لثقافة المجتمع الاسلامى ، خاصة فى العصر الوسيط ، ولقد أدى النشاط الثقافى الهائل الذى شهدته فترة اشراق الحضارة العربية الاسلامية فى ذلك العصر ، الى تخلى اليهود فى أرجاء العالم الاسلامى ـ خاصة فى مصر ـ عن اللغة الآرامية واللغة العبرية ، واتخاذهم اللغة العربية لغة للكتابة والانتاج الفكرى ·

بينما يسرف الباحثون والمؤرخون الاسرائيليون فى استخدام مصطلحات مثل : الأدب اليهودى ، الشعر اليهودى ، الثقافة اليهودية ، وهم يتحدثون عن اليهود الذين عاشوا فى رحاب الحضارة

العربية الاسلامية ·· فى محاولة لاختلاق جذور ثقافية وحضارية وتاريخيـــة ، من غيابات الأوهـام والأســاطير والتعصب الدينى والعنصرى !

لذا حاولت فى هذه الدراسة ، أن ألقى الضوء على الوجود اليهودى فى المجتمع العربى الاسلامى ــ فى مختلف عصوره ــ ومدى تأثـره بالظواهر الاجتماعية والثقافية لهـــذا المجتمع ·· ودحض ادعاءات اليهود بالتمايز الحضارى والاجتماعى والثقافى !

تســامح عربى :

قبيل الفتح الاسلامى للاندلس ، لاقت طائفة اليهود الأندلسيين عنتا ورهقا ، واضطهدت اضطهـاداً شـديدا ، فبخست أرواحهم ، وصودروا فى أموالهم وممتلكاتهم ، وفر الكثير منهم الى المغـــرب العربى ، الذى كان ينعم بعدل المسلمين ورحمتهم ، وقد استنجد بالعرب كثير من يهود الأندلس ، واستقبلوا هؤلاء الفاتحين العادلين ، كما استقبل أقبـــاط مصر ــ عمرو بن العاص ــ وما كاد يستقر للمسلمين حكم الأندلس ، حتى أمنت طائفة اليهود على حياتهـــا وحرياتها وأموالها ومعتقداتها ·

وبلغ التسامح العربى مداه نحو هذه الطائفة ، فى عصر الناصر والمنتصر بالله ، ولعل أبرز الأدلة على ذلك ، رعاية الخليفة الناصر للطبيب اليهودى الشهير « حسداى بن اسحق بن عزرا بن شيروط » حتى أنه جعله واحدا من خاصة وزرائه الذين يشاورهم فى شئونه الخاصـــة ··

وكان للثقافة العربية أثر رائع فى اللغة والآداب العبرية ، ففى ذلك العصر خاصة ، ساهمت الثقافة العربيـــة بقدر كبير فى

تطور اللغة العبرية ، بل والمحافظة عليها من الانقراض ، وقد دأب علماء اليهود الذين عاشوا فى الأقطار الاسلامية ، على وضع الكتب اللغوية على نسق المؤلفات العربية فى قواعد اللغة ، وتناولت فنون الشعر العبرى ، جميع الأغراض المعروفة فى الشعر العربى . وبدا تأثر شعراء اليهود ــ لاسيما الأندلسيين ــ واضحا بالآداب العربية ، ونسجوا على منوال ما درسوه من الاتجاهات الشعرية العربيــــة ، وصاغوا قصائدهم وفقا للأبحر الشعرية المألوفة فى اللغة العربية ، كذلك انتهجوا نفس الأساليب البلاغية العربية الشائعة ، كما قلدوهم فى نظم الأحاجى والألغاز ، وانفرد الشعراء اليهود بفن واحد هو « الحنين الى أرض الميعاد » !

ولم يؤلف اليهود كتابا علميا فى قواعد اللغة العبرية الا بعد أن تتلمذوا للعرب ، وبعد أن نشأوا فى مهد الثقافة الاسلامية ، نشأة مكنتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف أنواعها .

ويأتى على رأس الأدباء اليهــود ، الفيلسوف الشـــاعر « شلومو بن جبريول » الذى وصف بأنه سيد شعراء أهل ملتـــه فى عصره ، وقد صب شعره فى قوالب شعر عربية ، كما أنه درس جميع اتجاهات الفلسفة باللغة العربية ، حتى أنه وضع فيها بالعربية كتابه « ينبوع الحياة » وترجم هذا الكتاب الى اللاتينية ، وظـل يدرس فى معاهد أوربا حتى القرن السادس عشر ، وينسب اليه نظمه لقصـــيدة بلغت نحو الأربعمائة بيت ، ضمنها كل ما كان معروفا من قواعد العبرية التى كان يجيدها ، وقد أبدى فى كتاباته ألما وحسرة على ترك أبناء ملته لغتهم وتمسكهم باللغة العربية !

كما ظهر من أدباء اليهود « مناحم بن سروق الطرطوشى » الذى كتب فى الأدب العبرى نظما ونثرا ، منتهجا نهج الأدباء العرب ، ومن يهود الأندلس من كتب فى الرياضيات والطب وعلم الأخلاق ،

الذى برع فيه « يحيى بن يوسف بن فاقوذا » صاحب كتاب « الهداية » الذى يدعو فيه الى اصلاح الحكم والأخلاق ، وقد تأثر فى هذا بكتابات الامام « أبى حامد الغزالى » ٠٠ ومنهم سليمان بن زقبيل » الذى حاكى الحريرى فى مقاماته ٠

ومن الشعراء العبرانيين الذين تأثروا بالشعر الأندلسى فى تراكيبه وأغراضه ، شاعر غرناطه « موسى بن عزرا » الذى برع فى فنون الشعر وقصص الحب ، وتناول فى شعره وصف مجالس اللهو والخمر وتباريح الهوى والغزل ، متأثرا تماما بالبيئة الأندلسية وشعرائها ، كما أن له عدة مؤلفات فى الفلسفة ، وهو صاحب المؤلف المشهور « المحاضرة والمذاكرة » فى تاريخ النظم والنثر فى اللسانين العربى والعبرى ، والموازنة بينهما فى اللغتين ، كما برع موسى بن عزرا و « الحريزى » فى فن النقد الأدبى ٠

و أمير الشعر العبرى هو « يهوذا هاليفى » الملقب بـ « أبى الحسن اللاوى » ويعد أيضا من كبار فلاسفة اليهود ، وله كتاب مشهور فى الفلسفة الدينية بعنوان : « الخوزرى » ألفه بالعربية ثم ترجم الى العبرية ٠

ومنهم « ابراهام بن عزرا » الذى قضى شطر حياته الأول فى قرطبه ــ ساحة العلم والأدب ــ حيث درس أصول الدين والحكمة ٠ ثم « يهودا بن داود حيوج » المعروف عند العرب بـ « أبى زكريا يحيى » و « يونا بن جناح » القرطبى المعروف بأبى الوليد ، اللذين سلكا أيضا مسلك النحاة العرب ــ خاصة النحوى الكبير سيبويه ــ ونظرة سريعة فى كتابى « الأصول » و « اللمع » لابن جناح ، تطلعنا على مقدار ما للعرب من فضل على اليهود ٠

وقد نقل اليهود الى لغتهم الكثير من العلوم الاسلامية ، كالتوحيد والطب والفلسفة وغيرها ، مثل مؤلفات « ابن سينا » وكتاب « تهافت التهافت » للامام الغزالى ، وكتاب « تهافت الفلاسفة » لابن رشد ، مما كان له أبلغ الأثر فى تهذيب العقيدة اليهودية فيما يتعلق بالذات الالهية وصفاتها ٠

ومن المناسب أن نعرض لآراء البروفيسور « دافيد يالين » أستاذ الأدب العبرى فى العصر الأندلسى ، بالجامعة العبرية بالقدس .. فى كتابه « فن الشعر الأندلسى » ٠٠ حيث يقول :

« لقد كان العصر الأندلسى ـ عصرا زاهرا ـ فى الأدب العبرى ٠ وهو العصر الذهبى الثانى للأدب العبرى ٠ اذ كان العصر الذهبى الأول هو عصر الكتاب المقدس ٠٠ ومما يؤسف له ، أن ذلك الشعر الأندلسى الجميل قد كاد يندثر ، ومنذ جلائنا عن الأندلس ، عشنا فى أقطار شتى ، وتأثرنا بآداب متنوعة ، وتبدلت أذواقنا تبدلا تاما بالنسبة للجمال وتذوقه ٠٠ اتخذ شعراؤنا من الشعر العربى ـ فى ذلك العهد ـ نموذجا ينسجون على منواله ، وكان الشعر العربى قد بلغ الأوج فى الازدهار والابداع ، ان جمال الطبيعة فى بلاد الأندلس ، وازدهار الأدب العربى ، والتقدم العلمى فى جميع الميادين ، كان له بالطبع تأثيره القوى على اليهود ، الذين كانوا ينعمون آنذاك تحت ظلال الحكم العربى ، ومنذ بدء القرن العاشر الميلادى ـ أى منذ انتقل مركز التوراه من العراق الى الأندلس ـ كان العلماء والأدباء والشعراء اليهود ينهلون من الثقافة العربية ، التى كانت تمثل ـ وقتئذ ـ ينبوعا للثقافة والتفكير اليهودى » ٠

أهمية وثائق الجنيزة :

هى عبارة عن مخطوطات عبرية ، ومخطوطات عربية كتبت بحروف عبرية ، وأخرى بالعبرية القديمة والآرامية ، عثر عليها فى

الفسطاط ، وبالتحديد فى معبد « بن عزرا » ومقابر اليهود فى البساتين ، وتبرز أهمية هذه الوثائق فى الدلالة على أن هذه المنطقة كانت تمثل « مركزا روحيا كبيرا » ليهود ذلك العصر ، ويرجع تاريخ وثائق الجنيزه الى عصور الفاطميين والأيوبيين وعصر سلاطين المماليك ٠

وبالاضافة الى اعتبار هذه الوثائق : سجلا تاريخيا تلقائيا لأوضاع المجتمع اليهودى فى تلك العصور ، فانها أيضا تكشف عن جوانب التأثير التى أحدثها الفقه الاسلامى ، والفكر الاسلامى فى الديانة اليهودية ، الى حد ظهور فرقة جديدة تحمل اسم « اليهود القرائين » تأثرت فى نشأتها وأفكارها بفكر المعتزله !

فى فترة ما قبل عصر الدولة الفاطمية فى مصر ، كان فى تاريخ يهود مصر شخصيتان بارزتان ، تشهد مكانتهما العلمية على أن الطائفة اليهودية فى مصر – فى القرن التاسع الميلادى – قد عاشت مناخا يسوده التسامح ، وفر لها قدرا من النشاط وتحصيل العلوم ، الأول هو : الطبيب الفيلسوف « اسحق بن السموأل » الذى هاجر من مصر الى القيروان عام ٩٠٠ م ، حيث عمل طبيبا فى بلاط حكام المغرب من الفاطميين ٠

والثانى هو الفيلسوف واللغوى الشهير « سعيد (سعديا) ابن يوسف الفيومى ، الذى ولد بالفيوم ، ويعتبره اليهود أبا النحو العبرى ، حيث كان أول النحاه العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبرى ، على غرار قواعد اللغة العربية فى كتابه : « المجموعة » كما ألف كتابين آخرين : اللغة العبرية ، وكتاب الفصاحة ، وقد أخذ الكثير من العلوم الاسلامية وتأثر بمذهب المعتزلة ، وفى كتابه « بستان العقول » نلمس بوضوح أثر الفقه الفاطمى ، كما أخذ عن الكرمانى مؤلف كتاب « راحة العقل » ٠

وقد عظم شأن سعديا حتى أصبح من أشهر رؤساء معاهد العراق ، وكان قبيل رحيله الى العراق ، قد أمضى عدة سنوات فى فلسطين ، وتولى رئاسة معهد « سورا » بالعراق ٠

عصر الدولة الفاطمية :

انتزعت القاهرة الفاطمية مكانة بغداد ، وأصبحت بفضل سياستها الاقتصادية المنفتحة والمتسامحة ـ كما يشير مارك كوهن ـ أكثر مفترقات الطرق التجارية نشاطا فى العالم الاسلامى ، فى هذه الظروف ، سرعان ما وجد يهود مصر أنفسهم ـ وقد توافد اليهم المهاجرون اليهود فى أعقاب الفتح الفاطمى ـ فى مكانة متميزة ٠

اسمان يهوديان برزا فى العصر الفاطمى : « يعقوب بن كلس » الذى أشهر اسلامه عندما كان مستشارا لكافور الأخشيدى ، أملا فى تقلد منصب الوزارة ، ثم تقرب الى الخليفة المعز لدين الله ، الى أن قلده العزيز بالله بن المعز منصب الوزارة عام ٩٧٧ م ٠

والثانى : « بلطيال بن شفطيا » وكان معاصرا لابن كلس ، وطبيبا فى بلاط الخليفة المعز ، عظم شأنه حتى تزعم الطائفة اليهودية فى مصر ٠

وتذهب بعض الآراء ، الى أن الفاطميين باعتبارهم أقلية شيعية فرضت سلطانها على الأكثرية السنية ، فمن الجائز أنهم قد استخدموا الكتاب والأطباء اليهود لضمان ولاءهم للحكم ، لكن من الواضح ، أن عصر الدولة الفاطمية كان بالنسبة لليهود فى مصر « فترة اندماج حقيقى فى الحياة السياسية العامة للدولة » مما حدا بالشاعر المصرى « الحسن بن خاقان » الى السخرية من سياسة الفاطميين قائلا :

يهود هذا الزمان قد بلغـوا غـاية آمالهـم وقد ملكوا
العز فيهم ، والمـال عندهمو ومنهـم المستشـار والملك
يا أهـل مصر انى نصحت لكم تهـودوا ، قد تهـود الفلك !

الدولة الأيوبية وعصر سلاطين المماليك :

شهدت الفترة ما بـين القرن الثـانى عشر ومنتصف القـرن الرابع عشر ، ازدهارا ثقافيا لليهود المصريين ، كان بداية هذه النهضة الثقافية حوالى عام ١١٦٥ م ، عندما رحل الى مصر «موسى بن ميمون» أشهر شخصية يهودية نبغت فى ظل الحضارة الاسلامية ، حاملا معه تراثا ثقافيا أندلسيا ، وقد تلقى علومه بجامعة القرويين فى فاس قبل هجرته الى مصر ، وأفكاره الفلسفية تشهد بمكانته العلمية ، وقد أنشأ فى مصر « سلالة من الأدباء والعلماء » هيمنوا أيضا على زعامة الطائفة ٠

تولى بن ميمون منصب « رئيس اليهود » عام ١١٧١ م مع استقلال صلاح الدين بمصر وتأسيس الدولة الأيوبية ، وظل فى منصبه حتى عام ١١٧٧ م ، ثم تولاه مرة أخرى فى الفترة ١١٩٥ ــ ١٢٠٤ م ، كما اشتهر كطبيب خاص لصلاح الدين ٠٠ وقد تأثر فى كتاباته الطبيه بمؤلفات ابن سينا والرازى ، وأشهر مؤلفاته كتاب «دلالة الحائرين» الذى أتم تأليفه باللغة العربية عام ١١٩٥ م ، ثم ترجم الى العبرية بعد ذلك كتاب « قواعد الشريعة اليهودية » ٠

وتشير كتابات بن ميمون الى ممارسة بعض اليهود للصوفية على النمط الاسلامى ، وقد تأسست حلقة صوفية يهودية بالقاهرة ، وأخرى بالاسكندرية ، ضمتا جماعة من وجهاء اليهود : أطباء ، قضاة ، علماء ، موظفون ٠

وقد مارس « ابراهم بن موسى بن ميمون » ورفاقه طقوسا مماثلة للتصوف الاسلامي ، وأكثروا من الصيام ، وأضافوا احناء الرؤوس والسجود في صلواتهم ، وحذا ابراهم حذو أبيه ـ موسى بن ميمون ـ الذى اتبع سلوكا اسلاميا تقشفيا فى اقامة الشعائر بالمعابد ، وقد حاول ابراهم نشر هذه الطقوس بين الطائفة ·· غير أن بعض وجهاء اليهود شكوه الى السلطات الأيوبية ، لمحاولته ادخال « البدع » الى الديانة اليهودية ! ·· وقد رد عليهم بدفاع أدبى قوى فى كتـــاب « الزهد » الذى ألفه باللغة العربية ، ومن مؤلفاته أيضا : « تفسير المشناه » باللغة العربية عام ١١٦٨ م و « المشناه توراه » بالعبرية عام ١١٨٠ م ، كما تضمن كتابه « كفاية العابدين » باللغة العربية ، آراؤه فى التصوف اليهودى وبرنامجا للخاصـــة من المتصـــوفين اليهود !

وقد ورث ابراهم منصب أبيه باعتباره السلطة التلمودية الأولى، وترأس النجيد « داود بن ابراهـم بن ميمون » معهـــد الفسطاط ، وتنسب اليه مجموعة من المواعظ ، وشرح لجزء « الآباء » من المشناه و « تحرير نبوءة الطفل نحمان » ·· كما ألف شقيقه « عوبديا بن ابراهم بن ميمون » رسالة شبه صوفية بعنوان « المقالة الحوضية » وكانت كتاباته تحاول اضفاء الاحترام الفكرى على التصوف اليهودى ·· ويبدو أن ازدهار التصوف الاسلامى فى مصر قد شكل محطة على طريق كثير من اليهود الى اعتناق الاســلام ، ومن بعض نصوص الجنيزه ، يتضح لنا أن اعتناق اليهود للدين الاسلامى ، لم يكن حدثا غريبا فى حياة الطائفة اليهودية ·

كذلك وضع النجيد « يهوشع بن ابراهم بن داود » مجموعة « الفتاوى الشرعية » كما كتب ابنه داود رسالة بالعربية عن المكاييل والمقاييس فى التوراه والتلمود ، وكان الشاعر « يوسف بن تنحوم هيروشلمى » آخر من كتب الشعر باللغة العربية ، وقد عاش فى رعاية

أسرة ابن ميمون ، كما كان والده عالما فى اللغة وتفسير التوراه ، كذلك دون عدد من الأطباء اليهود المصريين ـ خلال القرن الثالث عشر الميلادى ـ رسائل فى الطب والعقاقير .

وقد عرض « ابا ايبان » وزير الخارجية الاسرائيلى الأسبق ، الى تجربة اليهود فى الأندلس والمغرب ، فى كتابه « My People » الذى أقر فيه بازدهار اليهود اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا فى ظل الحكم العربى ، فيقول :

« شهدت الطوائف اليهودية فى أسبانيا والشمال الافريقى ، ازدهارا فى جميع مجالات الابداع على مدى قرنين من الزمان ـ فى أقل تقدير ـ تحت ظل الوصاية العربية .. هذا الازدهار لم يتحقق من قبل على مدار تاريخ الشتات الذى تعرض له اليهود ! » .

وثائق جنيزه القــاهرة

الدراسة التاريخية ، أو الاجتماعية ، أو اللغوية ، لعصر ما ، لابد من ان تعتمد على المخطوطات والوثائق • فهى أصدق تعبير عن العصر الذى كتبت فيه ، فالى جـانب الأهمية البـــالغة لوثائق الجنيزه ، بالنسبة الى تاريخ يهود العالم العربى ، فانها تشكل دورا هاما ، أيضا ، فى دراسة التاريخ الاسلامى عامة ، وفى مصر بشكل خــاص •

والجنيزه مصطلح حديث أطلق على الوثائق والمخطوطات التى كنزها اليهود فى العصور الوسطى ، فى معبد « بن عزرا » بالفسطاط ، الخاص بطائفة اليهود ارلبانيين ، ومقابر اليهود فى حى البساتين • ولهذا أطلق على هذه المجموعة اسم « غنيزه القاهرة » •

وتعنى الجنيزه ، لغويا ، المخبأ ، أو مكان الدفن • فهى قريبة من الكلمة العربية التى تعنى الموكب المشيع للميت • أما فى تقاليد اليهودية ، فيطلق اسم الجنيزه على مستودع الأوراق البالية من الكتابات اليهودية المقدسة ، التى لا يجوز ابادتها ، حتى وان لم تعد تستعمل ، وذلك لما يفترض من ورود اسم الله فى ثناياها • وعليه ، فقد جرت العادة على خزن هذه الكتب البالية وقصاصات الورق ، « مؤقتا » ، فى مكان محدد فى المعبد ، ثم يتم ، من حين الى آخر ، تفريغ هذا المكان من محتوياته ، لتنقل ، عادة ، الى المقبرة ، حيث

تدفن نهائيا · ويطلق اسم « غرفة الجنيزه » على المستودع المؤقت في المعبد ، وكذلك على المدفن الدائم في المقبرة ·

Cohen, Mark R. ; *Jewish life in Medieval Egypt,* 641-1382, : Tel-Aviv University, 1987, p. 91.

ومعبد « بن عزرا » ، الذى اكتشفت فيه مخطوطات الجنيزه ، كان يعرف باسم معبد الياهو ، ويعرف ، أيضا ، بقصر الشمع · ويزعم بعض الروايات اليهودية ان النبي الياهو (ايليا) قد تجلى ذات مرة للمتعبدين هناك · ويعتبر اليهود المصريون موقع ذلك المعبد مكانا مقدسا ، حيث يزعمون ان النبي موسى صلى الى الله في هذا المكان ، ودعاه ان يرفع عن المصريين الطاعون الذى ابتلاهم به ·

وتعتبر محتويات غرفة الجنيزه في معبد « بن عزرا » ، أخطر ، وأهم ، مخطوطات الجنيزه على الاطلاق ، وهي ملحقة بأعلى المعبد (في نهاية بهو النساء) ، وتبلغ قياساتها ٥ × ٢.٢ × ٥ × ٥ر٢ م ، وليس لها مدخل سوى نافذة عالية يمكن الوصول اليها من على السلم فقط ، حيث كان على يهود ذلك العصر الصعود لالقاء أوراقهم من تلك النافذة الى داخل الغرفة ·

وأول من علم بوجود الجنيزه في الفسطاط ، كان الرحالة اليهودى سيمون فون جلورن الذى زار المعبد (وكان مازال يدعى كنيس ، أو معبد ، الياهو) في سنة ١٧٥٢ ، وألقى نظرة على الجنيزه ، كما ذكر في يومياته (المصدر نفسه) ·

ثم تمكن اليهودى الروسى ابراهام فيركوفتش (١٧٨٦ – ١٨٧٤) من الحصول على بضعة آلاف من تلك المخطوطات ، التى استقرت في المكتبة العامة في سانت بطرسبرج (لينينغراد حاليا) ·

وفى العام ١٨٨٨ ، قام اليهودى البريطانى الكان ادلر بزيارة المعبد ، ولكنه لم يتمكن من اكتشاف حجرة الجنيزه · غير أنه عاد ، مرة أخرى ، فى العام ١٨٩٦ ، حيث قاده الحاخام الأكبر للقاهرة الى حجرة الجنيزه ذاتها ، فكان أول أوروبى يمنح هذا الامتياز ، حيث سمح له بالدخول عبر النافذة ، ليقضى نحو أربع ســاعات داخل الحجرة ، ثم يخرج ببضعة آلاف أخرى من وثائق الجنيزه ، لتكون مجموعات تحمل اسمه فى مكتبة السمنار اليثولوجى اليهودى فى نيويورك Cassuto, David ; « A Selection of Synagogues in Old Cairo », B.L.A.C.C., No. 10, 1988, p. 9).

بعد شهور قليلة من زيارة ادلر الثانية ، والناجحة ، عرضت على أستاذ العلوم اليهودية ، فى جامعة كمبريدج ، سالومون شختر ، بعض المخطوطات العبرية ، التى حصلت عليها شقيقتان مسيحيتان من اسكتلندا ، ابتاعتــاها من تاجر عاديات بالقــاهرة ، وسرعان ما اكتشف شيختر ان تلك المخطوطات تحتوى على جزء من النسخة الأصلية لكتاب « حكمة ابن سيرا » الذى يضم شروحا للتوراة ، وكان معروفا من خلال ترجمته اليونانية فقط ، فقرر الرحيل الى القاهرة ، فى كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٦ ، مزودا بالدعم المالى من صديقه مدير كلية القديس جون ، فى كمبريدج ، تشارلز تايلور ، وبرسائل توصية الى زعماء الطائفة اليهودية فى القاهرة من الحاخام الأكبر فى انكلترا وتمكن شختر من اســتخلاص مئــة وأربعين ألف ورقة ، وضعت فى صناديق ، وأرسلت الى بريطانيا ، لتكون أكبر وأهم مجموعة جنيزه فى العالم ، تحت اسم « Taylor-Schecter » فى مكتبة جامعة كمبريدج · وباقى مجموعات وثائق الجنيزه موزع على مكتبات:

نيويورك ، وواشنطن ، وفيلادلفيا ، واكسفورد ، ولنـدن ، ومانشستر ، وباريس ، وميونيخ ، وفيينا ، وبودابست ، ولينينغراد ، والقدس Cohen, Mark R. ; « The Geniza Documents of Cairo a Source for Egyption History », B.L.A.C.C., No. 2, 1983, p. 5

وفى مقابر البساتين ، اكتشفت مجموعة أخـرى بلغت نحو أربعة آلاف مخطوطة ، العام ١٩١١ ـ ١٩١٢ ، بفضل جهود اليهودى المصرى ، جاك موصيرى ، ودعمه لبعض الباحثين الأوروبيين ، وهى مستقرة ، الآن ، فى الجامعة العبرية ، فى القدس ، تحت اسـم « مجموعة موصيرى » ٠

ومما لاشك فيه ، ان دراسة التاريخ اليهودى قد أفادت كثيرا من وثائق الجنيزه ، التى ترجع الى الفترة الممتدة من عصر الدولة الفاطمية حتى عصر الدولة الايوبية ، أى من نهايات القرن العاشر الميلادى حتى أواسط القرن الثالث عشر ، وتوجد وثائق ، أيضا ، من العصرين ، المملوكى والعثمانى ، بل ان هناك ، أيضا ، بعض الرسـائل ، والوثائق . يرجـع تاريخهـا الى منتصف القـرن التاسع عشر ٠

وتؤكد وثائق الجنيزه ان اليهود لم يختلفوا كثيرا فى مصر والدول المجاورة لها ، فى العصور الوسطى ، عن جيرانهم المسلمين فى أنشطتهم الاقتصادية ، وعاداتهم الاجتماعية ٠ ولذا ، فهى تعد مصدرا ممتازا لتاريخ العالم الاسلامى الاقتصادى ، والاجتماعى ، فى تلك الحقبة Norman, Golb ; Sixty Years of Geniza Research, 1957, (p. 16 ، حيث نتعرف منها على نظم التجارة وأحوالها بين دول البحر المتوسط الاسلامية والهند ، بجانب الموارد الماليـة ، والصناعية ، والبضائع ، والأسعار ، والرحلات البحرية ٠

وتنقسم وثائق الجنيزه الى ثلاثة أقسام لغوية : الأول بالعبرية ، والثانى بالعربية المكتوبة بالعبرية ، والثالث بالآرامية ٠ وتنقسم ، من حيث الموضـــــوعات ، الى نوعين : المصـــادر الأدبية ، والمصادر الوثائقية ٠ المصادر الأدبية تشكل الجزء الأكبر من هذه المخطوطات ، وتشمل : الصلوات والشعر الدينى وصفحات من التوراة على لفائف الورق ، أو البردى ، أو ترجمات للتوراة الى اليونانية ، وقصص نثرية ، والمشناه ، والتلمود ، ومؤلفات فى التنجيم والفلســـفة والطب ، وتعاويذ ، ونصوص سحرية ، ورسائل اخوانية ٠ أما النوع الثانى ، الوثائقى ، فقد توسع يهود مصر كثيرا فى تفسيرهم لتحريم ابادة الأوراق المكتوبة ، حيث اختزنوا أوراقا كثيرة ، لا تحمـــل شيئا من التقديس ، فتضمنت مذكرات للمفكرين والتجار اليهود ، حوت معلومات عن الأوضاع السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، عن المجتمع الاسلامى ، كما تضمنت ملفات المحاكم : عقود الزواج ، وثائق الطلاق ، الوصايا ، صفقات بيع وشراء ، وفواتير حساب ، وتعهدات عتق عبيد واماء ، وابراء ، وخطابات رسمية الى السلطات ، وتقارير ، وشكاوى ، والتماسات ، ورسائل خاصة بجمع تبرعات من اليهود لأعمال الخير ، كعتق جارية يهودية ، أو تقديم فدية ليهود تعرضوا للأسر فى أثناء السفر فى البحر ٠٠ كما عثر على مؤلفات بعض المسلمين باللغة العربية ، وبعضها بالأحرف العبرية ، مما يؤكد شغف اليهود بأدب الدولة الاسلامية التى عاشوا بين ظهرانيها ، فظهر أثر ذلك فى كثير من انتاجهم الأدبى ذاته ، كذلك عثر على وثيقة يهودية عبارة عن قائمة بجهاز عروس ، تلقى الضـــوء على جانب من الأوضاع الاجتماعية والاقتصـــادية بشكل عـام ، حيث أوردت هذه الوثيقة اشياء من شوار العروس بقيمتها المالية ، وترسم صورة للملابس والحلى التى استعملتها النساء فى ذلك العصر ،

جوانب كثيرة من الحضارة المادية تتجلى من خلال هذا النوع من الوثائق .

وتشمل جنيزه القاهرة ، أيضا ، ما يسمى بـ « البيوط » . ويعنى هذا المصطلح الشعر الدينى ، أو تلاوة التوراة باسلوب شعرى . وقد ارتبط هذا الشعر ، أو البيوط ، بيوم التاسع من آب (أغسطس) ، الذى يصوم فيه اليهود . وتتحدث هذه الأشعار الدينية عن كائنات تشبه الملائكة تتدخل وتشن حربا شعواء لا تبقى ولا تذر أحدا من أعداء الرب . وهذه الملائكة تظهر حينما يعلن شالتئيل عن قدرته على تحقيق الخلاص ، واعادة بناء الهيكل ، فيثيرون القلاقل فى جميع الأمم ، وتحل المجاعات ، وتهب العواصف والأعاصير ، ويسيل دم الأعداء كجداول الأنهار ، ويلقى الآلاف حتفهم من هول مايرون ! .

هذه المخططات ، أو التصورات ، اليهودية القديمة ليوم الخلاص وتدخل الرب وملائكته ضد الأمم المجاورة من أعداء الرب واعادة بناء هيكل سليمان وقيام مملكة لليهود ، يعطينا تصورا وتحليلا لما تقوم به ، حاليا ، الدولة الصهيونية ، واستشرافا لما تنوى القيام به مستقبلا !

وترجع أهمية هذه المخطوطات الى أمرين أساسيين :

الأول تلك السماحة الاسلامية العظيمة التى تمتع بها الذميون عامة ، واليهود منهم فى العالم الاسلامى ، الأمر الذى فتح لهم الأبواب للاشتغال بالأعمال الثقافية ، والمهن العلمية ، كالطب والصيدلة ، والاقتراب ، عن طريق ذلك ، من دوائر الحكام المسلمين ، على غرار الحاخام موسى بن ميمون الذى كان طبيبا ومستشارا خاصا لصلاح الدين الأيوبى ابان الحروب الصليبية ، مما يعنى انه قد شاهد

أمورا كثيرة تتصل بتاريخ تلك الحروب من داخل خيمة البطـــل الاسلامى صلاح الدين · ومن هنا تبدو أهمية المخطوطات فى الكشف عن التاريخ الاجتماعى ، والسياسى ، للعالم العربى ، والاسلامى ، فقد عثر فى جنيزه القاهرة على أوراق عديدة بقلم موسى بن ميمون ، نشر بعضها ، وما زال البعض الآخـــر طى الكتمان فى جامعـــة كمبريدج (*) ·

الثانى الذى يجعل لهذه الوثائق أهمية تاريخية ، هو ان طريق التجارة عبر شبه الجزيرة العربية الى الهند ، سواء بالبحر أو بالبر ، كان هو الطريق الذى يسلكه التجار اليهود ضمن قوافل التجارة الكبيرة · ومن هنا ، فان سجلاتهم التجارية ، ومذكراتهم حول مشاهداتهم عن حياة شبه الجزيرة ومنطقة الخليج ، تمثل سجلا تاريخيا تلقائيا للأوضاع العامة فى تلك المناطق · واذا أضفنا الى ذلك ان هؤلاء التجار ، حين عودتهم الى مصر ، قاموا بنقل البضائع الى المغرب وفى نطاق حوض البحر المتوسط ، فانه يمكننا ان نتصور المدى الجغرافى الذى تغطيه هذه الوثائق ، وتكشف عن طبيعـــة الحيـــاة فيه (**) ·

كما ان هذه الوثائق تكشف عن جوانب التأثير التى أحدثها الفقه الاسلامى والفكر الاسلامى فى الديانة اليهودية ، الى حد ظهور فرقة يهودية جديدة تحمل اسم « اليهود القرائين » ، تأثرت ، فى نشأتها وأفكارها ، بفكر المعتزلة ، بدأت فى العراق ، ثم انتقل مركزها الى مصر ·

(★) د· ابراهيم البحراوى ، « استراتيجية الاختراق الفكرى الصهيونى فى اطار المعاهدة المصرية الاسرائيلية » ، شئون فلسطينية ، العدد ١٨٤ ، تموز (يوليو) ١٩٨٨ ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ·

(★★) المصدر نفسه ·

ونظرا الى أهمية هذه الوثائق ، فقد أولاها العلماء اليهود اهتماما خاصا ، وكان على رأســـهم العالم الأميركى ، صاموئيـــل د٠ جويتين ، الذى كتب سلسلة طويلة من الدراسات الخاصة بتلك الوثائق ، ضمنها فى مؤلف ضخم تحت عنــوان « مجتمع البحـــر المتوســـط ، الطوائف اليهودية كما تبدو من خلال وثائق جنيزه القاهرة »

Goitein, S.D. ; A *Mediterranean Society ; The Jewish Communities as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza,* California : University of California Press, 1983, Vol. 4

وقد سبقتها الدراسة التى أعدها يعقوب مان تحت عنــوان « اليهود فى مصر وفلسطين تحت حكم الخلفاء الفاطميين » ، ثم دراستان لموشى جيل عن « الأوقاف اليهودية والمؤسسات الخيرية اليهودية » ، ودراسة حاييم شاكد تحت عنوان « بيبليوجرافيــة مقترحـــة عن وثائق الجنيزه » Shaked, H. ; A Tentative Bibliography of the Geniza Documents, Paris : 1964

كما قدم العالم اليهودى الأميركى مارك كوهين محاضرة فى المركز الاكاديمى الاسرائيلى ، فى القاهرة ، العام ١٩٨٢ ، بعنوان « وثائق جنيزه القاهرة مصدر للتاريخ المصرى » ٠ وقد نشر المركز ، فى مجلته الدورية ، ملخصـــا وافيـــا لهذه المحاضرة بالعنوان ذاته

Bulletin of the Israeli Academic
Center in Cairo, No. 3. 1983/1984

بعد معاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية ، لوحظ ان الوفود الاسرائيلية ، التى تدافعت الى القاهرة ، بدأت مواصـــلة عمليات النهب لما تبقى من وثائق الجنيزه فى معبد « بن عزرا » ومقابر اليهود فى حى البساتين ، وهى التى منحها لهم مؤسس الدولة الطولونية ،

أحمد بن طولون ، فى القرن التاسع الميلادى · ومنذ ذلك العصر وهى تستخدم لدفن وثائق الجنيزه فى أحواشها ·

وفى العام ١٩٨١ ، تقدمت وحدة البحوث الاسرائيلية ، فى جامعة عين شمس ، برئاسة د · ابراهيم البحراوى ، ببحث تحت عنوان « حماية المخطوطات اليهودية المصرية من النهب والتهريب » · وقد تضمنت مقدمة مشروع البحث ملاحظات عدة حول عمليات النهب الجارية ، وأوصت بتكوين فريق بحث يتولى استخدام هذه الوثائق ، وحفظها ، وفهرستها علميا ، لتحقيق هدفين :

١ ـ منع احتمالات تزييف التاريخ من جانب المستشرقين والباحثين اليهود ، الذين يخضعون كل ما يتعلق بتاريخهم وثقافتهم للتوظيف السياسى ، الذى لا تخفى مآربه ، بالاضـــافة الى انهـم اذا ما امتلكوا الوثائق حجبوا ما هو حجـــة عليهم ، وروجـوا لما يناسبهم ، بالتغيير والتبديل فى حقائق التاريخ ·

٢ ـ المحافظة على المخطوطات المدفونة فى مقابر البساتين ، قبل ان تمتد اليها يد العبث والنهب ، وحتى لا يكون مصيرهـا التهريب الى خارج مصر ، كما حدث لمجموعتى كمبريدج وفيينا · غير ان اسرائيل أدركت ان المشروع المصرى يقطع الطريق على عمليات النهب والتهريب الجارية لوثائق الجنيزه ، فســارع مدير المركز الأكاديمى الاسرائيلى ، آنذاك ، فى القاهرة ، والسفير الاسرائيلى الأسبق فى القاهرة ، د· شيمون شامير ، الى صـــوغ مشروع بحث مماثل قام بتقديمه الى هيئة الآثار المصرية باســم مارك كوهين ، الأستاذ فى جامعة برنستون الأمريكية · وبعد ان أصدر قرار اللجنة الدائمة للآثار بمنح امتياز المشروع لجامعة عين شمس ، لجأ الجانب الاسرائيلى الى سلاح الضغط بالطوائف اليهودية الأميركية ومراوغات مجلس الطائفة اليهودية فى القاهرة ، وتدخلات الحاخام الأكبر

الاسرائيلى ، الذى جاء فى فتواه : « ·· ممنوع اخراج أى سفر ، أو شيء جنزى ، وفقا للشريعة ، الا اذا كان هناك سبب معقول » !

وعليه ، ظل المشروع مجمدا ، ليصبح مثلا صارخا لمحاولات التدخل الاسرائيلى فى بحوث جامعات مصر ، على الرغم من الجهود التى بذلت لوضعه فى حيز التنفيذ ، للحفاظ على الثروة المصرية من النهب ، وحفظ حقوق الاختيار السياسى للباحث المصرى ·

الهـــــوامش

(١) M. Cohen : Jewish life in Medieval Egypt 641-1382, p. 30, Tel Aviv 1987.

(٢) S. Goitein : Mediterranean Society Vol. II, p. 356.

(٣) M. Cohen : Jewish Self-Government in Medieval Egypt, Princeton, 1980.

(٤) S. Goitein : Op. cit., p. 23-25.

(٥) M. Cohen : Jewish life —, p. 31.

(٦) S. Goitein : Op. cit., p. 68-72.

(٧) M. Friedman : Jewish Marriage in Palestine A Cairo Geniza Study Vol I, pp. 21-25.

(٨) M. Cohen : Op. cit., p. 32.

(٩) M. Cohen : op. cit., p. 33.

(١٠) M. Cohen : Jewsh Self Gov, p. 255.

(١١) S. Goitein : Op. cit., pp. 72-75.

(١٢) Mann : Jews in Egypt and Palestine, pp. 19-26.

(١٣) M. Cohen : Jewish Life ..., p. 36.

(١٤) M. Cohen : Op. cit., p. 37.

(١٥) Idem, p. 37.

(١٦) S. Goitein : Op. cit., p. 76.

(١٧) M. Cohen : Op. cit., p. 39.

(١٨) Idem, p. 40.

(١٩) Idem. p. 42.

(٢٠) S. Goitein : Journal of Jewish Studies, Vol. 12, p. 155-158.

(٢١) S. Goitein : Mediterranean Society, Vol. II, p. 72-75

(٢٢) M. Cohen : Op. cit., p. 43.

(٢٣) E. Ashtor : Some Features of the Jewish Communities in Medieval Egypt, Zion 3, 1965, p. 129.

(٢٤) S. Goitein : Op. cit., p. 76-77.

(٢٥) Idem, p. 79.

(٢٦) M. Cohen : op. cit., p. 44.

(٢٧) E. Ashtor : Op. cit., p. 130.

(٢٨) S. Goitein : Ha-Yishuv be-eres Yisrael, Jerusalem 1980. pp. 109-111.

(٢٩) M. Cohen : Op. cit., p. 46-47.

(٣٠) M. Cohen : Op. cit., p. 47.

(٣١) S. Goitein : Ha-Yishuv ..., p. 78.

(٣٢) M. Cohen : Op. cit., p. 49.

(٣٣) S. Goitein : Medit-Society, Vol II, p. 86.

(٣٤) M. Cohen : Op. cit., p. 50.

(٣٥) E. Ashtor : Op. cit., p. 132.

(٣٦) M. Cohen : Op. cit., p. 51.

(٣٧) S. Goitein : Op. cit., p. 88.

(٣٨) M. Cohen ; Op. cit., p. 53.

(٣٩) S. Goitein : Op. cit., p. 96.

(٤٠) M. Cohen : Jewish Self ..., pp. 255-259.

(٤١) د. قاسم عبده : « اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى » ص ٧٦ ـ ٧٧ القاهرة ، ١٩٨٧ .

(٤٢) W. J. Fischel : Jews in the Economic and Political life of Medieval Islam, New York, p. 70.

(٤٣) ابن خلكان : جـ ٢ ، ص ٤٤٢ ، المقريزى : جـ ٢ ، ص ٥ ، الذهبى : ١ ، ص ١٨٠ ، ابن تغرى بردى جـ ٢ ، ص ٤٥ ، ابن الصيرفى : ص ٩٣ ٠

(٤٤) ابن خلكان : جـ ٢ ، ص ٤٤٣ ٠

(٤٥) ابن خلكان : جـ ٢ ، ص ٤٤٣ ٠

(٤٦) المقريزى : جـ٢ ، ص ٦ ، ابن تغرى بردى : جـ ٢ ، ص ٤٥ ٠

(٤٧) ابن الصيرفى ، ص ٩٤ ٠

(٤٨) المقريزى : جـ ٢ ، ص ٦ ٠

(٤٩) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٤٨٤ ٠

(٥١) c. J. Fischel : Op. cit., p. 87.

(٥٢) Idem, p. 88.

يهـود مصر الحديثـة

وقائع حارة اليهود !

ان الاندماج اليهودى فى واقع المجتمع المصرى ‥ كان اندماجا وانصهارا نسجته الأيام ، من خلال التســامح الفطرى الذى ميز الانسان المصرى عبر تاريخه ، وجعله بحسه الحضارى يفصل بين الدين وأمور الحياة اليومية ، فلم تلق حارة اليهود بالقاهرة : مصير حارات اليهود فى العالم ‥ !

و « حارة اليهود » ‥ هى أشهر الأماكن التى عاش فيها يهود مصر ، وتتبع قسم الجمالية ، وتنقسم الى قسمين : شياخة اليهود الربانيين ، وشياخة اليهود القرائين ‥ ليس معنى هذا أن اليهود المصريين قد عاشوا فى « جيتو » كما عاشوا فى أوربا ، فنشأة الحارة ، كان فى الأساس طبقيا وليس دينيا ‥

وعن النشأة التاريخية لحارة اليهود ، يقول « على باشا مبارك » فى خططه :

« ‥ هى جزء من الحارة القديمة التى عرفت بحارة زويله فى خطط المقريزى ، عندما نزل القائد جوهر بالقاهرة سنة ٣٥٨ هـ ، واختط لكل قبيلة خطة عرفت بها ‥ ويسلك اليها من ســوق الصيارفه ، ومن خط الخرنفش عند باب سوق السمك ، ومن شارع

خميس العدس ، ودرب الصقالبه المسلوك اليه من الزقاق الذى على يسار المار من شارع السكة الجديدة ، من جهة قنطرة الموسكى » .. الخلاصة أن حارة زويله القديمة التى أشار اليها مؤرخو الخطط ، انقسمت الى أربعة أقسام : حارة زويله المعروفة اليوم ، حارة اليهود الربانيين ، حارة اليهود القرائين ، درب الصقالبه ، وجميعها يطلق عليه « حارة اليهود » غير أن لكل واحدة منها بابا من خط يبعد عن الآخر ، أما فى الداخل ، فالجميع حى أو حارة واحدة .

تشغل حارة اليهود : مساحة كيلومترين مربعين تقريبا ، تبدأ من وسط شارع الصاغة ، تتفرع بداخلها نحو ١٢ حارة وزقاقا ، تكثر بها المنحنيات والعطف ، وتتصل عن طريق سبعة منافذ ، بحى الخرنفش وجنوب الحسينية ، وتجاور شارع الموسكى وخان الخليلى والصاغه وحى الحسين .. وقد فصلها عن شارع الحمزاوى (سوق الحمزاوى الكبير) شارع الأزهر عند شقه .

وتشير المصادر التاريخية الى أن يهود مصر لم يعيشوا فى معزل أو « جيتو » ولم يعتبرهم المجتمع جالية أجنبية ، بل مصريون اعتنقوا الدين اليهودى ، والسلوك الاجتماعى لم يميزهم عن بقية أبناء المجتمع المصرى .

والتمييز بين مستويات الحياة الاجتماعية والاقتصادية ليهود مصر ، كان يخلق بالفعل تباينا ملحوظا ـ على نفس النحو الذى كان قائما فى المجتمع المصرى ـ وسكان الحارة ، الذين يمثلون افقر الطبقات اليهودية ، كانوا جزءا من نسيج المجتمع من حيث اللغة والثقافة والتقاليد المتوارثة .

التســـامح وعلاقات الود تســـود الجميع : مسلمين ويهود وأقباط ، معايشة مجردة من كل تعصب دينى ، مع احتفاظ أهل كل دين بشخصيتهم الاجتماعية الذاتية ، ونوع من المشاركة الوجدانية فى مناسبات الأفراح والأحزان والاحتفال بالأعياد ٠

يقول أديبنا الراحل « احسان عبد القدوس » :

« عشت طويلا قريبا من حارة اليهود ، كان لى صديق من أيام الدراسة الابتدائية ، يملك والده دكانا لبيع الثياب فى شـــارع الموسكى ، ويسكن فى كوم الشيخ سلامة المتفرع من نفس الشارع ، قريبا جدا من حارة اليهود ٠٠ وكنت أقيم مع صديقى فى بيته أياما لنذاكر دروسنا معا ، وكنت أحيانا ، فى أيام الأجازات ، أنزل معه الى دكان والده ، وأعمل معه فى استقبال الزبائن ٠٠ وحارة اليهود بجانبنا ٠٠ يخرج أهلها فى الصباح ، ويعيشون بين كل أهالى وتجار شارع الموسكى والشوارع المحيطة به ، وكان بين موظفى دكان والد صديقى ـ يهودى ـ من أهالى حارة اليهود ، وبرغم أنه كان يتميز بالصمت والانعزال ، فانه كان يدعونى الى بيته فى الحارة ٠٠ لم تحرق وتدمر حارة اليهود فى القاهرة ، كما حرقت ودمرت فى جميع أنحاء العالم عبر التاريخ !! » ٠

وبينما حدد الفيلسوف اليهودى « موشى مندلسون » ١٧٢٩ ـ ١٧٨٦ ، الرائد الروحى لحركة « الهسكالاه » رؤية جديدة فى الفكر اليهودى ـ آنذاك ـ عندما طالب اليهود بنبذ « عقلية الجيتو » وأن يندمجوا فى البيئات التى يعيشون فيهـــا ، وأن يتواءموا مع شعوبها ٠٠ نجد أن الحركة الصهيونية ، كانت أشد حرصا وحذرا من « اندماج اليهود » فى شعوب الأرض ، وضـــياع « الصفات اليهودية » المميزة !

جو من التسامح الفطرى كان يظلل حياة اليهود المصريين ، لم يعكره سوى استفزازات وتحركات المنظمات الصهيونية بدءا من عام ١٩٣٨ ، وما بعد نشوب حرب ١٩٤٨ التى كشفت عن الوجه القبيح للصهيونية ووضوح أهدافها التوسعية الدموية ‥ وتأثر كثير من يهود مصر بالدعاية الصهيونية ، وفكرة « الحنين الى وطن يجمع كل يهود الشتات » ‥ والحلم بالأرض التى وعدهم الله !

وهو ما عبرت عنه الأديبة الاسرائيلية « ادا أهارونى » فى روايتها « الخروج الثانى » بقولها :

« لقد كان الشعب المصرى كريما معنا ، ولكننى لا أريد أن أكون ضيفا محتملا فى أرض غريبة بعد الآن ! ‥ لقد حان الوقت لنشكرهم على حفاوتهم ، والبدء فى التفكير فى وطننا الحقيقى ! » ‥ وسؤال يتكرر فى فصول الرواية : « ماذا نفعل فى بلد ليس بلدنا ؟! » ‥

الغالبية العظمى من سكان حارة اليهود ، كانوا يتمتعون بالجنسية المصرية ، ومعظمهم كانوا من الفقراء ، وبعضهم من متوسطى الدخل ‥ والواقع الاجتماعى يشير الى أن الحارة كانت موطنا للعديد من الأسماء اليهودية التى صعد نجمها فى سماء الارستقراطية اليهودية ، مثل أسر : قطاوى ، موصيرى ، هرارى ‥ وبعض العائلات الثرية الشهيرة كانت تتباهى بأن « أقدامها لم تطأ هذا الحى الاسرائيلى » !

واختلطت التقاليد اليهودية بالعادات الشرقية داخل بيوت الحارة ، كما اختلطت تلك التقاليد والعادات بالثقافات الأوربية المختلفة داخل بيوتات العائلات الثرية فى أحياء الزمالك وجاردن سيتى ومصر الجديدة ‥ مما أزعج جيل الشباب بمشكلات الهوية ، فى اطار الظروف المحيطة بهم ، والذين وجدوا فى الأفكار

الصهيونية تعبيرا عن « الشعور القومى » والرغبة فى هوية اجتماعية وسياسية !

حالة من التماذج الاجتماعى والاندماج ، أكسبت يهود الحارة كثير من التقاليد الاجتماعية ، فعلى سبيل المثال ،تقاليد الزواج ومراسمه من أهم المعالم والظواهر التى تتباين بشأنها الحضارات ، تباينا عظيما ، لكن يهود الحارة تأثروا – الى حـــد كبير – بعادات وتقاليد الزواج فى مصر ، وأخذوا منها الكثير ، مثل : حمام العرس، تخضيب الأيدى والأرجل بالحنه ، اظهار منديل البكارة ! ٠٠ اقامة الولائـــم للمدعوين ٠٠ بل حتى عـــادة « قرص العـــروس فى ركبتها » !!

وفى مذكـرات الكاتب والصحفى اليهودى « يعقوب صنوع » التى دونها عقب نفيه الى باريس بعنـــوان Memoires تلك الحكاية الطريفة ٠ أنه كان خامس مولود لأمه « سارة » التى ففدت أبناءها الأربعة بالموت ، فلما حملت به خشيت أن يلحق باخونه ، فاستشارت امام جامع سيدى الشعرانى ، الذى أجابها بأن سبيلها الوحيد هو أن تنذر مولودها للاسلام ، ففعلت ووفت بنذرها ، ونشأ يعقوب شبه مسلم ، وحفظ القرآن ، عندما ألحقته بكتاب لتحفيظ القرآن وتعلم مبادىء الدين الاسلامى وقواعد اللغة العربية ٠٠ وتدل هذه القصة – خاصة اذا عرفنا أن أم يعقوب قد ولدت بحارة اليهود – تحيط بها بيئة اسـلامية ، وتأثـرت بالتراث الفولكلورى الدينى المصرى ، الذى جعل أبناء الديانات الثلاث ، يلوذون – فى الحالات المستعصية – بالقديسين وبأولياء الديانات الأخرى ، وقد أتاحـت هذه التنشئة المصرية ليعقوب صـنوع وغـيره من يهـود الحارة : الاندماج الكامل فى الحياة والمجتمع ٠

معابد حـارة اليهود

لم يتبق بحارة اليهود من بين أحد عشر معبدا سوى ثلاثة فقط وملجأ للمسنين « دار رحمين اسحق ليشع الخيرى » ٠

أهم المعابد الموجودة حاليا بالحارة ، هو معبد « ابن ميمون Maimonides » أو « راب موشى » ٠٠ بالتحديد فى ١٥ درب محمود ، الجزء المعروف بعطفة حمـــام اليهود ، وابن ميمون هو الفيلسوف والطبيب والعالم اليهودى الشهير ، ورئيس الطائفة ، ولد بقرطبه عام ١١٣٥ م ، وتوفى بالقاهرة عام ١٢٠٤ م ٠ وأول بناء لهذا المعبد كان عقب وفاة ابن ميمون ، ونفس هذا المكان ، شهد لقاءات ابن ميمون بتلاميذه ومريديه ، كما كان أيضا عيادة لعلاج مرضى الحى ٠٠ والمعبد منخفض عن مستوى الأرض ، شــيد على مساحة ٦٠٠ متر مربع ، واجهته من الرخام الفاخر ، وخلال قرون مضت تجدد وأعيد بناؤه مرات عديدة ، وآخر عملية ترميم شامل كانت فى مايو عام ١٩٦٧ ٠٠ ! مما يدل على أن يهود مصر كانوا يمارسون شعائرهم ويجددون معابد بكل حرية ٠٠ حتى فى أسوأ لحظات الصراع العربى ـ الاسرائيلى !

وهو المعبد الوحيد فى مصر ، الذى بنى هيكله فى ساحة المعبد ، دون أن يكون للهيكل قبة أو سقف ٠٠ وسرداب يدخله الزائرون حفاة الأقدام ، الى الغرفة المقدسة التى رقد بها جثمان ابن ميمون لمدة سبعة أيام ، قبل نقله الى طبرية بفلسطين حيث دفن بهـا ، ويتوجه اليها اليهود وبعض المسلمين والأقبـــاط لنيـل البركات والتماسا للشفاء ٠٠ وأسطورة يهودية تحكى بأن من كان مريضا ويرغب بالشفاء ، فعليه أن ينام بهذه الغرفة ، من غروب الشمس حتى مطلع الفجر ، فيصحو وقد برأ من مرضه !

بعض التمائم والرقى مازالت عالقة بجدران المعبد ، ولوحة تذكارية تسجل زيارة للملك فؤاد ، الذى يروى أنه رقد عاريا فى تلك الغرفة المقدسة التماسا للشفاء !

والمعبد الثانى : « رابى حاييم كابوسى » فى ٣ درب نصير ، وكابوسى الذى ينسب اليه هذا المعبد ، كان واحدا من أبرز علماء التوراه ، واشتهر بلقب « صاحب الكرامات » ·· وقد برع فى أعمال السحر ! ·· وكابوسى من أصل أسبانى ، هاجرت أسرته الى مصر ، التى ولد بها ، وتوفى عام ١٦٣١ ، ودفن بضريحه بمقابر اليهود بالبساتين ، والمعبد والضريح مزارين مباركين لليهود !

والمعبد الثالث : « معبد موصيرى » أو « معبد باريوحاى » بشارع الصقالبه رقم ١٦ ، شيدته عائلة موصيرى عام ١٩٠٥ ، فى نفس المكان الذى ولد به عميد العائلة « نسيم موصيرى » عام ١٨٤٨ ·· كما كان مدرسة للتعاليم التلمودية ، وتعليم اللغة العبرية ، ومازال المبنى بحالة جيدة !

وحتى عام ١٩٧٥ ، كان مايزال قائما « معبد المصريين » أقدم وأكبر معابد اليهود بالقاهرة ·· (أنظر : المحافل والمعابد اليهودية بالقاهرة) ·

وبحارة العطار ، فرن « الكاشير » الذى يصنع الخبز ويعد الفطائر الغير مخمرة ، طبقا للعقيدة اليهودية ، فعلى سبيل المثال ، فى عيد الفصح ، الذى يوافق ذكرى خروج بنى اسرائيل من مصر ، لابد أن يذبحوا شاة أو جديا ويأكلون قطعة من العظم المشوى وخبز الكاشير ·· ولابـد أن يكون الدقيق من قمح زرع وحصـد بأيـد يهودية خالصة ، حتى يصبح حلالا فى شريعتهم ·· وقد عرضت

الحاخامخانه هذا الفرن للبيع فى نهاية عام ١٩٦٩ ، غير أنه لم يأت بالثمن المناسب ، فتم اغلاقه !

بؤساء حارة اليهود !

تحت عنوان « دائما حـــارة اليهود » ! ٠٠ كتب « موريس هارميلان » فى ابريل عـام ١٩٤٣ بالصحيفة الأســبوعية « المنبر اليهودى La Tribune Juive » :

« قبيل الفرن الخاص باعداد الفطائر غير المختمره ، بحارة اليهود ، وتحت بوابة كبيرة مفتوحة ، تقبع عجوز ضامره ، بالكاد يمكن أن تميزها كامرأة ، على فراش رث ، تتنفس بصعوبة ، عيناها غائرتان فى وجه أكلته التجاعيد ، جسدها هزيل وقذر ، كأنه دجاجة ضعيفة تغطيها أسمال ، وآلاف من الذباب يحوم حول هذه الكتله الآسنة ! ٠٠ لوحة تثير الغثيان والتقزز ! ٠٠ ويزيد المشهد قتامة ، تلك الجموع الغفيرة ، التى تروح وتغدو دون اكتراث ! ٠٠ وبجوارها حفيدتها ، تستدر عطف الناس ورحمتهم من أجل « حسنة » !

مشهد مهين ، لايجب أن يسمح به ولو فى حارة اليهود ! ٠٠ هذا المكان الموبوء الملىء باللصوص !! ٠٠ اهانة كبيرة لطائفتنا ، ولو رأى مسيو فريسكو مندوب الجمعية اليهودية الخيرية ، هذا المشهد ، لاهتز كيانه ، وان القلم ليعجز عن التعبير ٠٠ عن هذه المهنة المخزية : الشحاذة ! ٠٠ ولابد من انتخاب لجنة خاصة تتولى علاج هذه الآفة » !

وفى الخامس من مايو عام ١٩٤٩ ، تعود الصحيفة الى اثارة موضوع تردى الأوضاع الاجتماعية لسكان حارة اليهود ، بين اعلان عن « ماء كولونيا دوشيس » المنعش ! ٠٠ واعلان يدعوك الى تذوق

« نبيذ هوك » المعتق اللذيذ ! ·· وآخر عن « دروس فى اللغات الحية بمدارس بيرلتز » الشهيرة !

« خلل قائم ، وبون شاسع بين شريحة المرفهين ·· وطبقة الشعب البائس فى حارة اليهود !! ·· كم كنـا نود أن نفتتح — جريدة وقائع أسبوعية — لا نتحدث فيها الا عن حارة اليهود وقذارتها المنفره ! ·· وقد رفع هذه المشكلة : دانييل سـابورتا ود·ليفى فى آخر اجتماع لمجلس الطائفة ، غير أن بعض أثرياء الطائفة أشاروا بأنه ليس من اختصاصات المجلس أن يحل محل الحكومة فى تحسين أحوال الحارة ·· !

ولكن الأمر لايتعلق بالمجلس ، بل يتعلق بالرعاية الصحية ، نقصـد تفشى الأمراض المعدية مثل : التراكوما ، داء الثعلبـه ، التيفود ·· فحارة اليهود أصبحت مستودع ميكروبات !

يجب الاهتمام بمعالجة مثل هذه الأمور ، وبشكل جاد ، وأن تولى النظافة بهذا الحى ، اهتماما خاصا ، حتى لايقال لأحد ذات يوم : « قذر مثل سكان حارة اليهود » !!

مشاكل حارة اليهود : الفقر ، الأمية ، البطالة ، التسول ، نقص الرعاية الاجتماعية ، بدأت تشكل محور اهتمام فى اجتماعات مجلس الطائفة ، وفى أندية الشباب ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات اليهودية ·· وحملات تدعو أثرياء الطائفة للتبرع من أجل النهوض اجتماعيا بسكان الحارة ، وحثهم على المساهمة فى اقامة المدارس والمراكز الاجتماعية ومكاتب الرعاية الصحية ·

كان هناك تقليد متوارث التزمته بعض الأسر الثرية ، فى أيام الأعياد الدينية ، بدعوة بعض من فقراء الحارة ، لتناول وجبـات

فاخرة لايحظون بها سوى مرات تعد على أصابع اليد الواحدة ، طيلة حياتهم ، فكنت تراهم يجرون أسمالهم وبؤسهم الى فيلات الأحياء الراقية : المعادى ، الزمالك ، جاردن سيتى ·· وكان لهم الحق فى أخذ ما تبقى فى لفائف من ورق الصحف ·· يدسونها فى جيوب جلاليبهم أو معاطفهم البالية ، لايطلب منهم سوى الدعاء لهذه الأسرة الخير والبركات !

بعض العائلات كانت تكتفى بالتصدق على بعض المعدمين ·· أما كيف يعيش هؤلاء البؤساء ؟ ·· فذلك أمر من النادر أن يهتم به أقطاب العائلات ذات الثراء والنفوذ ، وكان فى نظر البعض ـ معيار للنجاح ـ فمن خلال هؤلاء البؤساء ، يمكن للأثرياء أن يقيسوا المسافة التى تفصل بينهم وبين الحارة ، التى غادرها آبائهم ، خوفا وتحسبا من أن يطأوها بأقدامهم مرة أخرى !!

صور ومشاهد

فى هذا الحى الشهير ، كان يعيش نحو ٢٠ ألفا من اليهود ، حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ·· ومن الشائع أن « ليفى أشكول » رئيس وزراء اسرائيل الأسبق و « موشى ديان » قد ولدا بهذا الحى ·

لا شىء يذكرك الآن بأن هذا الحى كان لليهود سوى « نجمة داود » السداسية محفورة أو مشغولة بالحديد على بوابات بعض المنازل المتبقية من ذلك العهد ، ورحل عنها أصحابها ، فى موجات هجرات متعاقبة ، منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧ ·

العتبات العليا لهذه الأبواب ، كان يوضع بداخلها أوراق مخطوطة تحوى أربعة نصوص من التوراة ، تتحدث عن خروجهم من مصر فى زمن موسى ، لتظل ذكرى الخروج فى وعى اليهودى دائما

عندما يتجاوز عتبة بيته ! ·· وحتى لاينسى ما عانوه من ذل ملوك الفراعنة !

وكانوا يتركون موضع حجر بدون بناء ، حسرة على هدم هيكل سليمان ! ·· مثلما كان يحدث فى حفلات الزواج ، عندما يقدم الحاخام كأسا ، قرأ عليها السبع بركات ، الى العروسين ، فيشربان منها ثم تكسر ، ليذكرا دائما هدم الهيكل !

كثير من المنازل قد تهدم ، وأقيمت مكانها بعض الورش والمصانع الصغيرة ، التى تعمل فى صناعة الأحذية ، والنحاس ، والسجاد والأكلمة ، والحلى المقلده ، والملابس ·· بعض كبار السن تتلمذوا على « الخواجات اليهود » وبعضهم اشترى الورشة أو المحل من يهود عزموا على الهجرة ·

كان الحرفيون من يهود الحارة ، يعملون فى صياغة الذهب والفضة ، وصناعة الأحذية ، ومواقد الجاز واصلاحها ، وترميم الأثاثات ، والكهرباء والميكانيكا ·· أما فى مجال التجارة ، فقد تركز نشاطهم فى تجارة الأقمشة والورق والأدوات الكهربائية ·

بعض ربات البيوت من اليهوديات ، كن يعملن بالحياكة ، وصنع الحلوى والمربى وتقطير الزهر !

على ناصية عطفة أو زقاق ، كنت تسمع نداء عجوز على بضاعتها من البوريك ، المحشو بالجبن أو بالعجوة ! ·· ونداءات لباعة متجولين ·· أو دلالات وسماسرة يجتهدون من أجل ضمان خبز الغد ·· ممرضات ومستخدمين ببعض المراكز الاجتماعية ·· شحاذون محترفون أو على شيء من الاستحياء ! ·· عاطلون يندبون حظهم وشقائهم ·· شيوخ يدعون العلم ببواطن التوراة ·· وشباب

أعضاء بنادى « المكابى » ٠٠ أو أعضاء بأحزاب شيوعية ، ومجموعات الدفاع الذاتى !

يشاهدون رقص « ماريتا » المجنونة ٠٠ التى تعيش بالمركز الاجتماعى اليهودى ، ويمكنها أن ترسم الابتسامة على الشفاه ، ويعتبرونها « تميمة الحظ » لأهل الحارة !

ومن احدى النوافذ المفتوحة ، تنساب الى الأسماع ، أنغام عذبة شجية ، يبدعها على عوده وبصوته الفنان « زكى مراد » والد الفنانة الجميلة الراحلة « ليلى مراد » ٠

السبت : يوم التعاسة !

من الأقوال الشهيرة للزعيم الصهيونى « دافيد بن جوريون » :

« أن يوم السبت ، هو يوم تعاسة للأطفال » !

ولأن الله قد خلق الدنيا فى ستة أيام ثم ـ طبقا للعقيدة اليهودية ـ استراح فى اليوم السابع ! ٠٠ وكان يوم سبت ! ٠٠ فقد حرم اليهود على أنفسهم فعل أى شىء فى هذا اليوم ، وترتب على هذا التحريم لممارسة اليهودى أى حركة ٠٠ أن كانوا يستعينون بالمسلمين من جيرانهم لينوبوا عنهم فى القيام بأعمال مثل : اضاءة النور ، اشعال مواقد الطهو ، غسل طبق ٠٠ أو أن يمد أحدهم يده فى جيب اليهودى ، لالتقاط قرش يشترى به شيئا ، وقد كان هذا الأمر محل ترقب من أطفال بعض المسلمين ، حيث يمرون على بيوت اليهود ، يعرضون خدماتهم ، ليحصلوا على بضعة قروش فى هذا اليوم !

كما كان محرما عليهم ، فى يوم السبت ، المشى لمسافة تزيد عن ثلاثمائة متر ، فكان منهم من « يتحايل » بالوقوف بعد هذه المسافة ، نحو دقيقتين أو أكثر ، ثم يستأنف المشى مرة أخرى !

وقد عرض « احسان عبد القدوس » لقدسية يوم السبت عند اليهود ، وكراهية « لوسى » اليهودية ، بطلة روايته « لا تتركونى هنا وحدى » لهذا اليوم :

« ·· حرام أن يفرض على اليهود العذاب كل يوم سبت ·· لماذا نستسلم ليوم السبت ·· لماذا لاتجادل الله حتى يعفيها من هذه التعاسة ·· وهى تذكر عندما احتاج جيرانهم فى الشقة المقابلة الى اضاءة النور يوم السبت ، فخرج ابنهم ديان ، ونادى أحد أصدقائه المسلمين ، ليضىء النور لهم ، ثم أمر البواب أن يعطيه قرشا أجرا له ، لأنه مد يده الى زرار النور وأضاءه ·· وأصبح الأطفال المسلمون فى الحى يتندرون ضاحكين بيوم السبت ··

وقد ثارت لوسى يوما ، ومدت يدها فى يوم من أيام السبت ، وأضاءت كل أنوار البيت وهى تصيح : اعطونى أنا أجرى بدلا من أن تعطوه لمسلم » !

حارة اليهود القرائين :

كانت هذه الحارة ، تغص باليهود القرائين ، كما عاشت أعداد كبيرة منهم بسوق النحاسين وشوارع وازقة الخرنفش ، الذى يرتفع به معبدهم الكبير ، بقبته الضخمة ، والذى يتشابه فى طرازه مع معبد « شعار هاشمايم » بشارع عدلى ، وبهذه الحارة كان لهم كنيس خاص بهم « راب سمحام » ··

واليهود القرائين ، هم أحدث فرق اليهـود ، ومؤسس هذه الفرقة : عالم بغداد « عنـان بن داود » فى نهـاية القرن الثامن الميلادى ، وهم يؤمنون بأسفار العهد القديم « التواره » وحدها ، ولا يعترفون بالتلمود أو شروح المشنا وبتعاليم الحاخامات ·· ويؤدون صـلاتهم بالجلوس على الكعبين ، ثم الوقوف ، والركوع ، والسجود فى خشوع تام ، مرتلين تضرعات من المزامير وآيات من التوراه ·· حتى قال الربانيون أنهم يؤدون صلاتهم « على الطريقة الاسلامية » !

فى يوم السبت ، اليهودى القرائى لا يغادر مسكنه ، ولا يوقد نارا ، ويكتفى بالوجبات الباردة فقط ·· والممارسة الجنسية محرمة تماما فى هذا اليوم !

وكنت ترى أفراد العائلات اليهـودية القرائيـة ، وهم فى طريقهم للصلاة فى معبدهم ، بالجلباب الأبيض ، وشال الصـلاة الأبيض ، المطرز أركانه الأربعة بنسيج أرجوانى ، ووشاح الشعائر الدينية « سيسست » تميزه خيوط زرقاء زاهية ·

ومن أشهر عائلات اليهود القرائين : مسعوده ، عبد الواحد ، فرج ، ليشع ·· وكان منهم المحامون والأطباء والتجار ·· وأشهر الجواهرجية بحى العباسية وميدان سليمان باشا ·· وحى الصاغة الذى كان يغص بمحال الذهب ، الصغيرة ، المتلاصقة ، وأصحابها من اليهود القرائين ، الذين توارثوا حرفة صياغة الذهب وتجارته ·

وفى حارة « خميس العدس » وبالتحديد فى منزل « شموئيل » القرائى ، عاش الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، عندما كان صبيا فى الخامسة عشرة من عمره ، عام ١٩٣٣ ، ولمدة خمس سنوات !

ومن أعلام اليهود القرائين : المحامى والأديب « مراد فرج ليشع » و « يوسف درويش » أحد مؤسسى الحزب الشيوعى فى مصر ، والموسيقار « داود حسنى » ٠

صحوة الأمة اليهودية فى الحارة !

فى عام ١٩٠٨ ، تأسست جمعية أو رابطة « النهضة الثقافية اليهودية » بالمركز الاجتماعى بحارة اليهود ، التى أعلنت عن نشاطها وأهدافها فى منشور أصدرته باللغة العربية ، تحت عنوان « صحوة الأمة اليهودية » جاء فيه :

« نستهل حديثنا بالتضرع الى الله القوى ٠

أيها السادة ٠٠

نحن الآن فى موقف حرج ، لأننا لم نهتم بتعليم أبناءنا وتثقيفهم ، خاصة الفقراء منهم ، والسبب نقص المدارس القادرة على التعليم المثمر ، كما تعانى هذه المدارس من نقص المعلمين ، وبالتالى فان التلاميذ الذين يلتحقون بهذه المدارس لايجنون أى فائدة ، وهذا هو حال مدارسنا منذ عشرين عاما ، وهو ما يجب أن يكون موضع اهتمام كل انسان شريف !

أيها السادة :

منذ بضعة أيام ، تأسست بين أحضان أمتنا جمعية باسم « جمعية النهضة الثقافية اليهودية » تهدف الى خدمة شعبنا ' دراسة مشاكله ' وتأمين مستقبله ، والاهتمام بتعليم أبناءه ، خاصة المحرومين منهم ٠

ونظرا للتدهور الذى أصاب مدارسنا ، فقد تقدمنا بالتماس الى رئيس طائفتنا ، يضم أكثر من مائة توقيع ، نطالب فيه بحل مشاكل مدارسنا ، والتصريح لنا بمراقبة هذه المدارس وسبر التعليم بها .

اخـوانى ..

اننا نأسف لانعدام النظام فى مدارسنا ، ونأسى لهؤلاء التلاميذ الذين التحقوا بها دون فائدة ترجى .. والأموال المرصـودة من مجلس الطائفة ومن الأوقاف غير مجدية !

هل منكم من يستطيع أن يخبرنا عن مثال لطالب قد نجح فى امتحانات نهاية العام ، أو حصل على شهادة الدراسة الأولية ، التى قد تؤهله للالتحاق بوظيفة ، أو من تعلم لغة حية .. أو حتى من يمكنه أن يؤدى الصلاة بشكل صحيح !

اخوانى ..

مهما تكن المدة التى يلتحق فيها التلاميذ بهذه المدارس ، فان من يتخرج منها ، فلن يمكنه سوى أن يبيع « اللب المحمص أو أوراق اللوتارية » ! .. على الأقل حتى لا يتحول الى بلطجى أو متسول أو متشرد !

تلك هى الحقيقة المؤلمة لأوضاع مدارسنا اليوم ، فالى متى هذا التخلف ، وهذا القصور والاهمال .. ألا تعلمون أن أبناءنا هم رجال الغد ؟ فاذا ظلوا على هذه الحال ، فتعسا لهم !

ينبغى أن ننهض ونستيقظ من سباتنا العميق ، ضموا أصواتكم الى أصواتنا ، لنطالب جميعنا بتجديد مؤسساتنا الاجتماعية ، حتى

يمكننا القيام بواجبنا نحو أمتنا ٠٠ مدوا يد العون الى جمعيتنا ، حتى لا يذهب نداءنا هباء ، وليتحقق هدفنا الذى حددناه لأنفسنا ..

اخوانى ٠٠

أعيرونا انتباهكم ، نحن نعيش فى قرن سريع التطور والتقدم ، وكل الأمم تنهض من غفوتها ، بينما أبناءنا مشردون فى الطرقات دون تعليم أو حرفة ٠٠

اخوانى ٠٠ اسمعوا لنا :

اتحدوا وارفعوا أصـــواتكم ، فان الله القوى فى ســماواته يسمعنا ويستجيب لنا ٠٠ وكل فرد له وجهة نظر مخالفة ، فليتفضل ويعرضها على جمعيتنا ٠٠ واننا نرحب بكل من يرغب بالانضمام الينا ٠٠ راسلوا جمعيتنا ٠٠ ومقرها بحارة اليهود » !

سوق الحمزاوى :

الى يمين المتجه الى الغورية وجامع الأزهر ، منطقة تضم مجموعة من الشـــوارع الضيقة والحارات ، هى معقل تجـــارة الأقمشـــة والمنسوجات ، وتعرف بسوق الحمزاوى الكبير ، وسوق الحمزاوى الصغير الى الجنوب منهـــا ، وكانت قاصرة على التجار اليهـــود فحسب ٠٠

لم تكن هذه السوق تعرف شيئا اسمه « الركود الاقتصادى » أو التعبير الدارج « السوق نايم » ! ٠٠ معانى خارج قاموس وشريعة سوق الحمزاوى ، وزيارات من أقطاب العائلات الثرية : داود عدس ، جاتينيو ، شاسون ٠٠ سرعان ما تأتى البضائع وتتدفق الحركة والأموال ويستمر النشاط !

احتكر اليهود تجارة الأقمشة ، حراير ، أصواف ، جوخ ٠٠ بينها بعض محلات للصرافة وتغيير العملات وبعض الجواهرجية ٠٠ وكان من أشهر تجار المانيفاتورة والقومسيونجية بشــارع سـكة اللبودية بالحمزاوى : اميل ساسون ، ايلى جاك حموى ، عزرا ونسيم جداع ، ادجار اسـكاكى ٠٠ وبشــارع بيبرس : اخوان دره ، سيزارساسون ، جاك ستون ، سليم سـقال ، ابرام بطيش ، يوسف شالوم ، كريازى كوهين ، نسيم عدس وأولاده ، وبشارع الحمزاوى : اجيون كوهين ، ايزاك بينيتو ، عزرا جباى ، كليمان كوهين ، ميشــيل وروبــرت نحاس ، ماكس هرارى ، جوزيف شوحيط ، حاييم سليم دويك ٠٠ وغيرهم ، ممن انتشروا بشوارع ودروب حى الحمزاوى : شوارع حمام التلات ، السلطان الصاحب ، بيبرس ، السكة الجديدة ، الملطى ، شمس الدولة ، حوش الحين ، وحارة النمرسى ، حــارة الشيشينى ، زقاق الســلاوى ، ووكالة مدكور ، ووكالة بطيش ، ودرب سعادة ٠

الجنسية على الطريقة الايطالية !

الغالبية العظمى من سـكان حــارة اليهود بالقاهرة ، كانوا يتمتعون بالجنسية المصرية ، وهم يمثلون أفقر طبقات يهود مصر ٠

أما أبناء العائلات الثرية اليهودية ، سكان الأحياء الراقية ، فكان بعضهم يتمتع بالجنســية المصرية ، وبعضــهم كان يحمل جنسيات أجنبية ورثوها عن أســلافهم ، والبعض منهــم اكتسب جنسيات أجنبية ـ فى عصر الامتيازات ـ بالدخول فى رعايا دول بريطانيا وفرنسا وايطاليا والنمسا ٠٠ والغالبية كانوا غير « معينى الجنسية » مفضلين البقاء على هذا الوضــع ! ٠٠ والتمتع بمزايا باعتبارهم ـ أجانب ـ مثــل حق التقاضى أمام المحاكم المختلطة ، وأسبقية الحصول ـ فى ظل الاحتلال ـ على الوظائف الادارية !

وقانون الجنسية المصرية الصادر عام ١٩٢٩ ، كان يقضى بقبول طلب كل مقيم فى مصر للحصول على جنسيتها ، ما لم يثبت أنه يحمل جنسية أخرى ، لكن يهود مصر ، باستثناء قلة قليلة ، لم يقدموا طلبات للحصول على الجنسية المصرية ، لأنهم لم يعلقوا عليها أهمية كبيرة ، ولكن حين تم تعديل القانون ـ فيما بعد ـ بحيث يقضى بعدم منح الجنسية ، الا لمن يثبت مولد جده فى مصر ، أو اقامة أسرته فى مصر بشكل دائما منذ عام ١٨٤٨ ، أصبحت غالبية اليهود فى مصر ، غير مؤهلة للحصول على الجنسية المصرية ، ومن ثم بقى الآلاف منهم غير معينى الجنسية !

وكان مقهى « جيداليا » من معالم حارة اليهود بالقاهرة ، مركز تجمع للعاطلين من شباب الحارة ممن تسوقهم سياط الحاجة ، فى انتظار فرصة عمل طارئة ، تفى بمتطلبات يومهم ، مثل نقل أثاث ، اصلاح دورة مياه أو عطل كهربائى ٠٠ وقد يفوزون بدعوة الى سيوداه (وجبه) فى بيت أحد الموسرين اليهود خارج الحارة !

ومن هذا المقهى ، كانت تخرج الأنباء ، الطيبة والسيئة على السواء ، وشائعات ، وحكايات أشبه بأساطير ألف ليلة وليلة !

خلال تصاعد الأحداث التى أدت الى الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد فى نهاية عام ١٩٣٨ ، وردت اشارة الى قنصل عام ايطاليا الفاشية ، تفيد بأن الماريشال « بادوجليو » قادم بصفة شخصية للتفتيش على الجنود فى مواقعهم ، بالرغم من أن هؤلاء الجنود ليس لهم وجود سوى على الورق فقط !! ٠٠ أو تضخم عددهم لأسباب تتعلق بزيادة موارد القنصل وتنامى ثروته !!

فوجىء القنصل بهذا الأمر ، فكاشف أحد أصدقائه المقربين ، الذى اقترح عليه « فكرة عبقرية » : ان المدعو ـ جيداليا ـ صاحب

المقهى ، يمكنه أن يوفر متطوعين من بين هؤلاء العاطلين بالحارة ٠٠ فالمسألة مجرد اجراء شكلى ، ينقذ القنصل من ورطته ، وليس عليهم سوى ارتداء قمصان سوداء ، والالتزام بالانضباط والصمت يوم التفتيش !

وهكذا توجهت مجموعات من هؤلاء العاطلين الى سفارة ايطاليا ، وهم الذين كانوا يجهلون موقعها ! ٠٠ ومنحوا جوازات سفر ايطالية ٠٠ وأعطيت لهم الملابس ٠٠ القميص الأسود ؟ وكان تعليق بعضهم : يالهم من شواذ هؤلاء الايطاليين ! ٠٠ هل يمكن أن يصبغ هذا القميص ـ فيما بعد ـ بلون آخر ! ٠٠ ووزعت عليهم بعض المعلبات الغذائية ، ومنحة مالية ضئيلة لاتتجاوز بضعة قروش ! ٠٠ وعلموهم كيفية السير والاستعراض بخطى عسكرية منتظمة ، والهتاف بأصوات قوية : « تحيا ايطاليا » !

وجاء يوم التفتيش ٠٠ اليوم المنتظر ٠٠ الذى مر على خير حال ، وكانت سعادة القنصل وجيداليا « متعهد توريد الأنفار » ! ٠٠ تفوق الوصف ، فالماريشال أبدى اعجابه بهؤلاء « الجنود » وأثنى عليهم !

وحدث فى اليوم التالى ، مالم يكن فى الحسبان مطلقا ، حيث تم استدعائهم الى القنصلية الايطالية ، ليفاجأوا بأمر أغرب من الخيال ٠٠ عليهم الاستعداد للرحيل الى اثيوبيا ـ التى كانت تحت الاحتلال الايطالى ـ للقتال فى سبيل « ايطاليا الأعظم » ! والسفر خلال أسبوع من محطة السكك الحديدية بباب الحديد !

وانصبت اللعنات على جيداليا ، وكاد البعض أن يفتك به ، وهدد آخرون بهدم المقهى على صاحبه ! ٠٠ ودفنه تحت أنقاضه ! ٠٠ لكن لم يكن أمامهم سوى الفرار والاختفاء عن الأنظار !

فى عام ١٩٤٥ ، ظهر هؤلاء كأبطال فروا من الخدمة فى الجيش الايطالى ٠٠ باعتبارهم مناهضين للفاشستيه !! ٠٠ ووجدوا أنفسهم مواطنين ايطاليين بوثائق جنسـية وهميـة ، فى ظرف شـديد الخصوصية ! ٠٠ أصبحوا من رعايا ايطاليا العظمى ، وفى عـام ١٩٥٦ ، أفلتوا من الرحيل الى اسرائيل ، وسافروا الى ايطاليـا « وطنهم » وبعض دول أمريكا اللاتينية ٠٠ قصة نموذجية ساخرة للحصول على جنسية بالصدفة !!

يهـــود القـــاهرة

والتنظيم الطائفى

أثر اندلاع الحرب التركية اليونانيـــة عام ١٨٢١ ، بدأت موجات من الهجرة اليهودية من سالونيك وأزمير والقسطنطينية ، تتوافد الى مصر ، تزامنت مع بداية هجرات مماثلة من بعض الدول الأوربية ـ خاصة اليونان وايطاليا وأسبانيا ـ بالاضافة الى موجات أخرى من العراق وسوريا والمغرب العربى ٠٠

وفيما بين عامى ١٨٤٠ و ١٨٥٤ ، بلغت تلك الموجات ذروتها ، بفضل تشجيع محمد على باشا وأسرته ، لاستقرار اليهود فى مصر ، وتزايد توافد يهود وأوروبا الذين وجدوا مع ســائر الأقليـــات والجاليات الأجنبية ـ مناخا ملائما ـ لاغتنام الفرصة فى مجالات السمسرة والبورصة والتجارة ، وتمتع اليهود بالامتيازات وحماية القناصل الأجانب ، عقب سقوط البلاد فريســة للديون الأجنبية وسيطرة الأوربيين على المالية المصرية ، وبافتتاح قناة السويس ، يتوالى المزيد من المهاجرين اليهود ، وقد تهيأت للجميع ظروفا أنسب للازدهار المالى والاقتصادى ٠

ومع تزايد أعداد اليهود الوافدين ، الى جانب الطائفة اليهودية المصرية أو العنصر الوطنى ، الا أنهم كانوا ينقصهم جميعا الترابط والتنظيم العام ٠

تمتع الاشكنازيم والقرائين ، بنوع من الاستقلال الذاتى عن باقى فرق الطائفة ٠٠ والسمات العامة للطوائف اليهودية يحددها : الأصل ، اللغة ، الثقافة ، المستوى الطبقى ٠

فى عام ١٩١٢ ، علق أحد مدرسى مدرسة التحالف الاسرائيلى العالمى بالقاهرة على أوجه التباين اللغوى والثقافى بين تلاميذه ، قائلا :

« ان غالبية أطفالنا هم نتاج يهود محليين كسالى ، خاملين ، يتحدثون العربية ، بينما معظم أطفال الاشكنازيم متوقدوا الذكاء ، يصرون على الارتقاء علميا ، وبلغتهم الألمانية ، والحيوية والنشاط هى سمة اليهود الاسبان ، والقادمين من تركيا والذين يتحدثون اللادينو فى منازلهم » !

فى عام ١٩٢٥ ، كتب « يوليوس بيرجر » عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية بالقدس تقريرا عن زيارته لمصر ، تضمن :

« الجالية اليهودية بالقاهرة يبلغ تعدادها نحو ثلاثين ألفا ، ينقسمون الى ثلاثة أقسام :

★ القسم الأول : وهم المتحدثون بالعربية ، ويمثلون القطاع الأكبر ، وكانت هجرتهم من دول شمال افريقيا ، وغالبيتهم من العمال والحرفيين ٠

★ القسم الثانى : اليهود الاسبان ، والنازحين من بعض الدول الأوروبية مثل ايطاليا ، انجلترا ، النمسا ، رومانيا ٠

★ القسم الثالث : الاشكنازيم ، وهم الذين استقروا بالقاهرة لأكثر من عقدين من الزمان وعددهم نحو ألفين نسمة ٠

ويأتى اليهود الاسبان فى الصدارة من حيث الأهمية ، نظرا لما يتمتعون به من ثقل اجتماعى وهيمنة على الطائفـــة ومؤسساتها وعلاقاتها ، يدعمهم نفوذ اقتصادى وسياسى ومعظمهم يرفل فى ثراء فاحش ، ولغتهم الفرنسية وبالتالى فلا يمكن مقارنتهم بما يمكن أن نسميه « يهود اللهجة المصرية » الذين يأتـــون فى المرتبـــة الأدنى ! ..

والمساواة الاجتماعية بين الاشكنازيم والسفارديم غير مطروحة ، فنادرا ما تحدث حالات تزاوج بين الطائفتين ، طبقا للاتجاه السائد بأنه يعتبر « زواج الأشراف بالصعاليك » !!

وازاء هذه الأوضاع الاجتماعية ، كان مـن الصعب تأسيس هيئات يهودية يمكنهـــا تنظيم الهجـــرات الوافدة الى القاهرة ، والعلاقات فيما بينها . قبيل الحرب العالمية الأولى وان كانت المحافل والمعابد والجمعيات الخيرية ، قد حاولت ان تضطلع بدور مؤثر فى هذه القضية .

فى عام ١٩١٢ ، ظهرت أول لائحة لتنظيم العلاقات بين أفراد الطوائف اليهودية ، وتشكل المكتب العمومى ، الذى سيطرت عليه عائلتى « قطاوى وموصيرى » وفى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى ، كان هناك مشاركة يهودية على نطـاق أوسع فى الشئون العامة . وتزايد نفوذ أسرة قطاوى .. وتعود أصول هذه الأسرة الى هولندا . وينسب مؤرخ القرن الســـابع عشر « جوزيف ايزاك سامبرى » ١٦٤٠ ـ ١٧٠٣ اســـم أسرة قطاوى الى قرية « قطا » التى تبعد عن القاهرة شمالا بنحو سبعة كيلومترات والتى استقروا بها منذ نهاية القرن ١٨ ، وتثبت وثائق الجنيزه أول هجرة تاريخية كانت ليعقوب منشه قطاوى عام ١٨٠١ م .

فى عهد الخديو عباس الأول ، كان يعقوب قطاوى مديرا لمصلحة سك النقود ، وأسس شركة للتجارة والتصدير .

وأصبح « صراف باشى » للخديو اسماعيل ، وهو المنصب الذى تولاه « يعقوب ليفى منشه » والذى تشابه مسار حياته مع يعقوب قطاوى فى أوجه عديدة . وقد أسسا معا بيت للصرافة والتجارة ، لاقى من النجـاح والشهرة ، حتى أصـــبح له فروع فى ليفربول ومانشستر ومارسيليا .

وعندما كبر أولاد يعقوب قطاوى الأربعة ، انفصل عن منشه وأسس شركة للتجارة والصرافة بالقاهرة ، وفرعين لها بالاسكندرية وباريس .

عاش يعقوب قطاوى الحياة الشرقية ، بكل سماتها ، حتى انه كان يفضل الأكلات الشعبية المصرية ، ويرتدى الزى العربى ، ويتحدث العربية والعبرية فقط .

وقطاوى ومنشه كانا من أوائل اليهود الذين غادروا حارة اليهود ، واستقرا فى شبرا ، التى كانت منذ عهد محمد على سكنى الطبقة الارستقراطية من البكوات والأمراء .

ويعقوب قطاوى هو أول رئيس للطائفة ، وأول يهودى ينال لقب « بك » عام ١٨٨٠ ثم لقب « البارون » من امبراطور النمسا والمجر .. حتى ألحق أفراد الأسرة بلقبهم لفظة ٧٥٨ « فون قطاوى » كعائلة منشه « دى منشه » .

آكبر أبناء يعقوب : « أصلان بك قطاوى » ١٨٢٤ ــ ١٨٨٣ ، تولى ادارة أعمال الأسرة ، وبالاشتراك مع أسرة سوارس أنشأ شركة

لصناعة السكر وكان له من الأبناء عشرة تركز نشاطهم فى مجالات التجارة والبورصة والبنوك ٠

« موسى قطاوى » باشا ١٨٤٩ - ١٩٢٤ أصغر الأربعة ، وأكثرهم شهرة ونبوغا ، اقترن ب « اداروسى » عام ١٨٧٤ ، ابنه د ٠ ايليا بك روسى الطبيب الخاص للخديو اسماعيل ، قاما بقضاء شهر العسل فى نابلس ، وأقاما فى قصر بالاسماعيلية فى ١٨٨٣ ، انتخب موسى رئيسا لجمعية رفاهية النمسا ، وخدم مع أخيه يوسف كرئيس للطائفة اليهودية بالقاهرة لمدة أربعين عاما ٠٠

وكان من المعارضين لنشاط الحركة الصهيونية فى مصر ، على عكس قرينته التى أبدت تعاطفا شديدا للحركة ٠٠ ورغم مسئولياته الضخمة فقد انتخب رئيسا فخريا لرابطة « بناى بريت » ٠

توسع فى مشروعاته المشتركة مع أسرتى رولو وسوارس ٠٠ وأسهم فى تمويل مد شبكة خطوط السكك الحديدية ، ومرفق المياه بطنطا ٠٠ ووسائل النقل العامة ٠٠

رأس مجلس ادارة البنك الأهلى المصرى ، وأسهم فى تأسيس شركة الدلتا المصرية للاستثمار وكان مقرها بالمعادى ٠

انشغل أولاده بادارة مشروعات وممتلكات الأسرة ، عن التفرغ للعمل العام ، وأوكلوا بهذه المهمة الى ابن عمهم « جوزيف أصلان قطاوى » ثم ابنه « رينيه قطاوى » ٠

وبالرغم من الثقافة الفرنسية والتعليم الأوربى ، الا أن أسرة قطاوى كانت شديدة التأثر بالتقاليد المصرية وتفاصيل الحياة اليومية !

تمتع موسى بالنفوذ الاقتصـــادى والسياسى ، تولى منصب نائب رئيس الطائفة ، الى جانب اسـهامه فى بعض المؤسسات الاجتماعية .

نسيم بك موصيرى ١٨٤٨ ـ ١٨٩٧ هو أول نائب لرئيس الطائفة من أسرة موصيرى ، صاحب مصرف موصيرى ، وزوج ابنة يعقوب قطاوى ٠٠ ولده جوزيف « ١٨٦٩ ـ ١٩٣٤ » كان تاجرا تولى ادارة المصرف ، تزوج من « جين أجيون » ٠

أخيه الأصغر « ايلى » ١٨٧٩ ـ ١٩٤٠ « أرغم على الاقتران بـ « لورا سوارس » وبالرغم من النفوذ الاقتصادى والاتصـــالات الواسعة فى الدوائر السياسية ، الا أنه لم يستطع منافسة جوزيف اصلان قطاوى فى الانتخابات لمنصب رئيس الطائفة ، وقنع بمنصب نائب الرئيس ، نفس ما حدث لأخيه « موريس » ١٨٨٦ ـ الذى انتخب نائبا للرئيس عام ١٩٤١ وخسر انتخابات الرئاسة فى ١٩٤٣٠

وكان لمساندة الحاخام الأكبر لأسرتى قطاوى وموصيرى ، دور كبير فى تقلد المناصب القيادية للطائفة ٠٠ حتى أن أموال الطائفة كانت مودعة ببنك موصيرى وقد أثبت المجلس وجود مخالفات مالية انتهت باتهام موصيرى باختـــلاس ١٨ ألف جنيـــه استرلينى ، مما عرضه وقطاوى لانتقادات شديدة !

فى رسالة ساخرة بعث بها اليهودى البلغارى « ماركو باروخ » الى صديق له ، عام ١٨٩٧ عرض فيها للمشاكل التى تواجه الطائفة ، جاء فيهـا :

« المادية تطغى على كل شىء ٠٠ أصحاب البنوك والمصارف انشغلوا بتكديس الأموال وبشئونهم الخاصة ، عن أى محاولات للاصلاح ٠٠ الحياة الروحية تعانى فقرا شديدا ٠٠ ! » ٠

وواجه موسى قطاوى باشا حملة قوية اتهمته بالدكتاتورية المطلقة ، من جانب بعض المدرسين ، وناظر مدرسة التحالف الاسرائيلى « صوميخ » عام ١٩٠٨ ، فى اجتماع جمعية النهضة الأدبية الاسرائيلية « بحارة اليهود » ، والذين أصدروا نشرة بعنوان « تيقظ الأمة الاسرائيلية » هاجموا فيها قطاوى ، وقصوره عن اصلاح مدارس الطائفة مما يهدد بهجر الطلاب لها !

فى مارس ١٩١٧ ، أرسل عدد من اليهود الشرقيين خطابا الى « حسين رشدى » باشا رئيس الوزراء ، يوضح أهمية الدور الذى لعبته رابطة « بناى بريت » فى تنظيم علاقات الطائفة ، وانشاء المؤسسات الخيرية · ولذا « فلا حاجة لمجلس الطائفة فى وجود سلطة الحاخام الأكبر وهيئة الحاخامات ·· وبالتالى يجب حل هذا المجلس ومكتب رئاسة الطائفة ·· ! » ·

وفى تقرير لـ « س · أفيجدور » من الاليانس العالمى سنة ١٩١٨ « من الواضح ان هناك حملة منظمة للسيطرة على مكتب الرئاسة ، بزعامة أقطاب الطبقة البورجوازية أو ما يمكن أن نطلق عليهم « أغنياء الحرب » وما يتمتعون به من نفوذ مالى واجتماعى هؤلاء الذين حققوا ثروات طائلة ـ بأسلوب غريب ـ بعيدا عن المشاركة فى الصالح العام للطائفة ! » ·

فى الوقت الذى رفض فيه موسى قطاوى تقديم استقالته من منصبه كرئيس للطائفة قام أحد عشر عضوا بالمجلس ـ أطلق عليهم المصلحون ـ بتقديم استقالاتهم احتجاجا على سوء الأوضاع والأسلوب الدكتاتورى الذى يتبعه مكتب الرئاسة فى اتخاذ القرارات وكان هؤلاء المصلحون من التجار والصيارفة ورجال الأعمال ، وهم : البرت حاييم (هاجر من استانبول) البرت هرارى والبرت نجار

(من أصل سورى) موريس جاتينيو ، ايزاكو بينارو ، ايلى جاليكو ، مارسيتوماتاتيا ، أوجو موريوجو ، سالمون شيكوريل ابن مورينو شيكوريل ٠٠ بالاضافة الى اثنين من عائلات ثرية معروفة : روبرت رولو ، جاك جرين ٠

ترتب على هذا الوضع ، أن امتنع الكثيرين عن دفع ال « أريخا » والاسهام بالتبرعات لمدارس الطائفة ، حتى أغلق بعضها أبوابه عام ١٩١٨ ، ليواجه نحو خمسمائة طالب صعوبات فى استكمال تعليمهم ، فى حين اتجه أبناء القادرين فقط الى مدارس الليسيه الفرنسية والمدارس التبشيرية البريطانية ٠

وقد كانت « الاريخا » أهم مصادر تمويل المؤسسات الاجتماعية اليهودية وكانت تشكل لها لجنة خاصة يتولى رئاستها نائب رئيس مجلس الطائفة ، مهمتها جمع هذه التبرعات ، بحد أدنى جنيه واحد فى السنة عن كل يهودى ٠

فيما بين عامى ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ افتتح عدد من المدارس الابتدائية والمهنية من أجل فقراء الطائفة ، بينما كانت المؤسسات الرسمية للطائفة تعيش حالة من التفسخ حتى أن اجتماع الجمعية العمومية فى يونيو ١٩٢١ ، لم يحضره سوى سبعة أعضاء من بين ثلاثة آلاف عضو !

عندما توفى قطاوى عام ١٩٢٤ ، خلا منصب الرئاسة ٠٠ وعاد الحاخام رافائيل آرون بن سيمون الى منصب كبير الحاخامات ، ثم انتخب « جوزيف أصلان قطاوى » ١٨٦١ـ١٩٤٢ رئيسا للطائفة ، ليصبح الرابع من أسرته الذى يشغل هذا المنصب ٠

تمتع جوزيف بشخصية قوية ، واتصالات على أوسع نطاق فى مجالات الاقتصاد وفى الدوائر السياسية ٠

درس الهندسة في باريس ، وعين بوزارة الأشغال العمومية المصرية ، شارك في تأسيس مجموعة شركات مع عائلات : سوارس ، رولو ومنشه ٠٠ اقترن ب « آليس سوارس » ابنة فليكس سوارس عام ١٩١٢ ، أنعم عليه بلقب باشا في عام ١٩١٤ ، انتخب عضوا بالجمعية التشريعية في عام ١٩١٦ ، انضم لعضوية لجنة التجارة ولجنة الصناعة وأسهم في النشاط السياسي لحزب الوفد ، فيما بين عامي ١٩١٩ ، ١٩٢٢ ، ٠٠ وشـــارك الوفد المصري في سـفره الى لندن ، اعتمادا على خبرته القانونية ، وأسهم في تأسيس بنك مصر الذي تولى تنمية وتمويل المشروعات المصرية الناشئة ، بعيدا عن سطوة رأس المال الأوربي !

انتخب عضوا بمجلس ادارة شركة كوم امبو للسكر ، كما شارك في الاشراف على عدد من المشروعات الزراعية والصناعيـة والنقل والصرافة ٠

استقال من حزب الوفد ، وأصـبح عضـوا بحزب « الأحرار الدستوريين » برئاسة عدلى باشا يكن ، والذى ضم نخبة من كبار ملاك الأراضى ٠

انتخب عضوا بالبرلمان عام ١٩٢٢ عن دائرة كوم امبو ، والتى كانت تمثل مركز ثقل اقتصادى لعائلة قطاوى ٠

فى ابريل ١٩٢٣ ، شارك فى عضوية لجنة اعداد الدستور الجديد ، وفى نوفمبر ١٩٢٤ عين وزيـــرا للماليـــة فى وزارة أحمد زيوار باشا ٠٠ التى تشكلت عقب اغتيال السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى بالسودان ٠

انضم لحزب « الاتحاد » الذى تشكل بايعاز من القصر ، وحتى يثبت ولائه السياسى للملك فؤاد ، فى أول مايو ١٩٢٥ ، قدم استقالته من الحزب ، أثر اشاعة بأنه أرسل برقية تهنئة الى سعد زغلول الخصم الأول للحزب بمناسبة عيد الفطر ، مما اعتبره معظم أعضاء الحزب نقضا للعهد وعدم وفاء للحزب ! ··

ارتبط بصداقة قوية بالملك فؤاد ، الذى عينه عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٢٧ ثم عضوا بمجلس المالية فى الفترة ١٩٣١ ـ ١٩٣٥ ·

أيضا ارتبطت زوجته « آليس » بعلاقة قوية بالقصر ، فكانت الوصيفة الأولى للملكة نازلى ، وهى نفس الوظيفة التى كانت تشغلها قبلها « فالنتين رولو » كما أنها أول امرأة يهودية تحصل على أعلى نيشان مصرى ·

وبالرغم من تعليمه وثقافته الفرنسية ، الا أنه ـ وكما كان يردد دائما ـ أنه يهودى الديانة ، مصرى الهوية ، ولائه للملك ولمصر بلده ·· وقد وضح هذا الولاء والانتماء فى رؤيته للحركة الصهيونية ومخططاتها من أجل انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ورفضه لاقامة مجرد ولاية يهودية على الأرض العربية !

وقد استحوذت الأوضاع السياسية فى مصر على اهتمام الطائفة اليهودية ، مما دفع بيوسف الى توسيع وتعميق اتصالاته بين الدوائر السياسية والدبلوماسية المصرية والأجنبية ، تميز اسلوب ادارته لمجلس الطائفة بالاحتكام الى العقل فى حل المشاكل الداخلية للطائفة ، والى الدبلوماسية ازاء المشاكل والقضايا السياسية العامة ·· توفى فى مايو ١٩٤٣ ·

★ حاييم ناحوم (أفندى) ١٨٧٣ ـ ١٩٦٠ ـ ولد فى (ماجنسيا) بالقرب من أزمير ، درس الثانوية فى استانبول ، التحق بالمدرسة العليا للحاخامات بباريس ، ودرس اللغات الشرقية ، وشارك فى تأسيس رابطة « الاتحاد والتقدم » التى كان لها دور فعال فى الانقلاب التاريخى لتركيا ، عقب عودته من باريس ١٩٠٨ عين « حاخام باشى » كبيرا للحاخامات فى استانبول ٠

أصقلته خبرة سياسية هائلة ، من خلال علاقاته بالدوائر السياسية والدبلوماسية فى ولايات الامبراطورية العثمانية ، والولايات المتحدة وفرنسا ، ومن خلال المشاركة فى وفود رسمية ممثلا عن تركيا فى عدة مفاوضات ومؤتمرات ، منها مفاوضات الهدنة الحربية فى Hague ، وفى واشنطن ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ ، وفى مؤتمر السلام الذى عقد فى لوزان بسويسرا عام ١٩٢٢ ، وكانت الحكومة التركية قد أوكلت اليه مهمة تحقيق التفاهم مع بريطانيا وتحسين العلاقات بينهما ٠ وهى المهمة التى شجعتها المنظمة الصهيونية العالمية ٠

كانت اهتماماته وطموحاته السياسية بلا حدود ، على حساب الجوانب الروحية والدينية ، واهماله فى كثير من الأحيان لمسئوليات منصبه ، مما أدى الى عدة حملات هجوم عليه ٠٠ خاصة من الاشكناز الصهاينة ـ الذين وصفوه بأنه : » أفاق ، محتال ثعبان » ! ٠٠ وعندما رفضت السلطات الحكومية اختياره ممثلا لها فى واشنطن ، تقدم باستقالته من منصبه الذى اكتسب من خلاله شهرته كدبلوماسى شرقى ٠٠ أكثر منه كرجل دين ، حتى أطلق عليه : « أفضل حاخام بين الدبلوماسيين ، وأفضل دبلوماسى بين الحاخامات » !

كثرت زيارات حاييم ناحوم لفلسطين ، ولقاءاته باللجان والجمعيات الصهيونية التى حرصت على تجنيده فى خدمة أهدافها ٠٠

وقد قوبل دوره فى تشجيع النشـــاط الصهيونى فى مصر بالحذر ، والكراهية أحيانا ، الا انه وثق صلته بالملك فؤاد ، الذى عينه عام ١٩٢٥ ، حاخام أكبر لمصر والسودان ، ومنحه الجنسية المصرية عام ١٩٢٩ ، وعينه عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٣١ ، وفى نوفمبر عام ١٩٣٣ ، نال عضويه مجمع فؤاد الأول للغة العربية (مجمع اللغة العربية) ٠

حاول حاييم تقريب وجهات النظر بين زعماء الطائفة من أجل الصالح العام ٠ وقوبل بكراهية واعتراضات من بعض الشخصيات ، وبانتخاب مجلس جديد عاد الهدوء النسبى وفى مارس ١٩٢٥ ، شكل حاييم مكتب (الحاخامخانه الاسرائيلية بالقاهرة) وفى نوفمبر ١٩٢٦ ، وضعت لائحة على غرار لائحة الطائفة بالاسكندرية عام ١٨٧٢ بخلاف أن لائحة الاسكندرية تحتم أن يكون ثلثى الأعضاء الثمانية عشرة من المواطنين اليهود المصريين وتنص هذه اللائحة على خضوع الطائفة لأحكام المجلس ، الذى تنتخبه الجمعية العمومية لمدة ثلاث سنوات ، وحق التصويت مكفول للأعضاء الذين يدفعون الاريخا طوال هذه الثلاث سنوات ٠

وعندما تم اقرار رئاسة الطائفة لمدة سنة واحدة ، حاول البعض التدخل لتعديل هذا القرار ، لكن لم يستجب لمطلبهم ٠ مما أدى الى سقوط جوزيف قطاوى صريع المرض نتيجة اصابته بشلل نصفى حتى وافته المنية عام ١٩٤٢ م ٠

تحددت اختصاصات مجلس الطائفة فى رعاية مصالح وحقوق الطائفة ، وتحديد سلطة الحاخام الأكبر بأنها سلطة دينية فقط ، ويتلقى تعليماته من المجلس ، ويوقع على الطلبات الدينية والمدنية والخدمات ، والشئون المالية من اختصاص المجلس فقط ٠

وضع هيمنة رجال الأعمال والمهن الحرة على المجلس وقراراته ، وكان منهم العصاميون ، والمهاجرون ، منهم : ابرامينو منشه ، البرت حاييم ، ايزاك ناكامولى ، ابرامينو آشير ، ايزاك اميل ، عزرا رودوريج ٠٠ وقد تشابه نشاطهم المهنى مع مورينو شيكوريل ، وجوزيف بتشيوتو وحاييم بارسيلون ، سلفاتور ازاكى وفيكتور راجدون الذين ينتمون فى الأصل الى الطبقة المتوسطة ٠

كان هناك استمرارية لغياب دور المؤسسات العامة فى حياة اليهود فى مصر وهذا ما أشار اليه « يوليوس بيرجر » وزميله جرونهت » فى تقرير جاء فيه :

« رغم أن الطائفة العربية اليهودية تحتل موقعا متميزا على عكس الاشكنازيم ، منذ أن كان يتزعمها وزير المالية قطاوى باشا ، ولأكثر من نصف قرن ، بنفوذ عائلات قطاوى وموصيرى ومنشه ٠٠ الذين كانوا يقطنون فى الأساس أماكن التجمع اليهودي ـ الحارة ـ ويعملون صغار صيارفة ٠٠ وبفضل علاقاتهم بسلطات الاحتلال البريطانى ، كونوا ثروات ، جعلتهم يتسللون الى المناطق الراقية ، ونشأ الجيل الثانى (أولادهم) فى محيط من التحضر والمدنية والتطلع الى المناصب الهامة فى مصر ٠٠ ولهذا فمن السهل ملاحظة المتناقضات داخل الأسرة الواحدة فمنها من يرفل فى الثراء وينعم بالنفوذ الاقتصادى والسياسى ٠٠ ومنها من يعانى البؤس والشقاء ويتردد على مكاتب قطاوى أو موصيرى يطلب معونة تساعده على السلوك فى معترك الحياة » !

وكانت الأوضاع الداخلية للطائفة موضع انتقاد لهانز كوهن عام ١٩٢٨ : « لايزال الموقف سيئا فى القاهرة ، فالسلطة والنفوذ بيد نحو عشرين أسرة يهودية ٠٠ أما اليهود الذين يعيشون خارج القاهرة ، ومعظمهم من اليهود العرب ، ولأنهم فقراء ، فهم خارج

دائرة اهتمام زعماء الطائفة ، وهم أيضا فقدوا الاحساس بوجوب المشاركة فى العمل الاجتماعى ! » ٠

أنفقت الطائفة فى الثلاثينات نحو ٨٠ ألف جنيه من أجـــل انشاء مدرسة ومستشفى يهودى وبعض المؤسسات الاجتماعية ٠٠ مما ألهب حماس السيدات أيضا ، فأسسوا فرعا للمنظمة الصهيونية العالمية للمرأة Wizo ، ومستوصف ، ومكتب لرعاية الأسرة ٠٠ هذا فى الوقت الذى كانت تجتاح البلاد فيه أزمة اقتصادية طاحنة ٠٠ وافتتح موسى قطاوى مدرســـة قطاوى للبنين ، ومدرســـة « مارس سوارس » للبنات ، بالمجان ، فى حى العباسية ٠

وتسوء الأوضاع ويتسلل الانحراف داخل فرع القاهرة للاتحاد الدولى لشباب اليهود فيغلق أبوابه عام ١٩٣٥ ، وتتأسس فى العام نفسه منظمة الشباب اليهودى المصرى التى عملت على نشر الثقافة والتاريخ اليهودى ، والحفاظ على التقاليد اليهودية ٠

وتشهد رابطة بناى بريت نشاطا مكثفا عام ١٩٣٣ لوقف المد النازى ٠٠ والتعاون مع الجمعيات اليهودية المحلية ٠

برحيل جوزيف قطاوى عام ١٩٤٢ ، يكاد ينتهى دور أسرة قطاوى بالنسبة لمجلس الطائفة ، باستثناء رينيه ابن جوزيف أصلان قطاوى ٠٠ ويدخل فى المنافسة الانتخابية ايزاك ناكامولى ١٨٦٩ ـ ١٩٤٥ ٠ رجل الأعمال العصامى ، الذى شـــيد واحـدا من أكبر مصانع الورق ، عمل نائبا لرئيس الطائفة ، ومن المدهش أنه لم يكن يعرف العربية على الاطلاق !

ويتزعم كل من صحيفة « الشمس » ، ومنظمة الشـــباب اليهودى ، حملة تطالب بزيادة أعضاء الطائفة من ١٨ عضوا الى ٢٤ عضوا ، على ان تكون الغالبية للشباب والمثقفين من اليهـــود

المصريين وأن تحل العربية والعبرية محل الفرنسية اللغة الرسمية للمجلس ! ورئيس الطائفة يجب ان يكون مصرى الهوية ، يرتدى الطربوش وبترشيح من الجمعية العمومية وليس من المجلس .

وتشتعل الحملات الانتخابية ، وتعتبر بعض الصحف وأندية الشباب : رينيه بك قطاوى هو أنسب المرشحين ، فعائلته مازالت تتمتع بنفوذ سياسى واقتصادى ، كما تحفل بتأييد يهود الحارة والعباسية .

بينما العائلات الثرية : سوارس ، جرين ، موصيرى .. قد أيدت موريس موصيرى أما اليهود المهاجرون من دول أوربا فكانوا يساندون ايزاك ناكامولى .

وبنجاح ساحق ، بفوز رينيه بالمنصب ، ليصبح الخامس من أسرة قطاوى .. وأنتخب ناكامولى رئيسا شرفيا ، وسلفاتور شيكوريل وايزاك ليفى نائبان للرئيس ، البرت حاييم سكرتيرا ، أميل عدس مسئولا ماليا .. أما موريس موصيرى فلم يعرض عليه أى منصب قيادى ليخسر كل شىء فى هذه المعركة الانتخابية !

وقد ضم المجلس : يعقوب ليفى قطاوى ، والمحاميان كليمان هرارى ، وشارلز شالوم وابرامينو آشير ، حاييم بارسيلون ، سلفاتور ايزاكى ، عزرا رودريج ، كما ضم المجلس وللمرة الأولى اثنين من أشهر رجال الأعمال : أوفاديا سالم وأصلان فيدون .

أما عن أوفاديا سالم ، فقد ولد عام ١٨٨٨ فى سالونيك ، هاجر الى مصر عام ١٩٠٣ عمل مؤقتا ببنك موصيرى ، ثم أسس مع الفريد كوهين و ج . س . بيريز ، شركة التسليفات التجارية ، سرعان ما تحولت الى واحدة من أكبر شركات التجارة والتصدير ،

أسهم في نشاط الحركة الصهيونية في مصر من خـــلال رابطـة بناى بريت ٠

أما بالنسبة لأصلان فيدون ، الذى ولد عام ١٨٨٢ ، فهو مثل نكامولى ، آشير ، رودريج وسالم ٠٠ مهد لنفسه طريقـــا فى عالم التجارة ، الى ان افتتح شركة ناجحة عام ١٩١٧ ، تمد الحكومة والجيش والمستشفيات بالاحتياجات اللازمة من الملابس والخيـــام وشيد مع زوجته فى عام ١٩٣٣ مدرسة أولية ثم ملجأ فى العام التالى ٠

رينيه بك قطاوى ، ولد عام ١٨٨٦ ، تلقى علومه بلوزان ، اقترن بـ « سيلين جوهر » عمل بضع ســـنوات فى وزارة الزراعة المصرية ، فى نهاية العشرينـــات أصـــبح مديرا عاما لشركة وادى كوم امبو ، وعضوا بالمجلس الاقتصادى ، وعضوا بالمجمع العلمى المصرى وبالجمعية الجغرافية الملكية ، فى عام ١٩٣٨ انتخب عضوا بالبرلمان عن دائرة كوم امبو مثلما خلف شقيقه الأكبر أصـــلان والدهما فى عضوية مجلس الشيوخ ٠ وأعيد ترشـــيحه للبرلمان عام ١٩٤٥ ، وأول مرة ينتخب لعضوية مجلس الطائفة كانت عام ١٩٣٦ م وأشرف لعدة سنوات على مدرسة الطائفة ، قبل ان يصبح نائبا لرئيس المجلس ، أسهم فى تأسيس الجمعية اليهودية للاصلاح الاجتماعى عام ١٩٤١ ، لتحسين الظروف المعيشية لفقراء اليهود ـ الحارة ـ وكانت أهم المشاكل التى حاول أن يضع حلولا لها : التعليم وانشاء المزيد من المدارس ، التغلب على مشاكل حارة اليهود بتوفير المساكن الملائمة والعناية الصحية ، وانشاء ناد للشباب ٠

★ وفى عام ١٩٤٧ ، أثمر تعاون مجلس الطائفة مع الجمعية اليهودية للاصلاح الاجتماعى عن افتتاح مركز اجتماعى بحارة اليهود ، يشمل مستوصف عام ، حمام عمومى ، ورشة مهنية ، مكتب للعناية الصحية ورعاية الأسرة ٠٠ ومطبخا يعد نحو ١٢٠ وجبة يومية ٠

وكان مدير هذا المركز « اندرية جابيس » الذى وضـــع برنامجا للاسكان الشعبى وبرنامجا لتطوير مناهج التعليم ، وبدأ يعد لاقامة مدرسة ثانوية وأخرى مهنية ٠

وقد باع مجلس الطائفة مدارس قطاوى ومارى سوارس بحى الظاهرة ، وادمجت مدرسة البنين بمدرسة « السبيل » المجانيـــة بالعباسية ، كما تم توسعه وتطوير مدرسة الحرف والصناعات التى شيدها شيكوريل عام ١٩٤٨ ٠

★ وكان هناك تقليدا متبعا ، بمقتضـــاه تتولى بعض الأسر الثرية مساعدة الأسر الفقيرة بحـــارة اليهود ، بالمال والأطعمة فى مناسبات الأعياد الدينية ، واستمر العمـــل بهذا التقليد بجانب الاقتراح المستحدث بطبع بطاقات مدون بهـــا بيـــانات الشخص أو الأسرة التى بحاجة الى مساعدة ، مثبت بها قيمة المبلغ الذى سيصرف له شهريا ، بدلا من انتظار الصدقات فى المناسبات ٠

وكانت الأمور قد أصبحت أكثر تعقيدا ، خلال الحرب العالمية الثانية ، وتزايدت الدعوة الى اندماج الطوائف اليهودية الشرقيـــة والأوربية ، وتنسيق التعاون فيما بينها وهى الدعوة التى كانت تقابل دائما بالرفض أو عـــدم الترحيب من جانب الاشكنازيم ٠٠ خاصة ما يترتب على ذلك من زيادة اسهامهم فى رفع مستوى معيشة يهود الحارة والنهوض بمدارس الطائفة !

كذلك باءت بالفشل كل محاولات توحيـــد طائفتى القاهرة والاسكندرية ! ٠٠ حتى تحقق بعض النجاح فى مايو ١٩٤٨ ، وبدأ التنسيق والتعاون بين الفرق المختلفة !

في أكتوبر ١٩٤٥ ، صدر قانون بوضع الجمعيات ذات الصفة الدينية تحت اشراف وسلطة الحاخام الأكبر ، بينما المؤسسات الاجتماعية تسجل وتخضع لاشراف وزارة الشئون الاجتماعية وحتى منتصف الأربعينات ، كانت اجتماعات المجلس ومناقشـــاته تتم باللغة الفرنسية ولا تترجم الى العربية ، فغالبية أعضاء الجمعية العمومية والمجلس من غير اليهود المصريين ، لا يستطيعون القراءة والكتـابة بالعربيـــة ، كذلك كان من الصعب أن يتحقق حــلم « المصلحون » في أن يصبح المجلس « مجلسا مصريا » ممثلا عن اليهود (الحقيقيين) المصريين ، كمــا كانـوا يأملون فى بداية العشرينات من هذا القرن ! ٠٠ ويحسب لهم نجاحهم الى حد ما فى جعل الجمعية العمومية أكثر ديمقراطيـــة وتسخير بعض من نفوذ العائلات الارستقراطية وعلاقاتها فى حل بعض مشاكل الطائفـــة خاصة الطبقة الفقيرة ٠

وبالرغم من النفوذ الاقتصـــادى لطبقة المهاجرين الأثرياء ، وسيطرتهم على مجريات الحياة العامة لليهود ، الا أنهم لم يتمكنوا من الوصول لمنصب رئيس الطائفة ، وكل ما حققه ناكامولى ـ أحد أفراد هذه الطبقة ـ هو الحصول على الرئاسة الشرفية عام ١٩٤٣ ، كما سبق أن أشرت لذلك ، ووصول سلفاتور سيكوريل وايزاك ليفى الى منصب نائب الرئيس ، بينما ظلت الرئاسة فى قبضـــة أسرة قطاوى أو « القطاوية » حتى سقوط رينيه قطاوى صريع المرض واستقالته لأسباب صحية فى أغسطس ١٩٤٦ م ٠

واختير سلفاتور شيكوريل عميد العائلة الثرية المعروفة وصاحب المحلات الشهيرة بوسط المدينة ، والحائز على رتبة البكويه ، ووسام الشرف الفرنسى بدرجة « فارس » ووسام « التاج الايطالى » والمتمتع بالحماية الايطالية ، ورئيس أندية المكابى اليهودية ٠ رجل الأعمال

وصاحب النفوذ في الاقتصاد المصرى والعلاقات الواسعة ٠٠ لكنه أبدا لم يكن « قطاوي » !

وارتفعت دعوة تطالب بحق المرأة اليهودية فى التصويت ، فى انتخابات المجلس وساند الحاخام الأكبر هذا الاقتراح وأيده ، بينما جبهة عريضة تزعمها ايزاك ليفى نائب الرئيس تعارض هذه الفكرة ، لايمانه بأن المرأة مهمتها الأساسية رعاية حياتها العائلية ، فقط يمكنها أن توجه بعض جهودها لخدمات التعليم والمشروعات الخيرية ٠٠ وتبنت صـــحيفة الشمس الاقتراح المؤيد ، بل وطالبت بتأسيس مجلس نسائى يتوازى مع مجلس الطائفة « الرجالى » ! على ان هذه الفكرة ـ التى شطحت كثيرا ـ لم تكن تلقى التأييد بالطبع ، وقوبلت بالرفض من جميع أعضاء المجلس !!

وقد تم تعديل لائحة المجلس ، لمنح الحاخام الأكبر سلطات أوسع ونفوذ أقوى وبمقتضاه أصبح « الممثل الرسمى » للطائفـــة اليهودية فى مصر ٠

مؤسسات الرعاية الاجتماعية
والرياضية والثقافيــة بالقاهرة

وجه زعماء الطائفة بعض من جهودهم لانشــاء مؤسسات الرعاية الاجتماعيــة ، والجمعيات الدينية والثقافية : التى كان هدفها بث الدعوة للتجديد والبعث الديني والثقافى واحياء اللغة العبرية ، وقد أبرزت الصحف اليهودية أنشطة هذه المؤسسات ، وعــاونتها فى انجاز مهمتها ، كما دعت الى وجوب التعــاون بين مجلس الطائفة وجمعيات الشباب بوجه خاص ، معبرة عن رغبتها فى تنشئة الشباب فى ظل « المبادىء الصهيونية » !

فى مجال الخدمات الاجتماعية ، انتشرت الجمعيات والمراكز والملاجىء والمستشفيات لخدمة الفقراء من أبناء الطائفة ، وأسهمت العائلات اليهودية فى تقديم الأموال والرعاية لهذه المؤسســات ، منها :

- جمعية « بخور حوليم » للرعاية الطبية ، التى تأسست عام ١٩٠٩ .
- الاتحاد الاسرائيــلى لخدمة يهود هليوبوليس ، تأسس عام ١٩٢٢ .
- جمعية « ماتان باستير » و « الجمعيــة الاسرائيليــة لخدمة الفتيات اليهوديات » اللتان تأسستا عام ١٩٣٣ ، من أجل

تقديم المعونة والرعاية للفقيرات من بنات الطائفة ، وتوفير سبل العمل لهن ، وتدبير الدوطات (المهور) اللازمة لزواجهن ·

- ملجأ « ابن ميمون » للمسنين ، بحارة اليهود ، تأسس عام ١٩٣٤ ·

- المركز الاجتماعى التابع للجمعية اليهودية للاصلاح الاجتماعى ، تأسس عام ١٩٤٧ ، وضم مستوصفا ، وحماما عموميا ، وورشة مهنية ، ومكتبا للرعاية الصحية ، ومطبخا يعد ١٢٠ وجبة مجانية يوميا ·· وقد جاء فى اعلان للحاخامخانة الكبرى بالقاهرة : « ليكن فى علم أبناء طائفتنا ، ان المركز الاجتماعى الكائن بحارة اليهود ، وكذلك ملجأ العجائز بمصر الجديدة التابعين للطائفة ، يقدمان يوميا وجبات الطعام لعدد كبير من المعوزين بالمركز الاجتماعى وملجأ العجائز ، على استعداد لتقديم تسهيلات لكل من يريد تحضير « السعوداه » والصلاة على روح المتوفين من الأقارب وذلك بمقرهما ·· »

- المستشفى الاسرائيلى : بحى غمره ، وقامت بتمويله عدد من العائلات اليهودية الثرية : قطاوى ، موصيرى ، شيكوريل ·· وتولى ادارته : د· « بيكارد هوجر » ·

ومن أشهر الأندية التى تولت رعاية شباب الطائفة اجتماعيا ورياضيا وثقافيا : « نادى الشبيبة اليهودى ـ المكابى » Maccabi ـ بالقاهرة والاسكندرية ، وقد أسهمت عائلات شيكوريل وعاداه وقطاوى ، فى تأسيس نادى « مكابى القاهرة » وتولى رئاسته سلفاتور شيكوريل فى الفترة من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤ ،

ثم خلفه الصهيونى الشهير « ايزاك اميل » أحد أبطال مصر فى لعبة الملاكمة ..

ويجدر بالذكر ، أن سلفاتور شيكوريل ، كان بطلا لمصر فى لعبة سيف المبارزة ووصل الى نهائى دورة الألعاب الأوليمية عام ١٩٢٨ ، ولمع كوهين ونجار فى لعبة التنس ، ورحمى فى رمى القرص والمصارعة ، وحصل على عدة بطولات فيهما ، كما برز سالونيشيو فى لعبة الملاكمة .

وقد تولى « جاك جوهر » عضو اتحاد المكابى بفلسطين ، وأحد زعماء الطائفة ، منصب مراقب عام النشاط الرياضى بمصر فى عهد الملك فؤاد .

كذلك شكلت الأندية اليهودية بالقاهرة والاسكندرية : جماعات للكشافة وفرق العبرى الصغير ، التى أسهمت فى جمع التبرعات الى « الكيرن كاميت » من أجل شراء الأراضى فى فلسطين وتشييد المستعمرات اليهودية عليها ، كما أوفدت هذه الأندية ـ لجانا خاصة ـ لاستقبال المهاجرين اليهود القادمين على البواخر وتهيئة سبل الاقامة والعمل والراحة لهم .

وقد دعى عدد من الكتاب والصحافيين اليهود ـ ممن تسلطت على عقولهم الفكرة الصهيونية ـ الى تكوين جمعية تعبر عن أمانى الشباب اليهودى ، على غرار جمعيتى الشبان المسلمين والمسيحيين، فشكلت لجنة تحضيرية لوضع أسس هذه الجمعية ، ضمت : د. ألفريد يلوز ، د. اسرائيل ولفنسون ، سعد يعقوب مالكى ، رحمين كوهين ، هلال فارص .. وفى الثالث من يوليو عام ١٩٣٥، أعلن تأسيس « جمعية الشبان اليهود المصريين » واتخذت مقرا لها بعمارة « أسايس » بالخمزاوى، شعارها « الوطن والدين والثقافة »

ومبادؤها « خدمة مصر » ورفع شأن اليهود فى البلاد أدبيا واجتماعيا ، وتعويد الشباب على « الأخلاق القومية والتقريب بين عناصر الأمة على اختلاف أديانها وأجناسها ·

واذكاءا للروح اليهودية فى نفس الشباب ، نظمت الجمعية محاضرات تناولت التوراة وشرائعها ، التاريخ اليهودى وأبرز الشخصيات اليهودية ودروسا فى اللغة العبرية ·

وقد وصفت صحيفة « الشمس » ·· فى اطار دعوتها لشباب اليهود للانضواء تحت راية هذه الجمعية ، بأنها « ستعيد مجد الشعب اليهودى » !

فى عام ١٩٣٩ ، تمكنت الجمعية من أن تؤسس ناديا باسم : « نادى جمعية الشبان اليهود » ·

وكان من أهم الأندية التى نشطت فى بث الفكر الصهيونى بين الشباب « النادى الصهيونى » الذى تأسس عام ١٩٣٥ ، كما تأسس أيضا « الاتحاد العالمى للشبيبة الاسرائيلية » بمصر ، برئاسة د· الفريد يلوز ، وفى اطاره تأسس قسم « هاعبرى ها صعير — العبرى الصغير » بهدف تعليم اللغة العبرية ونشر المبادىء الصهيونية ·

فى مارس عام ١٩٣٧ ، تأسست جمعية « الشبان الاسرائيليين القرائين » التى أصدرت مجلة باسم « الشبان القرائين » ومجلة « الكليم » ·· ونشطت الجمعية فى تنظيم محاضرات أسبوعية خاصة بتاريخ اليهود القرائين وتعاليم اليهودية ، ثم أسست هذه الجمعية ناديا خاصا باسم « نادى اتحاد الاسرائيليين القرائين »

وكان مقره بشارع العباسية رقم ٥ ، وتشكل مجلس ادارته على النحو التـالى :

— المهندس فرج ابراهيم فرج رئيسا ·

— المحامى يوسف درويش وكيلا ، وفرج يعقوب فرج سكرتيرا ·

— وأعضاء المجلس : الياهو أصلان ، ابراهيم حسنى ، توفيق عبد الواحد ، جاك ليتو مرزوق ، جاك فرج ، زكى منشه ، يوسف كمال ، ثابت درويش ·

وتمثلت أغراض النادى — كما جاء فى لائحته التأسيسية — فى :

١ — ترقية الروح الرياضية والأدبية والأخلاقية والعلمية والفنية وبثها فى الشباب وتسهيل سبل التعارف والمحبة بينهم ·

٢ — ترقية الطائفة على الطريقة المدنية الحديثة ·

وقد اشـتهر هذا النـادى بتنظيم الحفـلات والرحـلات والمحاضرات ، وتكونت به فرق رياضية وجماعات ثقافية وموسيقية وفن التصوير ·

المـــــدارس ..

اعداد شـباب اسرائيـلى متعصب !

كانت الطائفة اليهودية بمصر - أولى الطوائف اليهودية فى الشرق الأوسط - التى تنبهت الى أهمية التعليم الحديث الملائـم لمقتضيات العصر، وأصبح الاتجاه العام نحو الثقافة الغربية، خاصة الفرنسية ، ومنذ الستينيات من القرن التاسع عشر ، طرأ تغيير جوهرى على مدارس اليهـود بادخال بعض اللغـات الأوربية : الفرنسية والانجليزية والايطالية ..

وقد أسهم تمركز يهود مصر فى القاهرة والاسكندرية ، فى تمتعهم بمستوى تعليمى وثقافى مرتفع ، نظرا لانتشار دور التعليم والمعاهد العالية الأجنبيـة والحكومية فى هاتين المدينتين ، وكما عنيت الطائفـة اليهودية بأن يكون تعـليم أبنـائها تحت اشرافها لضمان توجيههم الوجهة المرجوة ، وحتى يشبوا وانتمائهم الأول لدينهم وطائفتهم ، ببث مفاهيم التوراة والتلمود فيهم ، فانها عنيت أيضـا بانشـاء عدد من المدارس على غرار النظم الأوربية ، كما اهتمت كذلك بالتعليم والتدريب المهنى .

كانت مدرسة « ابن ميمون » بدرب البرابرة أول مدرسـة يهودية أنشئت بالقاهرة ، أسسها محفل ابن ميمون عام ١٨٩٢ ، والذى كان له نشاط بارز من أجل تعليم أبناء الطائفة ، وقد ضمت

خمسة فصول بلغ عدد طلابها ١٣٠ طالبا ، تلقوا دروسهم الأساسية باللغة الفرنسية ، الى جانب دراسة اللغات العبريه والعربية والانجليزية ، وتولى شئون التدريس بها عدد من خريجى مدرسة المعلمين الاسرائيلية الشرقية فى باريس ، كما أنشئت بعض الكتاتيب الملحقة بعدد من المحافل والمعابد اليهودية ٠

وقامت المحافل والمعابد اليهودية بتقديم الدعم المادى لمدارس : « الاتحاد الاسرائيلى العالمى ـ Alliance Israelite Universelle » وهو تنظيم يهودى تأسس عام ١٨٦٠ فى باريس ، بهدف تنمية المجتمعات اليهودية المتخلفة باتباع أحدث النظم التعليمية والتدريب المهنى واغاثة اليهود فى أزماتهم والدفاع عن حرياتهم الدينية وحقوقهم المدنية ٠٠

كذلك أنشأ مجلس الطائفة اليهودية عدد من المدارس التى كانت تشرف عليها لجنة خاصة سميت « لجنة المدارس » ضمت ١٢ عضوا من الحاخامات والشخصيات البارزة ، وكانت تمول من حصيلة الضرائب الخاصة « أريخا » وتبرعات أثرياء اليهود ٠

هذا الى جانب عدد من المدارس الخاصة ، أهمها مدرسة « جمعية نقطة اللبن ـ La Goute de lait » التى أسسها : ايزاك بنارويو ـ Isaac Benaroio وزوجته عام ١٩١٥ ، واشتهرا بتقديم وجبة افطار ومعونات مالية لليتامى والفقراء ، بالاضافة الى عشرة آلاف جنيه من التبرعات للاسهام فى انشاء مقر لهذه المؤسسة القرب من ميدان سليمان باشا ، ضم مدرسة لليتامى وأبناء الفقراء من اليهود افتتحت عام ١٩٢١ ٠

وفى عام ١٩٢٠ أسس « موسى قطاوى ـ Moise De Cattaoui » مدرسة أولية باسمه ، وأسست « مارى سوارس ـ

سوارس _Marie Saures » مدرسة أخرى في عام ١٩٢٤ ، ومدرسة العباسية في عام ١٩٢٧ ·

وأسست عائلة جرين : جاك ورالف واستير ، فى عام ١٩٢٤ مدرسة « جرين » بحارة اليهود ، وكان مديرها الصحفى اليهودى الشهير « سعد مالكى » كما أسست « راشيل يعبيس » مدرسة باسمها بحى عابدين عام ١٩٣٤ ، وأسس « فليكس سماما » فى عام ١٩٣٦ « ليسيه السكاكينى » الابتدائية ، والتى ضمت أقسام للاختزال والدراسات التجارية وادارة الأعمال ·

وأسس « ابراهام بيتش » مدرسة باسمه فى مصر الجديدة عام ١٩٢٣ بلغ عدد تلاميذها نحو ٦٠٠ تلميذ ـ بقسميها الابتدائى والثانوى ـ من جنسيات متعددة : مصريون وفرنسيون وايطاليون وانجليز وأتراك وأسبان ويونان ·

وكان محفل « بنى بريت » قد أسس فى عام ١٩٣٤ : جماعة « ليمود » الاسرائيلية ، التى نشطت فى تأسيس مدارس جديدة استوعبت الزيادة المطردة فى عدد الطلاب اليهود ، كما ساهمت فى معاونة الفقراء منهم لاستكمال دراساتهم وتوجيههم ، وأمدت المدارس الخاصة كذلك بالعون المادى والمشورة الفنية ·

وقد اضطلعت الصحف اليهودية بدور هام فى توجيه العناية بمدارس الطائفة ، حيث حرصت على الدعوة الى تشجيع الآباء على ارسال أبنائهم الى هذه « المدارس اليهودية الخاصة » ، ونبذ المدارس الحكومية والأجنبية ، بعد أن أقلقها خروج بعض أبناء الطائفة عن دينهم ! ·· وحثت المسئولين عن التعليم فى الطائفة على التركيز

على مبادىء الدين اليهودى وتعاليمه صونا للجيل الجديد من أخطار الخروج على الملة ..

فنجد أن صحيفة « اسرائيل » طالبت بانشاء معبد بكل مدرسة لتقام فيه الصلاة كل صباح حتى ينشأ الطالب نشأة يهودية صحيحة ، ويتعود الصلاة باللغة العبرية ، وحثت مجلة « الشبان القرائين » على العناية بالتعاليم اليهودية ، كما طالبت بانشاء مدرسة دينية خاصة بالطائفة ، يتلقى فيها الشباب تعاليم دينهم وشريعتهم بلغة التوراة .

وانتقدت صحيفة « الشمس » مدارس الطائفة لاهمالها تدريس التوراة ، ودعت الى العناية بدراسة « التاريخ الاسرائيلى » فى مصر ، كما دعت أيضا الى أن تكون لمدارس الطائفة مبادىء تسعى لتحقيقها مثلما تفعل المدارس المسيحية التى تنحصر مهمتها فى « نشر الدين المسيحى وبث تعاليمه بين الطلبة » .. !

ومما لاشك فيه أن هذه الدعوات قد أتت ثمارها باستجابة القائمين على أمر التعليم فى الطائفة ، بالتوسع فى انشاء المزيد من المدارس الاسرائيلية والاهتمام بتدريس اللغة العبرية وآداب الشريعة اليهودية ، وتطوير برامج التعليم فى هذه المدرس ، وتجدر الاشارة الى أن مجلة « الكليم » دعت الى أهمية وجود مدرسة ثانوية خاصة بأبناء الطائفة ، حيث أنها : « ستكون أحد العوامل الفعالة فى تحقيق وحدة الطائفة » .. ! وأن اقامة مثل هذه المدرسة « سيمكن الطائفة من الاستمرار فى الاشراف على شبابها ، ومواصلة اعدادهم وفق السياسة التى تناسب مصالحها ، كما سيمكنها من اعداد شباب اسرائيلى متعصب لطائفته ودينه ، وتشغله بالقضايا اليهودية على غيرها » .. !!

المحافل والمعابد اليهودية فى القاهرة

نشأة المعبد اليهودى :

المعبد أو الكنيس من المؤسسات التى شيدت بعد الكتاب المقدس ، فلم يكن هناك تعليمات أو اتجاهات محددة فيما يخص تشييده ، وتوجد فى التلمود اشارة واحدة الى أن الكنيس ينبغى أن يشيد فوق أرض مرتفعة وأن يكون أعلا قامة من الأبنية المحيطة به ونستطيع أن نستدل من سفر دانيال فى الكتاب المقدس على أن وجود النوافذ فى المبنى شىء أساسى للمصلى ، حيث أنها تمكنه من التأمل فى السموات ، الأمر الذى يلهمه الورع والمهابة ٠ ومن الملاحظ أن النبى دانيال كان يولى وجهه فى الصلاة شطر أورشليم، وقد كان لهذا الأمر تأثير قوى على تصميم الكنيس ٠

وبالرغم من أن الكنيس كان يتجه ، تبعا لذلك نحو أورشليم ، فان استجابات المعماريين لهذا التوجه جاءت متباينة بنسب كبيرة ، وذلك أثناء العصور الأولى المسيحية ٠

فى البداية كانت واجهة الكنيس تواجه أورشليم ، وفى المبانى التى أقيمت على هذا الأساس لم يوجد ما يشير الى موقع « الصندوق المقدس » الذى تحفظ فيه التوراة والذى يظن أنه كان يحفظ أما فى حجرة ملحقة بالمبنى أو خارج الكنيس ٠ ثم يحمل الى مكان الصلاة حيث يتم الاستماع الى الشريعة ٠ وابتداء من

القرن الثالث طرأ على تصميم الكنيس تغير واضح وأصبح اتجاه المبنى يتبع موقع « الصندوق المقدس » داخله ٠

وقد أشـــار المؤرخ « فلافيوس يوسيفوس / ٣٧ ـ ١٠٠ ميلادية » فى كتابه (The antiquities of the Jews) الى أن الكنيس كان يبنى على مقربة من النهر أو البحر لتكون هناك فرصة لممارسة الاغتسال فى مكان ملحق بمبنى الكنيس ٠

وقد جاء الكنيس بمثابة انشقاق أساسى عن تقليد التعبد فى الهيكل ، فكان علامة انتقال من الطقوس التى ينفرد بخدمتها الكاهن الأكبر « رئيس الكهنة » ومعاونوه ٠٠ اللاويون ـ الى نـوع من الخدمة الدينية الجماعية ، وكان لهذه الحركة الانتقالية من الطقوس القرابينية الى الصـلاة تأثيراتها الاجتماعية حيث يمكن أن يقوم بالخدمة التعبدية ـ الصلاة والاستماع الى الشريعة ـ أى ذكر راشد من المؤمنين دون حاجة لكهنوت ٠

وهكذا أصبح الكنيس مركزا لحياة اجتماعية ، وقد أشـار المؤرخ يوسيفوس الى أن المؤمنين يجتمعون فى الكنيس لا للصلاة والاستماع الى الشريعة فقط ٠ ولكن أيضا لمناقشة مشكلات تتعلق بحياة الطائفة ٠ وفى المعبد (كنيس) الكبير فى الاسكندرية كان الناس يتخذون أماكنهم تبعا لمهنهم وكل جماعة تجلس فى مكان خاص بها ٠ فهناك الغزالون والصائغون والحدادون ٠٠ الـخ ، وكل شخص يتجه عند دخول الكنيس الى المكان المخصص لأقرانه، وكذلك كان الكنيس مركز للنشاط الفكرى ، ولذلك أصبح معروفا باسم « بيت هاميدراش » أى بيت الدراسة ٠

والواقـع أن الطبيعة الأساسية للعبـادة فى الكنيس تعنى عامة ، أن عناصر التصميم المعمارى ليست بذات أهميـة كبيرة ،

وأنهـا لا تنبع من هذه الطبيعة التعبدية ولكنهـا ، فى الغـالب مستعارة من عمارة الأبنية المحيطة . واذا ما نحينا جانبا هـذه التأثيرات المحلية فمن الممكن القول بأن هناك عمارة خاصة بالكنيس فيما يتصل بتنظيم جزئه الداخـلى وكذلك فيما يتصل بالأيقنة .

كان هيـكل سليمان متـأثرا بالعمارة التقليدية لمقـادس الكنعانيين ، كما كان بالتالى نموذجا لخيمة الاجتماع المقدسـة ،

كان يتكون من ثلاثة مناطق متتابعة ـ المجاز (Ulam) والحجرة الرئيسية وهى الهيكل (Hekhal) ثم قدس الأقداس (Devir) الذى لا يدخله أحـد سوى الكاهن الأكبر « رئيس الكهنـة » ، وبالاضافة الى ذلك كان هناك تدرج بين الجزء المخصص للرجال ثم الجزء المخصص للكهنة .

وفى الكنيس ، حيث يشترك المؤمنون فى الطقوس ، صممت عمارة الجزء الداخلى بحيث تتحلق قطبين رئيسيين ـ الصندوق المقدس والمنبر (Bima) الذى يتم فوقه فتح درج ... الشريعة وقراءتها .

وعادة يكون الصندوق المقدس ملتقى أنظار الجميع ، والحقيقة أنه لا يمـكن الا أن يراه الجميع حيث يكون قبـلة المؤمنين فى صلاتهم ، يحتل صدر الكنيس ويهيمن على كافة الاتجاهات واقعيا ورمزيا ، الحلقة التى تربط بين المؤمن وصلواته ـ بين أورشليم الأرضية والمدينة السماوية !

ومنذ العصور الوسطى والمنبر يشغل مركزا محـوريا ما زال يحتفظ به مهما كانت القيود المكانية ، ومعه أيضـا الصندوق المقدس الذى يحتفظ هو الآخر بمكانه فى الحائط الغربى حيث

يشكل التعبير المادى للتغير فى شكل الخدمة ــ المؤمنون يشكلون دائرة تتحلق قلب الكنيس ثم يأخذون فى الالتفاف حول المنبر ٠

اعمـــال الزخرفـــة

شهدت العصور الأولى للمسيحية تحولا فى التزيين والزخرفة من الأجزاء الخارجيـــة للمبنى الى أجزائـــه الداخليـــة وكان ذلك استجابة لتشريع معاد لانتشار اليهودية ، فبعد مائة عام من وفاة قسطنطين الأكبر (٢٨٨ــ ٣٣٧ ميلادية) منع اليهود من بناء كنائس جديدة أو حتى من اصلاح وترميم الكنائس القائمة اللهم الا ما يكون منها معرضا للانهيار ، وشيئا فشيئا بدأ التخلى عن الأعمال النحتية المسرفة فى الزخرفة والتى كانت تزين الأجزاء الخارجية لمبـانى الكنيس فى عصورهـا الأولى ، بينما استمرت فى طريقها أعمال الفسيفساء التى تغطى أرضية الأجزاء الداخلية ، ويرجع أكثرها اسرافا فى الزينة الى القرنين الخامس والسادس ٠

ولم يقف الربيون « الحاخامات » باستمرار موقف المعارض للتغيرات التصويرية التى وردت كثيرا فى تعاليم الانجيل المقدس ، وفى هذا فتح الكنيس الأعين على زخرفة الكنائس المسيحية ، على الأقل فى فلسطين القديمة ٠ ومن ثم بدأت تظهر أفكار دينية معينة جنبا الى جنب مع موضوعات تتسم بالواقعية الفنيـــة والوثنيـــة وموتيفات هندسية من الفسيفساء الهللينية ٠

وقد أصبح من الممكن ملاحظة الروابط الروحية بين المعبد والكنيس وبين تابوت العهد والصندوق المقدس فى زخرفة الأدوات الطقسية المرتبطة بالتوراة ــ الأردية ، الأرصعة والحليات المصاغة على أردية الكاهن الأكبر ، زخرفة الصندوق المقدس هذه الزخرفة التى تتكون عادة من أعمدة وستارة مأخوذة عن حجاب الهيكل الذى

فى خيمة الاجتماع بين القدس وقدس الأقداس ، وجميعها تعيد الى الذهن تجهيزات المعبد · ونستطيع القول بصفة عامة ، أن احياء الموتيفات المعمارية فى الأدوات الطقسية اليهودية (المصابيح والمباخر) يؤدى بالفرد الى الاعتقاد بأن هذه أيضا لها معنى رمزى يرجع الى المبنى القديم الأكثر اجادة ، المبنى الأم لكل المبانى ـ المعبد ·

المعابد المصرية

أفاد يهود مصر كثيرا من الضمانات الجديدة التى أفرعها الدستور المصرى ١٩٢٣ م ، خاصة فيما تتعلق بمبدأ المساواة فى الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو الدين ·· ومنحه حرية العقيدة والرأى والتعليم وتسيير الأمور الشخصية طبقا لتقاليدهم وعلى يد زعمائهم الدينيين ·

وقد تمتع يهود مصر بكامل حريتهم فى ممارسة شعائرهم الدينية ، بل وأفادوا من المساندة التى تمثلت فى تزويد الحكومة المصرية لهم ـ بكل أشكال المساعدة ـ فى بناء معابدهم وأقامة محافلهم مثل تيسيرات البناء ومنحهم الأراضى المجانية ، مما أسهم فى انتشار المعابد اليهودية فى مختلف مدن مصر ـ خاصة القاهرة والاسكندرية ـ وحتى عام ١٩٣٠ كان فى القاهرة وحدها نحو ٣٠ معبدا ومحفلا تنتمى الى مجموعات ومجتمعات متباينة ·· بيهود مغاربة وأتراك ·· ويهود من أصول ايطالية وأسبانية وفرنسية ·· ويهود ممن أطلق عليهم « مستعربون » الذين اتخذوا من القاهرة مقاما لهم منذ زمن طويل ·

وأود أن أشير الى أن مركز الفن اليهودى (Center for Jewish art) بالجامعة العبرية بالقدس بالاشتراك

مع المركز الأكاديمي الاسرائيلي بالقاهرة ، شكلا فريق بحث برئاسة المهندس « دافيد كاسوتو ـ David Cassuto بداية من عام ١٩٨٤ مهمته مسح وتوثيق المعابد اليهودية المتبقية ، في اطار الأبحاث الحديثة التي تتعلق بتاريخ المجتمع اليهودي في مصر ٠٠ ولنبدأ بمعابد حي اليهود بالقاهرة :

★ كنيس المصريين :

كان أكبر وأقدم معابد القاهرة الفاطمية ، تأسس عام ١٠٣٨ م ـ طبقا لوثائقه الرسمية ـ وكان مقره بحارة اليهود في درب المصريين رقم ٢ ، وعلى مدار أكثر من ٩٠٠ سنة شهد استمرار التواجد اليهودي في هذا الحي ، وممارستهم في حرية تامة كافة مظاهر الحياة الاجتماعية ، وكان ابراهيم باشا قد أغلق هذا المعبد في عام ١٥٤٥ ، ثم أعيد افتتاحه عام ١٥٨٥ ، وتجدر الاشارة الى اعادة بنائه أو تجديده عدة مرات طوال تاريخه ٠ وكان آخرها في عام ١٩٤١ وافتتحه « رينيه قطاوي » ٠

وقد أشار يوسف سامباري (١٦٤٠ ـ ١٧٠٣) في كتابه (Divrei Yosef) الى أن أشهر وأهم مخطوط للتوراة كان محفوظا بهذا المعبد ، وقد ظل حتى منتصف الخمسينات من هذا القرن مقرا للاحتفالات الرسمية بأعياد يهود مصر ٠

كان الهيكل المقدس ذو واجهة ثلاثية مضلعة ، محمولا على ثلاثة أجنحة وثلاث مقاصير ٠ قبة المعبد كانت مستطيلة على شكل نصف بيضة مرتفعة فوق منتصف المقاصير ٠٠ التيفا Teva أو المنصة التي تتلى عندها التوراة ، كانت ذات ثمانية أضلاع ، ومركزها في منتصف القاعة كما كانت أرضية المعبد وأعمدته من الرخام ، ويذكر بأنه كان مأوى لبعض يهود الاسكندرية الذين

فروا ابان القصف الألمانى للمدينة عام ١٩٤١ ، وقد انتهى أمره بأن باعته الطائفة ثم هدم خلال عام ١٩٧٥ !

★ محفل ابن ميمون – Maimonides

أو « راب موشى – Rab Moshe كما كان يطلق عليه يهود مصر . ومقره ١٥ درب محمود بحارة اليهود ، وأول بناء لهذا المعبد كان بعد وفاة ابن ميمون بقليل فى عام ١٢٠٤ وخلال هذه القرون أعيد بناؤه وتجدد مرات عديدة، وكان مجموعة من المهاجرين الروس والرومانيين والبولنديين قد أسهموا فى تجديده وأفتتح فى ١٦ يناير عام ١٨٨٧ ، وكان لهذا المحفل دوره الفعال فى تعليم اليهود، فأنشأ مدرسة « ابن ميمون » فى درب البرابرة عام ١٨٩٢ ، كما أسهم فى ايواء ومساعدة اليهود المهاجرين ، وقد أختير د « حاييم وايزمان » رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، رئيسا شرفيا لهذا المحفل عام ١٩٤٤ م .

ولعل أهمية هذا الموقع تكمن فى سرداب صغير كان ابن ميمون يستخدمه كحجرة للتأمل والدراسة ، وفيها رقد جسده لمدة سبعة أيام بعد وفاته ثم أرسل الى طبريا حيث دفن هناك ، وقد ظلت هذه الحجرة وجهة لليهود وبعض المسلمين والمسيحيين لنيل البركات والتماس الشفاء .. حيث توجد حشايا ووسائد موضوعة فى كوات محفورة فى الحائط ، لمن يرغب منهم فى أن يبيت ليلته فى هذا المكان ، وتحكى لوحة تذكارية زيارة ملكية قام بها فؤاد الأول لهذا المحفل .

ويجدر بالذكر أن السيد « أصلان فيدون » وزوجته كانا قد نذرا على نفسيهما تجديد وصيانة هذا المعبد فى عام ١٩٣٥ ولسنوات طويلة .. فقاما بتجديد الأبواب مظلة اليهود بأبسطة من

الحرير والبروكار ، وأعادا بناء الهيكل والمنصة بالرخام الأبيض ، وقاما بتجديد ملحقات المعبد : حجرة الأمناء وحجرة الوضوء وقاعة اشعال القناديل ٠٠ والقاعة الرئيسية للمعبد بدون أعمدة ، وقد انهار السقف عام ١٩٥٠ ، وأشرف الحاخام الأكبر « حاييم دويك » على أعمال الترميم التى بدأت فى مايو عام ١٩٦٧ وفى أعياد رأس السنة لعام ١٩٧٣ انهار سقف المعبد مرة أخرى ٠

★ **كنيس حاييم كابوسى ـ Rabbi Haim Capoussi**

ومقره فى درب النصير رقـــم ٣ ، وكابوسى (توفى عـــام ١٦٣١) وكان واحدا من أبرز علماء التوراة فى عصره ، تتلمذ على الحاخام اسحق لوريا ، ويدعى له يهود القاهرة معجزات وكرامات ! ، وكان الآلاف منهم يقصدون هذا المعبد وضريحه بمقابر البساتين لالتماس السكينة والشفاء خاصة فى ذكرى وفاته فى اليوم الثانى عشر من شهر شــباط وفى ليــلة عيد الغفران ـ Kippour ـ فيتقدمون راكعين الى ضريحه حيث يقيمون صلواتهم ٠٠ وقد تجدد هذا المعبد كلية فى بداية القرن العشرين بفضل اسهامات البارون جاكوب دى منشه رئيس الطائفة اليهودية بالاسكندرية وجاكوب منشه قطاوى رئيس الطائفة بالقاهرة ثم المليونير ب ٠ جرين ، وفيما بعد أصبح هذا المعبد موضــع عناية دائمة من « ابرامينو كارو ـ Abramino Caro وعائلته ، وقد شيدوا بجوار ضريحه بالبساتين مصلى رحب يسمح للزوار بالاستراحة وتأدية الصلوات المألوفة فيــه ٠

★ **معبد بار يوحاى أو معبد موصيرى :**

وموقعه فى شارع الصقالية رقم ١٦ وقامت بتأسيسه عائلة « موصيرى » فى سنة ١٩٠٥ م ، فى نفس المكان الذى شهد ميلاد

عميد العائلة « نسيم موصيرى » عام ١٨٤٨ ٠٠ وفى هذا الموقع كان أول مقر لحاخامية القاهرة ، وبه تأسست مدرسة « شمعون بار يوحاى ٠٠ ـ Rabbi Shimon Bar Yohai » بفضــل هبات عائلة موصــيرى ، خاصـــــة ابراهــام ليفى موصـــيرى وتاجر المنسوجــات موشى ابراهيم دويك ، وأشرف عليها مجموعــة من الشباب المتطرف ، وكان الحاخامات والمعلمون يلقون بها دروسا مجانية فى الشرائــع التلمودية وتعلم اللغة العبرية وقواعدها ، قديمها وحديثها ٠

★ معبد راب اسماعيــل :

ويعرف بمعبد الأسبان وكان موقعه فى نفس شارع الصقالية رقــم ١٣ ، وكان جانب من الصلوات بهذا المعبد يؤدى باللغــة الأسبانية ، وعندما شرع فى ترميمه فى الأربعينيات اكتشفت به مجموعة من المخطوطات والكتب النادرة محفوظة الآن بمكتبة التراث اليهودى بمحفل الاسماعيلية ٠ وكان هذا المعبد دار صلاة لراب اسماعيل الحاخام الأكبر لمصر فى القرن السادس عشر ٠٠ وكان معبد « راب يكوف ـ Rab Yaacov » ملحقا بمعبد الأسبان هذا ٠

★ معبد مئير باعل هانس :

وكان مقره فى رقم ٢٠ من شارع الصقالية أيضا ، ومئير باعــل هذا كان رفيقــا للحاخام صمويل بن سيد (Sidillio) الذى فر من أسبانيا ابان الاضطهاد المسيحى الأوربى ، ثم استقر فى القاهرة، وهذا المعبد أيضا كان مقصدا لطائفة اليهود الأسبان٠

★ معبد راب زمرا (رادباز) :

وكان موقعه فى حوش الصوف رقم ٦ وينسب الى الحاخام دافيد بن أبى زمرا ، وهو أكبر حاخامات القرن الخامس عشر ،

وكان قد فر أيضا من الاضطهاد المسيحي الأوربى حتى استقر به المقام فى القاهرة التى ظل حاخاما أكبر لها طيلة ٤٠ عاما ٠

★ معبد التركيـة :

وكان موقعه بشارع درب الكتاب رقم ١٣ ، شيدته أرملة من أصل أسـبانى وكانت تلقب بـ « الست التركية » ٠٠ ! تكريما لذكرى زوجها ، ويعد من المعابد ذات المستوى الثانى طبقا للمصادر اليهودية ! وكانت عمارته على طراز العصور الوسطى ، وصنع الهيكل والمنصة من خشب الأرز للاعتقاد السائد بأن هذا النوع من الخشب قد استخدم فى بناء المعبد المقدس !

وكان هذا المعبد يستخدم ككتاب لتعليم الأطفال اليهود اللغة العبرية وقراءة قصص الأنبياء ، ومنه اشتهر الشارع بهذا الاسم « درب الكتاب » ٠٠ وكانت أرضية المعبد وأعمدته من الرخام ، واستخدم أيضـا فى الاجتماعات والاحتفـالات العـامة مثل معبد المصريين ٠

★ معبد تلمود تـوراة :

وكان هذا المعبد مشـيدا بالقرب من معبـد « التركيـة » وبالتحديد فى عطفة الفضة ، ثم انهار سقفه وتداعى بنيانه ، فهدم وبنى مكانه مركزا اجتماعيا خاصا بالجمعية الخيرية للمسنين من أبنـاء الطائفـة ٠

★ كنيس راب سمحام :

وهو خاص باليهود القرائين ، فى عطفة القرائين وقد أعيد بناؤه فى منتصف القرن الماضى ، ويستخدم الآن مصنعا لأحـد التجار القرائين ٠

★ **معبد البرتغاليون :**

وكان مقره فى رقم ٥ بعطفة الفضة ، وأسسه اليهود البرتغاليون الذين نجوا من مذابح محاكم التفتيش ، ليكون شاهدا هو أيضا على التسامح والحرية التى تمتع بها عامة اليهود فى بلاد الاسلام • وتجدر الاشارة الى أن هناك عدد من المدراشيم ـ Midraschims أو المدارس الدينية كانت ملحقة ببعض المعابد وأحواش العائلات اليهودية مثل موصيرى ، قطاوى ، جرين ، رومانو •••

وقد لاحظنا الكثرة العددية للمعابد التى كانت موجودة فى نطاق الحى اليهودى من القاهرة الفاطمية •• مما يجعلنا نذهب الى تقدير الكثافة السكانية اليهودية ما بين ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ نسمة ومع بدايات القرن التاسع عشر كان لمعظم العائلات الكبيرة مساكن فى هذا الحى ، قبل أن تنتقل بثرائها وتقاليدها للسكنى فى الأحياء الراقية من القاهرة الحديثة فى نهاية القرن الماضى ، تاركة خلفها هذا الحى العتيق المكتظ بسكانه من الطبقة الفقيرة ليستقر البعض فى حى العباسية الجديدة ، بشمال شرق القاهرة ، والأكثر ثراء استقر فى حى الاسماعيلية ثم فى الضواحى الجديدة كمصر الجديدة والمعادى وجاردن سيتى والزمالك •••

★ **معابد حى العباسية :**

يوجد فى هذا الحى خمسة معابد ففى عام ١٩٠٠ أسس عميد عائلة « حنان » ابراهيم يوسف حنان ، معبد « حنان ـ اتزحايم » أو معبد « عص حاييم » بشارع قنطرة غمرة رقم ٣ ، وقد حافظ عليه أولاده حتى توفى أكبرهم ، ثم تعاقب عليه عدة جباييم ـ Gabbayim منهم شالوم ليفى وآخرهم يوسف طبول الذى بنى

فيه « يشيفا رابى يهودا مسلطون ـ (Yeshiva Rabbi Yehouda Maslaton) آخر نائب للحاخام الأكبر ناحوم ورئيس المحكمة الربانية وبيت الدين ، وأحد علماء التوراة البارزين وله عدة مؤلفات في القوانين والشرائع وبعض الشروح ٠

واستخدم هذا المعبد كدار دراسية للحاخام الأكبر رافائيل هارون بن سيمون ولأخيه الحاخام الأكبر بن سيمون ، ومازال البناء في حالة جيدة ، وهندسته المعمارية على طراز ايطالى غير مألوف ٠ وقد شيد المعبد وملحقاته على مساحة مستطيلة نحو ٧٠ × ٥٠ مترا ، محاطة بسور من الطوب والأحجار ، ويفصل بين المعبد والمدرسة حديقة رائعة ، وله مدخلان بالواجهة المطلة على شارع قنطرة غمره ، المدخل الرئيسى في منتصف جدار الواجهة ، عبارة عن بوابة حديدية ، خلفها ساتر من الخشب لحجب الرؤية داخل المعبد ، تزينها زخارف نباتية على شكل نخلة ونجمة داود ، وهذا المدخل لا يستخدم حاليا ٠

أما المدخل الثانى ، فيقع في الركن الجنوبى الغربى لواجهة المعبد ، عبارة عن بوابة خشبية تؤدى الى ممر مكشوف به سكن الحارس ، وسلم حجرى يؤدى الى الطابق الثانى ، حيث شرفة النساء ، ويضم المعبد في الجهة الجنوبية غرفة خاصة بعملية الطهارة ٠ والمعبد من الداخل على شكل مستطيل ٤٠ × ١٠ م يتوسطه صفان من الأعمدة الرخامية ، تقسمه الى ثلاثة أروقة ، أوسطها أعلاها ، ويعلو السقف قبة ذات نوافذ زجاجية ملونة للاضاءة والتهوية ، وتوجد بالجدارين الشمالى والجنوبى خمس نوافذ ، ويتوسط البهو الرئيسى منصة من الرخام ذات سياج ، ترتفع عن أرضية البهو بثلاث درجات ، والهيكل بالحائط الشرقى ، مصنوع من الرخام ، يصعد اليه بدرجات سلم ، تزينه زخارف

أرابسك وكتابات عبرية ، وبداخل الـ «ارون هاقوديش » مجموعة أسفار من التوراة وتستخدم فى الصلاة ، ويغطى الهيكل ستائر مكتوب عليها أسماء المتبرعين ودعوات بالعبرية ، وزخارف السقف والحوائط الداخلية تمثل عناصر فنية يهودية مع عناصر الزخرفة العربية المعروفة . والمعبد يستخدم حاليا للصلاة الى جانب المعبد الرئيسى « شعار هاشمايم » .

★ معبـد طائفة اليهود القرائين :

ويسمى أيضا معبد « موسى الدرعي » بشارع سبيل الخازندار ، ويتميز هذا المعبد بقبتـه الضخمة ويشـبه الى حـد بعيد معبد الاسماعيلية .. وكانت به أروع وأثمن مجموعة مخطوطات يهودية فى العالم ، من بينها « دستور الأنبياء » الذى أنجزه موشى ابن آشير ــ (Moshe Ben Asher فى طبريا عام ٨٩٥ م ، ويفاخر به اليهود باعتباره أقدم دستور توراتى يملكونه ! والى اليمين من هذا المعبد توجد المحكمة الدينية الخاصـة بالطائفة القرائية .. وقد بدأت فكرة بناء هذا المعبد سنة ١٩٠٠ ، حين تبرعت أرملة قرائية بقطعة أرض كبيرة ومبلغ من المال لهذا الغرض ، بالاضافة لبناء مدرسة لأبناء الطائفة ، وتبرع عدد من أثرياء الطائفة من أجل انجاز هذا المشروع ، الذى ستلتف حوله نحو مائة وخمسين أسرة قرائية داخل القاهرة ، غير أن بدء التنفيذ تأجل ربع قرن ! .. عام ١٩٢٦ وافتتح عام ١٩٣٣ .

عناصر زخرفية اسلامية تتخللها نجمة داود ، تعلو واجهة المعبد ، مع عناصر جصية تمثل « الوصايا العشر » والمبنى مربـع الشـكل ، يتكون من طابقين ، محاط بسور من الحديد ، تمتد حديقة جميلة أمام الواجهة ، والمدخل الرئيسى يرتفع عن الأرض بحوالى ثلاثة أمتار من الدرجات الرخامية، مما يضفى ثراءا معماريا،

على يمين المدخل الرئيسى ، باب جانبى يؤدى الى منعطف به دواليب لحفظ الأحذية والأدوات المستخدمة فى الصلاة ، والى اليسار باب آخر يؤدى الى سلم من الرخام يصعد الى الطابق الثانى حيث شرفة النساء ٠ وتعلو صالة المعبد قبة كبيرة محمولة على أربع دعائم من الرخام ، وبالقبة نوافذ من الزجاج الملون ، والصالة مقسمة الى ثلاثة أقسام ، يتصدر القسم الأوسط : الهيكل الرخامى فى الجهة الشرقية بالصدف ونقوش اسلامية و« شجر الحياة » وتعلو الهيكل طاقة مستديرة من الزجاج الملون بداخلها نجمة داود ٠

أمام الهيكل مبـاشرة ، توجد منصـة الوعظ ، التى يلتف حولها المصلون وهم جالسون على سجاجيد فاخرة وليس على مقاعد، وثريا كبيرة تتدلى من القبة ، وقنـاديل تتدلى من السقف وأعلى الهيكل ، تزينها نقوش وكتابات عبرية ٠ والى يمين الهيكل ، غرفة تحوى خزانة حديدية محتفظ فيها بأهم المخطوطات العبرية : وعلى رأسها مخطوط بن آشير ذو الأهمية التاريخية والدينية واللغوية ٠ وبالطابق الثانى مجموعات من الكتب العبرية والعربية النادرة ، وقد تم تجميع الآلاف من الكتب والمخطوطات لتضمها « مكتبة طائفة اليهود القرائين » الملاصقة لمبنى المعبد ، والتى افتتحت فى نوفمبر عام ١٩٩٢ ٠

★ كنيس باحاد اسحق (كرايم ـ Kraiem)

ومقره فى شارع بن خلدون رقم ٩ بالسكاكينى ، شيده زكى كرايم ، بنكير من دمشق وباسهام من بعض أصدقائه السوريين ، وذلك فى سنة ١٩٣٢ م ٠

★ **معبد نيفيه شـــالوم :**

واشتهر باسم « الكنيسة الكبيرة » شيد عام ١٨٩٠ بشارع المدارس رقم ٩ بالسكاكيني ويتميز بمساحته الكبيرة التي تفوق مساحة معبد الاسماعيلية ، وتحيط به حديقة غناء ، وظل لبعض سنوات معبد القاهرة الكبير ·· ويتميز بطرازه الفينيسي ، الأعمدة والمنصة من الرخام الأبيض ، والهيكل من خشب الصنوبر · وأشهر الحزانيم ـ Hazanim الذين احتفلوا فيه بالقداس : سهالون ، وزكي مراد ، والاخوة آكنين ··

وقد استقبل هذا المعبد في عام ١٩١٩ سير « هربرت صمويل Herbert Samuel » أول منـــدوب ســامي بريطاني وهو في طريقه الى فلسطين ، وكان في استقباله على رأس موكب كبير موسى قطاوي رئيس الطائفة ، الحاخام الأكبر رافائيل هارون بن سيمون، واسماعيل صدقي وزير الداخلية ـ آنذاك ـ مندوبا عن الحكومة المصرية ·· ومازال المبنى في حالة جيدة ، وكان جزء من حديقة هذا المعبد قد اقتطع لصالح جمعية « الاخوان المسلمين » !

★ **كنيس نسـيم أشـكازي :**

بني في عام ١٨٩٤ ، بشارع الكوة رقم ٤ بالظاهر ، وهو مشيد بجوار عمارة أشكنازي بميدان الظاهر· وكان آخر جبعاي ـ (Gabbai) له هو موريس زكاي حفيد نسيم أشكنازي ·

★ **كنيس الطائفـة الاسرائيلية الاشكنازية :**

ومقره بشارع المنيسي بحي الظاهر ، افتتـح في ١٩ مايو عام ١٩١٣ ، وتم تجديده في يونيـو عـام ١٩٤٠ ، كما أجريت ترميمات شاملة عام ١٩٤٨ ، باسهام من الحكومة المصرية والطائفة

الاسرائيلية « السفارديم » ·· وعلى واجهة المعبد تطالعنا لافتة باللغة العربية مكتوب عليها (الطائفة الاسرائيلية الاشكنازية فى القاهرة) تعلوها لوحة تذكارية بالعبرية (الييديش) لراعى الآداب والعلوم المكتوبة بهذه اللغة « ليسكوفيتش Liscovitch »

وسط القاهرة :

فى قلب المدينة بشارع عدلى رقم ١٧ يطالعنا معبد القاهرة الكبير ، محفل الاسماعيلية أو « شعار هاشاميم ــ Shaar Hashamayim » شيدته عائلة موصيرى عام ١٩٠٣ م ، ويعد بتصميمه ونقوشه من أجمل المعابد اليهودية فى القاهرة ، وقد تم تجديده بشكل شامل عام ١٩٨١ باسهامات جليلة من المليونير الصهيونى « نسيم جاعون » واتحاد السفارديم العالمى ــ ······
La Federation Sepharade Mondiale

وهذا المعبد مدون فى برنامج كل زيارة سياحية يهودية للقاهرة ، حيث يحرص السياح اليهود على تأدية شعائرهم به وحضور الصلوات التى تقام فيه ، وتضم مكتبة المعبد مجموعات رائعة من المخطوطات والكتب النادرة التى عثر عليها فى بعض المعابد ، واستقطبت اهتمام الباحثين والمسئولين الاسرائيليين ، وتم تطويرها وتزويدها بما تبقى من نوادر المخطوطات بالمعابد الأخرى والمكتبة الاسرائيلية ، وسميت « مكتبة التراث اليهودى » وقام بافتتاحها رسميا « شيمون بيريز » فى فبراير عام ١٩٩٠ وكانت هيئة الآثار المصرية قد وافقت على قرار انشاء مكتبة للتراث اليهودى فى مايو عام ١٩٨٢ ، وأشرف على هذا المشروع د· شيمون شامير أول مدير للمركز الأكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة والسفير الاسرائيلى الأسبق ، بالتعاون مع « يوسف دانا » رئيس الطائفة اليهودية بمصر من عام ١٩٨٢ وحتى وفاته فى عام ١٩٨٨ ، كما أسهم فى

الاشراف على هذا المشروع د٠ آشير أوفاديا المدير السابق للمركز و د٠ موشى برلين مدير عام مؤسســـة روتشيلد فى تـل أبيب ، والجمعية الأمريكية للأبحاث والنشر ، ود٠ جوشوا شيرمان بجامعة نيويورك ، و د٠ روبين هشت بجامعة حيفا ، والسيدة فيليز كوك عضوة الاتحاد الفيدرالى اليهودى فى سان فرانسيسكو واسحق نافون رئيس الكيان الاسرائيلى ووزير التعليم السابق ٠٠ وقد أمكن بالفعل تجميع نحو ٢٥ ألف كتاب ومخطوط من معابد القاهرة، حيث كانت محفوظة فى حالة سيئة ! وقد تم ترتيبها وتصنيفها فى مجموعات طبقا لموضوعاتها فى الديانة اليهودية والأدب العبرى والوثائق الاجتماعية للطائفة اليهودية فى مصر خلال عشرة قرون مضت ٠

مصر الجديدة والمعـادى :

فى شـــارع المســـلة رقم ٣ نجد معبد « فيتالى مادجار ـ Vitali Madjar » ويـذهب لأداء الصـلوات فيـه يهود مصر الجديدة ، ونزلاء ملجأ اليهود المسنين المجاور له ٠

وفى ضاحية المعادى ٠٠ فى ٥٥ شارع ١٣ نجد معبد « مئير انائيم ـ مضىء العيون ٠٠٠ Meir Enaim وكان المحامى اليهودى يوسف سلامة مقيما به حتى وفاته فى سبتمبر عام١٩٨١م٠ وجنوب شـارع ٨٣ تكون حى أرسـتقراطى يهودى ، وحتى عام ١٩٤٨ ، كان يضم نحو ٥٥٠ أسرة يهودية ، حيث انتشرت فيلات العـائلات الثريـة الشهيرة : موصيرى ، شـيكوريل ، هرارى ، مزراحى ، التمان ، وولف ، و ٠٠ روتشيلد أغنى أغنياء العالم حاليـا !

معبد بن عزرا بمصر القديمة :

يقع هذا الكنيس في الفسطاط ، نحو ثلاثة أميال من جنوب القاهرة ، وقد كان حتى القرن الخامس عشر ، اثنان من الكنيس « الربانية » في ـ قصر الشمع ـ الأول تابع لليهود من أصـل عراقي ، ومن ثم فقد عرف باسم « كنيس العراقيين » والثاني تابع لليهود من أصل فلسطيني ، وسمي « كنيس الشاميين » ويعتبر كنيس بن عزرا سـليل كنيس الشاميين ، أما كنيس العراقيين فلا أثر له اليوم ٠٠ وتشير معظم الكتب والأبحاث القديمة الى أن هذا الكنيس كان بالفعل فيما سبق كنيسة قبطية ، ويستند هذا الرأى الى الأخبار التى رويت عن كنيسة « الملاك ميخائيل » التى باعها البطريرك لليهود عام ٨٨٢ م ، وذلك فى سبيل جمع مبلغ من المال أو كيلة ذهب ، فرضها أحمد بن طولون على المسيحيين ٠

وقد حاول البروفيسور « جويتاين » اثبات أن الكنيسـة القبطية التى بيعت فى القرن التاسع الميلادى قد اشتراها المهاجرون الجدد من اليهود العراقيين الذين لم يملكوا كنيسا خاصـا بهم آنذاك ، وأن كنيس بن عزرا أو كنيس « الجنيزة » يعود الى ما قبل العصر الاسلامي ! واذا بنى هذا الكنيس خلال الفترة المسيحية فى مصر ، فقد كان طبيعيا أن يتأثر بملامح أو طرز الكنائس المسيحية المحليـة ٠٠

خلال القرن الحادى عشر تهدم المعبد وأعيد بناؤه مرة أخرى ، ثم شملته عمليات الترمـيم مرات عديدة ، حتى تدهور وتداعى بنيانه في عام١٨٩٠ فلم يكن بد من هدمه وبناءه من جديد ، فأنشىء هذا المعبد الجديد على غرار المعبد البائد ٠

وتبرز الأهمية العلمية والتاريخية لمعبد بن عزرا من خـلال « غرفة الجنيزة » الواقعة فى نهاية بهو النساء ، التى استوعبت

كنزا هائلا من وثائق الجنيزة منذ العصور الوسطى حتى القرن التاسع عشر حين تم اكتشافه ٠

وكان لهذا المعبد ـ تاريخيا ـ أسماء عديدة فقد دعى « كنيس الياهو » ، « كنيس عزرا » ، « كنيس بن عزرا » ، « معبد موسى » و « كنيس الجنيزة » ٠٠٠

وتمثل هذه الأسماء وغيرها أخبارا يهودية متباينة حول بعض الشخصيات التى كان يعتقد أن لها صلة بذلك المكان فقد زعمت بعض الروايات اليهودية ـ على سبيل المثال ـ أن النبى الياهو (ايليا) قد تجلى ذات مرة للمتعبدين هناك ! وأن المعبد يحتوى على ما يدعى أنه رفات النبى ارميا ! وأن مخطوطة قديمة من التوراة خاصة بالطائفة قام بنقلها عزرا الناسخ ٠٠ ويبدو أن اسم بن عزرا يعود الى العائلة اليهودية الأندلسية التى ذاعت شهرتها فى القرن الثانى عشر ، بفضل الشاعر « ابراهام ابن عزرا » ٠

وليهود مصر نظرة خاصة الى موقع هذا الكنيس ، اذ يعتبرونه مكانا مقدسا ، حيث يزعمون أن النبى موسى صلى متضرعا الى الله فى هذا المكان ، ليرفع وباء الطاعون الذى أصاب المصريين كما يزعمون أن غرفتين صغيرتين من بناء الكنيس ، قد اقيمتا فوق الأماكن التى كان يصلى بها النبيان « ايليا وعزرا » ٠٠ !

ويحوى معبد بن عزرا ، آثارا فنية منها أبواب خشبية عتيقة ، ولوحات ذات اطارات ٠٠ كبيرة من الخشب ، تضم رسائل فاخرة منقوشة بالعبرية ، مهداة الى مؤسسى المعبد ومن أسهموا فى اعادة بناؤه أو تجديده ، واحدى هذه اللوحات يقتنيها متحف الفن

الاسلامى بالقاهرة ، والذى يضم أيضا بين مقتنياته نقشا كبيرا على الخشب مهدى الى يهوشوا بن ابراهيم الأمشاطى ، وكان من قبل محفوظا بالمعبد ٠

ويتكون البناء الرئيسى للمعبد من صفين من الأعمدة الرخامية ذات التيجان المتنوعة الزخارف ، يقسمان البهو الى ثلاثة أقسام أكبرهـــا الجزء الأوســط العمودى على الهيــكل والذى يعــلوه « شخشيخة » للاضاءة والتهوية ، كما يحتوى البهو منصة الصلاة والوعظ وحولها مقاعد المصلين ، والهيــكل فى الحائط الشرقى المتجـه الى بيت المقــدس وهو يحتوى تابوت العهد وبه لفــائف التوراة ٠

ويحتوى الطابق الثانى شرفة النساء التى تعلو بهو المعبد من جميع الجهات عدا الجهة الشرقية التى تعلو الهيكل ، والزخارف التى تزين جدران المعبد تمثل وحدات من الفن اليهودى عبارة عن مشاهد مستوحاة من التوراة وبعض الشخصيات الدينية والنجمة السداسية وكتابات عبرية تحمل أدعية للمتبرعين وعناصر زخرفية اسلامية كالأرابيسك والعرائس والأطباق النجمية ٠ وقد أعيد ترمـيم هذا المعبد الأثرى الهام من خلال مشروع ضـخم بدأ فى سبتمبر ١٩٨٩ وانتهى فى سبتمبر ١٩٩١ تحت اشراف مشترك بين هيئة الآثار المصرية والمركز الكندى للعمارة ٠

ومما لاشك فيه أن لجنة ادارة شئون المعابد بمجلس الطائفة اليهوديــة ، قد بذلت جهودا ضخمة فى مســاعدة وايواء اليهود اللاجئين من أوربا وفلسطين وسوريا ، كما كان لها دور فعال فى تعليم اليهود بانشاء المعاهد الدينية وتمويلها ، وانشاء صناديق

لمساعدة الفقراء والعاطلين وتسليف المهاجرين ، وعيادات طبية لعلاج أبناء الطائفة مجانا ، ودعت الى اقامة المزيد من المعابد ، وترميم وتوسيع المعابد القديمة ، وطالبت بتحويل المعبد « دعامة الوجود القومي لليهود » الى معبد للتربية ونشر الثقافة الدينية ٠٠ فكان لهذه المحافل والمعابد دور بارز فى الترويج للفكر الصهيونى فى مصر من خلال الدين ، وفى الدعوة لاقامة وطن قومي لليهود فى « أرض الميعاد » ٠٠ !

الزواج والتقاليد الخاصة والأعياد

العائلة ــ فى منظور علماء الاجتماع المعاصرين ــ هى الخلية الأساسية فى المجتمعات البشرية ، وسمات العائلة اليهودية ، فى مصر الحديثة ، لا تكاد تختلف كثيرا عن سمات هذه العائلة فى أى زمان أو مكان ٠

وفى اطار المجتمع اليهودى التقليدى ، كانت العائلة الموسعة تشكل الوحدة التنظيمية الأساسية فى الهيكل الاجتماعى اليهودى، وقد كانت روابط الدم أقوى من روابط الزواج ــ كما يذكر جويتاين ــ وما توقير الوالدين والاخلاص بين الاخوة ؛ حتى بعد زواجهم ، والاقتران بذوى القربى ، خاصة من أبناء العمومة ، الا بعض التعبير عن تماسك العائلة الموسعة ٠

ويلاحظ حرص أبناء العائلة الواحدة على العيش متجاورين أو متقاربين ، وغالبا ما تكون أماكن المعيشة والاقامة ، أماكن للعائلة الكبيرة أو الموسعة مما أدى ــ عند انتقالها بالوراثة ــ الى الحفاظ على مشاعر الوحدة لدى أبناء العائلة الواحدة ، ولم تقم وحدة العائلة الكبيرة على حساب وحدة الأسرة الصغيرة ، اذ كانت هذه النواة الأسرية ، تتعايش فى وئام مع العائلة الكبيرة ٠

والفتاة تتزوج عادة فى سن مبكرة ، وذلك وفقا للتقاليد اليهودية وتقاليد شعوب البحر المتوسط عامة ، والعريس فى الغالب

أكبر من العروس سنا ، الا أن الفارق لم يكن كبيرا جدا ، وقد شجعت التقاليد اليهودية والشريعة ذوى العروس على تقديم دوطة (مهر) ذات شأن ، فى شكل مال وأشياء ضرورية ، مما أسهم فى زواج رجال فى مقتبل العمر ، حيث تكون قدرتهم على اعالة أنفسهم وجمع الثروة مازالت محدودة ٠

والتقاليد اليهودية ــ فيما يتعلق بنظام الأسرة ــ ترى أن الزواج واجب دينى لكل قادر عليه ، وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه ، لا يقل جرمة عن جرم القاتل لأن كليهما « يطفىء نور الله، وينتقص ظله فى الأرض، ويبعد رحمته عن اسرائيل »! ٠

والاحتفال بالزواج يبدأ عادة باعلان الخطبة ، ثم يتقدم الرجل الراغب فى الزواج بطلب رسمي الى الحاخام ، موضحا به لقبه واسمه وعمله وتاريخ ميلاده وقيمة المهر المتفق عليه ، وقيمة المؤخر الذى يرغب فى تسجيله ، ثم يحدد له سكرتير الحاخام موعدا لا يتجاوز خمسة عشر يوما لتوقيع وثيقة الزواج ، قبيل الاحتفال بالزواج الدينى ٠

ومؤخر الصداق يكون فى الغالب ضعف قيمة المهر ، ضمانا لحقوق الزوجة فى حال وقوع الطلاق ــ اذا ما كان الزوج مصابا بعلة توجب التفريق الشرعى ــ أو وفاة الزوج ، فحسبما تقضى الشريعة اليهودية ، لا يقسم الميراث الا بعد خصم مؤخر الصداق المستحق للأرملة ٠

الليلة التى تسبق الاحتفال بالزواج الدينى يتوجب على العروس الذهاب الى الميكفا (حمام دينى (La Mikva - bain religieus فى صحبة أمها وحماتها وجدتها وعماتها ، تحمل سلة من الصفصاف ، وضع بها صابون معطر فاخر ، ومناشف

(فوط) وزجاجة ماء كولونيا أو ماء ورد ، وليفة جديدة ، وقبقاب حمام مبرقش مطعم بالصدف أو بكرات زجاجية ملونة ، وطشت صغير من النحاس أو الفضة ، ثم يعهد بالعروس الى البلانة التى تنزل بها الى مسبح شعائرى — Piscine rituelle
وبعد طقوس التبريك (البركة) يقدم شراب منعش ، وقهوة أو شاى مع الجاتوه والحلوى ، والملبس والبونبون ، ثم تتوجه النسوة بالعروس عائدات الى منزلها ، حيث يستقبلهن الجيران بالزغاريد والتهانى ٠

ويعقد الحفل الدينى فى شقة أحد العروسين ، كما يعد حفل استقبال تحت خيمة داخل فناء المعبد أو فى شرفته أو على الطوار الخارجى ، وفى هذه المناسبة تقدم الموسيقى العربية فى ألحان عسكرية ، غالبا ما يعزف لحن رقصة البولكا (Polka) أو موسيقى المازوركا ٠٠ Mazurka وتستدعى أيضا مغنية شرقية وأفراد تختها لاحياء هذه الليلة ، ولا ينفض المدعوين الا حوالى الساعة الثانية أو الثالثة صباحا ٠

الطقوس الدينيـة

لما كانت أسفار التوراة وتعاليم التلمود ، هى أهم مصادر تاريخ اليهود وأساسا لنظامهم الاجتماعى، فان تفسيرات الحاخامات لهذه الأسفار والتعاليم قد لعبت دورا هاما فى تشكيل المفاهيم الدينيـة لدى الطوائف اليهودية ٠ وألقت بظلالها على الطقوس الدينية — الجامدة المتخلفة — ليهود مصر ٠

وقد واجهت الصلوات والشعائر الدينية اليومية فى حياة يهود مصر مشكلتين أساسيتين الأولى صعوبة التخرر من التقاليد الغريبة المتوارثة ، والثانية هى الخلط بين ما هو مقدس وما هو رجس ، وتضارب الأفكار ٠

وتتباين مظاهر التدين ـ احدى صور الحياة الاجتماعية ـ وبشكل حاد بين طبقات الطائفة اليهودية فى المجتمع المصرى :

الطبقة الاوروبيـــة ـ التى تمثل قدامى الأرســــتقراطيين اليهود ـ من أصحاب البنوك وملاك الأراضى ، ويتقلبون فى بذخ قصور البورصـــة ·

ثم الطبقة الرأسمالية الوطنية ، التى ضمت رجال الأعمال والتجار والأطبـاء والمهنـدســون والمحـامون وموظـفى الحـكومة والمشروعات الخاصـــة ·

ثم طبقة فقراء اليهود ـ المصريون بالمولد والجنسية ـ والتى ضمت صغار الحرفيين والباعة الجائلين ومن اعتمدوا على الاعانات ، الذين عاشوا فى أحياء قديمة فقيرة أو نصف ريفية (Semi-Rural) نموذجا لحياة مهجورة مهملة !

ولقد اشتهر يهود مصر فى شعائرهـم ، ببعض التفاصـيل الغربية الساخرة Derisoire كما وصفها المؤرخ الاسرائيـلى « جاك حسون » ، ميزت شخصيتهم بالمكابرة المبالغ فيها ! من ذلك اضافة صلاتين الى صلوات يوم السبت ، لم تستخدما قبل القرن العاشر الميلادى ، ويبدأون احتفالهم ببعض أعيادهـم قبـل تلاوة نصوص « الشريعة » وفى صلاة ··· Kolnidre يشركون الغائبين فى كل موضع للعبادة ، مرددين « وجبت علينا عهودهم ، وجبت علينا أمانيهم ، ونحمل عنهم اللعنات ، وحق علينا حرماتهم ·· » 6

ثم ذلك التقليد « التلمودى » الذى فرض عليهم تناول القهوة ـ على الريق ـ قبيل صلوات الصباح !

ومن التقاليد الغريبة أيضا .. تلك التى كانت تصاحب الاحتفال بذكرى تدمير معبد القدس ، فى التاسع من شهر آب ، وهو يوم حداد وصوم قاس ، يمتنع اليهود المحافظين عن حمل شارة الحزن فى صلاة الصباح ! وكان الحاخام « بن سيمون — Ben Simon بعد وصوله من القدس ، قد تحير فى أمر وصول رعيته متأخرين الى غرفة الخدمة الدينية صباحا ، فى المعبد الكبير حيث مجلس الحاخام بن سيمون ، صامتين ، حفاة الأقدام ، مرتدين أسمالا بالية ، ملطخين جباههم بالرماد أو بالتراب المجموع من المقابر ، وجلسوا على الأرض — كعادتهم — ينتحبون ويرتلون مرثية المنفى .. ! كان ذلك بالنسبة الى الحاخام الجديد أمرا غامضا وشق عليه تفسيره ، وبالبحث والاستقصاء علم بن سيمون أن يهود القاهرة والدلتا ، اعتادوا فى هذا اليوم أن يتلوا صلواتهم حيث هم ، سواء فى منازلهم أو خارجها ، حاملين تمائمهم ، وجميع الحاخامات الذين وفدوا من أسبانيا وايطاليا لتولى مناصبهم فى مصر ، فى أوائل العصر الوسيط ، هددوا بفصل ونبذ كل من أخذ بهذا التقليد ، لكن كثيرا من يهود مصر لم يأبهوا لهذا الخطر والتهديد ، وشكلوا فيما بينهم حركة سرية تضامنية !

وقد فشل بن سيمون فى منع استمرار هذا التقليد ، الذى ظل متبعا حتى يومنا هذا متخذا شكلا شبه مقدس !

ومن التقاليد والعادات الدينية التى تميز يهود مصر — لكنها أقل استفزازا من غيرها — وهى مأدبة السنة الجديدة Rosh Hashanah التى يسبقها سلسلة من التراتيل والتوسلات التى وضعها الكاباليم — المخلصون — المصريون ، التى تتكرر وتتردد فى ايقاع أشبه بالهذيان ، وبشكل يستدعى الى الذهن صورة — حلقات الذكر — الشهيرة عند الصوفية ! وهذه

العادة يعقبها وجبة رأس السنة ، التى تبدأ بالتبريك ـ خبز البركة ـ المشرب بالسكر ، ثم تقدم الوجبة التى لابد أن تشمل رؤوس سمك ! كرات ، سلق ، رمان ، بلح ، لوبيا ولحم ضأن ٠

فى اليوم التالى لهذه الوليمة ، وعقب أداء صلاة الصباح التى يجأر فيها ـ الشوفار ـ بوعد الخلاص ، تتلى مجموعة المزامير، وبعد الظهيرة يتجمع هؤلاء بالقرب من شاطىء البحر أو على ضفاف النيل ، لممارسة طقس التخلص من الخطايا والآثام ! وهم ينشدون « وترمى فى الأعماق كل خطاياهم » ثم يقلبون جيوبهم ويضربون أجسادهم لئلا يعلق بها معصية أو خطيئة !

واذا كانت بداية السنة الجديدة توافق ـ يوم السبت ـ فلابد لهذا الاحتفال أن يكون مخالفا لما هو متبع فى البلاد الأخرى٠

أسبوع قبل بداية السنة ، يضع الأطفال قطنا فى أطباق مجوفة ، ينثرون عليها قمحا ينبت متوافقا مع أول يوم من العام الجديد ٠٠

وأسبوع بعد بداية السنة ، عشية عيد الغفران (Kippour) يضع يهود مصر دجاجا فى حمامات أو شرفات منازلهم ، حتى أولئك الذين يعيشون فى الأحياء الراقية ، ديك لكل ذكر فى العائلة ودجاجة لكل أنثى ، ويضحى بذلك الدجاج ليلة «الغفران الكبير »٠ لو وافق هذا العيد يوم الأحد ، تتحول أسواق السبت مساءا الى مذابح حقيقية ، المضحون يقفون الى الموائد المعدة للذبح ، ما بين صخب الزحام وأضواء المصابيح أو القناديل وصياح الطيور ونداءات الباعة الجائلين ، وكل عائلة تتقدم بدجاجها ـ والسيدة الحامل تقدم ديكا ودجاجة عن الجنين الذى تحمله فى أحشائها ـ وتحتفظ كل أسرة بواحدة أو اثنتين من هذه الدواجن ، ويقدم

ما تبقى الى الفقراء وأبناء السبيل ، وتعد فطائر أو عجائن بلحم الدجاج (Tagarinas) معالحساء لتكون الوجبة التى يعيشون عليها خلال ستة وعشرين ساعة ٠

عادات أخرى تصاحب ذكرى ـ يوم تدمير آخر معبد يهودى بالقدس ـ فمنذ اليوم الأول من شهر آب ، يمتنع اليهود عن أكل اللحوم فيما عدا يوم السبت الذى يسبق تاريخ هذه الذكرى (وبالرغم من ذلك يحرم فقط أكل الحمام !) ٠

فى مساء يوم الحداد هذا ، تخفض الاضاءة بالمعابد ، مصباح واحد لاضاءة المكان ٠٠ وما من أحد يجلس الى المقاعد والأرائك ٠٠ ويسدل الستر أمام الهيكل ٠٠ ويجلس الرجال ـ حفاة الأقدام ـ الى الأرض ويتذكرون فى أسى كم مضى من السنين منذ دمر المعبد !

ويهود مصر يقدرون تاريخ النفى L'exil فى العام الثامن والستين من القرن الميلادى الأول ، وليس فى العام السبعين ، كما يعتقد الآخرين من يهود « الدياسبورا Diaspora

ثم يطفأ المصباح ، وتسمع أصوات النشيج ، التى تتحول الى صراخ يملأ جنبات المعبد ، وعند فراغهم من هذا « الغم » يتبادرون الى الذهاب دون تبادل السلام أو التحية ! ٠٠ وفى المساء يجتمعون متحلقين جالسين الى الأرض ، ويقرأون تاريخ « أبناء حنا السبعة » الذين فضلوا الموت على الارتداد عن دينهم وقصة حنا هى ملحمة شعرية كتبت باللهجة العامية المصرية ٠

ومن عاداتهم فى عيد « الحانوكة ـ ٠٠ Hanouka » اضاءة قنديل « الحانوكية » بالمعبد صباحا ومساءا لمدة أسبوع كامل ، ويوضع هذا القنديل على يسار المدخل ، وليس بالقرب من

النافذة ·· وهى عادة قديمة نجدها فى طقوس اليهود الفرنسيين فى القرن الثانى عشر · (Mahzor Vitry)

وكان يهود مصر فى العصور الوسطى ، يوقدون القناديل على أبواب دورهم ـ فى هذا العيد ـ وفقا لعد تصاعدى ، ففى الليلة الأولى يوقدون قنديلا واحدا ، وفى الليلة الثانية يوقدون اثنين ، وهكذا حتى تتم ثمانية قناديل فى اليوم الثامن ·

ومن عادتهم أيضا فى تلك المناسبة ، الاحتفاء بالشباب الذين يضعون « التفلين Tephilin » للمرة الأولى ، وهى تمائم عبارة عن سيور جلدية تحتوى آيات من التوراة توضع حول الأعناق والأذرع أثناء الصلاة · ويستقبل اليوم الأخير من هذا العيد ، باعداد كميات من ـ الزلابية ـ المغرقة بالعسل !

وفى ذروة الشتاء يحتفلون بيوم « الخباط ـ تويشباط Tou Bishbat » حيث الرياح عاصفة ، تضرب النوافذ والأبواب، لكنها لا تفتر من عزمهم فى اعداد مأدبة تضم ستة وعشرين نوعا من الفواكه الطازجة والجافة ، تضفى نوعا من البهجة على حياتهم فى هذا اليوم ·

ليلـــة التوحيـــد

كانت هذه المناسبة أكثر جاذبية ، وأكثر بذخا ، والتى كان يحتفل بها فى كنيس الأستاذ (المصريين) ليلة أول نيسان ـ أربعة عشر يوما قبيل عيد الفصـــح ··

فى عصر ما قبل النفى Pre-exil كان هذا التاريخ هو بداية السنة اليهودية الجديدة ، وقد استمرت مظاهر هذا الاحتفال لدى يهود مصر فقط ··

في هذه الليلة ، يجتمع حاخامات القاهرة ، ويتناوبون ترتيل « الهاليل » الكبير ، والمزامير والابتهالات التقليدية ‥ تتلى الآية بالعبرية وتفسر بالعربية ‥ ثم في منتصف الليل ، ينهض أقدم المرتلين ليقرأ « سفر التوحيد » الذى يبدأ ب « بسم الله الحليم الرؤوف » وتذكر المصـادر اليهوديـة أن هذا النص ـ مجهول العنوان ـ وقد أعده النجيد ابراهيم نجل الفيلسوف « موسى ابن ميمون » وهذا النص تأثر كثيرا بالصوفيـة الاسلاميـة ، وكتب بالعربيـة الفصحى ، وندهش حينما نطالع أسماء الأنبياء مقرونة بالصيغة الاسلامية : ابراهيم الخليل ‥ موسى رسول الله ‥ هارون الامام ‥

وبشكل عام ، فان استعراض تفاصيل التقاليد والعادات الخاصة باحتفالات اليهود في الحارة المصرية « المستعربين » الذين يجمعهم « اخوة العيش ـ‥ Hebrat Mazon في ظل حياة مستقرة ، لكنها تعكس جمودا فكريا ، وظلاما يغلف العقول ‥ غير ان مظاهر هذه الاحتفالات لم يتبق منها اليوم سوى بعض المشاهد الغريبة الباهتـة ‥

ونواصل تتبع حياة يهود مصر ، بتفاصيلها الدقيقة ، فيوم الخميس يعنى أن وجبـة الغـداء فول مدمس مطهو في قـدر من النحاس ، ويؤكل منه أيضا في صباح يوم الجمعة ٠ ووجبة غداء يوم السبت ـ شتاء ـ كانت « الدفينة » فريك أو حمص ، حيث يطهى على نار هـادئة منذ صباح الجمعة ، بالاضـافة الى البيض والبطاطا واللحم أو كوارع الضأن ‥ وما يتبقى يصلح وجبة ليوم الأحـد ٠

وينتهى العمل ـ عادة ـ يوم الجمعة في السـاعة الحاديـة عشرة ، ووجبة الغداء هى الملوخية ـ صيفا ـ وقلقاس في الشتاء

٠٠ اذ أن يومان بدون لحم، كانا ضروريان لاستقبال يوم السبت ٠٠ ويوم الجمعة هو يوم الاستحمام ـ بعد الظهيرة ـ وهو الحمام الساخن الوحيد في الأسبوع ، حيث يوضع قدر كبير مملوء بالماء فوق موقد كيروسين ويتتابع أفراد الأسرة الواحد تلو الآخر . فيغترفون منه باناء من النحاس ، كمقدمة فى طقوس التطهر لاستقبال يوم السبت ٠

وفي بعض الاحتفالات بالأعياد القومية ، مثل شم النسيم ، الذى تعود جذوره الى العصر الفرعوني ، كنت تشاهد جماعات الشباب والأطفال والفتيات من اليهود ، بملابسهم الجديدة متعددة الألوان ، فى الحدائق العامة والبلاجات وعلى ضفتى النيل ٠٠ فيقضون ساعات من البهجة والمرح ـ كعادة طوائف الشعب المصرى فى مثل هذا اليوم ـ و ٠٠٠ طعامهم الأسماك المملحة والبيض الملون والبصل ، ويجرعون كميات من شراب الجعة ٠٠ ويأتي هذا العيد غالبا فى اليوم التالى لآخر أيام عيد الفصح اليهودى ٠٠ أى بعد ثمانية أيام معاناة من القيود الغذائية المرهقة ! كالفطائر غير المختمرة ، المثيرة للغثيان ـ على حد قولهم ـ وعند حلول الليل ٠٠ تعاد أوانى الفصح الى أماكنها حتى العام التالى ، وتعد وجبات من الخبز الساخن البلدى أو الشامى ، وفطائر باللحم وبقول جافة وأسماك وجعة وجاتوه وحلوى بالمكسرات وأحيانا الكنافة والبقلاوة ٠٠ وفى مدخل الشقة ، بأسفل الباب ، تشاهد أوراق الخص مبعثرة على الأرض ٠٠ أحد التقاليد الهامة فى نهاية أيام الفصح !

عيد البوريم

يحتفل يهود مصر بعيد البوريم (الفوز) فى ٢٨ من شهر آذار كل عام ، وتدور الأصول التاريخية لهذا العيد حول قصة

« استير »الواردة فى السفر المعروف باسمها ، والتي اقنعت ملك الفرس « احشويروش » ـ بعد غرامه وفتنته بها ـ بقتل وزيره هامان الذى حنق على اليهود للمكانة التى وصلوا اليها ، وأباح الملك لليهود قتل عشرات الآلاف من الفرس ، لمدة يومين من الثالث عشر الى الخامس عشر من آذار ، فاتخذ اليهود من هذه المناسبة عيدا يحفل بكل مظاهر اللهو ، حتي أن المصادر العربية أطلقت عليه « عيد المسخرة » !

نحو منتصف القرن السادس عشر ، ابتدع الحاخام صمويل ابن سيد « سيديليو » صوم اليوم الثامن عشر من آذار ، وعند الشفق ، من هذا اليوم ، كان يخرج الى طرقات وأزقة حارة أو حى اليهود ، حافى القدمين ، منتقب الوجه ومغطى الرأس ـ تعبيرا عن الحزن ـ حاملا بين يديه سفرا من أسفار التوراة ، ورجال ينفخون فى الأبواق وأطفال يترنمون ببعض الصلوات ٠٠ ثم يبكى الجميع ويصرخون : لماذا يا الهى أنت غائب ؟! ٠٠ لماذا أنت غافل ؟! ٠٠ !

افتــداء الابن البكر والدراما الدينيــة

يرجع هذا التقليد الى تاريخ العبرانيين فى مصر القديمة ، وتنم طقوسه الغريبة ـ القاسية ـ عن فلسفة خاصة عن الحياة والموت ! ويتم هذا التقليد ليلة اليوم الحادى والثلاثين من حياة المولــود ، حيث يأتى واحـد من أعضـــاء « جماعة الكهنــوت La Caste Sacerdotale كوهين ـ ٠٠ Cohen من عامة الفقراء ، مقتحما الوليمــة التى تجتـمع حـولها عائـلة المولود بغـرض « اختطافه » ! ٠٠ وعملية الاختطاف ـ الظاهرى ـ هذه تتم ـ كما تؤكد المصادر اليهودية ـ لصالح معبد أورشليم الذى دمر فى العام الثـامن والتسعين من الميـلاد ! وبينما يتحلق الأب والأم والأقارب ٠٠ يتقدم الكوهين سائلا أم المولود عما اذا كان الرضيع

هو الثمرة الأولى لبطنها ؟! فتجيبه مؤكدة له بأن هذا الرضيع هو ابنها البكر ، وأنها لم يسبق لها الولادة أو حتى الاجهاض ! اذا كانت الأم غائبـة عن هذا الاحتفال فيجب أن يتوجـه اليها بهذا الاستفسار أحد الأفراد الراشدين الموثوق بهم ، ثم يتقدم الكوهين الى الأب سائلا اياه عم يفضل ؟ « اذا كان هذا هو ابنك البكر بالفعل فهل تفتديه منى بخمس قطع من الفضة (أو ٣١ درهما من الفضة الخالصة كحد أدنى أو ما يوازيها) أو تعطيه الى الكوهين كما توجب عليك التوراة » ·· ! فيجيب الأب قائلا « أنا واثق من أن هذا هو ابنى البـكر ، واننى مســتعد لاعطائك القطع الخمس الفضة ـ فدية له ـ كما أوصانا (بنى سواط ـ Beni Soit) فى توارتنا المقدسة » !

لم يكن هناك قيد أو رابطة بين هذا المولود وذلك الكوهين الذى أدى دوره فى تلك (الدراما الدينية) ! وقد كان له قديما ـ حق الحياة ـ عليه ! كان جميع اليهود يمارسون تلك الاحتفالات الطقسية ·· غالبـا باعتبارها عادات نمطية متوارثة لا تخضـع للاشراف الدينى ·· ! ويذكر بأن الفدية النقدية كانت ـ فى معظم الأحوال ـ ترد خلال ساعة وفى بعض الحالات كانت تعتبر بالفعل ثمنا للفداء وتوضع فى صندوق أو خزينـة ··· وحصيلة هذه الأموال يقتسمها رجال الدين فيما بينهم !

القرابين البشريـة فى أعيـاد اليهود !

لقد ثبت من العقائد الدينية لليهود ، أنهم « مصاصو دماء » حقيقة ، فهم لا يتم لهم عيد الفصح أو عيد البوريـم أو اليوبيل الفضى ، الا اذا حصلوا على ـ دم بشرى ـ وخلطوه بالفطائر التى تصنع لأجل هذه الأعياد ، وتمنح عادة للأتقياء من اليهود !

وهم يعتقدون أن هذا الدم البشرى ، هو شعيرة هامة لاتمام طقوسهم الدينية ! وتطبيقا لتعاليم تلمودهم !

وكان يهود الشتات ، فى كل مدينة أو قرية يعيشون فيها ، يذبحون طفلا أو امرأة أو رجلا قبل عيد الفصح ، ثم يضعون دم الضحية فى عجين الفطائر ، حتى لا يبقى يهودى الا وقد ذاق من هذا الدم ، واليهودى الذى لا يأكل أو يشرب من دماء الضحية يعد خاطئا ! وطبقا لاعتقادهم فانهم اذا لم يتمكنوا من ذبح النـاس جميعا ، فلابد من ذبح واحد منهم كل سنة ، فى كل مدينـة أو قريـة !!

ويروج الحاخامات بين اليهود أن دم غير يهودى ، يفيد فى أعمال السحر والرقى والتعاويذ ويجلب الرزق ورضا الرب !! ويدخر هؤلاء الحاخامات لديهم دماء بشرية مجففة ممزوجة بالملح والدقيق ، فاذا أتى عيدهم ولم يتمكنوا من الحصول على ضحية جديدة قام كل حاخام بتوزيع المدخر لديه مع الغلو فى ثمنه ·

عيـــد البوريـــم والفصـــح

يقول التلمود « عندنا مناسـبتان دمويتان ترضـيان الهنا (يهوه) احداهما عيد الفطائر الممزوج بالدماء البشرية والأخرى مراسم ختان أطفالنـا » وقد ورد فى دائرة المعـارف اليهوديـة صفحة (٣٠٦) فى الجزء الثامن ما يلى « اذا كان هناك من أساس أقر من قبل الحكماء (حاخامات اليهود) فهو حقيقة القرابين البشرية (المسيحية) التى تقدم للاله (يهوه) ملك الأمة والتى بوشر فى تقديمها أواخر عهد الملكية اليهودية » · وهنـاك نصوص كثيرة سترد معنا فى البحث · وتختلف الذبائح البشرية لعيد البوريم عن ذبائح عيد الفصح من حيث النوعية فى الذكورة والبلوغ ،

من حيث نوعية الضحية بذاتها ، وسأتحدث أولا عن الطريقة التى يذبح بها الحاخامات الانسان كقربان ليهوه ، ثم أتحدث عن نوعية الذبائــــح ٠

يؤتى بالضحية وتوضع فى برميل ابرىء وهو برميل يتسع لجسم الضحية مثبت بجوانبه وبشكل مكثف طولى وعرضى ابر حادة ، وحين وضع الضحية بداخله وهى حية تنغرز هذه الأبر الحادة فى جسمه وبالتالى ينزف الدم فى هذا البرميل ، وكلما تحركت الضحية بسبب الألم وبسبب طلوع الروح تتسع الجروح ويصفى الدم بشكل كامل بحيث تخرج الروح وآخر نقطة من دم الضحية معا ، ويتلذذ المجرمون اليهود بهذاالعمل ويبدو للقارىء مدى خضرمة هؤلاء بالاجرام ضد الانسان ٠٠ انه شىء فظيع !

الطريقة الثانية : اذا كان المكان غير آمن فانهم ينفذون عملهم الاجرامى بسرعــة ، ودون أن يتلذذوا به فيذبحون الضحية من الرقبة ، وفى أمكنة الشرايين ويوضع تحتها اناء واسع كى ينزف الدم بداخله ثم يجمع ويعبأ فى زجاجات ، وتؤخذ زجاجات الدم فى كلا العيدين وتسلم للحاخام الأكبر فى المنطقة التى يوجد فيها اليهود فيقوم « عظمته » بمباركتهم ثم يعجن هذا الدم مع السميد ويعد الفطائر للعيد المقــدس ، ومن ثميقوم بتوزيعها على أتقياء اليهود فيتناولونها بشراهة كشراهة حقدهــم الدفين على المسيح وأتباعه ولكن التوراة حرمت الدم « لا تأكلوا دم أى جسد كان » فخرج خبث الحاخامات ، بأن هذا النص يقصد به دم اليهود فقط ؟
أما شروط الضحية فى عيد البوريم فهى :

١ ـ أن تكون الضحية من المسيحيين ٠

٢ ـ أن يكون ذكرا بالغا ليقدم للآلهة استير ٠

٣ ـ أن يكون خلوقا ومهذبا ومتدينـا ٠

٤ ـ أو يكون مرهف الاحساس خجولا لأن هذا يدل على جودة الدم الذى لديه ٠

٥ ـ لم يزن أو يتنجس بعلاقة جنسية « أى لم يتزوج » ٠

٦ ـ أن تكون الضحية من أصدقاء اليهود العزيزين عليهم جـدا حتى يكون الدم ملوثا بالعداوة تجاههم ٠

٧ ـ تكون فرحة « يهوه » كبيرة وعظيمة اذا كان الدم الممزوج مع فطير الأعياد هو دم « قسيس » ليصلح لكل الأعياد ! ٠

ويمكن الأخـذ بهذه الشروط حسب الامكان ولكن الشرط الأساسى أن تكون الضحية مسيحية والشروط الأخرى تكميليـة يمكن ليهوه أن يغض البصر عنها اذا لم يتمكن اليهود من تطبيقها لظروف قاهرة !!

ويقوم على تنفيذ عملية الذبح ومراعاة الشروط سبعة يهود يكون واحد منهم على الأقل حاخاما وهؤلاء منفذون أما المحرضون والمتداخلون فيمكن أن يشمل الآلاف وبالتالى فليس هناك عملية ذبح يقوم بها يهودى واحد ٠

أما قرابين عيد الفصح فلها مواصفات وشروط معينة يجب أن تتوافر فى الضحية وهى :

١ ـ أن يكون القربان مسيحيا ٠

٢ ـ أن يكون طفلا ولم يتجاوز البلوغ ٠

٣ ـ أن ينحدر من أب وأم مسيحيين صالحين لم يثبت أنهما ارتكبا الزنا أو ادمنا الخمر ٠

٤ ــ ألا يكون الولد ــ القربان ــ قد تنـاول الخمر أى أن دمه صاف وبعيد عن المؤثرات الخارجية الملوثة ٠

٥ ــ أن يكون صادقا لا يكذب وقد ربى تربية جيـدة ٠

٦ ــ أن يكون له ميول دينية للكنيسة ويذهب اليها بانتظام ٠

٧ ــ تكون فرحة « يهوه » عظيمة وكبيرة اذا كان الدم الممزوج بفطير العيد هو دم قسيس وهذا يصلح لكل الأعياد ، ويورد كتاب شهير لديهم اسمه « زنيكيوم زوهار » ما يلى :

« ان من حكمة الدين التوصية بقتل الأجانب ! لا فرق بينهم وبين الحيوانات وهذا القتل يتم بطريقة شرعية ، الأجانب هـم الذين لا يؤمنون بالدين اليهودى وشريعته فيجب تقديمهم قرابين الى أبناء الأعظم « يهوه » كما أن هنـاك نصوصا اجراميـة كثيرة وردت فى التلمود وكتب اليهود لا يتســع البحث لادراجها ، أما جرائم القرابين البشرية فى ملفـات التحقيق فهى كثيرة فى بلدان العالم وخصوصا أوربا وأمريكا والشرق العربى ، وهى نحو أربعمائة جريمة تم اكتشافها ، أما الذى لم يكتشف أو طمست معـالم التحقيق فيه أو ضللت العدالة فيــه ، وذلك لابعاد فكرة فطيرة العيد الممزوج بالدم عن معرفة الناس ، فهى تفوق العدد المذكور بكثير لكون الحاجة الى الدم المسيحى فى كل عام ، كل كنيس يجب أن يتوافر له هذا الدم » !

اليوبيــل الفضى

هو عيد يحتفل به الذين يدينون باليهودية فى مختلف بلدان العالم كل تسعة وأربعين عاما ، ويكون العام الخمسين هو العيد ، واحتفالات هذا اليوبيـل باعادة الأرض الى أهلهـا الذين يدينون

باليهودية محررة من الدين أو الرهن أو أى التزام آخر ، قد وقعها خلال هذه السنوات التسع والأربعين « وقد سوا سنة الخمسين فنادوا باعتاق فى الأرض لجميع أهلها فتكون لكم يوبيلا » ٠

ويعاد فى هذا اليوبيل كل واحد الى أهله وعشيرته ، فاذا كانت هناك خلافات بين أتباع تلك الديانة ، وسجن أحدهم بسبب هذه الخلافات أو بسبب الديون أو أى أمر آخر فانه يطلق سراحة هذا العام ، واذا كان أحد اليهود قد جرد من ملكه أعيد اليه ذلك الملك فى هذا العام ، ويزرع اليهود الأرض ولا يحصدون شيئا ولا يقطفون الثمار فى هذا العام ، ويتم البيع أو الشراء بعدد سنين اليوبيل هذه أى انهم يحسبون كم بقى للسنة اليوبيلية وبناء عليه يتم البيع أو الشراء لأنه فى سنة اليوبيل تعود لكل واحد أرضه وملكه وطبعا يخرج عن هذا كله (الأميون) وقصد بهم كل البشر غير اليهود أى المسيحيون والمسلمون والديانات الأخرى المنتشرة فى العالم ٠

هنا يظهر جليا الخداع اليهودى والغش والمكر والاجرام لابطال الحق واحقاق الباطل ٠ فهم يحاولون الحصول على الأراضى والأملاك من غير اليهود بأية وسيلة كانت ولو بشهادات الزور ولو بحلف عشرين يمينا كاذبة على التوراة « يجوز لليهودى أن يشهد زورا وأن يقسم بحسب ما تقتضيه مصلحته عند اللزوم ويؤول ذلك فى سره » !!

« لقد أعطى الله اليهود حق الاستيلاء على أموال المسيحيين بمختلف السبل والوسائل الممكنة سواء عن طريق التجارة أو عن طريق اللطف والرقة أو عن طريق الغش والخداع أو عن طريق السرقة » ٠

« على اليهودى أن يؤدى عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض أحد اخوانه اليهود لضرر ما » .

يرى اليهود فى هذا المجال ، أن العالم كله وما فيه من كنوز وبشر ملكهم « فالكنوز ورثوها عن سليمان وداود ، والأرض هى أرض الههم « يهوه » ، أنهم الشعب المختار للقيام بكل الجرائم ضد الانسانية والانسان ـ فقد منحهم الأرض لهم وحدهم وكل البشر الموجودين عليها عبيد لهم . وقصة شايلوك معروفة لدى البشر » .

وهذا غيض من فيض فى ما يتعلق بعيد اليوبيل هذا .

كــول نيدريه ...

والتحلل من جميع العهود والمواثيق !

كانت نظرة كثير من فلاسفة أوربا الى اليهود - نتيجة للروح الانعزالية - أنهم غامضون ومتخلفون ومتعصبون ، وأن « الديانة اليهودية يتخللها روح المصلحة الذاتية » !

ويقول المفكر والفيلسوف الفرنسى الشهير « فولتير » ١٦٩٤ - ١٧٧٨ :

« انك لتجد فيهم مجرد شعب جاهل ومتوحش ، زاول لمدة طويلة ، أخس أنواع البخل ، وأبغض أنواع الخرافات .. ويحمل كراهية لا تعادلها كراهية ، لكافة الشعوب التى تسامحت معه ، وكانت سببا فى ثرائه » !

ولكى نتفهم الشخصية اليهوديــة ، علينــا أن نتوجــه الى التقاليد والطقوس الدينية وطابع الحياة اليومية اليهودية :

وصلاة « كول نيدريه » أو كل نذره .. الكلمتان الأوليان من صلاة مساء عيد الغفران « يوم كيبور » .. وتفتتح بها كل الصلوات والطقوس الدينية لهذا العيد ، وقد تحددت صيغة هذه الصلاة فى عصر « الجاؤونيم » اليهود ، وكانت مكتوبة باللغــة الآراميـــة ..

وجوهرها الاعلان بالتحلل من كل النذور والايمانات والعهود والمواثيق التي قطعها اليهودى على نفسه ـ طوال العام ـ ولا يريد أن يلزم بها نفسه !

وتتلى هذه الصلاة قبل الغروب ، وقبيـل التـلاوة ، يفتح التابوت المقـدس : ويخرجون أسـفار التوراة ، ويختص صفوة الحاضرين بامساكها تبركا ، وقد اتخذوا أماكنهم بجوار الحاخام الذى يؤمهم فى الصلاة ، ويتلوها بلحن مميز ، لم يتغير على مدار الأزمان ، وتتكرر تلاوتها ثلاث مرات ٠٠ حتى يتأكد « احساس الجميع بالتخلص من ذنب تخليهم عن خيانتهم لكل العهود التى قطعوها على أنفسهم ، والوعود التى التزموا بها تجاه الآخرين » ٠٠

ثم يبـدأون الاحتفـال بأقدس أيامهم « مرتاحـو الضمير » معافون من نقض عهودهم واخلاف وعودهم » ! ٠٠ وكانت تنطق فى مصر « كال نيدره » ٠

علاقات اليهود بغيرهم تتم فى اطار المصلحة الذاتية النفعية، ونقض العهود سمة رئيسية فى شخصية اليهودى ٠٠ فيقول الله تبارك وتعـالى : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ٠٠ » البقرة : ٢٧ « أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون » البقرة : ١٠٠ ٠ « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » الرعد : ٢٥ « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » الأنفال : ٥٦ ٠

ان الشخصية اليهودية : لا مثيل لها فى تكوينها ، ضربت حول نفسها نطاقا من العادات والطقوس الدينية ووجهة النظر الى

الحياة ، فتم تكوينها حسب ارادتها ·· وصنعت عقيدتها حسب فائدتها ! ·· فالدين مجرد « تنويهات » لله في أفواههم ، أما الهدف الذى يعيشون من أجله فهو النقمة بين الأمم !

اختـــار اليهودى من طرق المعايشـــة بين النـــاس ، الطرق المقفولة عليه ، وأخفاها عن الناس ، مخافة أن يسرقها الناس منه ، باعتبارها سر الصلاحية في الحياة ، والتى تحدد منهجه : كسيد مســـتبد في عالم المال ·· وفوضوى قدير فى عالم الفـكر ! ·· امتـلاك الحياة ، والسيطرة على الأحياء هى : الضمان والتـأمين للشخصية اليهودية ، وقد وصلوا الى هذه ــ الحقيقة اليهودية ــ بتجاربهم في عصور التشريد الأولى ، وعصور الغربة والشـــتات الأبدية ، التى فرضت عليهم لمطاردة شـــعوب الأرض لهم ــ بعد الملاحظة العابرة ! ــ أنهم يأخذون ولا يعطون !

والى أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء أمتنـــا العربية :

لقد حق في اليهود ، قول الله تعالى بخيانتهم ونقضهم لكل العهود ·· وأكدوا هم أنفسهم هذا المعنى كجزء أساسى من عقيدتهم ·· هل بعـد هذا ·· نســـتطيع أن نثق فى التزامهم بما يسمى « معاهدات الســـلام » !

ان للاسرائيليين مفهومهم ــ الواضح ــ للسلام ، الذى يرتكبون تحت مظلته أوسع الجرائم فى التاريخ !·· والتعايش بين المشروع الصهيونى الارهابى ، الذى استثمر الدين والأساطير ، والمشروع الحضارى العربى : مستحيل ! : فمازال الحلم الصهيونى الرهيب « اسرائيل الكبرى » هو الهدف الاستراتيجى لزعماء صهيون !

هل المطلوب : اعادة « صياغة عقولنا » لتقبل الوجود الاسرائيلي بمقتضى ارث سماوى مزعوم !.. وهل الآلاف من شهداءنا الذين بذلوا أرواحهم ، كانوا ضحايا لمجرد سوء الفهم والحاجز النفسى !

ان كل ما يحدثنا به التاريخ : أسفار تحوى عفن قرون من الأكاذيب والأحقاد والفتن والمؤامرات والارهاب ، ومن واجبنا جميعا كعرب ، أن ندرك مخاطر أبعاد التآمر اليهودى ، وأحلامهم التوسعية الجامحة !

فاليهودى يهودى فى كل زمان ومكان، الى آن يلقى بخزعبلات وترهات التوراة والتلمود وتعاليم الحاخامات جانبا .. لقد وضع اليهود مع « العهد » فى التابوت المقدس : المنطق .. الأمانة .. الشرف .. واستراحوا من الفضائل وهموم البشر !!

دى شـابرول ..
وغنـاء اليهـود !

كان « دى شابرول » أحد أفراد الفيلق الثقافى الذى صحبه نابوليون فى حملتـه الى مصر ، كما كان عضـوا بلجنـة العلوم والفنون . وكان لعلماء هذه الحملة الفضل فى وضع أول وأشهر موسوعة علمية .. « وصف مصر Description de l'Egypte »

وقد اختص دى شـابرول بجزء من القسـم الثـانى « الدولة الحديثة » نشر فيه أبحاثه تحت عنوان : « دراسة فى عادات وتقاليد المصريون المحدثون » .. وفى هذا الفصل تحدث عن الغناء الدينى ليهود مصر ، كما أشار الى تباين الشعائر الدينية والعادات بين الربانيين والقرائين ، فيقول (١) :

« .. لم يكن لدينا فى أوربا أدنى معرفة بالأسلوب الموسيقى الخاص بيهود مصر ، فقد اعتقدنا أن من الأوفق ، حين كنا فى هذه البلاد ، أن نتيقن مما ان كان لهذا الأسلوب ، أو أنه ليست له ، بعض أمور تسترعى الانتباه . وقد شاء أحد اليهود الايطاليين ، وكان قد جاب جزءا كبيرا من أوربا ثم اتجه الى مالطة والقاهرة فى صحبة جيش حملة مصر ، أن يسـاعدنا فى أبحاثنا حول هذا الموضوع ، وزودنا فى الوقت نفسه بمعلومات مفصلة للغاية حول تقاليد وعادات يهود مصر ، لكننا لن نتوقف عند ذلك وحسب ،

فلقد شئنا كذلك أن نكون شهودا على كل ما كان ميسرا لنا أن نراه وأن نسمعه ، ولما كنا نعلم أنه توجد بمصر طائفتان من اليهود تتعارضان بشكل تام فى تقاليدهما وعاداتهما وطقوسهما ، فقد كان من السهل علينا أن نحضر حفلات العبادة عند هؤلاء وعند أولئك، حتى يكون بمقدورنا أن نحكم بأنفسنا ما ان كان هناك اختلاف كبير بين أسلوبى الغناء عندهما ، لكن التجربة برهنت لنا أن ليس ثمة خلاف من هذا النوع ، وجعلتنا على يقين من أن تنوع غناء اليهود لا يعود قط الى اختلاف مللهم ، وانما هو ناتج وحسب عن الطريقة التى يعبرون فيها ، فى بعض البلدان ، عن ألحانهم الموسيقية ·

وأولى هاتين الطائفتين من اليهود ، المتعارضتين كل منهما مع الأخرى تمام التعارض ، فى كل شىء عدا الغناء الدينى ، هى طائفة الربانيم أى الربانيين ، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تتبع المذهب الربانى ، أما الطائفة الثانية فهى طائفة القرائيم أى القرائين ، وهم صدقيون ، وقد نحت هذه الطائفة سلطة الحاخامات على عكس ما تفعل الأولى ·

ويقع حى الربانيين فى القاهرة قريبا من حى الموسكى ، وهو يؤدى الى حى خان الخليلى ، ويسمى حارة اليهود أما حى القرائين فيقع غير بعيد عن ذلك ، فهو يتاخم خان الخليلى ·

ولكل واحدة من هاتين الطائفتين تقاليد وعادات تختلف فيما بينها ، لحد أن يهود أى من الطائفتين لا يشاءون أن يتزودوا بحاجتهم (من اللحوم) من جزارى الطائفة الأخرى ، لا أن يستخدموا نفس آنية الطهى التى يستخدمها الآخرون ، وحتى أنهم لا يأكلون طعام بعضهم البعض ، ولدرجة أن عمال احدى

الطائفتين ممن يعملون عند أبناء الطائفة الأخرى ، لا يأكلون كذلك من طعام هذه الطائفة ، بل ينجبون ليشتروا من عند يهود طائفتهم كل الأطعمة التى يحتاجون اليها ، عدا الفاكهة ، فهذه يشترونها دون تفرقة من عند من يبيعها مهما يكن الاختلاف فى ملة البائـع أو طائفته بل حتى فى دينـه ٠

والأمر نفسه بخصوص الشعائر الدينية ، فلكل واحدة من الطائفتين تقويم مختلف فيما يتعلق بالأعياد : فالربانيون يحتفلون بعيد القمر الجديـد (الهلال) لمدة يومين متعـاقبين (٢) ، لكن القرائين عكس هؤلاء لا يحتفلون به الا لمدة يوم واحـد ويتبـع الربانيون والقراءون ، كل فيما يخصه ، هذه العادة نفسها فى بقية الأعياد الأخرى اذ يجعل الآخرون مدة الاحتفال تقل بيوم واحد عن المدة التى يخصصها الأولون للاحتفال بها ٠

ولذلك فلابد أن هؤلاء اليهود يولون احتراما كبيرا لغنائهم الدينى ، طالما لم يتجاسروا برغم ذلك كله ، على ادخال أدنى تغيير على هذا الغناء ٠

واذا ما صدقنا ـ فى هذا الصـدد ـ الروايات المتواترة ، والتى يحتفظ بها اليهود حتى اليوم ، فلابد أن تكون الشـعائر والأغنيات المستخدمة عند يهود هذا البلد ، قد تناولها قدر من التحريف أقـل بكثير مما تنـاولها فى أى مكان آخر ، اذ هى قد انتقلت اليهم هناك ـ دون أن تتعرض لأى انقطاع ـ منذ عصـور بالغة القدم ، وفى الحقيقة فانه لا تزال ترى فى مصر ، فى معابد عدة ، نسـخ من التوراة مدونة بالعبريـة القـديمة ، أى التى لا تستخدم فيها النقاط أو الشكلات ، ويحتفظ بنسخة من التوراة مكتوبة على هذا النحو فى معبد القاهرة المسمى ، المعبد المصرى ،

ويحتفظ بنسخة مماثلة في المعبد المسمى ربانيم القربوصي باسم منشئه ، وتوجد نسخة ثالثة مشابهة في المعبد الكائن في مصر العتيقة والمعروف باسم عذير صوفر أى ابن عزرا الكاتب (٢) وهو قد سمي على هذا النحو ، اذ يزعم أن هذه النسخة من التوراة قد كتبت بخط يد الحبر الأعظم عزرا ، وقيــل لنا كذلك أنه توجد بالمثــل بالمحلة (الكبرى) ، بالقرب من المنصورة ، نســخة من التوراة باللغة القدم كتبت على غرار النسخة السابقة ، وان تكن فوق رقائق من النحاس ، مما جعلهم يطلقون على هذا المعبد اســم سيفر نحاس أى الكتاب النحاسي .

ومهما يكن من أمر قدم شعائر يهود مصر ، وقدم أسلوب غنائهم الديني ، فمن المؤكد ، على الأقل ، أن ميلوديهم بالغ الاختلاف عن الميلودى الذى يتبناه يهود أوربا ، وأن ألحانهم الموسيقية ، برغم أنها تحمل الاسم نفسه الذى يطلقونه عليها في كل مكان ، تتكون مع ذلك ، في مصر ، من مقامات أو طبقات صوتية مختلفــة عن تلك التى تتألف منها هذه الألحان نفسها في أى مكان آخر .

الهـــــوامش

(١) ج٠ دء سابرول : « دراسة فى عادات وتقاليد المصريين المحدثون » — وصف مصر ، ترجمة : زهير الشايب ، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٦ ، القـاهرة ١٩٧٦ ٠

(٢) تعـود هذه العـــادة ، عند الربانيـــم ، طبقـا لاقوال اليهود المحدثين ، الى العصر الذى كان أجدادهم يسكنون فيـه فلســطين ، وقـد جـاءت هـــذه العـــادة ، من أن الاسرائيليين ، عند ضواحى أورشليم ، التى ينظر اليها باعتبارها أعلى مكان فى هذه المنطقة ، كان من عادتهم ، عند مولد القمر الجديد ، أن يكلفوا واحدا بالذهاب ، الى أعلى الجبل ، ليرقب الميلاد الجديد لهذا الكوكب ، وبأن يشعل النيران فوق الجـبال المجـاورة بمجـرد أن يلحظ ظهوره ؛ ومع ذلك فحيث لم يكن من المستطاع رؤية هذه النيران فى المناطق النائية، ، فقد أمر الربانيم بان تحيفل بمولد القمر الجديد لمدة يومين متعاقبين ، وأن تزيد مدة الاحتفال بأعيادهم الاخرى بمقدار يوم واحد عما يفعله القراءون ، فى كل البلدان البعيدة عن أورشليم ، حيث يقطنون (دى شابرول) ٠

(٣) يؤكد اليهود أن هذا الكاتب (للتوراة) المسمى عزرا ، هو الحبر الكبير عذير نفسه ، وهو الذى أعاد ، فى العام ٤٦٧ قبل مولد المسيح ، تجميع كتب اناشيد التوراة (الأسفار) ، ونقاها من الاخطاء التى تسربت اليها ، بفعل جهالة النساخ اليهود ، الذين كانوا ، منذ الأسر البابلى ، قد نسوا استخدام لغتهم الأم ، وأنه قسم التوراة الى ٢٢ سفرا ، طبقـا لعدد الطوائف العبرية ٠

وفى معبد ابن عازر صوفر ، لانزال نرى قمطرا باليـا ، قد تهشم كلية ، يقال ان عزرا كان يقيم صلواته بالقرب منه ؛ وفى أعلا هذا القمطر يوجد درلاب ، يقتصر دوره على احتواء نسخة من التوراة فى شـــكل مخطوطة ، ملفـوفة أوراقها ؛ وأن هذه النسخة ـ ن التوراة ، هى نفسها ، حسب الاعتقاد الشائع ، التى كتبها عزرا بخط يده ؛ ويتم الصعود الى هذا الدولاب عن طريق سلم دائرى من الخشب ، يرتفع بمقدار تسعة أقدام ؛ وتحيط هذا الدولاب ، بصفة دائمة ،

مصابيح وشموع ، يسارع كل من هناك لرعايتها ، بفعل الاحترام الذى يوحى به هذا الدولاب ، والكتاب المقدس الذى يضمه · ويحمل المرضى الى هذا المعبد ، ليرقدوا عند سفح هذا القمطر لمدة يومين او ثلاثة ايام ؛ اما اولئك الذين يأتون الى هناك من اماكن نائية ، فيجدون اماكن يهجعون فيها ، فى الغرف الواقعة فوق المعبد ، حين لا توجد اماكن شاغرة لهم فى داخله ؛ وهم يبقون فى هذه الحجرة او تلك ، حتى يأتى دورهم فى الرقاد بالقرب من القمطر · اما الحجرات التى يشغلونها ، انتظارا لدورهم ، ففسيحة ومريحة ؛ وتوجد هناك ثلاث حجرات ومطبخ ، يقيم فيها الاغراب ، فى بعض الاحيان لايام ثمانية (دى شابرول) ·

ادوارد لين ٠٠ ويهود مصر !

ادوارد لين أشهر مستشرق ورحالة بريطانى ، وكان ظهور كتابه « المصريون المعاصرون ٠٠ شمائلهم وتقاليدهم » عام ١٨٣٦ نقطة تحول بارزة فى تاريخ العلاقة بين مصر والرحالة والمستشرقين الأوربيين ، كما أسهم فى ظهور اتجاه جديد فى أدب الرحلات الى مصر ، كما قدم تفسيرا دقيقا لنظم المجتمع الاسلامى ٠٠ وقد عايش لين تفاصيل الحياة اليومية للمصريين وتأثر بها ، حتى أطلق على نفسه « منصور أفندى » ! ٠٠ وفى هذا الفصل تناول حياة الطائفة اليهودية فى مجتمع القاهرة ، مشيرا الى التسامح الدينى الذى تمتعوا به فى ظل « عيشة هادئة » ٠٠ كما ألمح الى حيلهم فى الصفقات التجارية واحترافهم الربا وأعمال الصرافة ٠٠ وأن « البخل صفة مميزة ليهود مصر ! » ٠٠ ويقول :

يبلغ عدد اليهود فى هذا البلد خمسة آلاف تقريبا ، يسكن أغلبهم العاصمة فى حى حقير مقفل قذر يقطعه أزقة عديدة يضيق أكثرها الى درجة لا تسمح بمرور شخصين ٠

ويختلف يهود الشرق ، فى الملامح وفى هيئة الوجه عامة ، عن أمم أخرى فى آسيا الجنوبية الغربية أقل مما يختلف يهود أوروبا عن الشعوب التى يعيشون بينها ٠ غير أن كثيرا ما نجدهم يتميزون بشدة بياض البشرة وصهبة الشعر وصفاء عيونهم البندقية أو الزرقاء أو الرمادية اللون ٠ ويشكو كثير من يهود مصر من

أمراض العين وانتفاخ البشرة نتيجة الافراط في استعمال زيت السمسم في الطعام · وهم على العموم قذرون غير مهذبين في ملبسهم وفي شخصهم أيضا ، ولا يختلف لون عمائمهم عن لون عمائم الرعايا المسيحيين · وتنتقب اليهوديات ويلبسن ملابس المصريات الأخرى في الطريق العام ·

ولليهود ثمانية معابد بحيهم بالقاهرة · وهم يتمتعون بالتسامح الديني ويخضعون لحكم أقل تعسفا في مصر منه في أي بلد أخرى من بلدان السلطنة التركية · وهم يؤدون مبلغا من النقود مقابل اعفاء حيهم من اشراف المحتسب ، ويؤدون المثل للوالي ما دامت وظيفته قائمة · وهم يميزون عن الآخرين في بيع أصناف المؤن بسعر مرتفع ، فيستطيعون تبعا لذلك شراء هذه الأصناف بثمن أعلى ، فيجهزون حوانيتهم بالمؤن ، وعلى الأخص الفاكهة ، التي تفوق غيرها جودة في أنحاء أخرى من المدينة · واليهود ، مثل الأقباط ، ولسبب مماثل يدفعون جزية ، ويعفون من الخدمة العسكرية ·

واليهود محل ازدراء المسلمين وكراهيتهم · ويقال انهم يحملون للمسلمين وللاسلام بغضا متأصلا أكثر من أي شعب آخر · ويذكر القرآن في سورة المائدة « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ··· » وقد قص على صديق مسلم عندما ذكرت هذه الخاصية في أخلاق اليهود حادثا وقع منذ بضعة أيام فقال : « كان أحد اليهود يمر مبكرا صباح يوم من أيام الأسبوع الماضي بمقهى لأحد معارفه المسلمين يسمى محمدا · فرأى شخصا يقف هناك فظنه صاحب الدكان (اذ كان الغسق لا يزال قائما) وقال : « سعدت صباحا يا شيخ محمد » فلم يرد هذا

الأخير ، وكان يهوديا آخر ، على تحية الأول بغير زجرة غاضبة لمخاطبته بأكره الأسماء التى يمكن التفوه بها أمام يهودى · وسحب الجانى الى الكاهن الأكبر الذى حكم بجلده جلدا شديدا لهذه الاساءة بالرغم من احتجاجه بأنها غير متعمدة » · ـ ومن الشائع قول المسلمين : « ان فلان يكرهنى كراهية اليهودى » · فلا عجب اذا أن يكره المسلمون اليهود أكثر مما يكرهون المسيحيين · وكان اليهود الى عهد قريب يدفعون ويضربون أحيانا فى شوارع القاهرة لمجرد عبورهم على يمين مسلم · وهم الآن أقل عرضة للجور ، ولكنهم قلما يجرأون على شتم أى عربى أو تركى ينتهرهم أو يضربهم ظلما · فقد أعدم كثير منهم لاتهامهم زورا وحقدا بسب القرآن أو الرسول · ومن العادى أن تسمع عربيا ينعت حماره المتعب بأفضح الشتائم المختلفة يختمها بوصفه الحيوان باليهودى ·

وكثير ما ضحى بيهودى لانقاذ مسلم كما جرى فى الحادث التالى : « صرف أحد الجنود الأتراك بعض النقود ، فناوله « الصيرفى » ، وكان مسلما ، بعض النقود المسماة « عدلية » بستة عشر قرشا · وقدم التركى هذه النقود الى أحد التجار ثمنا لبعض البضائع ، غير أن الأخير رفض أن يحاسبه على أكثر من خمسة عشر قرشا « للعدلية « قائلا ان الباشا أمر منذ عدة أيام بألا يعدل هذا النقد بستة عشر قرشا بعد ذلك · فعاد الجندى الى « الصيرفى » · فتظلم التركى الى الباشا نفسه ، الذى غضب لاهمال أوامره وارسل فى طلب « الصيرفى » · واعترف هذا الرجل بذنبه ، غير أنه حاول أن يلتمس لنفسه عذرا بزعمه أن كل « صيرفى » فى المدينة تقريبا قام بالمثل ، وأنه استلم قطع «العدلية» بالسعر نفسه · ومع ذلك لم يصدقه الباشا ، أو رأى أنه من اللازم أن يجعل منه عبرة لغيره ، فأشار بيده ايعازا بضرب عنقه · وتحركت الشفقة فى قلب مترجم البلاط لهذا الرجل التعس

فتوسل الى الباشا أن يعفو عنه ، وقال : « ان هذا الرجل لم يعمل أكثر مما يعمله جميع صيارفة المدينة ، وقد استلمت أنا نفسى البارحة قطع « عدلية » بالسعر ذاته » • فصاح الباشا : « ممن » فأجاب المترجم : « من يهودى عاملته عدة سنين » • فأحضر اليهودى وحكم عليه بالشنق بينما أعفى عن المسلم • فاغتم المترجم وجد فى الدفاع عن اليهودى المسكين • ولكن الباشا لم يلن • كان من اللازم أن يضرب مثلا ، وقد اعتبر أن قتل يهودى خير من قتل مسلم أكثر جرما • وقد رأيت التعس مشنوقا فى نافذة « سبيل » ملحق بمسجد قائم فى أهم شارع فى المدينة وقد عرض أقارب اليهودى مبالغ كثيرة ليعفى عنه ، غير أن الحظوة الوحيدة التى استطاعوا الحصول عليها ادارة وجهه ناحية الشباك حتى لا يراه المارون • وكان هذا اليهودى يحترمه كل من عرفه (ما عدا المسلمين طبعا) ، وقد ترك عائلته فى عوز شديد ، فقام المترجم الذى تسبب فى موته بغير تعمد باعانتهم •

ويعيش اليهود فى مصر عيشة هادئة على العموم • وقل فعلا من يخالطهم ممن هم على غير دينهم • وهم يعتبرون عامة شعبا معتدلا فى مأكله • ويرتدى أغنياؤهم أجمل الملابس داخل بيوتهم ، ولكنهم يظهرون فى الخارج بملابس ساذجة بل رثة أيضا • وتحوى مساكنهم بالرغم من مظهرها الحقير القذر غرفا جميلة حسنة الأثاث • وليس اليهود داخل منازلهم بصرامة الكثير من الشرقيين الآخرين فى اخفاء نسائهم عن الأجانب ، أو على الأقل من مواطنيهم وعن الأفرنج • وكثيرا ما يحدث أن يستقبل الزائر الأوربى حيث يجلس نساء الأسرة اليهودية سافرات ، فيقمن على خدمته • وتسود هذه العادة فى السوريين المسيحيين المقيمين بالقاهرة • ويقال ان تدبير المكائد يغلب فى اليهوديات ، غير أن ليس فيهن عاهرات يصرح لهن باحتراف الدعارة • ويعيش أفراد الطبقة الدنيا فى

بؤس شديد ، وليس لأكثرهم طريقة للتعيش غير ما يجود به عليهم يهود الطبقة العليـا ٠

والبخل صـفة مميزة ليهود مصر خاصـة أكثر منها ليهود البلدان الأخرى حيث هم أقل عرضة للظلم٠ وهم يعنون بكل وسيلة ممكنة لابعاد شبهة الثراء عنهم ولهذا السبب يبدون فى أقذر شكل ويهملون مظهر بيوتهم الخارجى ، وهم على العموم يحرصون على القيام بفروضهم الدينية ، كما أنهم بالرغم من حيلهم فى الصفقات التجارية أمناء فى انجاز عقودهم ٠

ويحترف كثير من اليهود المصريين عملية الصرف (أى اقراض النقود) ٠ ويعمل آخرون « صيارفة » وهم ذوو أمانة دقيقـة ٠ ويصيغ غيرهم الذهب والفضـة ، ويشتغل بعضهم بالبقالة وبيـع الفاكهة ، والقليل من الطبقة الثرية يحترف التجارة عموما ٠

عصر الهيمنة اليهودية عــلى الاقتصاد المصرى

فى رائعته « لا تتركونى هنا وحدى » يقول أديبنا الراحل احسان عبد القدوس « ٠٠ ان اليهود يضربون الســـوق بالعصا السحرية ٠ فتنفجر ينابيع الثروة من تحت أقدامهم ٠ كما ضرب موسى البحر بعصـــاه فانشق طريقا ســـهلا ممهدا تحت أقدام اليهـــود » ٠

والشـــخصية اليهودية تحدد اتجاهاتها نحو مصادر القوة والنفوذ ، وترسم خطواتها فى عالم الطموح الذى لا نهاية له ٠٠ بصبر لا ينتهى أبدا ٠ وذكاء صامت يتعمد أن يتخفى دائما ٠٠ !

وقد تمتعت العائلات اليهودية الارستقراطية بقوة اقتصادية ووجاهة اجتمـــاعية مكنتهـــا من توطيد علاقاتها بمراكز النفوذ السياسى ، لتتربع على قمة الهرم الاجتماعى فى مصر ! ٠٠

وكان ليهود مصر نشاط بارز فى تجـــارة الذهب والقطن والمنســـوجات ــ أهم أدوات الاقتصــــاد المصرى ــ كانت فى قبضـــتهم ٠٠

واذا كان مفهوم الازدهار يعنى مستوى التقدم الاقتصادى والمالى ــ فى عصرنا الحالى ــ فقد استطاع يهود مصر أن يحققوا هذا الازدهار فى فترة وجيزة من الزمن ، بدأت مع افتتاح قناة السويس

عام ١٨٦٩ ، ليبلغ ذروته مع بداية القرن العشرين وحتى عام ١٩٤٨ ٠٠ وفى عبارة ذات دلالة يقول الرحالة اليهودى « س ٠ صامويل » الذى زار مصر عام ١٨٧٩ : « لا يوجد بمصر خادم أو عامل يهودى ٠٠ وأن اليهود يفضلون أن يكسبوا عيشهم برؤوسهم لا بأيديهم » ٠

عندما شرع العلماء الذين رافقوا نابليون فى حملته الشهيرة ، فى وضع موسوعة « وصف مصر » مع بداية القرن التاسع عشر ٠٠ لم يكن فى مصر الا ظلال ماضيها ، أطلال تشهد بأن هذا البلد كان مركزا لحضارات متعاقبة متألقة ، وأرضها التى هى واحدة من أخصب أراضى العالم ، كانت تغذى بالكاد مليونين من السكان الغارق معظمهم فى حالة من الفقر المدقع ، والصناعة معدومة والتجارة الدولية فى أدنى مستوى لها ، والتعليم قاصر على ما يتلقاه طلبة الأزهر من علوم اللغة العربية والدراسات القرآنية والفقه الحديث ٠٠ وعلى رأس النظام السياسى « باشا » معين بفرمان من الباب العالى باستانبول ، والسلطة الفعلية فى أيدى أمراء المماليك ٠٠ لم تعد مصر بالنسبة للسلطان فى تركيا سوى مصدرا لجباية الأموال والهدايا الثمينة ٠٠ !

فى هذا الاطار ، كانت طائفة اليهود المصريين ـ لا تتعدى ٤ آلاف نسمة ـ تتقاسم مع مثيلاتها من طوائف الشعب حالة « البؤس العام » ٠٠ متماثلين بعمق من حيث اللغة والعادات وأساليب الحياة ، فى اطار قوانين الشريعة الاسلامية المنظمة لحقوق الأقليات وانحصر نشاطهم فى التجارة وبعض الحرف ٠

وفى الثلث الأخير من القرن الماضى ٠٠ أدخل الفرنسيون والانجليز مصر فى التقسيم الدولى للانتاج ، اذ أصبحت أكبر مورد لمادة أولية دولية : القطن طويل التيلة ، الذى يصنع فى دول أوربية

متقدمة صناعيا ، خاصة بريطانيا ، كما كان تنفيذ مشروع قناة السويس عاملا مباشرا فى عودة مصر لتتبوأ مركزا هاما فى خريطة توزيع التجارة الدولية ٠

وكان الوضع السـياسى فريدا من نوعه ، فعلى المستوى الرسمى ظلت مصر جزءا من الامبراطوزية العثمانية ، خاضـعة « شكليا » لسلطان الباب العالى ، غير أن واقع الأمر ، وبعد تفاقم الأزمة المالية وبلوغها ذروتها عام ١٨٧٥ ، وخضوع مصر للاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ ، أن أصبحت السـلطة الفعلية فى يد القنصل العام البريطانى ، حيث أدرك الانجليز أن ثروة مصر قد باتت غنيمة فى أيديهم ـ رغم ما توحى به خزانتها الخاوية ـ وتزايد توافد المغامرين والمستثمرين من انجلترا وفرنسا وايطاليا وسويسرا وبلجيكا واليونان ٠٠ بعد أن اجتذبتهم فرص العمل والثراء الآخذ فى الاتساع بفضل الامتيازات الأجنبية ، التى وفرت لهم الحصانة مما يسر لهم مجالات الاستغلال وتجميع الثروات ٠

وكان من بين هؤلاء المهاجرين كثيرا من يهود أوربا وجماعات من الطوائف اليهودية فى حوض البحر المتوسط : يهود من أزمير واستانبول ، ومن سالونيك وكورفو ، ويهود من الجزائر والمغرب حتى بلغ عددهم ما يقرب من ٣٠٫٠٠٠ شخص فى نهاية القرن التاسع عشر ٠

أكثر من ٥٠٪ من هؤلاء المهاجرين اليهود ، كانوا يحملون جنسيات أوروبية ، سمحت لهم بالتمتع بحماية قنصليات الدول التابعين لها ، بالاضافة الى تمتعهم قانونيا بالامتيازات الأجنبية ، وابتعاد قبضة القضاء المصرى عنهم فى نشاطاتهم المالية والجنائية معـا !

أيضا ساهمت الاضطرابات السـياسية والاقتصادية التى شهدها العالم فى أوائل القرن العشرين ، فى زيادة معدلات الهجرة اليهودية ، خاصة مذابح الحرب الأهلية الروسية والبولونية فى الفترة من عام ١٩١٦ حتى ١٩٢٠ ، ومع نشـوب الحرب العالمية الأولى وتحالف الامبراطورية العثمـانية مع ألمانيا ، فان الطوائف اليهودية الروسـية والبولونية التى اسـتقرت ــ تحت التأثير الصهيونى ــ فى فلسـطين ، قامت السـلطات التركية بطردهم باعتبارهم « أعداء » فاتجهوا نحو مصر ، حيث شكلت الحكومة المصرية لجنة لاستقبالهم وابداء العطف نحوهم ، وتخصيص مفتش بوزارة الداخلية لتولى هذه المهمة الانسانية ــ وهى نفس الترتيبات التى أعدت للاجئين الهاربين من مذابح هتلر ابان الحرب العالمية الثانية ــ وقد وضعت الادارة المصرية تحت تصرفهم مبنى الحجر الصحى بالاسكندرية بمحطة الورديان ودار المحافظة فى رأس التين وتولت الخزانة المصرية نفقاتهم وأنشأت لهم معسكرات وملاجىء حكومية ومخابز خاصة ومعبدا ومستشفى وحدائق للنزهة .

ويبين الجدول الآتى النمو السريع لعدد اليهود المهاجرين منذ نهاية القرن التاسع عشر :

سنة الاحصاء السكان	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧
جملة السكان	٩٧٣٤١٣٧	١١١٨٩٧٧٣	١٢٧٠٩٤٤١
المسلمـون	٨٩٧٧٧٠٢	١٠٢٦٩٤٤٥	١١٦٢٣٧٤٥
الأقبـاط	٦٠٩٥١١	٧٠٦٣٢٢	٨٣٤٤٧٤
المسيحيون الشوام والأرمن	١٢١٧٢٤	١٧٥٣٧٠	١٩١٦٤١
اليهـود	٢٥٢٠٠	٣٨٦٨٥	٥٩٥٨١

وطبقا للاحصاءات الرسمية فقد شهدت مدن مصر الكبرى أعلى كثافة سكانية من اليهود وكان توزيعهم كالآتى :

سنة الاحصاء / المدينة	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧
القاهرة	٨٨١٩	٢٠٢٨١	٢٩٢٠٧
الاسكندرية	٩٨٣١	١٤٤٧٥	٢٤٨٥٨
طنطا	٨٨٣	١١٠٤	١١٨٣
بورسعيد	٤٠٠	٣٧٨	٥٩٤
المنصورة	٥٠٨	٥٢٢	٥٨٦
السويس	١٢٠	٧٤	١٥٧
الاسماعيلية	٣٩	١١	٩٥
مدن اخرى	٤٦٠٠	١٧٩٠	٣٩٠١
المجموع	٢٥٢٠٠	٣٨٦٣٥	٥٩٥٨١

وفى احصاء عام ١٩٢٧ ارتفع عدد اليهود الى ٦٣٥٥٠ نسمة بتزايد الهجرة اليهودية الى مصر ، بتشجيع من المنظمات الصهيونية التى تغلغلت فى مصر عقب تصريح « بلفور » وجعلت مصر أشبه بمعسكر انتقال الى فلسطين ..

وكان عامل الهجرة الى فلسطين سببا رئيسيا فى انخفاض عددهم الى ٦٢٩٥٣ نسمة فى احصاء عام ١٩٣٧ .. ثم ارتفع الرقم مرة أخرى الى ٦٥٦٣٩ نسمة فى احصاء عام ١٩٤٧ .

ومن واقع الاحصائيات السابقة ، تلاحظ تركز اليهود فى القاهرة والاسكندرية حيث عاش فى كلتا المدينتين : ٨٥٪ من

مجموع اليهود عام ١٨٩٧ : ٩٠٪ فى عام ١٩١٧ : ٩٧٪ فى عام ١٩٤٧ وذلك بسبب تركز المؤسسات الاقتصادية والتعليمية والصحية فى المدينتين ٠

وبالاضافة الى المدن التى ذكرتها فى جدولى توزيع السكان اليهود ، فقد كانت هناك بعض العائلات اليهودية التى استقرت فى المحلة الكبرى ودمنهور ودمياط وبنها والفيوم وبنى سويف والمنيا والأقصر وأسوان ٠

وتركز التجار والحرفيون فى المدن الكبرى ، ومارسوا نشاطهم فى حرية كاملة ، وتوافرت أمامهم فرص واسعة شملت مختلف مجالات العمل الاقتصادي وساهمت طبيعة المجتمع المصرى - كمجتمع برجوازى ناشىء - فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وتميز هؤلاء المهاجرين اليهود بارتفاع مستوى التعليم والثقافة بينهم ، وتشجيع السلطات الحاكمة لهم أن تحكم عدة عائلات يهودية رأسمالية قبضتها على الاقتصاد المصرى وتمويله وتطويره ٠

وعن تدفق الهجرة اليهودية - نتيجة للظروف الملائمة فى مصر - وازدهار اليهود بها ٠٠ يقول المؤرخ الاسرائيلى « حاييم كوهين » :

« كان من الأسباب الرئيسية لتدفق اليهود الكبير على مصر ، ابتداء من ستينات القرن الماضى ، التطور الاقتصادى الذى شهدته البلاد ، والامتيازات التى منحت للأجانب بمقتضى قانون الامتيازات، فقد اجتذبت الامتيازات بعض يهود تركيا وسوريا ، حيث تدهور الوضع الاقتصادى ، كما اجتذبت ألوفا من يهود شرق أوربا الذين فروا من المذابح المتتالية ، وخلال الحرب الأولى جاء الى مصر ألوف من اليهود المطرودين من فلسطين فأقام بعضهم ونزح البعض الآخر

بعد اقامة قصيرة ، وبعد الحرب كفت الأحوال الاقتصادية فى مصر عن جذب المهاجرين بكثرة » ٠

ومع النمو الاقتصـــادى لمصر فى غضون القرن التاسع عشر وازدياد معدلات الهجرة اليهودية ، زاد بالتالى اسهام هؤلاء المهاجرين فى الاقتصاد المصرى ، ومع نهاية القرن المنصرم كانت لهم مساهمتهم فى نظام المجتمع الاقتصادى الذى سمح فى البداية بالتوسع الزراعى والتجارى ، ثم بالتوسع الصناعى ٠

ففى مجالات التوسع الزراعى ، ساهم كبار الرأسماليين اليهود « الأباطرة » بانشاء العديد من شركات استصلاح الأراضى التى تقوم بامتلاك الأراضى واستغلالها والمضـــاربة فيها وسنعرض فى ايجاز لنشاط البعض منهم :

✻ شركة « وادى كوم امبو » المساهمة لاستصلاح الأراضى وزراعة المحاصيل النقدية

وهى احدى الشركات الزراعية التى تكونت بأموال يهودية ، وقد تأسست فى ١٤ أبريل عام ١٩٠٤ ــ بامتياز مدته ٩٩ عاما ــ وبرأس مال مقداره ٣٠٠ر٠٠٠ جنيه مصرى ٠ والذى نمى عدة مرات حتى بلغ فى عام ١٩٥١ ١ر٢٠٠ر٠٠٠ جنيه مصرى ٠ وتأسست الشركة بموجب العقد المبرم بين الحكومة المصرية وسير « أرنست كاسل » واخوان ســـوارس وبمقتضى هذا العقد تملكت الشركة مساحة قدرها ٣٠ر٠٠٠ فدان فى سهل كوم امبو كما نص العقد على ضرورة التزام المساهمين بسداد مبلغ ٨٥٠٠ جنيه مصرى على أقساط لمدة أربع سنوات ، كرسم تشغيل ومصاريف رى ، وقد تزايدت ملكية هذه الشركة حتى بلغت نحو ٧٠ ألف فدان عام ١٩٥٢ ٠

وتشكل مجلس الادارة من « روبير رولو » رئيسا وعضوية « يوسف أصلان قطاوى » ، « أرنست كاسل » ، « ليون سوارس » « فيلكس سوارس » ، « روفائيل سوارس » ، « هنرى موصيرى » ، « رالف هرارى » وتولى « رينيه قطاوى » منصب المدير العام .

واستصلحت الشركة بالفعل مســـاحة من الأراضى بلغت ٢١٫٠٠٠ فدان ، وبلغت المساحة المنزرعة ١٢٫٠٠٠ فدان ، ومهدت نحو ٥٠ ك/م من الطرق الزراعية ، وشقت من المصارف والترع نحو ٩١ ك/م ، ومدت من خطوط السكك الحديدية ٤٨ ك/م .... بالاضافة الى انشاء مســاكن للفلاحين ومدرسة ومســجدا وكنيسة ووسائل خدمات متنوعة ، وشمل العمران منطقة سهل كوم امبو .. واشتهرت الشركة بزراعة قصب السكر وتوريده الى مصانع شركة السكر العمومية ، وقد بلغت المساحة المزروعة بقصب السكر ٥٣٥٠ فدان ، كما نشطت أيضا فى زراعة وتوريد المواد الخام الأخرى كالقطن والعنب .

❋ شركة مساهمة البحيرة

تأسست أول يونيو عام ١٨٨١ برأسمال مقداره ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه مصرى ، وبلغت جملة مساحة الأراضى التى تملكها الشركة عام ١٩٠٧ ١٢٠٫٠٠٠ فدان ، قسمت الى خمسة تفاتيش : كوم الرحال ، القسطنطنية ، حلق الجمل ، الخوالد ، ضهر السمره ، وتقع جميعها فى مديرية البحيرة ، وكان معظم أعضاء مجلس ادارتها من اليهود الانجليز والفرنسيين ، ورأس مجلس ادارتها فى عام ١٩٤٧ يونانى كان من أبرز رجال الأعمال فى مصر آنذاك هو المستر « ميشيل سلفاجو » ومن أبرز مؤسسيها « جوزيف وآشيل عاداه » و « رينيه اسماعلون » .

❋ شركة الأراضي الغربية العقارية

تأسست عام ١٩٠٥ وبلغ رأسمالها ٣٩٧٫٠٠٠ جنيه مصرى ، وقد بلغت جملة مساحة أراضيها فى عام ١٩٣٢ ٥٨٠٠ فدان ، تزايدت فى عام ١٩٤٨ حتى بلغت ٧٦٩١ فدان ، تركزت فى مناطق رأس الخليج وكفر الوسـطانى ، كفر الترعة الجديدة بمديرية الغربية ، وقد أولت الشركة زراعة القطن اهتماما خاصا ، وقامت بانشاء سكة حديدية تخترق مزارعها ، وطورت مشاريع الرى فى أملاكها ، كما أعادت بناء بعض القرى القديمة وكان من أبرز مؤسسيها « جوزيف عاداه » ، « هنرى موصـيرى » ، « جويد ليفى » .

❋ شركة أراضى « الشيخ فضل » العقارية

أسست عائلة « قطاوى » هذه الشركة التى مارست نشاطها على مساحة من الأراضى بلغت ٨٨٥٠ فدان وبلغ رأسمالها عام ١٩٤٢ **٦٢٣٫٦٠٠ جنيه مصرى ، ورأس « يوسف قطاوى » مجلس** ادارتها و (ابرامينو آشير) مديرا عاما وعضوية أصلان قطاوى ، ليون سوارس ، روبير موصيرى ، هنرى موصيرى ، همبرت موصيرى وسلمون نحمياس وبلغ رأسمال هذه الشركة ٢٣٠ ألف جنيه مصرى فى عام ١٩٤٢ .

أيضا فى هذا المجال هناك شركة (الاتحاد العقارى المصرى) التى أسهم فى تأسيسها وادارتها يوسف اصلان قطاوى واميل عدس وعبـد الله زلخـا ، وكانت ملكية الشركة حين تأسيسها ١٢٫٦٤٨ فدان ، كذلك أسس (موشيه عنتيبى) الشركة المساهمة الزراعية بالقطر المصرى ، ثم الشركة الزراعية بمصر التى ساهم فى تأسيسها وادارتها أصلان قطاوى واميل عدس ، وبلغ رأسمالها

٢٥٠ ألف جنيه مصرى ، ومما لا شك فيه أن هذه الشركات قد مارست نشاطا ضخما وفعالا ــ لا ينتقص منه شكاوى فلاحين وعمال مصريين ازاء ظلم بعض هؤلاء المستثمرين اليهود ــ واللذين أفادوا من هذا النشاط الى أقصى درجة الا أنهم قدموا التجربة الناجحة والنموذج العلمى بمقاييس ذلك الوقت ٠

وتعد تجارة القطن من الأعمال التجارية الرائجة التى مارسها يهود مصر ، بدءا من زراعته وعمليات حلجه وكبسه واستخراج الزيوت من بذوره وتسويقه عالميا من خلال البورصة وشركات التصدير ، ويشير التقرير السنوى للمندوب السامى البريطانى عام ١٩٠٥ الى ان نسبة كبيرة من تجارة الأقمشة كانت بأيدى اليهود وأن أكثر من ٩٠٪ من سماسرة القطن فى البورصة كانوا من اليهود ٠ ويجدر بالذكر ان تجارة القطن ومنتجاته كانت تشكل نحو ٨٨٫٥٪ من تجارة مصر الخارجية حتى عام ١٩٥٢ ، وهذا يوضح بجلاء مدى تحكم يهود مصر وبعض المستثمرين الأوربيين فى عصب الكيان المالى والاقتصادى المصرى ومثال لبعض الشركات التى أسستها عائلات يهودية فى هذا المجال نذكر :

*** شركة التصديرات الشرقية**

التى أسستها أسرة (عاداه) فى عام ١٩٢٠ ، وهى أسرة ذات أصول فرنسية تمصر بعض من أفرادها فى الفترة ما بين ٢٩ ــ ١٩٤٥ ، وكانت تقوم بشراء القطن وفرزه ثم اعداده للتصدير ، وبلغ رأس مال هذه الشركة عام ١٩٥٠ ٦٠٫٠٠٠ جنيه مصرى وصافى أرباح قدره ٢٠٫١٦٢ جنيه مصرى ٠

*** شركة حليج الوجه القبلى**

التى أسسها وشارك فى ادارتها روبير وجاك رولو وارمان نحمان ، برأس مال قدره ٦٥٫٠٠٠ جنيه مصرى ٠

* شركة مكابس الاسكندرية

التى أسستها عائلة (سيكوريل) وتشكل مجلس ادارتها من مورينو ودافيد وليون سيكوريل ، وأرمان نحمان وجوزيف دى فـاردا ٠

* شركة الأقطان المتحدة بالاسكندرية

وهى احدى الشركات الهامة التى احتــكرت تصدير القطن المصرى ، وأسستها أسرة (توربيل) اليهودية الفرنسية ، وأدار شئونها : اندريه ورينيه وهنرى توربيل ٠

وبرزت أسماء : ايزاك ليفى وبتشيوتو وحبيب أريبول ويوسف سلامه ومارك حسان وابراهام حسون ، الذين أنشأوا مصانع لحلج الأقطان ومعاصر زيوت من بذرة القطن فى مناطق متفرقة من دلتا النيل ٠ وكان ادوارد عرجى مديرا لشركة فرغلى للأقطان والأعمال المالية التى تأسست فى سنة ١٩٤٦ ، كذلك كان مارسيل ميسيكا مديرا لشركة على يحيى باشا للأقطان ٠ وكان اميل ليفى رئيسا لبورصة القاهرة عام ١٩٤٨ كما نجحت العائلات اليهودية الرأسمالية فى السيطرة على تجارة وتصدير القطن ، ونجحوا أيضا فى تأسيس بورصة القطن بالاسكندرية والسيطرة على ادارتها ، كما سيطروا كذلك على اتحاد مصدرى القطن المصرى ٠

والى جانب تجارة وتصدير الأقطـــان ، فقد نشطوا أيضا فى مجالات تصنيعه وتحويله الى منسوجات وملابس جاهزة ـ وفرت لهم مزيدا من الأرباح الطائلة ـ فأسسوا عددا من الشركات والمعارض والمحال الضخمة التى أحكمت قبضتها فى تلك التجارة منها :

★ شركة محلات (شملا) الكبرى لتجارة الملابس :

تأسست فى عام ١٩٠٧ كفرع لمحلات أسرة شملا بمدينة باريس وشارك كليمان شملا مع أخويه دافيد وفيكتور فى اقامة المؤسسة الخاصة التى تحولت الى شركة مساهمة فى سنة ١٩٤٦ برأس مال قدره ٤٠٠ر٠٠٠ جنيه مصرى ، ثم أدخلت فى نشاطها تجارة الأثاث والديكور والمستلزمات المنزلية الحديثة الى جانب تجارة المنسوجات ٠

★ شركة المحلات الصناعية للحرير والقطن

التى أسستها أسرة (منشه) وشارك فى ادارتها البير منشه وموريس منشه ومراد يهودا منشه وليون مزراحى ، وبلغ رأسمالها ٣٠ر٠٠٠ جنيه مصرى ٠

★ شركة النسيج والحياكة المصرية

شارك فى تأسيسها عدد من العائلات اليهودية (قطاوى) ، (موصيرى) ، (عدس) برأس مال مقداره ٧٥ر٠٠٠ جنيه مصرى ، وصافى أرباحها ٦٠ر٠٠ جنيه ، وضم مجلس ادارتها أصلان قطاوى ، سيمون رولو ، موريس موصيرى ، كليمان عدس وأميل وجاستون نسيم عدس ، ورالف هرارى عضوا منتدبا ٠

★ شركة محلات الملكة الصغيرة

تأسست بالقاهرة عام ١٩٢٩ ، بغرض تصريف منتجات شركة مساهمة فرنسية مركزها مدينة ليون بفرنسا ، وكانت لها فروع فى باريس وبعض المدن الأوربيـة ، وبلغ رأس مال هذه المحلات فى سنة ١٩٤٨ ٣٠ر٠٠٠ جنيه مصرى ، وحققت فى نفس السنة أرباحا بلغت ٢٤ر٦٩٥ جنيه وتركز نشاطها فى منتجات الحراير

والأصواف والملابس الجاهزة ، وقد قام بتأسيسها وادارتها عدد من اليهود الذين ينتمون الى أصول فرنسية ، ورأس مجلس ادارتهـا فيكتور كوهين وعضوية ريمـــون كوهين وهارون كوهين وماكس مزراحي ، واسحق مزراحي عضوا منتدبا وكان لهذه المحلات فروعا أخرى فى الاسكندرية وبورسعيد ·

★ شركة محلات (سيكوريل)

اسستها عائلة (سيكوريل) في ســـنة ١٨٨٧ ، وهي من العائلات اليهودية التي وفدت الى مصر في النصف الثاني من القرن الماضي ، وعميد هذه العائلة هو (مورينو سيكوريل) الذى ولد في مدينة أزمير بتركيا ، وهاجر الى مصر نحو عام ١٨٧٠ ، حيث استقر بها ومارس نشاطا واسعا في تجارة وتصدير القطن ، حتى أسس مؤسسة خاصة لتسويق القطن في سنة ١٩١٥ ، وأصبح عضوا في مجلس ادارة جمعية المصدرين وبورصة مينا البصل ، ورئيسا شرفيا لطائفة اليهود الشرقيين بالاسكندرية ·

ثم برز اسم ابنه (سلفاتور سيكوريل) الذى ولد بالقاهرة عام ١٨٩٤ ، والذى تولى رئاسة مجلس ادارة محلات سيكوريل ، وفي عام ١٩٢٥ اصبح عضوا بمجلس الغرفة التجارية المصرية ، وقد مارست هذه الشركة أعمالها في تجارة المنسوجات والملابس الجاهزة والخردوات والأحذية والقبعات والأدوات المنزلية والأثاثات ، وبلغ راسمالها في عام ١٩٤٩ ٥٠٠ر٠٠٠ جنيه مصرى وصافي أرباحهـا ٥٩٠ر٢١٣ جنيـــه مصرى ، واستخدمت هذه الشركة في تصريف أعمالها ٤٨٥ أجنبيا ، معظمهم كان حاصلا على شهادات فرنسية ، الى جانب ١٤٢ مصريا على قدر من الالمام باللغة الفرنسية ، وقد كان العمل في هذه المحلات خاضعا لنظام محكم دقيق في اطار التخصص والخبرة ، فحازت شهرة عريضة جعلتها تتبوأ الصدارة في السيطرة

على السوق المالى والتجارى فى مصر ، كما اسس أيضـــا سلفاتور سيكوريل (شركة محلات أوركو) ورأس مجلس ادارتها ٠

★ شركة الملابس والمهمات المصرية

التى أسسها موريس ليبوفيتش مع مجموعة مـن اليهـــود الايطاليين ، وقد اعتمدت هذه الشركة فى تجارتها على ورش خاصة تملكها لتجهيز الملابس والمنسوجات ، وافتتحت ثلاث محال تابعة لها اثنان باسم (كرنفال دى فينيس) بشارع قصر النيل ، والثالث بشارع سعد زغلول بالاســـكندرية ، واعتمدت هذه الشركة فى ادارتها وتشغيلها لمحالها على العنصر الأجنبى فقط ، وكانت نموذجا رفيعا للمحلات الارســـتقراطية ، وقد تطورت أعمال هذه الشركة فتعاقدت مع الحكومة المصرية لاعداد الملابس الرسمية ، خاصـــة لرجال وزارة الحربية ، والبحرية والشرطة ٠

هناك أيضا فى هذا المجال ـ على ســـبيل المثال ـ شركة (موبيليات بونتريمولى) التى أسسها وأدارها « هارون وفيكتور كوهين » ، شركة المنسوجات المصرية (ماتكسا) التى شارك فى تأسيسها وادارتها : ماكس رولو ، وارمان موستاكى ، وجوستاف أجيـــون ، وايـــلى جاتينو ، الشركة الصناعيـــة لخيوط الغزل والمنسوجات ، وتولى ادارتها جاك أصلان ليفى عضوا منتدبا ، أيضا شركة (صباغى البيضا) التى أسستها عائلة سموحه وتولى ادارتها جوزيف سموحة ، وشركة (كونتننتال) للأقطان التى شـــارك فى تأسيسها وادارتها موريس ساسون وروبيررولو ٠٠ وشركة محلات (شملا) الكبرى لتجارة الملابس التى أسسها الأشـــقاء كليمان ودافيد وفيكتور شملا وتولى كليمان رئاسة مجلس الادارة ، وهو من مواليد تونس عام ١٨٧٤ ، وقدم الى مصر عام ١٩٠٧ وشركة محلات (جاتينيو) التى أسسها ورأس مجلس ادارتها ـ موريس جاتينيو ـ

الذى احتكر تجارة الفحم ومستلزمات السكك الحديدية ، وشارك فى تأسيس عدد من المستشفيات والملاجىء والجمعيات اليهودية ، وكان له دور بارز فى خدمة الحركة الصهيونية فى مصر ومساعدة المهاجرين اليهود خلال الحرب العالمية الأولى ٠٠ بالاضافة الى اسهام أسرة (عدس) فى تأسيس عدد من المحلات التى حازت شهرة عريضة الى يومنا هذا مثل (بنزايون) ، (عدس) ، (ريفولى) (هانو) و (عمر أفندى ـ أوروز دى باك) كما أسهمت فيها أيضا بعض العائلات اليهودية مثل رولو ، وجاتينيو ٠٠ ويجدر بالذكر أن حى (الحمزاوى) بالقاهرة كان مركزا لتجارة الجملة ، ولذا فقد ضم أكبر تجمع لكبار تجار اليهود ويجدر بالذكر أيضا أن عدد من كبار الرأسماليين اليهـود ، قد احتكروا منتجات بعض الشركات المصرية الخالصـــة ، مثل شركة مصر للغزل والنسيج بالمحـلة الكبرى ، وسيطروا على تجارتها ، خاصة فترة الحرب العالمية الثانية ، والتى حققوا فيها أرباحـــا طائلة ! وبالرغم مما يؤخذ على هذه الشركات والمحلات ، تعدد وسائلها فى تكثيف اعتمادها على العناصر الأجنبية ـ بحجة افتقار المصريين الى الخبرة الكافية والالمام باللغات الأوربيـة وفنون التعامل ـ الا أنها امتازت بالتنوع والدقة فى الأداء والخبرة فى الممارسة والمعاملة ، والدراية الواعية بأحوال السوق ٠٠ الى جانب مساهمة هذه المحال فى تقديم ألوان مختلفة ومتطورة من فنون الأزياء والأثاثات والأدوات المنزلية تمثل صورا من حضارة المجتمع الأوربى ٠

أيضـــا نشط يهود مصر فى مجـــال الصناعات الغذائيـــة وتطويرها ـ وهى من أقدم الصناعات فى مصر ـ أهمها صناعة السكر التى تبوأت مكانة بارزة فى الاقتصاد القومى ، فكان أن أسس بعض الرأسماليين اليهود : (شركة عموم مصـــانع الســـكر والتكرير المصرية) ووقعت الحكومة المصرية عقد انشاءها فى سنة ١٨٩٣ على

أن تتقاضى ٥ر٩٪ من أرباح الشركة ثم تزايدت النسبة بعد ذلك مع زيادة رأس المال من ٣ مليـــون فرنك في مرســـوم التأسيس الى ٣٢ مليون فرنك في سنة ١٩٠٤ ، ونمت أعمال هذه الشركة حتى أصبحت في سنة ١٩٥٠ تمتلك عدة معاصر بالوجه القبلي في الشيخ فضل وأبي قرقاص ونجع حمادى وأرمنت وكرم امبو ومصنعاً لتكرير السكر في الحوامدية ينتج في المتوســـط ٧٠٠ ألف كيلو جرام يوميا ، مع امكانية زيادة هذا المعدل اليومي من الانتاج ليصل الى المليون كيلو جرام ، كما أقامت الشركة مخزنا عاما لتوزيع السكر المكرر في حي بولاق بالقاهرة ، وكان « فيكتور هرارى » رئيســا لمجلس الادارة وشارك في ادارتها : رينيه قطاوى ورالف هرارى ، وليون وفيلكس سوارس ٠

كذلك أسهم يهود مصر في تأسيس بعض مطاحن الغـــلال ومضارب الأرز منها : شركة مطاحن المحمـــودية (ساكس) التى أسستها عائلة ســاكس في ســـــنة ١٩٣٩ ، برأس مال قدره ١٠ آلاف جنيه مصرى وصل الى ٧٠ ألف جنيه مصرى عام ١٩٤٨ ورأس مجلس ادارتها دافيد ساكس ٠ كمـا أسست أسرة كوهين (ادوارد وجيمس كوهين) شركة صناعة الطحن بالاســـكندرية ، برأس مال قدره ١٠ آلا فـجنيه مصرى في سنة ١٩٣٤ ، اشتهرت بصـــناعة المكرونة ، وبلغ صـــافي أرباحهـــا في عام ١٩٥١ : ١٢ر٧٥٢ جنيه مصرى ٠

كما أسس سلفاتور سلامة ، ورافائيل نحمان (شركة مضارب الأرز المصرية) في سنة ١٩٤٧ باسهام ـ صورى ـ لبعض المصريين ، وقد بلغ رأس مال هذه الشركة في ســـنة ١٩٤٩ م ١٢٨ ألف جنيه مصرى ٠ والمصنع الرئيسى بالاسكندرية ، بالاضافة الى عدة فروع في مدن رشيد ودمنهور والمنصورة وكانت تنتج في المتوســـط ٢٥٠ طن أرز يوميا ٠

وفى مجال استخراج ملح الطعام وتجهيزه للاستهلاك المحلى ، شاركت أسرة « قطاوى » فى تأسيس (شركة الملح والصودا المصرية) التى منحتها الحكومة المصرية حق ادارة الملاحات الحكومية اعتبارا من عام ١٩٠٦ ، فقامت باستغلال ملاحات المكس ووادى النطرون ، وأنشأت عدة مصانع فى منطقة القبارى ومحرم بك بالاسكندرية ، وكفر الزيات لاستخراج الزيوت من بذرة القطن وتصنيع الكسب والصابون والشحوم الغذائية ٠٠ وكان « أصلان قطاوى » عضوا بارزا بمجلس ادارتها ٠

أيضا فى نفس هذا المجال ، أسس أصلان قطاوى بالاشتراك مع بعض المستثمرين الانجليز (شركة الملح المتحدة المصرية ليمتد) فى سنة ١٩٠٧ ، كما شارك أيضا فى ادارتها ، وقد نجحت هاتان الشركتان فى تغطية الاستهلاك المحلى ، وفى انتاج بعض المواد الأولية اللازمة لصناعة الصابون ـ التى تستورد من الخارج ـ وانتاج أنواع جديدة من المواد الدهنية والأحماض المشتقة منها ٠

كذلك ساهم « أصلان قطاوى » فى تأسيس وادارة : (شركة نسطور جاناكليس للسجاير) عام ١٩٣٤ ، وقد بلغ رأس مال هذه الشركة ٩٠ ألف جنيه مصرى ، وحققت أرباحا تجاوزت ٢٧ ألف جنيه وفى نفس ذلك العام ١٩٣٤ شارك (أصلان قطاوى) فى تأسيس وادارة فرع لشركة (الصناعات الكيماوية الامبراطورية الانجليزية) فى القاهرة ، وقد مارست هذه الشركة نشاطا موسعا فى انتاج المستحضرات الطبية والبيطرية وصناعة التبريد والأحماض والمبيدات الحشرية بالاضافة الى الغاز السائل لتنقية المياه ، والروائح العطرية ، كما أسست الشركة معملا للأبحاث العلمية سنة ١٩٥٠ ، وقد نجحت الشركة فى تغطية حاجة السوق المحلية ابان ـ الحرب العالمية الثانية ـ بعد انقطاع الواردات من العقاقير

الطبية والمواد الكيماوية ٠ كما كان أصلان قطاوى عضوا بمجلس ادارة (الشركة المالية والصناعية المصرية لانتاج الأحماض الكيماوية) التى أسهم فى رأسمالها البالغ ١٨٠ ألف جنيه ٠

وفى مجال الصناعات القائمة على الأسمنت ، فقد كان مصنع (سيجوارت) للمواسير والأعمدة والمصنوعات من الأسمنت المسلح ـ أهم وأنشط المصانع العاملة فى هذا المجال أنشىء بالمعصرة جنوب القاهرة فى سنة ١٩٣١ ، وشارك فى تأسيسه : موريس نسيم موصيرى الذى تولى رئاسة مجلس الادارة ورالف هرارى ، وفيتا ابراهيم ، وفيكتور حنان ، وبلغ رأس مال هذا المصنع ٣٠٠ ألف جنيه مصرى ، ويقوم بانتاج مواسير الأسنمت المسلح وغير المسلح وأعمدة من الأسمنت المضغوط وألواح من الأسبتوس والأسمنت مضلعة ومسطحة وبعض أنواع من الطوب الحرارى ٠

وقد أسهمت منتجات هذا المصنع فى انجاز كثير من المشروعات الهامة ، منها على سبيل المثال انارة ميناء الاسكندرية وتوريد المواسير الضخمة لقناطر محمد على ، واقامة أعمدة الأسلاك التليفونية من الأسمنت المسلح ، وانشاء طريق خرسانى لمجارى مدينة الاسكندرية كذلك كان لها اسهامها فى حل أزمة المساكن اثر الزيادة المطردة فى عدد سكان المدن ٠

هناك أيضا مصنع (الطوب الأبيض الرملى) بالعباسية ، وكان له فرع بحى البساتين وقد بلغ رأس مال هذا المصنع نحو ١٠٠ ألف جنيه مصرى فى عام ١٩٥٠ ، وساهم فى تأسيسه وادارته « جاكو دى كومب » مع بعض اليهود الفرنسيين والسويسريين وكانت القدرة الانتاجية للمصنع ٨٠ الف طوبة يوميا ـ تغطى الاستهلاك المحلى ـ وبجانب صناعة الطوب ، أنتج المصنع أيضا

البلاط والمواسير والأحجار الصناعية ، وكانت عمليات الانتاج تدار بأحدث الآلات الميكانيكية الكهربائية ، كما كان جانب من هذا الانتاج يصدر الى البلاد العربية ٠

كذلك أسهم جاكو دى كومب فى تأسيس وادارة (شركة توريد الكهرباء والثلج) التى بلغ رأسمالها ٦٨ ألف جنيه مصرى ، وكان سمحا امباخ مديرا عاما لها ٠

وأسس جوزيف وبنفتو كامبوس ، ورافائيل نحمان ، واندريه شماع ، وافنيعام هورروفيتش (الشركة العمومية للكهرباء والميكانيكا) وشكل هؤلاء مجلس ادارتها ٠

وأسست أسرة « موصيرى » شركة (مصانع النحاس المصرية) برأس مال قدره ٥٤ ألف جنيه ، وشارك فى ادارتها فيلكس نسيم موصيرى وهنرى موصيرى ، وسيجموند هيرش ٠

كما أسست عائلة « دره » الشركة (المصرية لصناعة الخردوات) التى بلغ رأسمالها ١٠٠ ألف جنيه مصرى ، واشترك فى ادارتها جاك دره وحاييم دره ، زكى دره ٠ أيضا أسهم حاييم دره فى تأسيس وادارة (شركة مصر للمستحضرات الطبية) وأسس روبير وادوارد شندلر (مؤسسة شندلر للطباعة) فى عام ١٩٢٩ التى كانت أول من أدخل طباعة الجرافيك فى مصر ٠

وشاركت أسرتا « قطاوى » و « موصيرى » فى تأسيس الشركة (المساهمة للمحاريث والهندسة) التى بلغ رأسمالها ١٠٠ ألف جنيه٠ وتشكل مجلس ادارتها من أصلان قطاوى رئيسا ، ورينيه قطاوى ، وهنرى موصيرى ، وفيلكس موصيرى ، وموريس كورييل أعضاء ٠

كما أسهمت أسرة « موصيرى » فى تأسيس شركة (فنادق مصر الكبرى) التى بلغ رأسمالها ١٤٥ ألف جنيه مصرى ، وشارك فى ادارتها موريس نسيم موصيرى ، وجوستاف أجيون ، وقد أدارت هذه الشركة عدة فنادق هى الكونتننتال ومينـــا هاوس وسافوى وسان ستيفانو وفندق توفيق بحلوان • وشارك فيلكس موصيرى فى تأسيس وادارة (شركة الفنادق المصرية) التى بلغ رأسمالها ٣٦٥ ألف جنيه مصرى ، كما أسهم رينيه قطاوى فى تأسيس ورئاسة شركة فنادق الوجه القبلى •

كذلك أسهم « أوفاديا سالم » فى تأسيس وادارة العديد من الشركات منها (شركة التسليفات التجارية) التى بلغ رأسمالها ٣٥٠ ألف جنيه مصرى والشركة المساهمـة لمخازن الأدوية المصرية ورأسمالها ٥٠ ألف جنيه مصرى و (شركة التـــوريد والتصدير السودانية) وكان رأسمالها ٣٠ ألف جنيه مصرى وحققت أرباحا قدرها ٧٠ ألف جنيـــــه ! ورأس مجلس ادارة هذه الشركـــة « الفريد كوهين » •

وأســـــهمت أسرة « عاداه » فى تأسيس (الشركة المصرية للاضاءة بأشعة النيون) برأسمال قدره ٦ آلاف جنيه ، ورأس مجلس ادارتها شارل عاداه كما ساهم « جوزيف عاداه » فى تأسيس وادارة شركة (كاربا) المساهمة المصرية والتى بلغ رأسمالها ١٧ ألف جنيه كما أسست أسرة عاداه (شركة العقارات الشرقية المساهمة) التى تولى فيكتور عاداه رئاسة مجلس ادارتها ، وشارك فى عضـــوية المجلس جوزيف عاداه وفرنان عاداه وكان رأسمالها ٢٥ ألف جنيه مصرى ، وأسهمت أيضا فى تأسيس وادارة (شركة الأشغال والمبانى المصرية) فكان فيكتور عاداه وجوزيف عاداه عضـــوين فى مجلس الادارة •

وأسس دافيد وهارى « شـــافرمان » عام ١٩١٩ ، مؤسسة احتكرت تجارة الأدوات الكهربائية والبطاريات ومنتجات البلاستيك، ثم أقاما فى عام ١٩٣٠ مصانع لانتاجها محليا وتصديرها الى بعض البــلاد العربية ٠

وأسس « سالمون ماكبتز » مصانع ناردين للمطاط والكاوتشوك، واحتكر « ايزاك ناكامولى » تجارة الورق فى مصر ، كما كان من كبار ملاك الأراضى وعضوا بمجالس ادارات بعض الشركات ٠

وفى مجال استغلال اراضى البناء وتقسيمها وبيعها ، قامت أسرة « عدس » بتأسيس (الشركة المصرية للأراضى والبناء) وتشكل مجلس ادارتها من ايلى عدس ، اميل عدس ، كليمان عدس ، جاستون عدس ، وبلغ رأسمالها ٧٠ ألف جنيه مصرى ٠

كما أسس روبير رولو وشارك فى ادارة (الشركة المصرية الجديدة) التى بلغ رأسمالها ٣٥٠ ألف جنيه مصرى ٠

وأسست أسرة « قطاوى » شركة (أسواق الخضر المركزية المصرية المساهمة) وبلغ رأسمالها ٨٠ ألف جنيه مصرى وتولى يوسف قطاوى رئاسة مجلس الادارة وبعد وفاته فى عام ١٩٤٣ ، خلفه ابنه رينية قطاوى وشارك فى عضوية المجلس أصلان قطاوى ، جويدر قطاوى ، شارل عاداه وابرامينو آشير ٠

وأسهم « موريس كوريبل » فى تأسيس (الشركة المساهمة المصرية المالية والعقارية) عام ١٩٣٤ وتولى رئاسة مجلس ادارتها وبلغ رأسمالها ٧٥ ألف جنيه مصرى ، وتشكل مجلس الادارة من ماكس اجيون ، هنرى موصيرى ، رالف هرارى وفيتـــا ابراهام فرحــــات ٠

كذلك أسس مجموعة من المستثمرين اليهود (شركة أراضى الدقهلية) برأسمال ٨٠ ألف جنيه مصرى ، تولى موريس جربوعه رئاسة مجلس الادارة وساهم فى عضويتـــه رينيه اسمالوم وأسحق مزراحى ٠

ثم الشركة العقارية لحى محطة مصر ، التى كان ايزاك ليفى رئيسا لمجلس ادارتها وشارك فى عضويته جيمى ليفى وايزاك يائير ٠

كذلك أسست أسرة « عاداه » فى هذا المجال (شركة العقارات الشرقية المساهمة) برأس مال مقداره ٢٥ ألف جنيه مصرى ، وكان فيكتور عاداه رئيسا لمجلس ادارتها ، وشارك فى عضويته جوزيف عاداه وفرنان عاداه كمـا شـارك فيكتور عاداه وجوزيف عاداه فى تأسيس وادارة (شركة الأشغال والمبانى المصرية) ٠

أيضا تأسست (الشركة العقارية العمومية بمصر) برأس مال قدره ٢٥٠ ألف جنيه مصرى واشترك فى ادارتها روبير رولو ، وموريس نسيم موصيرى ، وأميل عدس ، ورالف هرارى ٠

وســــاهم جوزيف عاداه وجويد وليفى وموريس دباح فى تأسيس وادارة (شركة المباحث والأعمـــال المصرية) التى بلغ رأسمالها نحو ١٤٠ الف جنيه ٠

كذلك ساهم جوستاف اجيون وارمان موستاكى فى تأسيس وادارة (شركة مشروعات الأراضى والبناء) التى بلغ رأســمالها ٩٧ ألف جنيه مصرى ٠

وكانت ليهود مصر السيطرة فى مجال حيوى خطير هو تجارة البترول ومشتقاته ، وقد أسهم ايلى أميل عدس فى تأسيس وادارة

(شركة البترول المصرية) التي بلغ رأسمالها ٧٥ ألف جنيه مصرى وكان جاكو دى كومب عضوا بمجلس ادارتها ٠٠ وهذه الشركة كانت تعرف باسم (شركة الغاز المصرية) عنـــدما أسسها « فيتوريو جيانوتى » عام ١٩٣٠ ثم تحولت الى شركة مساهمة مصرية عام ١٩٣٢ ساهم فيها جيانوتى وحده بمبلغ ٣٩ ألف جنيه مصرى ، وقد اجتذبت هذه الشركة اهتمام ـ شركة الألمونيوم الفرنسية العالمية ـ وبعد مفاوضات أسهمت فى رأس مال الشركة المصرية وأصبحت تمتلك ٥٥٪ من قيمة الأسهم ، ومع تزايد نشاط تجارة البترول ، عملت شركة الغاز المصرية على تأسيس (شركة الغاز الأهليـــة) وساهمت بنسبة ٩٧٪ من رأس المال ٠ وكانت الادارة والاشراف التنفيذى لليهود ، فى هاتين الشركتين وصادف نشاطهما رواجـــا كبيرا ، وافتتحت شركة الغاز الأهلية عدة فروع لها بالدول العربية ، وأنشىء فرع للشركة فى فلسطين عام ١٩٣٢ ، ومحطـات لتوزيع البنزين فى حيفا وعكا وطبريا ، وبعد حرب ١٩٤٨ توقفت العلاقة المباشرة بين الشركة وفروعها بفلسطين وتولت شركة الألمونيـوم الفرنسية مباشرة فرع الشركة بفلسطين ـ باعتبارها تمتلك غالبية أسهم الشركات المصرية ، بل انها عقدت اتفاقا بموجبـــه تسلمت اسرائيـــل موجودات فرع الشركة المصرية وادارته ! وفى مجالات التأمين أسس بعض المستثمرين اليهود عدة شركات للتأمين منهـــا (شركة الاسكندرية للتأمين) والتى بلغ رأسمالها ٣٦٠ ألف جنيه مصرى ، وشارك فى تأسيسها وعضوية مجلس ادارتها روبير رولو ، اميل عدس ، البير مزراحى وادوين جوهر وجوستاف اجيون ٠

كما شارك روبير رولو وموريس نســيم موصـيرى وأصـــلان قطاوى فى تأسيس وادارة (شركة التأمين الأهلية المصرية) البالغ اجمالى رأسمالها ٣٠٠ ألف جنيه مصرى ، وكان روبير بلوم مديرا عاما لهـــا ٠

أيضا تأسست (شركة الاسكندرية للتأمين على الحيـــاة) برأس مال قدره ٧٥ ألف جنيه مصرى ، وشارك فى مجلس ادارتها روبير رولو وادوين جوهر ٠

وفى مجالات النقل البرى ، والبحرى ، أسهم يهود مصر فى تأسيس وادارة العديد من الشركات فشاركت أسرة « موصيرى » فى تأسيس وتوجيه (شركة ترام الاسكندرية البلجيكية) ثم شركة ترام الرمل الانجليزية اللتين حققتا نجاحا كبيرا وأرباحا وفيرة فى الفترة من عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٥٢ وكذلك (شركة ترام القاهرة البلجيكية) ٠٠ وكان كل من موريس نسيم موصـــيرى ، وهنرى موصيرى ، وجويد وموصـــيرى أعضـــاء فى مجالس ادارات هذه الشركات ٠ كذلك أسهمت أسرة « موصـــيرى » فى تأسيس وادارة (شركة ســــكك حديد الفيوم) والتى بلغ رأســـمالها ٩٥ ألف جنيه مصرى ٠

وأسست أسرة « ســوارس » شركة أمنيبوس القـــاهرة فى عـــام ١٩٠٦ ، ثم اندمجت هذه الشركة مـع (شركة الأمنيبوس العموميـــة) عام ١٩٣٣ التى أســـهم روبير رولو فى تأســـيسها وادارتهـــا ٠

أيضا ساهم بعض المستمثرين اليهـــود فى ادارة شركتى لومبارد ودى مارتينو حتى عام ١٩٣٦ بانتهاء تراخيصهما ، ثم شركة سيشليا ، وشركة رويال وكانت شركة ترام الرمل الانجليزية قد تقـــدمت بتأسيس (شركة الاســـكندرية للنقل بالأتوبيس) فى عام ١٩٣٨ م ٠

وأسهم جاكو دى كومب فى تأسيس وادارة (الشركة المصرية للنقل بالسيارات) فى عام ١٩٢٥ ، وقد اقتصر نشاط هذه الشركة

على نقل البضائع فقط ، خاصة القطن والغلال ، وقد تأثرت أعمال الشركة كثيرا فى سنة ١٩٣١ بسبب الأزمة الاقتصادية ، الا أنها صادفت رواجا وأرباحا هائلة عندما كلفتها ـ لجنة شراء القطن البريطانية ـ فى سنة ١٩٣٩ بنقل كميات ضخمة من القطن وبذوره ٠

وفى عام ١٩٣٥ أسست شركة سكك حديد الدلتا الانجليزية التى سيطر اليهود على أعمالها الادارية والتنفيذية (شركة السيارات المتحدة المساهمة) و (شركة أتوبيس البحيرة والغربية) للربط بين مديريات الوجه البحرى ٠

كما ساهمت أسرتا « قطاوى » و « رولو » فى ادارة (شركة وابورات البوستة الخديوية) وكانت تسمى فى عهد الخديو سعيد (الشركة المجيدية) ثم تغير أسمها الى (الشركة العزيزية) فى عهد الخديو اسماعيل ، وتحولت الى مصلحة حكومية عام ١٨٧٣ وعرفت باسم (شركة البوستة الخديوية) غير أن الحكومة المصرية قد باعتها بكل ادارتها وورشها وسفنها الى عدد من الشركاء اليهود ، وكان أبرز أعضاء مجلس الادارة أصلان قطاوى وروبير رولو ٠

كذلك أسهم جويد وليفى فى تأسيس وادارة (شركة الملاحة بالمنزلة) التى بلغ رأسمالها ٢٦ ألف جنيه مصرى ٠

البنوك والشركات المالية اليهودية

كانت أعمال الصيرفه والربا أهم المجالات التى أشتغل بها اليهود ، وبرز عدد من المرابين بصورة ملحوظة فى عهد الخديو اسماعيل ، حيث أداروا بنوك الرهونات والتسليف وأسهموا فى تأسيس بنوك وشركات ائتمان تتولى عمليات الخصم والعمولة

وتقديم القروض ويشير المؤرخ الفرنسى « جابرييل شارم » الذى عاصر ذلك العهد (أن السماسرة اليهود كانـــوا يدفعون الخديو اســـماعيل الى عقد القروض المتتاليـــة من بيوت المال اليهـــودية الأوربيـــة) ٠

ويعد تاريخ البنوك ونشأتها فى مصر هو ذاته تاريخ ونشأة البنوك التى أسستها العائلات اليهودية ـ بعد أن استقر بهم المقام فى مصر ـ وتملكوا الثروات العريضة ، فكان لهذه البنوك دورها الخطير فى تمويل الحكومة ، وفى اســـتثمار الأموال الأجنبيـــة فى مصر ٠

والبنوك هى أحد النظم المصرفية التى عرفتها أوربا منذ القرن السابع عشر ، ومهد لها قبل نشأتها ـ صيارفة ـ فى اســـتبدال العملات الأجنبية وقبول الودائع من المعادن والعملات ٠ ولم يقيض لمصر أن تعرف أنظمة البنوك الا بعد قرنين ونصف القرن من الزمان منذ تاسيسها فى أوربا ، والتى سارت فيهـــا شـــوطا طويلا فى الممارسة والخبرة والدراسة ٠

وقد تميزت فئة الممولين من الراسماليين اليهود ، بدرجـــه عالية من الكفاءة والعقلية المالية المنظمة الخبيرة ، وأسهمت هذه العائلات اليهودية ـ بتعاونها فيما بينها ـ فى تنفيذ العمليات المالية الضخمة التى تعجز موارد أى منها عن مواجهتها منفردة ، ومن أبرز العائلات اليهودية فى هذا المضمار « قطـاوى » ، « موصـــيرى » ، « سوارس » ، « منشه » « رولو » ، « سرسقه » ٠٠ فاسهمت هذه العائلات فى انشاء وادارة وتوجيـــه البنـــوك والشركات الماليـــة والائتمانية ، التى كانت تتولى مختلف المعاملات المالية ، والاتجار فى العقارات والأراضى الزراعية وامتلاكها واســـتغلالهـا وتمويل المشروعات الصناعية والزراعية حتى تغير النشاط العام ليهود مصر

مع اعلان قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ ، وتهريب معظم رؤوس الأموال الى الخارج ، مما حتم صدور قانون تمصير البنوك الأجنبية فى مصر فى ١٥ يناير عام ١٩٥٧ ، ومن أبرز هذه البنوك :

★ البنك العقارى المصرى

أسهمت ثلاثة عائلات يهودية هى قطاوى وسوارس وروللو فى تأسيس وادارة هذ االبنك فى أول يناير سنة ١٨٨٠ كما أسهم فى تأسيسه وتوجيهه بنك (الكريدى ليونيه) الفرنسى العالمى ــ وهو البنك الرئيسى لصندوق الدين فى مصر ــ وقد بلغ رأس مال البنك العقارى المصرى عند تأسيسه ٤٠ مليون فرنك فرنسى ، ووصل الى ٨ مليون جنيه مصرى فى سنة ١٩٤٢ وبلغت أرباحه نحو مليون جنيه فى تلك السنة ، وقد لعب هذا البنك ــ بصفة خاصة ــ دورا خطيرا فى الاقتصاد الزراعى المصرى منذ انشائه ، فنتيجة للقروض التى قدمها للملاك الزراعيين المصريين ، التى بلغت ١٤٦٥٣ قرضا قيمتها ٥ر٥٢ مليون جنيه مصرى منذ انشائه وحتى عام ١٩١٠ فقط ، أن أصبح يتحكم فى أكثر من مليون فدان وكان روبير رولو نائبا لرئيس مجلس الادارة وموجها للسياسة المالية للبنك · ومنحته الحكومة البريطانية لقب « سير » تقديرا لجهوده فى خدمة مصالحها فى مصر ·

★ البنك الأهلى المصرى

وهو أكبر وأنشط البنوك الأجنبية بشكل عام ، ولعب دورا هاما فى تاريخ مصر الاقتصادى والمالى منذ تأسيسه فى ٢٥ يونيو ١٨٩٨ وقد بلغ رأسماله ٣ مليون جنيه انجليزى ، ومثل هذا المبلغ فى الاحتياطى ، وقد تحول الى بنك مركزى عام ١٩٥١ وزاول نشاطه فى مختلف الأعمال التجارية ، كما تولى ــ بمقتضى الامتياز

الممنوح له ـ اصدار أوراق البنكنوت المستحقة الدفع لحامليها وكان صاحب امتياز تأسيس هذاالبنك هو « روفائيل سوارس » ٠٠ بالاشتراك مع أرنست كاسل وميشيل سلفاجو وقد أسهمت عائلات « سوارس » ، « هرارى » و « رولو » في تمويل وادارة هذا البنك ، وكان أبرز أعضاء مجلس ادارته روبير رولو وفيكتور هرارى ٠

★ البنك التجارى المصرى

وكان يعرف عند تأسيسه في سنة ١٩٠٥ باسم (بنك التسليف الفرنسي) ثم تحول الى شركة مساهمة مصرية باسم البنك التجارى المصرى فى سنة ١٩٢٠ وأسهم فى تأسيسه وادارته أسرتى « سوارس » و « قطاوى » وقد واكب تأسيسه ظروف اقتصادية سيئة أثرت كثيرا على أعماله فى تجارة القطن خاصة ، مما اضطره الى تخفيض رأس ماله فى سنة ١٩٢٣ من ٣٠٠ ألف جنيه استرلينى الى ١٥٠ ألف جنيه استرلينى ، واستمر تأثره بحالات الركود والأزمات الاقتصادية فى الثلاثينيات ، ولكن ما لبث ان توسع فى نشاطه ابتداء من عام ١٩٤٤ وزيادة رأس ماله من ١١٠ ألف جنيه استرلينى الى ٤٠٠ ألف جنيه استرلينى الى مليون ومائتى ألف جنيه استرلينى فى عام ١٩٤٦ ، وكان من أبرز أعضاء مجلس ادارته جاك سوارس وجوزيف قطاوى ٠

★ بنك موصيرى

وهو من أقدم البنوك الايطالية فى مصر ، أسسته أسرة « موصيرى » وباسهام أيضا من أسرة « كورييل » فى عام ١٨٨٠ ، وقد ظل حتى سنة ١٩٣٥ شركة تضامن ثم تحول الى شركة مساهمة مصرية برأس مال قدره ١٠٠ ألف جنيه مصرى الى أن وصل الى ٢٥٠ ألف جنيه مصرى فى سنة ١٩٤٢ ، واستثمر البنك أمواله فى

مختلف الأعمال التجارية ، وامتلاك السندات المالية والعقارات ومنح القروض ، ومثلما سيطر اليهود ذوي الأصول الايطالية على رأس المال لهذا البنك فقد سيطروا أيضا على ادارته ومختلف الوظائف الرئيسية وتولى ايلى كوربيل رئاسة مجلس الادارة ومن أبرز أعضائه موريس نسيم موصيرى ، فيلكس موصيرى وفيتا ابراهام فرحات وكان مقره فى ٢٣ شارع الشيخ أبو السباع .

★ بنك سـوارس

تأسس عام ١٨٨٠ باسم بنك أولاد سوارس وشركاهم ، وهى أسرة من أصول فرنسية وبعضها يحمل الجنسية الايطالية ، وقد أعيد تأسيس هذا البنك فى عام ١٩٣٦ بعد تحويله الى شركة مساهمة مصرية باسهام مستثمرين يهود أخرين ، كان أبرزهم يوسف قطاوى، وبلغ راس ماله عند اعادة تأسيسه ٥٥ ألف جنيه مصرى ، ومارس البنك نشاطا فى كافة الأعمال المصرفية والتجارة ــ خاصة تجارة القطن وأنشأ ورشة أحذية ومعصرة للزيوت ، كما نشط أيضا فى تمثيل شركات التأمين والملاحة والنقل ، ومركزه الرئيسى بالاسكندرية وله فرعان فى القاهرة ومدينة طنطا وقد تولى رئاسة مجلس ادارته جاك نجار ، ومن أبرز أعضائه يوسف قطاوى وكارلوس سوارس وفريدى سـاكس .

★ البنك البلجيكى الدولى

تأسس عام ١٩١٢ وأعيد تأسيسه فى شكل شركة مساهمة مصرية فى يناير عام ١٩٢٩ تكونت فى بروكسل واتخذت من مصر مركزا لنشاطها ، وأسهم فى تأسيسه عدد من البنوك والشركات المالية والصناعية البلجيكية والبنك التجارى السويسرى ، والبارون البلجيكى ادوارد امبان بالاضافة الى عائلتى رولو وعدس ، وقد بلغ

رأس ماله عند التأسيس ٥٠٠ ألف جنيه مصرى ومركزه الرئيسى بالقاهرة ثم افتتح فرعين بالاسكندرية ، وفرعين آخرين فى شبرا ومصر الجديدة ومارس البنك مختلف الأعمال المصرفيـة والأنشطة التجارية ، وكغيره من البنوك الأجنبية ، كان يضع تقاريرا سنوية عن نشاطه وميزانيتـــه ، تميزت بتحليلات دقيقة لكافة الأنشطة الاقتصادية فى مصر من زراعة وصناعة وتجارة داخلية وخارجيـــة وعرض لمالية مصر العامة وحـــركة رؤوس الأموال فيها ، وقد بلغ رأس مال البنك فى سنة ١٩٥٢ نحو ٥٥٠ ألف جنيه مصرى ، محققا أرباحا قدرها ١١٨ر١٤٦ ألفا فى تلك السنة وكان من أبرز أعضاء مجلس ادارته سير روبير رولو واميل نسيم عدس ٠

★ بنـــك زلخــه

صدر مرسوم تأسيس هذا البنك فى مارس عام ١٩٤٤ فى شكل شركة مساهمة مصرية ، برأس مال قدره ١٠٠ ألف جنيه مصرى ، وأسسته أسرة « زلخة » اليهودية العراقية ، كما أسهم فى تأسيسه وادارته وأعماله عدد من اليهود الأجانب المتمصرين ، والمركز الرئيسى للبنك فى القاهرة ، وفرعين آخرين فى حى الموسكى ومدينة الاسكندرية ، ومارس نشاطا فى الأعمال المصرفية وتجـــارة القطن وبعض المشروعات الصناعية والتجارية ، وحقق أرباحا مقدارها نحو ٦٢ ألف جنيه مصرى فى ميزانية ١٩٤٨ وكان عبد الله خضورى زلخه مديرا للبنك وهو من مواليد بغداد عام ١٩١٣ وأكمل دراسته فى انجلترا عام ١٩٣٠ ثم عينه والده وكيلا لبنك زلخة بسوريا وقدم الى القاهرة عام ١٩٤٠ م ٠

وبنك « حاييم يعبيس » والذى سمى بعد وفاة مؤسسه عام ١٩٠٩ بنك « ايزاك ليون وأولاد ايلى يعبيس » وتولى ولده ايزاك يعبيس رئاسة مجلس ادارة هذا البنك ، والذى ولد بالقـــاهرة عام ١٨٧٤ وبلغ رأس مال هذا البنك نحو ٧٥ ألف جنيه مصرى ٠

كذلك أسست أسرتي ناكامولي وسيكوريل (الشركة المصرية لتوظيف الأموال والتسليف) وتولى ايزاك ناكامولي رئاسة مجلس الادارة الذى ضم فى عضويته ألبير ناكامولي وسلفاتور سيكوريل وسيمون رولو ٠

وأسهمت عائلات عدس ، رولو ، موصيرى ، قطاوى فى تأسيس وادارة (الشركة المصرية المالية) وتشكل مجلس الادارة من كليمان عدس رئيسا وعضوية هنرى موصيرى وموريس نسيم موصيرى ، سيمون رولو ، أصلان قطاوى ورالف هرارى ٠

وأسهم سمحا امباخ وجاك يانكوفتش فى تأسيس وادارة شركة (الشرق الأدنى الماليـة) عام ١٩٣٧ برأســمال قدره ٥٠ ألف جنيه مصرى ٠

وسمحا امباخ ولد فى يافا فلسطين سنة ١٨٩٢ ، هاجر الى القاهرة ، وأتم دراسته بجامعة نانسى بفرنسا ، ومارس نشـاطا تجاريا واسـعا ٠

هذا النشاط المالى الضخم ليهود مصر ، وما صحبه من تأسيس الشركات والمصانع والبنوك ، نتج عنـه أن أصبحوا يساهمون فى ادارة وتوجيه ١٠٣ شركات من مجموع الشركات المسجلة فى مصر البالغ ٣٠٨ شركات خلال العقد الرابع من القرن العشرين ، الذى شهد تصاعد الاضطهاد النازى والعداء لليهود فى أوربا ، أضف الى هذا ، أن هذه الشركات كانت تعمل فى أهم ميادين الاقتصـاد ولنتخيل وضعها الحقيقى على مسرح الاقتصاد المصرى ٠

خلال السنوات بين عامى ١٩٤٠ ـ ١٩٤٦ بلغت الطائفـة اليهودية فى مصر أوجها فى النشاط الاقتصـادى بينما كان عالم التجارة والاقتصاد مرهق من ثقل الأزمة الاقتصادية الكبرى عالميا ـ

ففى الحرب الثانية ، كانت مصر تعيش وضعا غريبا ، بينما صحراء العلمين كانت مسرحا لمعارك دموية رهيبة ، الا أن الحكومة المصرية لم تعلن دخولها الحرب سوى فى عام١٩٤٥ ونظرا لعداء الحركة الوطنية المصرية لجيوش الاحتلال الانجليزى ، فان الطائرات الألمانية والايطالية لم تقصف الا ميناء الاسكندرية ، ففى تلك الفترة نلحظ نشاطا تجاريا ضخما ، فكميات البضائع والمنتجات الهائلة المكدسة ــ خلال سنوات الأزمة ــ والتى كانت نادرا ما تجد عملاء قادرين على وفاء الديون ، نجدها تنزع لقاء أثمان خيالية ، والتضخم المالى ظاهرة جديدة نشأت وغذاها تزايد نفقات جيوش الحلفاء فى مناخ ملائم للنشاط التجارى ، وعقبات الاستيراد سمحت بالانفراج السريع لبعض الصناعات المحلية الصغيرة والكبيرة وتكوين عشرات الآلاف من العمال المتخصصين تقريبا ٠

استفاد يهود مصر ــ بوجه خاص ــ من هذه الحالة الاستثنائية، وحقق التجار وأصحاب المصارف والمصانع أرباحا هائلة ، ورؤوس الأموال الأجنبية التى استثمرت فى الداخل وأخذت تنمو سريعا ورؤوس الأموال المحلية المتراكمة أعيد توظيفها ، وتكونت شركات مساهمة جديدة ، وظهرت طبقة عريضة من أغنياء الحرب كونت ما يمكن أن نطلق عليه ٠٠ (Establishment) يهودى قوى ومختلف عن باشوات ــ الطائفة القدامى أمثال قطاوى ، موصيرى ، سوارس ، منشه ، رولو ٠٠

لتلمع أسماء جديدة مثل زلخة ، شاويله ، ناكامولى ، جاتينيو ٠٠

ونستطيع أن نقول أنه منذ تولى الخديو اسماعيل الحكم سنة ١٨٦٣ ، وحتى منتصف القرن العشرين ، أصبحت العائلات اليهودية الكبيرة التى استقرت بمصر ، وبعض أفراد من الطبقة المتوسطة

من اليهود المصريين ، أغنى طبقة يهودية فى الشرق الأوســـط ، ولم يؤثر فى تلك المكانة المتميزة لهذه الطبقة فى الاقتصاد المصرى الغاء الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٧ ، وانخفاض معدلات الهجرة اليهودية الى مصر أو صدور عدة تشريعات قانونية تهدف الى مضاعفة اشراف الحكومة المصرية على الشركات والمشروعات الأجنبية ، والتى كان أهمها قانون الشركات رقم ١٣٨ الصادر فى يوليو ١٩٤٧ حيث أمكن التحايل على هذه القوانين والاجراءات ٠

غير أن قيام دولة اسرائيل فى سنة ١٩٤٨ ونشوب الحرب بينها وبين العرب ، حتم مصير الطائفة اليهودية فى مصر ، وخاصة قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وتغير موازين العلاقات بين أقطاب العائلات اليهودية والسلطات الحاكمة تغييرا جذريا ، بالاضافة الى سياسات التمصير الفعلى واجراءات التأميم والحراسة التى طبقتهـا حكومة الثورة ، جعلت هؤلاء يبدأون فى تصفية أملاكهم وأعمالهم والهجرة الى الخارج ٠٠ لتحرم مصر من أنشط طائفة عرفتها فى تاريخهـــا الحديث ٠٠ بالرغم من كل المآخذ ٠٠ !!

الحياة الثقافيه ليهود مصر

الصحافة ـ الادب ـ الفن

حقق يهـــود مصر ازدهارا ملحوظا على المستوى الثقافى ، مماثل للازدهار الذى تحقق لهم خلال العصر الاسلامى فى الأندلس والمغرب العربى ٠

كانت الصحافة هى أبرز وســـائل الاعلام ، وبالتالى كانت أهم وسيلة للتعبير ـ فى حرية كاملة ـ عن تطلعات الطائفة اليهودية ومشاكلها فى مصر ٠٠ واذا وضعنا فى الاعتبار حرص الصهيونية على تجنيد وسائل الاعلام لخدمة أهدافها ، فقد حرصت منذ البداية على أن يكون لها صوتها المعبر عنها فى مصر ٠

ولقد تمتعت الطائفة فى مصر بكامل حريتهـــا فى اصـدار الصحف والمجلات ، التى بلغت نحو خمسين صحيفة فى الفترة من ١٨٧٧ ـ ١٩٤٧ ، منها واحدة وثلاثين صحيفة باللغة العربية ٠

ومن خلال هذه الصحف ، بثت الدعوة الى تحقيق التفاهم والتعاون بين العرب واليهود مع التأكيد على ما وصفته بأنه « الحقوق التاريخية » لليهود فى فلسطين !

ونظرا لأهمية موقع مصر الاستراتيجى ، فقد حاولت الصهيونية العالمية أن تجعل منها مركزا للنشـــاط والدعاية الصهيونيـــة فى

الشرق ، وتبلور هذا الاهتمام منذ انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ فى اعتماد الشخصيات اليهودية المعروفة بانتماءاتها الصهيونية على ـ الصحافة ـ لبث الدعاية الصهيونية وتحقيق هدفين :

١ ـ كسب تأييد الرأى العام المصرى بصفة خاصة ، والرأى العام العربى بصفة عامة لمشروعات الصهيونية فى فلسطين ٠

٢ ـ مقاومة اندماج اليهود فى المجتمعات العربية ، وحشدهم وراء الحركة الصهيونية ، وتوظيف امكاناتهم لخدمة أهدافها ٠

وقد شهدت تلك المرحلة التى أعقبت المؤتمر الصهيونى الأول ، نشاطا ملحوظا من جانب الهيئات والجمعيات الصهيونية التى تكونت بمصر ، واصدارها للعديد من الصحف التى كانت فى جوهرها أبواقا للفكر الصهيونى فى المجتمع المصرى ، وبالنسبة الى الصحف الصادرة عن الطائفة اليهودية بمصر ، والتى أبدت تعاطفا مستترا مع الاتجاهات الصهيونية ، فقد كانت حريصة على التظاهر بالالتزام بمصالح الطائفة من الناحية الدينية ٠

وقد سعت الصحافة اليهودية الى اكتساب القوى السياسية والاجتماعية والثقافية فى مصر الى جانب اليهود ، سواء بمد جسور الصداقة معها أو بمحاولة اقناعها بعدالة موقف اليهود من خلال تقديم صورة مشوهة عن حقيقة الأوضاع فى فلسطين ٠

وفى ذات الوقت الذى كانت تتحدث فيه الصحف اليهودية عن « الصلات التاريخية » بين اليهود والعرب ، والتعاون من أجل انشاء « حضارة سامية مشتركة » ٠٠ الا أنها ركزت اهتمامها ـ طبقا لتوصيات مؤتمر بال ـ بخلق وعى قومى يهودى كوسيلة

للحيلولة دون اندماجهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، ودعت هذه الصحف الى « اعادة كتابة التاريخ اليهودى » لابراز الاضطهادات التى ينطوى عليها ، وضرورة اهتمام اليهود بدينهم ودراسة التوراة والتلمود لاستيعاب « المفاهيم » التى أرست عليهـا الصهيونيـة سياساتها وخططها ! .. وأنه بالرغم من « الشـتات اليهودى » الا أنهم يمثلون أمة واحدة وقومية واحدة !!

فى محاضرة ألقـاها : « فيكتـور نحمياس » بالمركز الأكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة ، تحت عنوان : « جريدة الشمس والصحافة اليهودية فى مصر ١٩١٧ - ١٩٤٨ » .. استهلها بنبذة تاريخية عن حياة الطائفة اليهودية فى مصر ، مشيرا الى تفوقهم فى كافة المجالات .. وأنهم كانوا يشكلون طائفة منظمة لها أهدافها وبرامجها الثقافية والاجتماعية والدينية .. وأن عددهم فى الخمسينيات وصـل الى ما يقرب من ١٠٠ ألف نسمة ! .. تحدثوا عدة لغات ، الغالبية كانت تتحدث الفرنسية ، وأقليـة كانت تتحدث العربيـة ! .. ولذا لم يكن هناك اطار عام يسمح بتطور أدب يهودى محلى ، ومعظم ما نشر من الأدب كان باللغة الفرنسية ، ومن ثم فقد كانت الصحافة هى وسيلة التعبير الفعالة عن مشاكل اليهود وأفكارهم وآمالهم .

ثم تحدث عن - التحول الجذرى - فى صحافة يهود مصر ، بدءامن عام ١٩١٩ عندما أسس د . « البرت موصـيرى » مجـلة « اسرائيل » بلغات ثلاث : الفرنسية والعربية والعبرية ، وقد توقفت عن الصدور باللغة العربية فى عام ١٩٣٤ ، فآثر «سعد يعقوب مالكى» رئيس التحرير ، اصدار جريدة جديدة بعنوان « الشمس » باللغة العربية ، لتعبر عن وجهة النظر اليهودية لدى المجتمع المصرى .

وعن وجه التباين بين سياسة مجلة « اسرائيل » التى صدرت من عام ١٩١٩ الى عام ١٩٣٤ ، وسـياسة جريدة « الشمس » التى

صدرت بين عامي ١٩٣٤ ـ ١٩٤٨ ؟ ٠٠ أجاب نحمياس بأن مجلة اسرائيل « صهيونية » دعت الى المشروع الصهيوني وتأسيس الدولة اليهودية فى فلسطين ، وروجت لذلك دون تدخل فى الأمور الوطنية المصرية ٠٠ بينما كانت جريدة الشمس تحاول التوفيق بين المشروع الصهيوني وتطلعات وأهداف الحركة الوطنية فى مصر ٠٠ فى محاولة لايجاد « نقطة التقاء » بين التيارين !

باختصـــار يمكننا القول بأن الصحف اليهودية الصـــادرة بمصر ، عقب مؤتمر بال ١٨٩٧ حتى نشأة الكيان الصهيونى فى فلسطين ١٩٤٨ ، قد خدمت الأهداف الصهيونية بأشكال متفاوتة ، فاذا كانت مجلة اسرائيل وجريدة الشمس قد حملتا لواء الدفاع عن الفكرة الصهيونية ، بمختلف الأساليب الدعائية ، نجد أن صحيفتي « الاتحاد الاسرائيلى » و « الكليم » قد قامتا بتغليف الدعوة الصهيونية بغلاف دينى ٠٠ !

يعقوب صـــنوع

الكاتب الصحفى والفنان المسرحى ، ولد لأسرة يهودية مصرية ايطالية فى ٩ فبراير ١٨٣٩ ، والدته « سارة » ولدت بحارة اليهود بالقاهرة ، ووالده « رفائيل صنوع » من أسرة ايطالية هاجرت الى مصر ، وتمتعت بالحماية البريطانية منذ عام ١٨٦٣ ، تعلم فى صباه مبادىء الاسلام وحفظ القرآن ودرس اللغة العربية وآدابها الى جانب اللغة العبرية ، فكان يعقوب صنوع وهو فى الثانية عشرة من عمره ، يقرأ القرآن بالعربية والتوراه بالعبرية والانجيل بالانجليزية ٠٠ بعد ذلك أتقن أيضا اللغات الايطالية والفرنسية والتركية ، عين مدرسا للغات الأجنبية بمدرسة « المهندسخانة » ٠٠ وكان عضوا بمحفل « نجمة الشرق » التابع للماسون الانجليز ، فى ٢٢ يونيو ١٨٧٨ ، نفى من مصر الى مارسيليا ، وفى باريس ارتبط بعلاقات

حميمة مع بعض العائلات اليهـــودية الشهيرة : « ســالومون » ، « ليفى » ، « كوهين » ، « ساسون » ٠٠ وتزوج من فرنسية ٠

أسس الصحيفة الشهيرة « أبو نضارة زرقا » وصدر العدد الأول فى ٢١ مارس ١٨٧٧ بتشجيع من الامام محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغانى ، وعقب نفيه أصـــدر مجلة جديدة بعنوان « رحلة أبو نضاره زرقا » فى ٧ أغسطس ١٨٧٨ ، وآخر عدد منها صدر فى سبتمبر ١٨٧٩ ، وكانت « أبو نضاره زرقا » قد عادت للظهور فى ٢١ مارس ١٨٧٩ لعدة شهور ، وفى ١٦ سبتمبر ١٨٧٩ أصدر جريدة « النظارات المصرية » وفى ٤ يونيو ١٨٨٠ صحيفة « أبو صفارة » وبعد شهر صحيفة « أبو زماره » وفى ٥ فبراير ١٨٨١ « الحاوى » ٠٠ وفى ٨ ابريل ١٨٨١ أصدر جريدة : « أبو نضاره : لسان حال الأمة المصرية الحرة » ٠٠ ثم عاد لاصدار « أبو نضاره زرقا » فى ربيـــع ١٨٨٢ ، ثم جـــريدة « التودد » عـــام ١٨٨٩ و « المنصف » عام ١٨٩٣ ٠٠ وآخر جريدة هى « الأمة الاسلامية ــ L'Univers Musulman » بالفرنسية ، وكان أول من استخدم الكاريكاتير بالصورة واللفظ ٠٠ ونشأته وتعليمه جعلاه شديد الفهم والتعاطف مع قضايا العالم الاسلامى ٠٠ تحمس لعرابى ورفاقه ، وقد ظل على صلة بالمراسلة مع عرابى ومحمود سامى البارودى فى منفاهما بجزيرة سيلان ، ومما كتبه له عرابى بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٨٨٤ « ٠٠ أعترف انك كنت أول من تعاطف مع الأمة العربية ، لأنك كافحت من أجل قضية الأمة والحرية ثمانى سنوات (هى عمر صحف صنوع آنذاك) وقد كانت صحيفتاك الحاوى وأبو نضاره زرقا أهم عـــون لى فى نداء الأمة ونشر أفكار الحـــرية بين القاصى والدانى ، أكرمك الله باسم الأمة » ٠٠ توفى فى أكتوبر ١٩١٢ ودفن بالمقبرة اليهودية فى باريس ٠

البرت مزراحى

اسمه الحقيقى « ابراهام يعقوب مزراحى » ·· تمتع بمكانة اجتماعية متميزة بين الطائفة اليهودية ، كان عضوا بنقابة الصحفيين، فى ١٧ يونيو ١٩٤٤ أصدر جريدة « التسعيرة » سياسية أسبوعية ، تعنى بنشر تسعيرة المواد التموينية ·· توطدت علاقته بوزير الداخلية فؤاد سراج الدين الذى منحه ترخيص الجريدة ، وعقب صـدور العدد السابع منها ، كان عدد المشتركين قد بلغ ١٤ ألفا من التجار وأصحاب المصـانع والشركات ، ثم اضطر لوقف الاشتراكات مع صدور العدد الثانى عشر لاتهامه بتهديد التجار والفنانين لاجبارهم على الاشتراك ·

وقد اهتمت التسـعيرة بأخبار الفن ، خاصـة الفضـائح الشخصية ، وأخبار الجرائم المخله بالآداب ، وخلال عام ١٩٤٥ ، تحولت الى صحيفة فكاهية هزلية ساخـرة ، ثم عادت مع بداية مايو ١٩٤٦ جريدة سياسية ·· وفى نفس العـام ، أسس مزراحى « وكالة مصر للصحافة » لتتولى اصدار « التسعيرة » ثم « الصباح » و « الصراحة » التى رأس مزراحى تحريرها ·

وحول النشـاط الصهيونى فى مصر ومشكلة فلسطين ، كان اتجاه « التسعيرة » هو رفض فكرة « تدخـل اليهود المصريين فى مشكلة الوطن القومى ، وناشدتهم الابتعـاد عن تلك المشكلة حتى تظل العلاقات بينهم وبين مواطنيهم المصريين على ما هى عليـه من متانة واخلاص متبادل » !

ثم أصبح مزراحى أحد دعاة الصهيونية فى مصر ! ··· ووجه سياسة الجريدة الى شن حملات ضد الصحف المصرية التى تهاجم الصهيونية أو تحذر الحكومة من أطماع اليهود ومخططاتهم ، حرصا

على المصالح الوطنية ، وتتهم هذه الصحف بأنهـــا ليست وطنيـة و « لا تعرف واجب الولاء نحو عرش مصر ومليكها » ٠٠ !

وفى عام ١٩٥٠ ، أصدر البرت مزراحى ملحق منفصل باسم « التسعيرة لامينورا » بالعربية والفرنسية ٠٠ وكانت تنشر على الصفحة الأولى أخبارا سياسية عامة ، وفى الصفحات الداخلية : أخبار الطائفة ، فصولا من التاريخ اليهودى ، وتصريحات لبعض قادة الكيان الصهيونى ، ونشاط الوكالة اليهودية فى سياسة التهجير ٠٠ ووضح حرص ادارة الجريدة على نشر أخبار دولة « اسرائيـــل » الناشئة ومحاولة ايجاد رابطة بينها وبين يهود مصر !

وكان مزراحى قد أصدر صحيفة « المصباح » السينمائية ، فى أول أغسطس ١٩٤٦ ، وتـــولى الناقد الفنى حسن امام عمر ادارتها ، وأسند مزراحى رئاسة التحرير الى قرينته « صـــــول مزراحى » ٠٠

فى ١٦ ســـبتمبر ١٩٥٠ ، يصـــدر مزراحى عن مؤسسته الصحفية ، جريدة « الصراحة » اليومية السياسية ، وللتحايل على القانون ، يستصدر ترخيصا باسم قرينته صول ، ويتولى هو رئاسة التحرير ، ولتصبح الجريدة ناطقة بلسان الوفد ، منتهزا عودة حزب الوفد للسلطة عام ١٩٥٠ ، وتغدو الجريدة ثانية صـــحيفة يومية يصـــدرها يهودى بعـد صـــحيفة « الميمون » التى أسســـها « موسى كاستيل » عام ١٩٨٩ ٠

ولم تستمر الصحيفة فى الصدور يوميا بحلول عام ١٩٥٢ ، ويعتقل مزراحى عقب قيام ثورة يوليو ، ثم أفرج عنه فى نهـــاية ديسمبر ١٩٥٢ ، وفى ٢٦ مايو ١٩٥٤ ، يصدر قرار وزارى بتعطيل الجريدة لعدم صدورها بانتظام ٠٠ وكان مزراحى ضـــمن آخرين

حصلوا على أموال من بند المصروفات السرية لوزارة الداخلية تحت دعوى خدمة مصر ! ·· وذلك عندما عرض على فؤاد سراج الدين ـ وزير الداخلية آنذاك ـ فكرة اعداد منشـــورات مصورة ضـــد البريطانيين ، توزع على السفن التى تمر بقناة السويس ·· !

وقد ظل مزراحي مقيما بمصر حتى عام ١٩٦٠ ، عندما هاجر الى الولايات المتحدة ··

مراد فرج ليشـع

كان من الشخصيات البارزة فى الطائفة اليهودية « القرائين » ولد عام ١٨٦٦ ·· عمل بالمحاماه ، وارتبط بعلاقات وثيقة بالخديو عباس الثانى الذى وكله فى قضاياه الخاصة ويصبح محامى القصر ، ثم عهد اليه برئاسة قلم قضـــايا الأوقاف بقصر عابدين لمدة أربع سنوات ·· وكان عضوا باللجنة المليه لطائفة اليهود القرائين ، أصدر صـــحيفة « التهذيب » فى ١٢ أغسطس ١٩٠١ وقد اهتمت الصحيفة بأخبار الطائفة والأمور الدينية ، وأخبار طوائف القرائين فى العالم ·· وتعرضت الصحيفة الى الفـروق بين المذهب القرائى والمذهب الربانى وطبيعة العلاقة بين الطائفتين ، مما أدى الى عدد من المشاكل والشكاوى من رؤساء طائفة الربانين ، وتوقف صـــــدور الصحيفة عدة مرات ، الى أن توقفت نهائيا عام ١٩٠٣ وتجدر الاشارة الى أن « التهذيب » ثانى صحيفة يهودية تصدر باللغة العربية فى مصر بعد صحيفة « نهضة اسرائيل » ١٨٩٠ ·

فى ١٥ مايو ١٩٠٨ أصدرت طائفة القرائين صحيفة « الارشاد » وشارك مراد فرج فى تحريرها مع أمين منشـــه وموسى يوسف وبنطوب يهودا ، اهتمت بالدعوة الى الاصلاح و « غرس المحبة فى

القلوب وترسيخ أسس الاخاء فى النفوس » غير أنها لم تستمر طويلا فتوقفت عن الصدور فى ٢١ مارس ١٩٠٩ ٠

كتب مراد فرج العديد من المؤلفات والمقالات والرسائل الفقهية والأدبية باللغة العربية : الشعراء العرب اليهود ، ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، رسالة فى الأحوال القانونية ، القراءون والربانيون ، المجموع في شرح الشروع ، الأحكام الشرعية للاسرائيليين القرائين ، أستاذ العبرية ، أمثال سليمان الحكيم ، سلسلة مقالات مراد ، الفروق ، شعار الخضر ، القدسيات ، تفسير التوراه ، ديوان مراد ـ أربعة أجزاء ـ وهو أول ديوان لشاعر يهودى باللغة العربية فى عصرنا الحديث ٠٠ وقد توفى مراد عام ١٩٥٦ ٠

د ٠ اسرائيل ولفنسون

كان د ٠ اسرائيل ولفنسون « أبو ذؤيب » من الداعين الى ضرورة الاهتمام بالتاريخ اليهودى وتنمية الثقافة اليهودية و « ٠٠ التطلع الى آفاق واسعة من التفكير الاسرائيلى فى عصوره الغابرة واللاحقة » ٠٠ نال د ٠ ولفنسون درجة الدكتوراه برسالته التى أعدها باشراف د ٠ طه حسين تحت عنوان : « تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام » ٠٠ وأعد مرجعا هاما باللغة العربية « تاريخ اللغات السامية » ٠٠ وكتاب « موسى بن ميمون » الذى كتب مقدمته الشيخ « مصطفى عبد الرازق » عام ١٩٣٦ ٠

عمل مدرسا للغات السامية بدار العلوم ، كما كان عضوا بجمعية الأبحاث التاريخية الاسرائيلية بالقاهرة ، التى تأسست عام ١٩٢٥ ، وكانت تصدر مجلة بعنوان « مجلة تاريخ الاسرائيليين

فى مصر » واقتصرت على نشر بحوث فى تاريخ يهود مصر فى جميع العصور ، وشارك فى تحريرها نخبة من علماء اليهــود فى مصر والخارج ، هاجر د . ولفنسون الى اسرائيل ، واشتغل بالتدريس فى الجامعة العبرية بالقدس . عقب صدور العدد الأول من جريدة « الشمس » فى ١٤ سبتمبر ١٩٣٤ .. بعث الى رئيس تحريرها « سعد يعقوب مالكى » برسالة نشرت بالجريدة ، جاء فيها : « لقد سرنى ما رأيت منكم من العزيمة على نشر جريدة تكون لسان حال الشعب اليهودى بالديار المصرية .. ان هذا عمل جرىء سيؤدى الى انقلاب فى الحياة الاجتماعية والأدبية اليهودية ، ليس فى الأمصار المصرية فحسب بل فى الأقطار الشرقيــة والاسلاميــة التى فيها جماعات وطوائف من بنى اسرائيل » .

الدعوة الى ابداع أدب يهودى

تبنت صحيفة « الشمس » لصاحبها ورئيس تحريرها الصحفى والأديب « سعد يعقوب مالكى » مدير مدارس « جرين » الاسرائيلية ، وكان رئيسا لتحرير صحيفة « اسرائيل » كما كان من الحاصلين على الحماية الايطالية .. الدعوة الى ابداع أدب يهودى باللغة العربية ، وتشجيع المواهب الشابة لتشارك فى « الحياة الأدبية الشرقية » ..

والأدب اليهودى الذى دعت اليه « الشمس » هو بالتحديد الذى يصور معاناة اليهود واضطهادهم فى كل مكان وزمان ! .. والحلم بوطن مستقل والحنين الى أرض الميعاد ! .. ونفى شخصية اليهودى التى شاعت فى الأدب الأوربى ـ خاصــــة فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ـ التى انحصرت فى تصويره بصفات غير مشرفة .. فهو اما مراب جشع مجرد من العاطفة ولا يتورع عن اقتطاع لحــم ضــحيته .. أو متشرد يجلب النحس والدمار

أينما حل ! ٠٠ وبالطبع كان لهذا أثره فى نبذ اليهود فى « جيتو » داخل المجتمعات الأوروبية ٠

فكان الأدب ــ من وجهة نظر الصحافة اليهـــودية ــ هو خير علاج « ٠٠ للأزمة الروحية التى يمر بها اليهود ، كما سيكون عاملا فعالا فى تدعيم كيان الطائفة وازدهارها » !

ونشط فى هذا المجال : الكاتب والشـــاعر « مراد فرج » المحامى ــ كما سبقت الاشارة اليه ــ ونسيم يسوف حداد « زجال الشبيبه الاسرائيلية » ٠٠ والصحفى الأديب « سعد يعقوب مالكى » الذى ترجم كتاب « تاريخ اليهود الماران فى البرتغال » للمؤرخ : ناحـــوم سلوشتس ٠٠ و « ســـعد ليتومالكى » الذى نشرت له عام ١٩٣٦ مجموعة قصصية بعنوان « يراعى الأول » ٠

وكان « مسعود حى بن شـــمعون » قد نشر كتابا بعنوان « أبواب العدل » عام ١٩١٢ ، وترجم « عبده شـــمله » كتـــاب « تاريخ بنى اسرائيل » للمؤرخ اليهودى : ســـيمون دوبنوف ، ونشر فى حلقات بجريدة الشمس ٠٠ و د ٠ « هلال يعقوب فارحى » الذى كتب بالصحافة وترجم كثيرا من الصلوات اليهودية من العبرية الى العربيـــة ، منها كتاب « الصلوات حسب طقس السفارديم » لسيدور فارحى عام ١٩١٧ ٠

ود ٠ « الفرد يلوز » الذى كان ســـكرتيرا لجمعية الأبحاث التاريخية الاسرائيلية المصرية ، واهتماماته بالأدب والترجمة ٠

ود ٠ « هارون زكى حداد » الذى كان صحفيا وفديا ، ومديرا لتحرير جريدة « النـــداء » التى أسسها فؤاد سراج الدين ، نشر مجموعة قصصية بعنوان « مائة قصة وقصـــة مصرية وعربيـــة »

عام ١٩٥٠ ، طرد من مصر عقب عدوان ١٩٥٦ ، عمل أستاذا للأدب العربى الحديث بجامعة كاليفورنيا ٠٠ توفى عام ١٩٧٨ ٠

ثم « ايزادور سلفاتور بن روفائيل » ٠٠ الذى كان عضـــوا بارزا بالحزب الشيوعى المصرى ، ولد فى ٢٩ يناير ١٩١٩ ، أشهر اسلامه ظاهريا عام ١٩٥٧ وتسمى باسم : « أحمد صادق سعد » ٠٠ وله عدة مؤلفات فى التاريخ الاقتصادى لمصر ، وكتاب « صفحات من تاريخ اليسار المصرى » ٠٠ تزوج من اليهودية « ديناصمويل حموى » ولدت بالقاهرة ١٩٢٢ ، وله ابنه وحيده تدعى « راوية » ٠٠ وتشير التقارير الرسمية خلال عام ١٩٦٠ ، وعام ١٩٧٢ الى أن المذكور له « نشاط ضار بأمن الدولة ، ولا يطمأن الى اتصالاته بالخارج » !!

كان الاتجاه العام هو « ايقاظ الوعى القومى اليهودى ، وخلق تعاطف مع اليهود و « قضيتهم » ! ٠٠ والتركيز على اضطهادهم بين شعوب الأرض وحاجتهم الى « ملجأ يأويهم بين أبنـــاء عمومتهـــم العـــرب » !

ويشير د ٠ حامد ربيع الى أن الأدب اليهودى قد اضطلع بمهمة مزدوجة « حيث شارك فى تعبئة اليهود ، والحيلولة دون اندماجهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها بالحفاظ على استمرار وجودهم كطائفة لها وضعها المتميز ٠٠ كما كان اعادة للذات القومية وتمسك بالهوية اليهودية » !

جمعيـة « المباحث »

الأبحاث التاريخية الاسرائيلية المصرية

تأسست هذه الجمعية العلمية عام ١٩٢٥ ، بهدف احيـــاء التاريخ اليهودى وايقاظ « الوعى القومى اليهودى » بالتركيز على الأبحاث التى تناولت اضطهاد اليهود منذ التاريخ القديم ، وبشكل يساهم فى مقاومة « فكرة الاندماج » التى نادى بها بعض اليهود ، والتى من شأنهـــا ـ بالطبع ـ عـــرقلة المشروعات المستقبليـــة للصهيونية ٠

وشارك بهذه الجمعية ، عدد من الشخصيات اليهودية البارزة فى المجالات العلمية والثقافية : د ٠ اسرائيل ولفنسون أســـتاذ اللغات السامية بدار العلوم ، ود ٠ الفـــريد يلوز ، الكاتب ومدير ادارة الترجمة بوزارة الزراعة ، حصل على درجة الدكتوراه فى تاريخ الأدب من جامعة بروكسل عام ١٩٢٧ ، وعين سكرتيرا عاما للجمعيـــة عـــام ١٩٣٦ ، والكاتب والمؤرخ والأديب والمحـــامى : مراد فرج ليشع ، كما شارك بعضويتها وأبحاثها : رينيه قطاوى ، مراد كامل ، ســـــــلامون بينس ، برنهـــارد جردزلوف ، ف ٠ تشرينكرفر ، جاك هويفلر ، سالمون بيفن ، والعالم الشهير الذى تخصص فى تحقيق ونشر وثائق الجنيزه : صـــــــامويل جويتين وغيرهـــم ٠

وقد تولى رئاسة الجمعية « يوسف قطاوى » ثم خلفه « رينيه قطاوى » وكان الحاخام الأكبر « حاييم ناحوم » رئيسا شرفيا ، وكان مقر ادارة الجمعية فى ١٢ شارع زكى بالتوفيقية ، وتعقد محاضراتها بقاعة « حلقة الشبيبه اليهودية الاسبانية بالقاهرة » ٠

فى يوم الاثنين أول ابريل عام ١٩٣٥ ، أعدت الجمعية احتفالا رسميا بدار الأوبرا الملكية ، بمناسبة احياء الذكرى المئوية الثامنة لميلاد المفكر والفيلسوف « بن ميمون » ٠

كذلك أصدرت الجمعية بهذه المناسبة : كتابا تذكاريا ضم أبحاثا عن تاريخه وفلسفته ومؤلفاته ٠

فى عام ١٩٤٧ ، أصدرت الجمعية مجلة « تاريخ الاسرائيليين فى مصر » التى قررت اصدارها فى جلستها العمومية فى يونيو ١٩٤٥ ، وطبعت المجلة بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالمنيرة ٠٠ وجاء فى مقدمة العدد الأول بعنوان « تنبيه » بقلم « رينيه قطاوى » رئيس الجمعية ، بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦ :

« مازال المشتغلون بتاريخ الاسرائيليين فى مصر ، مفتقرين الى أداة لنشر بحوثهم وآرائهم ، فيقيننا أن اصدار هذه المجلة الجديدة سيسد نقصا ، كما ستيح لنا القيام برسالة ، وما من شك فى أن تضافر جهود العلماء الاخصائيين سيؤدى يوما بعد يوم الى زيادة الاهتمام نحو مادة غزيرة صعبة ، مواضيعها بعيدة عن ـ مشاغلنا اليومية ـ لكنها مشوقة ، نظرا لما ستفتحه من الآفاق الواسعة المدى ، عندما تطلع الطوائف الاسرائيلية بانتظام على رسائل تاريخية ـ صحيحة ! ـ لماضيهم وحياتهم بين ظهرانى الشعب المصرى الكريم ،

وهى رسائل مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاريخ المجيد لوادى النيل السعيد ، الذى يرجع الى آلاف السنين ٠

وستصدر مجلتنـــا متعددة اللغات ، تسهيلا لاشتراك علماء مصر والخارج فى تحريرها ، تاركين لهم حرية المفاضـــلة بينها ، متوخين نشر أعمالهم بلغة تحريرها ، وقد رأينا من الأهمية بمكان ، أن نورد ترجمة موجزة بالعربية لجميع الموضـــوعات ، حتى تصبح مجلتنا فى متناول الشعب المصرى ، أما منهاجنا ، فانه يمتد الى أقصى حدود تاريخ اليهود فى مصر ، زمانا ومكانا ، نشوء الطوائف اليهودية المختلفة على ضفاف النيل ، ومصيرها منذ ظهورها الأول فى عهد آباء بنى اسرائيل حتى العصر الحديث ٠٠ » ٠

وتجدر الاشارة الى أن « رينيه قطاوى » كان عضوا أيضـــا بالمعهد العلمى المصرى ، والجمعية الجغرافية الملكية ، وتحتوى مجلتى المعهد والجمعية ، أبحاثا تاريخية بالفرنسية ، نشرها رينيه ، الى جانب اسهامه العلمى فى اصدارات الجمعية الجغرافية بكتاب ضخم عن تاريخ الخديو اسماعيل وعصره ٠

يهود ·· في تاريخ الفن المصرى !

كانت حياة اليهود المصريين في واقع المجتمع المصرى ـ اندماجا وانصهارا ـ نسجته السنين الطوال ، من خلال التسامح الفطرى الذى ميز الانسان المصرى عبر تاريخه ، وجعله بحسه الحضارى يفصل بين الدين وأمور الحياة اليومية ·

وبينما كان يهود الحضارة الاسلامية مندمجين فى نسيج هذه الحضارة : لغويا وفكريا واجتماعيا وسياسيا · كان أقرانهم فى أوروبا ـ فى العصور الوسطى والحديثة ـ يتعرضون لأبشع أنواع الاضطهادات والمجازر المتكررة ، وقد بذلت الصهيونية العالمية جهودا هائلة للحيلولة دون اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها تحت ادعاءات ومزاعم بالتمايز القومى والاجتماعى والثقافى لليهود فى أى مجتمع ! ··

وقد امتد اندماج اليهود المصريين فى حياة المجتمع المصرى الى الحياة السياسية وعلاقتهم القوية بالقصر ، والهيمنة الاقتصادية بالسيطرة على مراكز المال والتجارة ، متجاوزا مجالات الصحافة والأدب ، الى مجال الفن ـ موضوع هذه الدراسة ـ خاصة السينما والمسرح والموسيقى ·

يعقوب صنوع

يعده النقاد ـ واضع أسس المسرح فى مصر ـ وأحد رواد الصحافة المصرية وفن الكاريكاتير السياسى ٠

ولد يعقوب صنوع أو « صنوا » لأسرة يهودية مصرية ايطالية فى ٩ فبراير عام ١٨٣٩ ، والدته « سارة » مولودة بحارة اليهود ، ووالده « رفائيل صنوا » من أسرة ايطالية هاجرت الى مصر ، وتمتعت بالحماية البريطانية ، وفي مذكراته التى دونها عقب نفيه الى باريس ١٨٧٣ بعنوان : Memoires كتب أنه كان خامس مولود لسارة ،التى فقدت أبنائها الأربعة بالموت ، فلما حملت به خشيت أن يلقى مصير اخوته ، فاستشارت امام جامع سيدى الشعرانى ، الذى طلب منها أن تنذر مولودها للاسلام ففعلت ووفت بالنذر ، ونشأ يعقوب شبه مسلم ، والحقته أمه بكتاب لتحفيظ القرآن ، وحارة اليهود تحيطها بيئة اسلامية ، فتأثرت الأم بالتراث الدينى المصرى الذى جعل أبنـاء الديانات الثلاث يلجأون الى الأوليـاء والقديسين !

وحفظ يعقوب القرآن ودرس اللغة العربية وآدابها الى جانب اللغة العبرية ، فكان وهو فى الثانية عشرة من عمره يقرأ القرآن بالعربية والتوراه بالعبرية والانجيل بالانجليزية ، ثم أتقن اللغات الايطالية والفرنسية والتركية ٠ عين مدرسـا للغات الأجنبية فى مدرسة « المهندسخانة » كما أصبح عضوا بمحفل « نجمة الشرق » التابع للماسون الانجليز ٠

تأثر يعقوب بالعروض الفنية التى كانت تقدمها الفرق المسرحية الايطالية والفرنسية على مسرح حديقة الأزبكيـة فى عهد الخديو اسماعيل ٠٠ فكون فرقة مسرحية وتولى التأليف والإخراج ، ودعام

اسماعيل باشا لتقديم عروض خاصة فى سراى قصر النيل ، وكان أول من قدم ممثلات على خشبة المسرح ، ولم يجروء أحد على تقديم العنصر النسائى بعد ذلك الا « اسكندر فرح » حيث كانت الفنانة اليهودية « استرشطاح » بطلة لفرقته منذ عام ١٨٩٦ ٠

وقد قام يعقوب باخراج معظم مسرحيـــاته التى بلغ عددها ٣٢ مسرحية ، أهمها : « البورصة » و « أبو ريده البربرى » التى تناولت فساد الحكام ، ومسرحيات : الحشاش ، الوطن والحرية ، زبيده ، زوجة الأب ، السلاسل المحطمة و « الضرتان » التى أثارت حنق الخديو اسماعيل ٠٠ واشتهر يعقوب بلقب « موليير مصر » !

توجـــو مزراحى

توجو مزراحى ، المخرج الشهير ، هو أول من أدخل التجارة فى فن السينما ٠٠ وقد لايعرف الكثيرون أنه قد زاول فن التمثيل فى بداية حياته الفنية ، فى أفلام من انتـــاجه واخراجه باسـم « أحمد مشرقى » ! كان أولها فيلم « الكوكايين » عام ١٩٣٠ ، وفى العام التالى أنتج فيلمه الثانى « ٥٠٠١ » وفى عام ١٩٣٣ قدم تجربته الثالثة بعنوان « أولاد مصر » !

وقد اعتمد توجو على بعض الوجوه الجديدة ، مثل اليهودية « جينيان رفعت » وشقيقه الذى ظهر فى بعض الأفلام باســــم « عبد العزيز مشرقى » وممثل شاب يدعى « شالوم » ٠٠ وقد ساعده ذلك على تقديم أفلامه باسلوب سينمائى بعيد عن الأداء المسرحى الذى كان يغلب على سينما تلك المرحلة ٠

كان توجو على دراية بلغة السينما ، وتعددت مواهبــــه فى التأليف والتمثيل والاخراج والانتاج ٠٠ اشترى دار ســـينما

« باكوس » بالاسكندرية وحولها الى ستوديو للتصوير السينمائى عام ١٩٣٠ ، واستأجر ستوديو وهبى بالجيزة ، وتحول من الموضوعات الاجتماعية الى الأفلام الكوميدية ، فقدم « المندوبان » الذى قام ببطولته : شالوم مع فوزى الجزايرلى واحسان الجزايرلى ، وكان أجر اخوان الجزايرلى ثمانية جنيهات ! ثم فيلم « الدكتور فرحات » بطولة تحية كاريوكا واخوان الجزايرلى وكان أجرهم عن هذا الفيلم ثمانين جنيها ! » ومن الأفلام الكوميدية التى أخرجها أيضا : « مراتى نمره ٢ » بطولة : حسين ابراهيم وعبد الحميد زكى ، و « كله من ده » للراقصة بباعز الدين ، و « الحب المورستانى » لبشاره واكيم و « الساعة ٧ » و « أنا طبعى كده » وللكسار : « غفير الدرك » و « العز بهدله » ٠٠ واشتهر توجو بانتاج أفلامه فى وقت قياسى ، فقد انتهى من تصوير فيلم « سلفنى ٣ جنيه » لعلى الكسار خلال أسبوع واحد فقط !

فى عام ١٩٤٢ ، أخرج فيلم « ليلى » بطولة : ليلى مراد ، حسين صدقى ، فردوس محمد ، منسى فهمى ، كما كتب توجو أيضا السيناريو والحوار ٠٠ وأنتج فيلم « ليلة ممطرة » الذى كان فاتحة خير للفنان يوسف وهبى ـ بعد أن أشهر افلاسه ـ وكان أيضا أول فيلم : ليس من اخراج وانتاج وتأليف وموسيقى يوسف وهبى !

فى عام ١٩٤٦ ، قام توجو مزراحى بالاتفاق مع يهود أمريكان ، بعمل دوبلاج لأفلام دعائية صهيونية أنتجت فى الولايات المتحدة ، منها فيلم « بيت أبى » ! و « أرض الأمل » اللذين عرضا لحياة يهود فلسطين ونشاطهم فى « أرض أجدادهم » ! ٠٠ وعرضت هذه الأفلام باللغة العربية على الجمهور العربى !

وآخر فيلم أنتجه توجو هو فيلم « سلامة » عام ١٩٤٧ ، كما قام أيضا بكتابة السيناريو واخراجه ، وقام بالبطولة : أم كلثوم

ويحيى شاهين ·· وعرض هذا الفيلم فى موسم امتحانات ، فتكبد خسائر فادحـــة ، انعكست على اتفـــاقه مع الموزع العـــراقى « اسماعيل شريف » صاحب دور سينما « الحمرا » فى بغـــداد والبصرة والموصـــل ·· والذى حقق أرباحا طائلة بلغت عشرات الألوف من الدينارات فى الأسابيع الأولى ، وهو الذى اشترى الفيلم ـ بعد مساومات ـ بثمن بخس !!! ·· فأصيب توجو بلوثة أودت به الى مستشفى بهمان » !!

وكان لتوجو وجهة نظر فى امتلاك وادارة بعض دور السينما ·· تتلخص فى أن هذا المجال هو الأكثر ضـــمانا للربح ، مرددا عبارته الشهيرة أنه « ما من أحـــد يستطيع أن يدخـــل السينما مجانا » ! ·· وقد غادر توجو مزراحى مصر عـــام ١٩٥٦ ـ عقب العدوان الثلاثى ـ وتوفى فى روما عام ١٩٨٧ ·

انتاج وتوزيع الأفلام

فى مجال انتاج وتوزيع الأفلام السينمائية ، برزت بنشاطها شركة « جوزى فيلم » التى أسسها المليونير اليهـــودى الشـــهير « جوزيف موصيرى » ·· وقد شيدت هذه الشركة ستوديو للانتاج السينمائى بشارع الأهرام ، كما امتلكت وأدارت عشر دور للسينما فى الاسكندرية والقاهرة وبورسعيد والسويس ، كما كانت تحتكر استيراد وبيع الأفلام الخام ، وكان مقر هذه الشركة فى ١٤ شارع الانتيكخانة المصرية (محمود بسيونى حاليا) ·

كذلك أسس « ادجار موصيرى » شركة لتوزيع الأفلام ، كان مقرها بشارع الشريفين ، كما قام « ادوارد ليفى » بتأسيس وادارة : شركة انتاج وتوزيع الأفلام السينمائية بالاسكندرية ، وكان مقرها فى ٥ شارع المتحف ، وتجدر الاشارة الى أن ٩٠٪ من دور السينما فى مصر ـ آنذاك ـ كان يمتلكها أثرياء اليهود ·

حكاية كاميليــا !

من المدهش أن يشاع بأن « كاميليا » نجمة السينما المصريه فى الأربعينات كانت يهودية !! ٠٠ حتى رسخ فى الأذهان ذلك الاعتقاد الخاطىء لدى عامة الناس ، بل ولدى الكتاب والباحثين أيضا ! ٠٠ وأكوام من الكتب والمقالات والروايات ـ حتى يومنـــا هذا ـ عن علاقتها بالملك « فاروق » بأدق التفاصيل ! ٠٠ وحكايات عن غرامياتها ٠٠ وعن علاقتها بالمخابرات الاسرائيليـــة ، حتى أن سقوط طائرتها ومصرعها كان مؤامرة للتخلص منها ٠٠ على غرار ما حدث للمطربة « أسمهان » نتيجة علاقتها بالمخابرات البريطانية !

و « كاميليــا » بـراء من كل ذلك ٠٠ براءة الذئب مـــن دم يوسف ! ٠٠ وقد اختلق شائعة يهوديتها وروج لها الكاتب الصحفى الراحل : مصطفى أمين ، عندما رفضت الذهاب اليه فى موعد حدده لها بالجارسونيره الخاصة به ، والكارت الذى حدد عليه ذلك الموعد ، مازال محتفظا به أحد أصـدقائها المقربين وهو صـــحفى واعلامى معـــروف !

ولدت « ليليــــان » وهذا اســـمها الحقيقى فى ١٣ ديسمبر عام ١٩٢٩ ، من أصل ايطالى ، جدتهـــا لأمهـــا هاجرت الى مصر عام ١٨٨١ ، واستقرت بالاســكندرية ، تزوجت من وكيل بوستة العطـــارين ، وسرعان ما تـــم الطلاق ، ثم اقترنت بالفـــريق « أحمد زكى باشا » رئيس الديوان الخديوى ، ومن زواجها الأول أنجبت « أولجا » والدة كاميليا ٠٠ وكانت أولجا تمتلك « بنسيون » بشارع ســـعد زغلول بالاسكندرية ، عشقها تاجر أقطان ايطالى مسيحى ، فحملت منه سفاحا ، وحدث أن خسر العاشق كل ما يملك فى بورصة القطن ، فغادر الاسكندرية هاربا الى روما ولم يعد مرة أخرى ! ٠٠ فلما وضعت ، نسبت ابنتها فى شـــهادة ميلادها الى يهودى يقطن بذلك البنسيون ، وسميت « ليليان ليفى كوهين » !

عمدتها والدتها بكنيسة القديس يوسف ، لتتبعها فى ديانتها الكاثوليكية ، ثم ألحقتها بمدرسة الراهبات بشارع السبع بنات ، ثم الكلية الانجليزية للبنات ، ومضت الحياة بها ما بين الاسكندرية وقبرص وايطاليا ٠

فى عام ١٩٤٦ ، تعرفت كاميليا بالفنانة « الهـام حسين » ألمع نجمات السينما فى ذلك العصر ، والتى تعهدت بتقديمها الى السينمائيين ليمهدوا لها خطواتها الأولى ٠٠ وجمعتها فى لقاء مع الفنان أحمد سالم والمخرجين فطين عبد الوهاب وكامل التلمسانى بفندق « وندسور » بالاسكندرية ٠٠ الى أن يحين موعد العرض الأول لفيلم « الماضى المجهول » بطولة ليلى مراد وأحمد سالم الذى كان أيضا مديرا لستوديو مصر ، وقرر أحمد سالم أن يتحمل مسئولية تقديمها الى جمهور السينما ٠٠ كما قرر أن يستبدل اسمها من ليليان الى « كاميليا » !

ويمكننى أن أقرر أن كل ماكتب عن كاميليا هو « محض افتراء» لا أساس له من الصحة ! ٠٠ لأن كاميليا فى واقع حياتها : كانت تعيش « مأساة » ٠٠ اثر واقعة اغتصابها من خمسة جنود استراليين تناوبوا الاعتداء عليها ، فأصابوها بحالة نزيف مزمن ٠٠ فلم تكن قادرة على مضاجعة أى رجل ٠٠ وهذا السر لم يكن يعلم به الا قلة تعد على أصابع اليد الواحدة ، واستلزمت هذه الحالة : اجراء عملية تغيير دم كل ستة شهور ٠٠ ورحلات علاج الى أوروبا وأميركا ٠

والأغرب من كل هذا ، أنها لم تلتقى بالملك فاروق فى حياتها سوى : ثمان دقائق فقط ! ٠٠ وكانت فى يوم عيد ميلاد ناقد فنى كبير ، اقترحت كاميليا أن يأخذوا قاربا للنزهة فى النيل ، وكان معهم الفنان الراحل محمود شكوكو ، وأطلعتهما على برقية ثرى هندى تعرفت عليه بالاسكندرية ، كان شابا جميلا وتبادلا الحب ، وفى

البرقية عرض بالزواج والسفر الى سويسرا لاتمام علاجها ٠٠ وفجأة يظهر مسرعا زورق للشرطة النهرية يحمل « بوللي » ٠٠ وكانت سـيارة كاميليـا أمام مرسى « كازينـو بديعة » فى نفس موقع « شيراتون » القـاهرة الآن ٠٠ ويخبرها بوللي بالايطاليـة أن « مولانا الملك » يريد أن يراها الآن ، واصطحبها معه وكان اللقاء الذى استمر لمدة ثمان دقائق فحسب : عرف خلالها الملك حقيقة مأساتها !

وقيل الكثير عن علاقتها بالوكالة اليهودية ٠٠ فى الوقت الذى كرمتهـا فيه الدولة عندما منحهـا وزير الشئون الاجتماعيـة « جلال باشا فهيم » ميدالية ونيشـانا تقديرا لدورهـا فى جمع التبرعات للمجهود الحربى خلال حرب ١٩٤٨ ٠٠ !

وانتهت حياة كاميليا بمشهد مأساوى رهيب ، فى تمام الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم الخميس ٣١ أغسطس عام ١٩٥٠ ، بسقوط طائرة الخطوط الجوية العالمية .T.W.A التى استقلتها مع ستة أشخاص آخرين ، وهى فى طريقها الى سويسرا للعلاج ٠٠ وعلى غير ما أشيع أن جثتها قد تفحمت ! ٠٠ فان جثتها كانت سليمة الا من كسر فى الجمجمة !

وقد أقيمت صلاة القداس على جثمانها بكنيسة « قلب يسوع المقـدس » Cordi iesu sacrum الايطالية ، القائمة الى الآن أمام مبنى نقابة المحامين بشارع عبد الخالق ثروت ، بحضور المخرج الراحل حلمى رفله والمؤرخ الفنى حسن عمر والفنانة تحية كاريوكا ٠٠ وأصدرت مجلة « المصور » عددا خاصا فى أكتوبر ١٩٥٠ عن « كاميليا » النجمة التى رحلت عن دنيانا ولم تكمل عامها الحادي والعشرين !

راقيـة ابراهيم

الرقيقة ، ساحرة الجمال ، اســـمها الحقيقى « راشـــيل ابراهـام ليفى » .. والتى لعبت أدوار البطولة فى الأربعينــات والخمسينات أمام نخبة من أشهر نجوم السينما المصرية .. بدأت حياتها بحي السكاكينى حائكة للملابس ، الا أنها ثقفت نفسها وقرأت كثيرا وأغرمت بفن التمثيل .. وأجادت الفرنسية والانجليزية .

أحبت المخرج الرائد « محمد كريم » .. وعشقها أديبنا العظيم الراحل « توفيق الحكيم » وهو الذى سعى لالحاقها بالفرقة القومية ، ورشحها لدور البطولة فى مسرحيتـــه الشهيرة « سر المنتحره » ثم صعد نجمها فى عشرات من المسرحيات التى قامت ببطولتها .. تزوجت راقيـــة بمهندس الصوت « مصطفى والى » وغادرت مصر عام ١٩٥٦ الى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعملت بقسم الاتصال والاعـــلام الخاص بالوفد الاسرائيلى فى الأمم المتحدة ، وتعـددت زياراتها لفلسطين المحتلة ، وتمتلك بوتيك لبيع المنتجات والتحف الاسرائيلية فى نيويورك ! .. وقد استضـــافت عدد من الوفـود الصحفيـــة والفنية المصرية التى زارت نيويورك عقب معاهـدة السلام ، وأقامت لهم ولائم فاخرة : تخللها دائما حديث الذكريات والحنين الى الماضى الجميل !

ومن أشهر أفلام راقية ابراهيم : « الحل الأخير » عام ١٩٣٧ أمام أنور وجدى وسليمان نجيب ، و « سلامة فى خير » عام ١٩٣٧ بطولة نجيب الريحانى واخـــراج نيـازى مصطفى ، ويعتبر أول كوميديا راقية فى تاريخ السينما المصرية و « رصاصة فى القلب » قصة توفيق الحكيم واخراج محمد كريم ، وفى هذاالفيلم كانت الأغنية الأشهر « حكيم عيون » مع الموسيقار محمد عبد الوهاب ، والفيلم أنتج عام ١٩٤٤ ، وفيلم « ملاك الرحمة » عام ١٩٤٧ ـ اخراج

وبطولة يوسف وهبى ، بالاشتراك مع فاتن حمامة ونجمة ابراهيم ، وفيلم « زينب » عام ١٩٥٢ ـ أمام يحيى شاهين وفريد شوقى . عن قصة د ٠ محمد حسين هيكل واخراج محمد كريم ٠

نجمـة ابراهيم

وعندما نقلب صفحات الذاكرة الفنية ٠٠ يطالعنا وجه الفنانة القديرة « نجمة ابراهيم » وهو اسمها الحقيقى ، والتى برعت فى تجسيد أدوار المرأة الشريرة بملامحها الصارمة ونظراتها المرعبة ، وصوتها القاطع الحاد ، مما جعلها تتبوأ ذروة الأداء الفنى فى عدة أفلام تمثل علامات فى تاريخ السينما المصرية ، منها على سـبيل المثال : « أسير الظلام » عام ١٩٤٧ ـ اخراج عز الدين ذو الفقار مع مديحة يسرى ومحمود المليجى ٠٠ ودورها الذى لاينسى فى الفيلم الشهير « ريا وسكينة » اخراج العبقرى الراحل صلاح أبو سيف ، وقصة وسيناريو أديبنا الكبير نجيب محفوظ ، وأنتج هذا الفيلم عام ١٩٥٣ ٠٠ وفيلم « الحرمان » عام ١٩٥٤ مع عمـاد حمدى وزوزو ماضى ، اخراج عاطف سالم ٠٠ و « صراع الأبطال » عام ١٩٦٢ مع سميرة أحمد وشكرى سرحان ٠

ولدت نجمة ابراهيم عام ١٩٠٦ ، عشقت التمثيل وحياة الفن ، التحقت بالفرقة القومية منذ تأسيسها عام ١٩٣٥ ، وعملت مع عمالقة المسرح : جورج أبيض ، عزيز عيد ، فاطمـة رشـدى ، نجيب الريحانى ٠٠ اقترنت بالفنان « عباس يونس » الذى كان ممثلا وصاحبا لفرقة مسرحية ٠٠ وتوفيت عام ١٩٦٨ ٠

وكان للفنـانة نجمـة ابراهيم ٠٠ شـقيقة كبرى هى « سرينا ابراهيم يوسف » التى ولدت بالقاهرة عام ١٩٠٤ ، عملت راقصة ببعض الملاهى وقامت ببعض الأدوار الثانوية على المسرح ،

ولم يكن لهـــا حظ نجمة ابراهيـــم من الشهرة ، اقترنت بالثرى اليهودى « سالم مزراحى » وغادرت الاســـكندرية فى ٤ نوفمبر عام ١٩٥٤ .

اليـاس مؤدب

الفنان الكوميدى الذى شارك فى عشرات الأفلام أمام أشهر نجوم الكوميديا ، وعلى رأسهم اسماعيل ياسين .. كان يسكن شارع « سوق الفراخ » بحارة اليهود . كما كان يمتلك مع شقيقه محلا صغيرا لتصليح الساعات بشارع عبد العزيز ، أمام محلات « عمر أفندى » ..

أحب الياس الغناء والتمثيل ، وعمل منولوجست فى الأفراح ، واشتهر بتقليد « اللهجة الشامية » التى كانت مفتاحه لولوج عالم السينما والشهرة ، وكان من البراعة بحيث رســـخ فى أذهـــان الكثيرين ـ الى يومنا هذا ـ أنه لابد وأن يكون من أصل لبنانى أو ســـورى !

فى التياتــرو

فى مجال الفن المسرحى ، برع العديد من الممثلات اليهوديات ، منهن : « ميليا ديان » بطلة فرقة سلامة حجازى المسرحية ، التى كانت تقيم فى بيتها بشارع سلامة ـ خلف مسجد السيدة زينب ـ تحوطها نظرات واعجاب أهل الحى أن هذه الفنانة تسكن بينهم ! .. و « استرشـــطاح » التى لمعت فى فرقة جورج أبيض .. و « نظله مزراحى » بفرقة الريحانى ، والتى شاركت فى أوبريت درويش « العشرة الطيبة » بطولة روز اليوسف ، وكانت البطولة الغنائية للفنان زكى مراد .. ثم « جميلة قرداحى » و « ابريز استاتى »

و « وردة ميلان » اللاتى شـــاركن فى فرقة منيرة المهدية وفرقة يوسف وهبى « مسرح رمسيس » التى افتتحت أول عروضها فى ١٠ مارس عام ١٩٢٣ ٠٠ و « فيكتوريا موسى » التى كانت « فيديت » فرقة عكاشة ولعبت بطولة عشرات المسرحيات ، ثم عملت بفرقة الريحانى ، وآخر عمل شاركت به كان مع الفنان فؤاد المهندس وشويكار فى المسرحية الشهيرة « أنا وهو وهى » عام ١٩٦٤ ٠

فيكتوريا موسى

قصة الحب العظيم ٠٠ التى فى جوهرها مأساة اشترك فى اخراجها : مسرح الحياة ومسرح الخشبة والستارة ! ٠٠ قصة حب المؤلف المسرحى « عباس علام » لفيكتوريا موسى التى قامت بأدوار البطولة فى رواياته التى كتبها خصيصا لها ! ٠

فى العقد الثانى من هذا القرن ، صـــعد نجم فيكتوريا ، التى كانت على قدر من الثقـــافة والطموح ٠٠ وهيـــام بالفن ، وكان عباس علام مثالا للعاشق المنكوب ٠٠ تميز بطهارة القلب وسعة الخيال ، وقد أطلق على معشوقته عدة ألقاب : « فيكتوريا العظيمة » ٠٠ « الملكة » ٠٠ « ايزيس » ! ٠٠ وشاع هذا اللقب حتى أطلق عليه : « عبد ايزيس » !

قال عنها : « انها أقدر ممثل فى مصر » ٠٠ رفض أن يقول : أقدر ممثلة ، حتى لا يتوهم أحد أن هناك رجلا يفوقها فى موهبتها ! ٠٠ وكتب عباس عـــلام فى مذكراته ، الصفحات الطوال عن نبوغها وعبقريتها ، وقد بدأ تعلقه بها منذ اليوم الأول لعرض مسرحيته « الزوبعة » والتى لعبت بطولتها ، وأشار الى أنها استطاعت أن تؤثر بروحها وفنها على المشاهدين ٠٠ وقال : « من ذلك اليوم صرت عبدا لفيكتوريا وزوجهـا عبد الله (عبد الله عكاشـــة مدير

الفرقة) وأولادهما الأربعة المحروسين ! ٠٠ وربما وجدت بعض الاعزاز عند خادمهم وكلبهم أصلان ! » ٠

وعندما قامت ببطولة الأوبريت الغنائى « هدى » كتب عنها فى مجلة « الكشكول » فى ٨ يناير ١٩٢٦ مشيدا بأدائها الساحر ، فيقول : « هدى ، رواية من نوع الأوبرا ، غنائية ، كل من فيها يطربون الناس بأصواتهم ، انس وجن ، أشجار وأنهار ، حتى الزمان يغنى ، وحتى الجو والتماثيل ٠٠ كأنك فى مجلس فرعون ، وقد جمع السحرة حوله ، فقدم كل منهم سحره ، ولكنك لاتكاد ترى فيكتوريا موسى حتى تدرك أن « بنت موسى » قد فعلت ما فعله أبوها بعصاه من قبل ، فقد ابتلعت الجميع فى جوفها ولم يبق الا هى ٠٠ لا سحر الا سحرها ولا جمال الا جمالهـــا ولا فن الا فنهـــا ! ٠٠ وتخرج من هدى وقد نسيت سيد درويش وأبناء عكاشة وكل شىء آخر ٠٠ ولا صورة انطبعت فى ذهنك ، ولا سحر أثر فى نفسك غير صوت فيكتوريا موسى وجمالها وفنها « !!

ومن الروايات التى كتبها عباس علام خصيصا لها : الزوبعة ، ايزيس ، كوثر ، سهام ، زهرة الشاى ، المرأة الكاذبة ، الساحر ، استير ٠٠ فى الفترة من فبراير ١٩٢٠ حتى يناير ١٩٢٧ ٠٠ وقد أنهى عباس علام مذكراته بقوله : « ٠٠ فسلام منى الى فيكتوريا سلام يعقوب الى يوسف ، وأرجو أن لا يكون قد أكلها الذئب » !!

نجوى ســـالم

اسمها الحقيقى « نينات سلام » ٠٠ لمعت فى فرقة الريحانى مع العمالقة : مارى منيب ، عادل خيرى ، عباس فارس ، شرفنطح ٠٠ أجادت دور الفتاة اللعوب المثيرة فى قالب من الميوعة والأنوثة الفائرة ، واشتهرت بمط الكلام والضحكة الرنانة المميزة التى تفتن الزاهد ! ٠٠

اكتشفها نجيب الريحاني وهي صغيرة تتسلل الى الكواليس ، لتشبع رغبتها في رؤية هؤلاء الفنانين عن قرب ، فتولاها بالرعاية والتدريب ٠

كانت أمها « ميرفت جوده » خبيرة تصميم « شباشب حريمي » بمحلات » شيكوريل » المليونير اليهودي الشهير ٠٠ كانت أجمل الجميلات ٠٠ تجسدت فيها الفتنة والاثارة الطاغية ، عشقها وزير المالية « أمين عثمان باشا » عميل السفارة البريطانية الذي اغتيل في قضية شهيرة اتهم فيها أنور السادات الرئيس الراحل وآخرين ٠

لم تكتفي والدتها بعلاقتها بأمين عثمان باشا ، بل ارتبطت أيضـــا وفي الوقت ذاته بعلاقات مع آخرين من الوسط الصحفي والفني ! ٠٠ وقد اقترنت نجوى سالم بالناقد والصحفي الراحل عبد الفتاح البارودي نحو عامين ٠

كان الرئيس السادات قد منح نجوى سالم شـــهادة تقدير ومعاشا استثنائيا مدى حياتها ٠٠ ويومها صعدت الى منصة التكريم وهي تزغرد ٠٠ مرتدية فستان الزفاف والطرحة ! ٠٠ ورحلت عن دنيانا عام ١٩٨٨ ٠

في الموســيقى والطرب

يقول أديبنا الراحل « يحيى حقي »

« ٠٠ كان الشعب المصري يجهل كل الجهل سعي الصهيونية منذ عام ١٨٨٢ لاقامة دولة اسرائيل في فلسطين العربية ، ومن يدرى لعل يهود مصر كانوا على علم بهذا السعي ، يؤيدونه في غفلة منا ، ولكن لو تطلعنا اليوم الى الصورة كمـا يراها أهل ذلك العهد في

بلدنا ، لرأينا صورة تنم عن الخلطة التى لاتعكرها الشوائب البيئية ٠٠ وأتاح هذا الجو لليهود أن يلعبوا دورا غير قليل فى مجالات الفنون عندنا : البزرى وسهلون فى الأداء الموسيقى ، زكى مراد فى الغناء والتلحين ، وأستاذهم جميعا « داود حسنى » الذى أعانه الدم اليهودى الذى يجرى فى عروقه ، عن التعبير أحر تعبير عن اللوعة والأسى والشجن والحرمان ، هذه المادة الخام لكل غناء شرقى ، يخيل اليهم أن الموسيقى الشرقية هى التى أرضعته من ثديها أصفى ألبانهـــا » !

داود حسنى

علم من أعلام التلحين ورائد من رواد النغم ٠٠ اسمه الحقيقى « دافيــد حاييم ليفى » ولد عام ١٨٧١ ، عاصر فى نهـــاية القرن التاسع عشر ، اثنين من أساطين الطرب والتلحين : عبده الحامولى ومحمد عثمان ، وأخذ عنهما ، وقد بدأ داود حسنى حياته الفنية مطربا ثم عكف على التلحين ، فأثرى الموســـيقى المصرية بغزارة عطائه الفنى على مدار خمسين عاما ، واستوحى من البيئة الشعبية ألحانا زاهية تغنى بها الناس فى كل مكان ، منها : « قمر له ليالى » ٠٠ « ليلة فى العمر » وما أجمل وأشـــجى صوت السلطانة منيرة المهدية فى هذا الدور ٠٠ ثم « على خده ياناس ميت ورده » ٠٠ « أسير العشق ياما يشوف هوان » ٠٠ وطقطوقة « وجننتينى ياابت يا بيضه » و « صيد العصارى » و « يمامة حلوة » و « عصفورى يامه » ٠٠ وغيرها من الأدوار والطقاطيق التى مازالت حتى اليوم تتهادى بين أسماع الناس نغما عذبا شجيا يملك القلوب ويأسر الألبـاب ٠

ولم يقتصر فن داود حسنى على تلحين الأدوار والطقاطيق ، وانما وجه جهوده نحو الموسيقى التعبيرية ـ موسيقى المسرح ـ حيث

استطاع أن يلحن أكثر من خمس وعشرين مسرحية غنائية أوبريت ، منها « معروف الاسكافى » و « صباح » و « ليلة كليوباترا » التى صاغها شعرا الأديب الموسيقى الرحالة د . حسين فوزى .

وعندما لمس داود اقبال الجماهير على هذا اللون من الغناء وتذوقها لفن الأوبريت ، قام بتلحين أول أوبرا مصرية كاملة ، هى أوبرا « شمشون ودليله » فكانت تطويرا وطفرة كبيرة للموسيقى العربية ، وأثبتت للباحثين فى علم الموسيقى : أن الموسيقى الشرقية قادرة على التعبير عن كل معنى من معانى الحياة ، وأن تملأ عالما بأسره يفيض بالخيال والجمال .

وقد اعتادت مصر أن تحتفل بذكرى هذا الفنان المصرى اليهودى : فى العاشر من ديسمبر كل عام ، حيث وافته المنيةُ فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٣٧ ، تقديرا لمآثره فى عالم الموسيقى وتكريما لما أبدعه من تراث فنى خالد لوطنه مصر .

ليلى مراد (سندريلا الجيل)

فى عالم الغناء والطرب ، بزغ نجم الجميلة الرقيقة ، القيثارة « ليلى مراد » .. ولدت عام ١٩١٦ بحى العباسية ـ الذى كان يسكنه آلاف من اليهود معظمهم من طائفة القرائين ـ كان والدها « زكى مراد » من نجوم الطرب والتلحين ، تتلمذ على الفنان « داود حسنى » .. وكان « حزانا » يؤم الصلوات بالمعبد اليهودى .

أنجب زكى مراد ثلاث بنات هن : ملك وليلى وسميحة (أسلمت) وثلاث أولاد : وابراهيم وموريس الذى اشتهر باسم « منير مراد » وأشهر اسلامه عندما اقترن بالفنانة « سهير البابلى » فى أوائل الستينات .. درست ليلى مراد فى مدارس الاتحاد

الاسرائيلى والليسيه وعندما قام والدها برحلة الى أميركا لتكوين ثروة ‥ طالت الرحلة ‥ فاضطرت أن تعمل بالحياكة الى ان عاد الأب مثلما سافر ! ‥ نشأت ليلى فى جو من الموسيقى والغناء ، حيث كان محمد القصبجى ورياض السنباطى من أقرب أصدقاء والدها ، وجلسات الطرب تضمهم جميعا ، فكانت تردد ما تسمع ، فانبهر القصبجى بصوتها وتعهدها برعايته ‥ غنت فى الاذاعات الأهلية والحفلات الخاصة ‥ الى أن سمعها الموسيقار محمد عبد الوهاب فأعجب برقتها وجمال صوتها ، فتعاقد معها على بطولة فيلم « يحيا الحب » ١٩٣٨ وتقاضت مبلغ ٣٠٠ جنيه ! ‥ ثم تعاقد معها « توجو مزراحى » على بطولة فيلم « ليلى » أمام حسين صدقى بمبلغ ٨٠٠ جنيه ، ثم وصل أجرها الى ١٥٠٠ جنيه عندما تعاقد معها مزراحى لمدة ثلاث سنوات ، ليقطع طريق المفاوضات الذى بدأه معها ستوديو مصر ، ثم ارتفع أجرها الى ١٢ ألف جنيه : أعلى أجر يتقاضاه فنان فى ذلك العصر ! ‥

بعد فيلم « ليلى فى الظلام » أمام الفنان « أنور وجدى » متعدد المواهب خفيف الظل الذى برع فى التمثيل والتأليف والاخراج والانتاج . تعاقد معها على القيام ببطولة فيلم « ليلى بنت الفقراء » عام ١٩٤٦ ، وفى اليوم الأخير من التصوير ، دعا كل الصحفيين لمشاهدة آخر لقطة فى الفيلم « مشهد الزفاف » وبعد الانتهاء من تصويره ، فاجأ أنور وجدى الجميع بأن هذا المشهد كان حقيقيا وأنه اقترن بالفنانة ليلى مراد التى أشهرت اسلامها !

وحدثت خلافات بينهما وصلت الى حد الطلاق مرتين ، بسبب رفضه أن تمثل أفلاما من انتاج آخرين ، وأن عملها بالسينما يقتصر على الأفلام التى تنتجها شركته فقط ! ‥ وكانت لا تتقاضى أجرا الى أن فوجئت بالضرائب تطالب بحقوقها ! ‥ وتدخل يوسف وهبى

وعبد الوهاب فى محاولة للصلح ـ فى المرة الثانية ـ وتمسك كل منهما بموقفه وتم الطلاق ، ويعقد أنور وجدى مؤتمرا صحفيا ـ كان ذلك عام ١٩٥١ ـ أوضح فيه أن سبب الطلاق أنه « سمع بأنها ذهبت الى اسرائيل » ! ٠٠ ولم تنشر الصحف أنباء هذا المؤتمر ٠٠ غير أن صحيفة « الكفاح العربى » الســورية نشرت الخبر فى المانشيت الرئيسى ! ٠٠ واجتمع مكتب مقاطعة اسرائيل وقرر عدم اذاعة أغانيها وعرض أفلامها ٠٠ وتعود نسخ الأفلام التي تعاقد أنور وجدى على عرضها تجاريا بالبلاد العربية ، لتنقلب المسألة ضده بخسارة جسيمة !

كانت ليلى مراد نجمة حفلات الثورة عقب قيامها ١٩٥٢ ، والتى كانت تقام بحديقة الأندلس ، وأبدى « وجيه أباظه » أحد ضباط التورة ، استعداده لحل قرار المقاطعة مقابل أن يتزوجها ! ٠٠ وكان « جمال حماد » المؤرخ العسكرى أحد شهود هذا الزواج ، وكان فى ذلك العهد ملحقا عسكريا بسفارتنا فى دمشق ٠٠ وأفرج بالفعل عن أغانيها وأفلامها بعدما « ثبت عدم مصداقية هذا الاتهام » ! من هذه الزيجة أنجبت ابنها « أشرف » ٠٠ وفى عام ١٩٥٧ ، كان زواجها الثالث من المخرج السينمائى « فطين عبد الوهاب » وأنجبت « زكى » الذى شارك يسرا بطولة فيلم « مرسيدس » ٠٠ واستمر هذا الزواج ١٢ عاما الى أن تم الانفصال ٠

وكان فيلمها الأشهر « غزل البنات » شهادة تقدير للعقلية التجارية لأنور وجدى ، وأحد معالم تاريخ السينما المصرية والذى حقق نجاحا باهرا ، وكان فيــه أشـــهر دويتو غنائى بينها وبين الفنان نجيب الريحانى » علشانك انت انكوى بالنار ٠٠ » وهو آخر فيلم ظهر فيه عبد الوهاب ، وآخر أمجاد يوسف بك وهبى ٠٠ وانتهى الفيلم بنجيب الريحانى وهو يبكى محبوبته « ليلى مراد »

التى تعلقت بشاب فى مثـــل عمرها ، وعليـــه أن يكتفى بدور « عاشق الروح » ٠٠ ! ٠٠ احدى روائع عبد الوهاب ، عقب عرض هذا الفيلم : رحل الريحانى ، ثم لحق به سليمان نجيب وأنور وجدى ٠٠ فبدا الفيلم فى مجمله وكأنه « حفل وداع لعصر بأكمله » !!

وكانت ليلى مراد شديدة الاعتزاز باسلامها ، مواظبة على الصلاة والصيام ، تكثر من قراءة القرآن والاحسان لذوى الحاجة ٠٠ ورحلت فى بداية عام ١٩٩٦ والمصحف الشريف على صدرها ٠٠ وشيعت جنازتها من جامع السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ طبقا لوصيتها !

وليس غريبا ٠٠ ما قيل عن محاولات اسرائيـــل والجهـود السياسية التى بذلت من أجل عودتها الى اليهودية ، حتى أن وزارة الخارجية الاسرائيلية عرضت عليهـــا « المواطنـة الشرفية » ٠ فرفضتها ، كما رفضت منحها جواز سفر دبلوماسى اسرائيلى ٠٠ بل وكانت ترفض مقابلة أى مسئول اسرائيلى ٠٠ كذلك عرض عليها « شيمون بيريز » عندما كان وزيرا للخارجية أن تكون « ســفيرا فوق العادة » ٠٠ فكانت اجابتها أنها : « مصرية ومسلمة وستظل كذلك حتى تموت » !

النشـاط السياسي وعمليات التجسس اليهـودى فى مصر

يهود مصر ٠٠ وعلاقاتهم بالقصر !

ترسـخت فى الوعى اليهودى ـ عبر التـاريخ ـ مشـاعر الاحساس بالضعف والعزلة والخوف والتشكك ٠٠ وأنهم بحاجة دائما الى قوة تحميهم وتزود عنهم ٠ بعدما تخلى الرب عنهم وتركهم يعانون « قدر اليهودى » باللعن والكراهية والشتات ٠٠ !!

الكاتبة البريطانيـة « أرتيميس كوبر » التى عاشت فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، ترصد بوعى وفكر ثاقب الحالة الاجتماعية والوضـع السـياسى فى المجتمع القاهرى خلال تلك السنوات العصيبة ، فتقول :

« صفوة اليهود كانت تتمثل فى عائلات : قطاوى ، رولو ، هرارى ومنشه ، وكانوا من كبـار الممولين فى مصر ٠٠ يتنقلون وسط الدوائر الملكية، حرم يوسف باشا قطاوى « أليس سوارس ». وحرم السير روبرت رولو « فالنتين رولو » كانتـا صـديقتين للملك فؤاد ، كان رولو مديرا للبنـك الأهلى المصرى ، ابنـة « سيمون » كانت أذواقه فى الملابس صارخة فيما كان ذوقه فى النساء راقيا ! ٠٠ زوجته كانت احدى جميلات القاهرة ٠٠ » ٠

السير « فيكتور هرارى » باشا ، كان أحد رجال المال اللامعين ، عمل مع لورد كرومر ثم كرس حياته للتجارة والأعمال الخيرية ٠٠ وكان دائما يحث ابنه « ماكس » على أن ينتهج سبيلا أكثر جدية في حياته « الكن ماكس شأن كثير من شباب العائلات الثرية بالقاهرة كان يفضل لعب البولو بنادى الجزيرة الرياضى ٠٠ عائلة منشه منحت الأوسمة من امبراطور النمسا ، وكان البارون « جورج دى منشه » رجلا تنتابه وساوس ازاء مصافحة الناس ، ومن ثم كان يرتدى دائما القفازات ! ٠٠ ولا يمكن لأحد أن يرى أصابعه الا اذا عزف على البيانو ٠٠ أخوه تشارلز كان فى غاية الاعتزاز بعائلته ، وكثيرا ما كان يستعرض براءات الأوسمة الممنوحة من الامبراطور ، وقد تألقت فوق منصة فخمة فى مدخل البهو ٠٠ !

أما عائلة موصيرى ، فكانت من يهود اليونان ، وقد دأبت « هيلين » أرملة ايلى موصيرى على اقامة حفيت آل موصيرى ، وكانت صديقة مقربة من الملك فاروق ، وكثيرا ما كانت تقيم حفلات خاصة للأسرة الملكية ٠٠ وقيل أن الملك قد أمر بتركيب خط تليفونى خاص ، يستطيع من خلاله أن يخابرها فى أى لحظة ليلا أو نهارا ٠٠ » !

تمتع يهود مصر بوضع متميز داخل المجتمع المصرى ، نتيجة علاقاتهم « الخاصة » التى أقاموها مع كل حاكم جديد ارتقى عرش مصر ٠٠

فمنذ عهد محمد على باشا ، وحتى قيام ثورة يوليو ، كان التقارب المتبادل بين يهود مصر ـ وممثل الاحتلال البريطانى ـ والأسرة المالكة ، متوازيا مع حريتهم فى التعبير وممارستهم لكل

الحقوق المدنية ، فتربعت العائلات اليهودية الشهيرة على قمة الهرم الاجتماعي في مصر ، وقد تجمعت بأيديهم كل مصادر القوة والنفوذ الاقتصادى ، ووجاهة اجتماعية ، مكنتهم من توطيد علاقاتهم بذوى النفوذ السياسى ٠

شهد يهود مصر نوعا من الازدهار الذى شجع يهود اليونان وشرق أوربا على الهجرة الى مصر ، ابـان عصر محمد على ٠ الذى خفف عنهم الضرائب بالغاء الجزية المفروضة عليهم ، واستعان بهم في الأعمال والوظـائف ، كما أسس محـاكم مدنيـة مكنتهم من التقاضى أمامها ، وحين شكل مجالس البلديات ، ضم بين أعضائها عدد من اليهود ٠

كذلك قرب الخديو عباس حلمى الأول اليه «يعقوب قطاوى » عميد تلك الأسرة الشهيرة فعينه مديرا لمصلحة سك النقود ، وقد ظل محتفظا بهذا المنصب فى عهد خلفه الخديو سعيد ٠

وفي عهد الخديو اسماعيل ، عينه في وظيفة « صراف باشى » أو كبير الصيارفة ، وهو نفس المنصب الذى تولاه بعده البارون « يعقوب منشه » وانضم الاثنان الى حاشية اسماعيل باشا ومعهما آخرين وشاركه قطاوى ومنشه في بعض الاستقبالات الرسمية ، واستعان بهما في مفاوضات الحصول على قروض من بيوت المال اليهودى الأوربيـة : روتشيلد ، واوبنـايم وديبيـه ديبشار ٠٠ وبتسهيلات من الخديو ، تمكنا من تأسيس عدد من البنوك وشركات الصرافة والتجارة ٠

فى عهد الخديو توفيق ، كان لعـائلات : قطاوى وموصيرى وهرارى وعاداة علاقات متميزة بالقصر ، ومنح يعقوب قطاوى عام ١٨٨٠ لقب « بك » كأول يهودى ينال هذا اللقب ٠

وفى عهد الخديو عباس حلمى الثانى ، كان المحامى والأديب الصحفى « مراد فرج ليشع » على علاقة وثيقة بالخديو ، الذى اوكله فى قضاياه الخاصة ، حتى أصبح محامى الخاصة الخديوية ، ثم رئيسا لقلم قضايا الأوقاف بقصر عابدين · وتقرب اليه عدد آخر من اليهود ، الذين هيمنوا على استثمارات الخديو ومضارباته المالية !

فى عام ١٩١٣ ، أصدر الخديو دستورا عرف باسم « القانون النظامى » تأسست بموجبه « الجمعية التشريعية » ·· وعين بها أول عضو يهودى فى تاريخ البرلمان المصرى «يوسف أصلان قطاوى» وكان ذلك فى ٢٢ يناير عام ١٩١٤ ، وظل عضوا بها حتى تشكل أول مجلس نيابى على غرار المجالس النيابية الأوربية ·

فى عهد السلطان حسين كامل ، ازداد « عطف » القصر على اليهود ، وحين طرد الوالى العثمانى « جمال باشا » يهود فلسطين عام ١٩١٥ ، نظرا لتزايد النشاط الصهيونى بينهم ، هاجر منهم الى مصر نحو ١٢ ألفا ، واستقر معظمهم بالاسكندرية وبأمر السلطان بصرف اعانة يومية لهم مقدارها ثمانون جنيها ، زيدت الى مائة جنيه !

ويصدر السلطان فرمانا بتبرع الحكومة بقطعة أرض لبناء مستشفى للطائفة اليهودية فى القاهرة ·· بالاضافة الى المساهمة فى انشاء عدد من المدارس اليهودية ·

وعهد (السلطان) الملك فؤاد ، يعتبر « العصر الذهبى » للعلاقة بين يهود مصر والقصر ، فحين صدر « وعد بلفور » صرح الملك فؤاد بأن مصر « تنظر بعين العطف الى قضية اليهود وتأمل أن يتحقق أملهم ، وتعلن حمايتها لهم » !!

« يوسف قطاوى » هو أول وآخر ـ وزير يهودى فى تاريخ مصر الحديث ، عندما كلف الملك فؤاد « أحمد زيوار باشا » بتشكيل حكومة جديدة فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وكان يوسف قطاوى عضوا بحزب « الاتحاد » الذى شكله القصر الملكى فعين وزيرا للمالية وهو أول من أصدر قرارا بسك العملة البرونزية من فئتى المليم ونصف المليم ! ٠٠ ثم أجرى تعديل وزارى ، تولى بمقتضاه وزارة المواصلات فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٥ ، حتى اقالته فى مايو من نفس العام !

ارتبط يوسف قطاوى بصداقة قوية بالملك فؤاد ، كان حريصا على اعلان واثبات ولائه للملك ، كما كانت زوجته ـ اليس ـ الوصيفة الأولى للملكة نازلى ، وهى نفس الوظيفة التى شغلتها قبلها « فالنتين رولو » أول امرأة يهودية تحصل على وسام الكمال !

ويصدر الملك مرسوما ملكيا بتعيينه عضوا بمجلس الشيوخ فى ٣١ يناير عام ١٩٢٧ ، ثم عضوا باللجنة المالية فى ٧ مارس من العام نفسه ، ثم رئيسا لها فى العام التالى ، وشارك فى عدة وفود رسمية ، لحضور مؤتمرات البرلمانات الدولية فى الفترة من سبتمبر ١٩٢٧ حتى عام ١٩٣٥ ، وقد ظل عضوا بمجلس الشيوخ حتى استقالته فى ٦ يوليو عام ١٩٣٨ م ٠

هناك أيضا « حاييم ناحوم أفندى » الحاخام الدبلوماسى ، الذى توثقت علاقاته بالدوائر السياسية فى ولايات الامبراطورية العثمانية ، والولايات المتحدة وفرنسا ، وثق صلته بالملك فؤاد ، الذى عينه حاخاما أكبر لمصر والسودان عام ١٩٢٥ ومنحه الجنسية المصرية عام ١٩٢٩ ، وعينه عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٣١ ٠

كذلك ارتبط أولاد يوسف قطاوى بصداقة قوية بالملك فؤاد ، وكان أكبرهم « أصلان قطاوى » موظفا بادارة أملاك الحكومة ، ثم تدرج فيها حتى تقلد منصب المدير العام سنة ١٩٣١ ، كما عينه الملك عضوا بمجلس الشيوخ ، وعضوا بمجالس ادارات البنك الأهلى المصرى وشركة قناة السويس وشركة الملاحة الخديوية ، وكان « أدولف قطاوى » صديقا للملك منذ أن كان أميرا ٠٠

أيضا رينية قطاوى ٠٠ الذى كان مديرا لشركة وادى كوم امبو ، ورئيسا لمجلس ادارة شركة السكر والتقطير المصرية ، عينه الملك فاروق عضوا بالبرلمان عام ١٩٣٨ ، وعين عضوا بالمجلس الاقتصادى ، وبالمجمع العلمى المصرى وبالجمعية الجغرافية الملكية ٠

و « جاك جوهر » كان صديقا للملك فؤاد ، خلال الحرب العالمية الأولى كان ضابطا بالجيش البريطانى برتبة كولونيل ، تزوج من عائلة « عدس » واحدة من أغنى العائلات اليهودية فى مصر ٠٠ عينه الملك فؤاد مشرفا عاما على النشاط الرياضى فى مصر ٠٠ وتوثقت صلته بالملك فاروق ، وصحبه فى عدة رحلات بالداخل والخارج وكان نائبا لرئيس منظمة أندية « المكابى » العالمية ٠٠ ونائبا لرئيس نادى السيارات الملكى ٠٠ الذى كان ملتقى « صفوة المجتمع »والارستقراطية اليهودية من نجوم عائلات : قطاوى وموصيرى ، عدس ، وشيكوريل ومزراحى ٠٠ يلتفون حول الملك ويخسرون له عمدا على موائد القمار ! ٠٠ تماما كما كان « نادى اليخت الملكى » أرقى أندية الاسكندرية ، ملتقى العائلات اليهودية الشهيرة ـ صفوة المجتمع لسكندرى ـ مثل منشه ورولو أجيون وسوارس ٠

وقد أغدقت الرتب والألقاب على كثير من اليهود ذوى العلاقات الوثيقة والمتميزة بالقصر ، فمنهم من أنعم عليه بالباشوية

مثل : يوسف قطاوى ، موسى قطاوى ، فيكتور هرارى ، مزراحى ، بلوم ··· ومن أنعـم عليهم بالبكوية : يعقوب قطاوى ، أدولف وأصلان ورينيه قطاوى ، مراد ليشع ، جوزيف دى بتشيوتو : الذى كان عضوا بمجلس النواب ثم مجلس الشيوخ عام ١٩٢٨ ، سلفاتور شيكوريل ، كليمان شملا ، مارك بيبولوس ، جوزيف وموسى ديشى ، أبرام عاداه ، رودلف شالوم ··

يقول « حاييم وايزمان » رئيس اللجنة الصهيونية لدراسة أوضـاع اليهود فى فلسطين وأول رئيس لدولة اسرائيـل ، فى رسالة بعث بها من الاسكندرية الى زوجته فى لندن بتاريخ ٢٤ مارس ١٩١٨ ، صورت جانبا من حياة الطبقة اليهودية الثرية فى مصر ·

« ·· موقف السلطات رائعا وصريحا ، بالرغم من افتقارها الى ادراك الأمور ·· يوجد هنا العديد من الأسر اليهودية العريقة ، التى تعد من أقطاب المال فى لاسكندرية وفى مصر كلها ، ولهم نفوذ فى جميع المجالات ، وهم يشكلون شبه أسرة كبيرة ، بعضهم على قدر بالغ من الذكاء والقدرة ·· هرارى باشا يشغل منصبا مرموقا فى حكومة البلاد ·· معظم أسرة موصيرى من المليونيرات ، تتزايد ثرواتهم يوما بعد يوم ، أنهم رجال مهذبون ، يستقبلوننا بحرارة شرقية ، يقدمون لنا جميع أنواع المجاملات ، التى لابد أن نرد عليها بأدب مناسب ·· لكن الوضع كله تمثيل فى تمثيل ولا يزيد عن ذلك !! ·· » ·

النشـــاط الصـهيونى فى مصر

يؤكد سعد يعقوب مالكى ٠٠ رئيس تحرير صحيفة اسرائيل ـ على أهمية الصهيونية ودورها فى انقاذ الشباب اليهودى بقوله « من لطف الله بالأمة اليهوديـة أن قيض لها ـ وهى على وشك الوقوع فى اليـأس من تحسن أحوالها ـ أن ظهرت الى الوجـود الحركة الصهيونية ، التى قدمت المثـل الأعلى للشـبـاب وللأمة بأسرهـا » !!

وبايجاز شديد بمكننا القول بأن الصهيونيـة العالميـة قد استطاعت أن تجعل من مصر ـ أخطر مراكز نشاطها ـ فى الفترة من عام ١٩١٧ الى عام ١٩٤٨ ٠٠ فقد كانت مصر ـ دون أن تدرى أو تريد ـ معسكر الانتقال للصهيونية العالمية ، والمحطة الرئيسية على الطريق الى فلسطين ولولا جهود زعماء الصهيونية وأعوانها فى مصر ، لما اسـتطاعت الصهيونية العالمية تأمين ظهر المسـتوطنين اليهود فى فلسطين ، وضمان حركة التهجير اليها ، وتخفيف حدة التوتر العربى داخـل فلسـطين وخارجها ثم اعلان قيـام دولة اسرائيـــل !

ونظرا لوجود طائفة يهودية كبيرة وثرية ، يمكنها أن تؤدى دورا مؤثرا فى خدمة الأهداف الصهيونية ، فقد أولت الصهيونية العالمية ـ مصر ـ اهتماما خاصا ٠

ولذا فاننـا نلاحظ أن بداية النشـاط الصهيونى فى مصر واكبت ظهور الصهيونية الحديثة ففى فبراير ١٨٩٧ ، وبعد صدور كتاب هرتزل « الدولة اليهوديـة » عام ١٨٩٦ ، أسس جوزيف ماركو باروخ جمعية صهيونية بالقاهرة باسم « جمعية بركوخبـا الصهيونيـة » برئاسـة جـاك هـارملين وعين جوزيف ليبوفيتش سكرتيرا لها ، وقد نجحت الجمعية فى أن تؤسس عدة فروع لها فى الاسكندرية وبورسعيد والمنصورة وطنطا ..

وقبيل الحرب العالميـة الأولى ، تأسس فى مدينتى القاهرة والاسكندرية وحدهما نحو ١٤ جمعية صهيونية ، هدفها الدعوة الى الأفكار والأهداف الصهيونية ، فى القـاهرة تأسست جمعية أبناء صهيون عام ١٩٠٠ (للأطفال تحت ١٥ سنة) وجمعية الأدب العبرى عام ١٩٠٥ ، وجمعيـة أحبـاء صهيون عام ١٩٠٦ ولجنـة التنسيق الصهيونية عام ١٩٠٩ ، وجمعية أبناء صهيون الى الأمام عام ١٩١٠ ، واتحاد أطفال صهيون عام ١٩١١ والدائرة القومية اليهودية ودائرة هرتزل عام ١٩١٢ .

وفى الاسكندرية أسس شارل بغدادلى أول جمعية صهيونية عام ١٨٩٨ ضم اليها صفوة الأشكنازيم والسفادريم ، ثم تحولت هذه الجمعية الى فرع لجمعية بركوخبا عام ١٩٠١ ، ثم تأسست عدة جمعيات أخرى مثل جمعية أمل صهيون ١٩٠٤ ، وجمعية عمال صهيون وجمعية أبناء صهيون عام ١٩٠٦ ، وجمعية شبان صهيون عام ١٩٠٧ ، ثم اندمجت جمعيـة أبنـاء صهيون مع جمعيـة زئير صهيون عام ١٩٠٩ .

وقد توحدت هذه الجمعيات عام ١٩١٧ تحت اسم « الاتحاد الصهيونى » ، وكان أن تدفقت على مصر أعداد هائلة من اللاجئين

اليهود عقب نشوب الحرب العالمية الأولى · وهؤلاء أعطوا للنشاط الصهيوني في مصر دفعة كبيرة ·· وأقام هؤلاء اللاجئين اليهود في مدينة الاسكندرية ، في معسكرات أطلق عليها « معسكرات التحرير » ! وأشرفت السلطات المصرية والبريطانية على توفير وسائل الراحة والدعم لهم !!

ثم تأسس أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر ، برئاسة جاك موصيرى ثم خلفه جوزيف شيكوريل رئيسا للفرع عام ١٩٢١ وشغل ليون كاسترو منصب سكرتير اللجنة المركزية ، في عام ١٩١٨، أصدر الفرع « المجلة الصهيونية » باللغة الفرنسية ونشط كاسترو في ضم الجمعيات الصهيونية وانشاء فروع للمنظمة في المدن الكبرى ، وبث الدعاية للأفكار الصهيونية بين أوساط اليهود ··

وقد سعى زعماء الصهيونية الى تكوين كيان صهيوني مسلح، بهدف تجميع شباب اليهود في منظمة أو تشكيل عسكري يتولى حماية الكيان الصهيوني في فلسطين ، وتزعم هذا المسعى صحفي يهودي روسي هو « فلاديمير جابو تنسكي » وتكونت بالفعل فرقة البغالة أو « كتائب أبناء صهيون » في منطقة برج العرب غرب الاسكندرية عام ١٩١٥، التي شاركت تحت لواء القوات البريطانية في الحرب العالمية الأولى ·

ثم تكون ما يسمى « الفيلق اليهودي » في الجيش البريطاني وأرسلت الكتيبتان « ٣٨ » و « ٣٩ » الى مصر في فبراير وابريل عام ١٩١٨ ، حيث أقيمت لهما استقبالات حافلة في الاسكندرية والقاهرة ! وعقب استكمال تدريب كل كتيبة أرسلت الى فلسطين ·· وافتتحت مكاتب خاصة بتجنيد اليهود في كل من

القاهرة والاسكندرية ، في اطار حملات مكثفة لحث يهود مصر على التطوع ٠٠ حتى أمكن تشكيل الكتيبة « ٤٠ » من يهود مصر وفلسطين ، ثم أرسلت الى القدس للانضمام الى الجيش البريطانى الذى فتح المدينة بقيادة الجنرال اللنبى !

وتجدر الاشارة الى أن الجمعيات الخيرية والأندية اليهودية، تحولت الى ساحات للترويج للفكر الصهيونى ، حيث كانت تضم عددا كبيرا من شباب اليهود المتحمسين للصهيونية وحلم الوطن القومى ، وكان عملاء الصهيونية العالمية قد نجحوا فى تجنيد معظم أعضاء هذه الجمعيات ، والأندية ٠٠ فتحولت من نشاطها الاجتماعى الى النشاط السياسى ٠٠ ! ومن ناحية أخرى سعى أذناب الصهيونية الى اكتساب عطف الحاخامات ، خاصة بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ ، فمنذ ذلك التاريخ ، بدأ الحاخامات اليهود فى القاهرة والاسكندرية يتصدرون احتفالات الصهاينة واجتماعاتهم ويباركونها ، وكان للحاخام حاييم ناحوم دورا بارزا فى تشجيع الفكر الصهيونى ونشاطه فى مصر !! ٠

يهود مصر والتنظيمات الشيوعية

طرح الراحل د٠ على شلش فى كتابه « اليهود والماسون فى مصر » عدة تساؤلات عن أسباب قيام النشاط الشيوعى ـ على أيدى اليهود ـ فى مصر :

- هل كان هناك صلة بين الشيوعية والصهيونية على أيدى اليهود ؟

- هل كان اليهود الذين نقلوا هذا النشاط من أوربا ، يريدون صرف أنظار جماهير الشعب فى مصر عن الصهيونية ؟

- هل كان هؤلاء شديدى الاندماج في المجتمع المصرى ، بحيث أدركوا أن حل مشكلة الفقر لا سبيل له الا الشيوعية ؟!
- هل كان التفكير في الشيوعية عندهم نوعا من الترف النظرى ؟ أو بمعنى أوضح : هل كان مجاراة لموضة التفكير في الشيوعية التى سادت المثقفين فى أوروبا الغربية فى فترة ما بين الحربين ؟!

من واقع التاريخ السياسى لمصر الملكية نجد أن : النشاط الشيوعى كان محظورا تماما ، على عكس النشاط الصهيونى !!

أقدم تنظيم شيوعى فى مصر ، هو الذى أسسه « جوزيف روزنتال » بالاسكندرية باسم « الحزب الاشتراكى » وقصر عضويته على اليهود والأجانب بالمدينة ، فى بداية العقد الثانى من هذا القرن ٠

ولفت نشاط الحزب انتباه أربعة من المصريين هم : محمد عبد الله عنان ـ الذى تخصص فيما بعد فى تاريخ العرب بالأندلس ومحاكم التفتيش الشهيرة ـ والكاتب الصحفى سلامة موسى ، حسنى العرابى وعلى العنانى ٠٠ هؤلاء كانت أفكارهم تتراوح بين الماركسية والفابية على طريقة برنارد شو ٠٠ وتمت الاتصالات التى أسفرت عن تأسيس « الحزب الاشتراكى المصرى » فى أغسطس ١٩٢١ ، لكن الحزب أصابه الانشقاق سريعا ، وخرج منه المعتدلون مثل سلامة موسى الذى قال : « لم يتسع صدر روزنتال لاعتدالنا ! » ٠٠

بعد نحو عام ، تغير اسم الحزب الى « الشعبة المصرية للدولية الشيوعية » ولم يكد ينتهى عام ١٩٢٢ ، حتى أصاب الحزب تصدع

آخر راح ضحيته ـ روزنتال ـ نفسه بسبب معارضته للانضمام الى « الكومنترن الشيوعى » ·· وبدأت السلطات الحكومية فى مطاردة أعضاء الحزب ، حتى تم اعتقالهم في ٥ مارس ١٩٢٤ ··

فى عام ١٩٣٤ ، أسس « بول جاكو دى كوب » ، « راءول كوريل » وشقيقه الأصغر « هنرى كوريل » جماعة شيوعيــة من اليهود باسم « رابطة أنصار السلام » ضمت : مارسيل اسرائيل ، هليــل شوارتز ، سلامونى ســدنى ··· وقد أغرى هؤلاء بعض المثقفين المصريين بالانضمام اليهم مثل : د· عبد الرازق السنهورى وزهير جرانة ·· غير أنهم سرعان ما انفصلوا عنهم ، فاستقل بها اليهود ، وتغير اسمها الى « جمعية أنصار السلام » ··

فى عام ١٩٣٨ ، انشق هنرى كوريل عن هذه الرابطة أو الجمعية ، وأسس ما يسمى ب « النادى الديمقراطى » ·· وعن هذا النــادى ، انشق مارســيل اسرائيــل الذى كون « منظمة تحرير الشعب » ·· ومن هذه المنظمة ، تفرعت عــدة جماعــات ، مثــل : « جماعة الفن والحرية » التى ضمت من شباب المصريين : جورج حنين ، رمسيس يونان ، أنور كامل ، الذين أصدروا فى يناير عام ١٩٤٠ مجلة « التطور » وكانت هذه الجماعة متأثرة بفكر « ليون تروتســكى » ·· وجماعة « الخبز والحرية » التى تأسست عام ١٩٣٩ ·

عقب الحرب العالمية الثانية ، نشأت عدة تنظيمات شيوعية أسسها يهود ، أهمها : « جماعة الفجر الجديد » التى أصــدرت مجلة بهذا الاسم فى ١٦ مايو ١٩٤٥، ورأس تحريرها أحمد رشدى صالح ، وضمت : سلفاتور بن روفائيل المعروف باســم « أحمد صادق سعد » وريمون دويك ، شــقيق حابيم دويك الذى تولى منصب الحاخام الأكبر بعد وفاة حاييم ناحوم ، ويوسف درويش ·

في سبتمبر ١٩٤٦ ، تحولت هذه الجماعة الى تنظيم « الطليعة الشعبية للتحرر » ثم تغير اسمها الى « طليعة العمل » ثم الى « حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى » عام ١٩٥٧ ٠

وكان النادى الديمقراطى الذى أسسه هنرى كوريل ، قد انقسم بدوره عام ١٩٤٢ الى تنظيمين : « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » بقيادة هنرى ، و « ايسكرا » أو الشرارة بالروسية ، بقيادة هليل شوارتز ٠٠ ثم اتحد هذين التنظيمين عام ١٩٤٧ باسم : « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » الذى اشتهر بالاسم الرمزى « حدتو » ٠٠ وضمت من شباب المصريين خالد محيى الدين ، أحمد حمروش ، سعد كامل ، أحمد فؤاد الذى تولى فيما بعد رئاسة مجلس ادارة بنك مصر ٠٠٠ وقد ظل كوريل مسيطرا على هذا التنظيم وممولا له ، حتى تم القبض عليه مع شوارتز وتم ترحيلهما الى الخارج فى صيف ١٩٥١ ٠ وكان من أنشط أعضاء هذا التنظيم : « ابراهام أرنست هرارى » الذى كان محاميا ـ آنذاك ـ ونظرا لخطورته على أمن البلاد ، فقد اعتقل أكثر من مرة ، الى أن هرب من معتقل الوادى الجديد عام ١٩٦٤ ، الى باريس ثم مخاطبته الجهات الرسمية للسماح له بالعودة لـ « خدمة وطنه » !

يشير « أحمد مرتضى المراغى » وزير الداخلية فى نهاية عهد الملك فاروق الى أن هنرى كوريل كان مليونيرا « ينفق بسخاء على منظمته ، ويعمل تحت ستار التجارة مع ثلاثة اسرائيليين هم : أرنولد ريشفيلد ، سيمون سيتون ، وروبرت روبنسون ، بتكليف من زعماء الحركة الصهيونية فى فلسطين ـ عام ١٩٤٦ ـ لامدادهم بما يحتاجون اليه من معلومات عن مصر » ٠٠ بينما يذهب البعض الى أن كوريل كان يملك مكتبة صغيرة بميدان سوارس « مصطفى

كامل حاليا » وأشاع عن نفسه أنه مليونير ، حتى يبعد الشبهة عن انفاقه السخي على النشاط الشيوعي وأهدافه ٠

وتجدر الاشارة الى مقال نشرته صحيفة « واشنطن تايمز » وثيقة الصلة بالمخابرات المركزية الأمريكيه « CIA » في ١٧ أغسطس ١٩٩٤ ٠ عن دور المخابرات الروسية ك ٠ جي ٠ بي في دعم الارهاب الدولي ، جاء فيه « ان السوفييت قد ساعدوا في اقامة شبكة لدعم الارهاب الدولي يتولاها « هنري كوريل » الذى حصل على الجنسية الفرنسية وكان مقيما في باريس حتى أغتيل - في حادث دموى غامض - عام ١٩٧٨ » ! ٠

ويضيف المقال بأن « منظمة كوريل كانت مهمتها تقديم الباسبورات والوثائق المزورة الى الارهابيين في أوربا ، وامدادهم بالأموال ، واتاحة أماكن آمنة يلجأون اليها قبل وبعد العمليات الارهابية ، بالاضافة الى التدريب على استخدام الأسلحة والمفرقعات » ! ٠

ويدفع الكاتب الصحفى المعروف ، رفيق كوريل « أحمد حمروش » عضو اللجنة المركزية لتنظيم « حدتو » ٠٠ الاتهام بالارهاب عن كوريل وأنه « كان يعتمد على النظرية الماركسية التى اقتنع بها ، والتى لم يكن في أدبياتها دعوة للارهاب ، وانما كان داعيا للثورة الشعبية عن طريق اقناع وتنظيم الجماهير بالفكر والحوار » ويضيف ٠٠ « في فرنسا لم تنقطع صلة كوريل بوطنه !٠٠ وكانت له صلات بعدد من الشخصيات الوطنية مثل : يوسف حلمى المحامى ، خالد محيى الدين ، د٠ ثروت عكاشة والكاتب الصحفى سعد كامل ٠٠ » ! ٠

بقى أن أشير الى أن سفارة جمهورية الجزائر ، بشارع حسن صبرى بالزمالك كانت قصرا رائعا - على طراز العمارة الأوربية الكلاسيكية - تمتلكه عائلة كوريل ٠

التجسس اليهودى فى مصر

أثناء الاحتلال البريطانى لمصر نشطت الوكالة اليهودية فى الدعاية للأهداف الصهيونية واقناع اليهود المصريين بالهجرة الى فلسطين وأنشأت منظمة « ايليا بيث » التى تتولى تهريب المهاجرين اليهود الجدد الى فلسطين من وراء ظهر السلطات البريطانية فرعا مصريـــا بها يختص بتهجير اليهود المصريين وكان هذا التنظـيم يستخدم السفن وعربات النقل بل وحتى الجمال فى تنفيذ عمليات التهريب ، وفى عام ١٩٤٤ قرر رؤســاء جهاز المخابرات التــابعة للهاجاناة، كبرى المنظمات الصهيونية فى فلسطين أنه قد آن الأوان لتوسيع شبكتهم فى مصر ، وما ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، حتى برزت أهمية مصر أكثر، فقد تزايد الشعور المناهض لليهود فى مصر نتيجة للحركة الوطنية المصرية واحساس المصريين بقضية فلسطين العربية ، وأصبح الأمر يستلزم المسارعة باخراج اليهود منها . ومن ناحية أخرى كان زعماء « الهاجاناة » يتوقون للاستيلاء على المخزون الاحتياطى من أسلحة الحلفاء المكدسة فى مصر ، وعموما كانوا يريدون الحصول على كافة أنواع المعلومات نظرا لأن القاهرة كانت مقرا لقيادة الانجليز فى الشرق الأوسط ، ومن ثم فهى أفضل مكان لمعرفة الخطط التى يضعها الانجليز ازاء المنطقة ، كما كان من الضرورى أيضا التحقق من موقف الزعماء العرب فى المنطقة : ما هى وجهات نظرهم ازاء انشاء دولة يهودية فى فلسطين ؟ وما الذى سيفعلونه حال قيام هذه الدولة ؟ لكل هذه الأسباب برزت القاهرة كمركز بالغ الجذب للمخابرات اليهودية ،

وكان الرجل الذى وقع عليه الاختيار لتنظيم وتنفيذ العملية الموسعة واحدا من كبار العملاء يدعى ليفى ابراهام الفلسطينى المولد ، وقد أرسل الى مصر فى ربيـع عام ١٩٤٤ متخفيا فى شخصية ضابط بريطانى ، عندما وصل ليفى ابراهام الى مصر كان أول مكان قام بزيارتـه منزل احـدى عضوات المجتمع المصرى البارزات وتدعى « يولندا جابى » وهى من أسرة موسرة من يهود الاسكندرية · وقد عاشت يولندا فترة فى باريس واكتسبت بعض العادات الغربية ، وعندما عادت الى مصر احتلت مكانها بسرعـة فى صفوف المجتمع الأرسـتقراطى الذى كان يضـم خليطا من نبـلاء البيت المالك ، والضباط البريطانيين ، والباشوات المصريين ·

ولم تكن يولندا جابى صهيونية ، ولكن حياة التجسس كانت تستهويها بما فيها من غموض واثارة وأموال وأضواء ، وكان أكثر ما يهم ليفى فيها ما تمتـع به من اتصـالات لا حصر لها بكبـار الشخصيات العسكرية والسياسية فى مصر ·

وعلى وجه السرعـة استأجر الاثنـان فيلا فى احدى ضواحى الاسكندرية الأنيقـة لتكون قاعدة لعمليـات التهريب والتجسس ولكنها فى الظاهر مكانا للترفيه عن جنود الحلفاء ·

وكالة جرونبيرج للسفريات

كان ليفى ابراهام هو العقل المدبر للعمليات تساعده يولندا بشبكة معارفها الواسعة · ولكن كان لابد من ايجاد شخص يقوم بعملية التنفيذ بما فى ذلك تقديم كافة التسهيلات اللازمة لتسفير اليهود الراغبين فى مغادرة مصر ، والذين بدأت أعدادهم تتزايد باطراد · وبشىء من التوفيق استطاعا الحصـول على الشخص المناسب ، كان شابا يهوديا مصريا « ابن بلد » يدعى ايلى كوهين ، تولى ادارة « وكالة جرونبيرج للسفريات » التى أنشأها الموساد فى

القاهرة كغطاء لتهريب آلاف اليهود المصريين الى فلسطين عبر الشبكة السرية التى يديرها ليفي ويولندا ، واستطاع ايلي كوهين بما لديه من مواهب متعددة واتقانه لعدة لغات أن يطوى تحت جناحه عشرات المسئولين فى السفارات الأجنبية والسلطات المصرية ، بما يقدمه لهم من رشاوى وخدمات ، فأمدوه بما يطلب من وثائق وتأشيرات وغضوا الطرف عن مراقبته أثناء عمليات التهريب ، بل أصبح لايلي العديد من الأصدقاء المصريين ذوى النفوذ نتيجة لمؤانسته لهم فى النوادى الليلية فى القاهرة والاسكندرية حيث كان ينفق ببذخ ويلتف حوله دائما كوكبة من أجمل الفتيات ٠

وقد أدى قيام دولة اسرائيل فى ١٤ مايو عام ١٩٤٨ الى المزيد من المتاعب لليهود فى مصر ، ونشطت بذلك الجهود المبذولة فى عملية الهجرة عن طريق « وكالة جرونبيرج للسفريات » وغيرها من الامكانيات المتاحة ، حتى لم يبق من ال ٧٠ ألف يهودى الذين ظلوا يعيشون فى مصر حتى بداية الحرب فى عام ١٩٤٨ سوى الثلث فى عام ١٩٥١ ٠

التدريب على التخابر والتدمير

انتهت أيام ليفى ابراهام ويولندا جابى فاختفيا من مصر دون أثر وفى عام ١٩٥١ وصل الى مصر أحد كبار العملاء الاسرائيليين ليملأ فراغهما ، ويباشر عمليات التجسس والهجرة وغيرها من المهام ، وكان يدعى ابراهام دار ولكنه كان يعمل تحت اسم مستعار هو « جون دارلنج » ويتخفى تحت جواز سفره البريطانى اذ كان أصلا من اليهود البريطانيين ٠

ولكن دارلنج لم يكتف بعمليات الهجرة والتخابر ، وانما بدأ مشروعا آخر أكثر طموحا هو تجنيد الشبان المثاليين من اليهود المصريين استعدادا للقيام بما قد يطلب منهم من أعمال خطيرة ٠

وبطبيعة الحال كان من أوائل هؤلاء المجندين ايلى كوهين الذى كان صهيونيا حتى النخاع ، وكذلك واحدة من بطلات الرياضة فى الأولمبياد تدعى مارسيل نينو ، وتبلغ من العمر ٢٤ عاما ، وكانت على علاقة ودية مع بعض ضباط الجيش المصرى فى أواخـــر حكم الملك فاروق ، حيث كانت تقابلهم فى الحفلات التى يقيمها أصدقائها الأثرياء ارسلها ايلى كوهين مع غيرها من الشبان المجندين الى اسرائيل حيث تلقوا تدريبات عملية فى أساليب التخابر والتدمير وبقوا هناك ثلاث شهور فى تدريب ودراسة متواصلة لايرون فيها سوى معلميهم وموجهيهم فقط ، ثم أعيدوا الى مصر مرة أخرى وعندما عادوا الى مصر عملوا تحت رئاسة أحـــد العملاء المحنكين ويدعى الكابتن ماكس بنيت ، ولكن المصريين كانوا يعرفونه باسم اميل وايشبان وكان له متجر كبير لبيع الأطراف الصناعية وكان يبيع كميات كبيرة منها للجيش المصرى ، ويتردد عليه كثير من الضباط المصريين الذين عقدوا معه علاقات ود وصداقة نظرا لما لمسوه فيه من انسانية واهتمام بالغ بجرحى الحرب • هؤلاء كانوا يتبسطون معه في الحديث دون أن يدركوا أن صديقهم هذا ينقل كل ما يقولونه مباشرة الى مقر قيادة الموساد فى تل أبيب •

وفى الوقت الذى كان بنيت ورفاقه يتلقون بين الحين والآخر التهانى من قيادة الموساد على ما يبعثون به من معلومات ثمينة ، سببت تغييرات سياسية مفاجئة فى مصر ـ بطريق غير مباشر ـ فى انهاء عمليات التجسس الناجحة التى يقومون بها ، بل والوصول الى نهاية مؤلمة •

نسف المصالح الأجنبية

ففى يوليو من عام ١٩٥٢ قاد اللواء محمـــد نجيب انقلابا عسكريا ناجحا أطاح بالملك فاروق ، وألغى الملكية ، وأعلن النظام

الجمهوری فی مصر ٠ وبدأت الحكومة المصرية الجديدة ، وفى الحال ، سياسة التشدد فى مواجهة اسرائيـــل ، فأخذت تضيق الخناق على النشاط اليهودى فى مصر ، وتساعد العمليات الفدائية ضد اسرائيل ، وتفرض حصارا فى قناة السويس على السفن القادمة أو الذاهبة الى اسرائيل ٠

وفى الوقت نفســـه بدأت تطورات على المسرح الدولى تزيد الاسرائيليين قلقا فبعد أن أطاح البكباشى جمال عبد الناصر باللواء نجيب فى شتاء ١٩٥٤ بدأت الحكومتان الأمريكية والبريطانيـــة تتوددان الى مصر ، فوافقت بريطانيا على ســـحب قواتهـــا مـــن قنـــاة السويس ومعنى هذا أن الحصـــار المفروض على الملاحـــة الاسرائيلية فى القناة سيكون حصارا كاملا لايقبل التحدى ، كما وافقت الحكومة البريطانيـــة على تزويد السلاح الجوى بطائرات جديدة ، أما فى الولايات المتحدة فقد كان جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية يحث الرئيس ايزنهاور على انتهاج سياســـة موالية للعرب ٠ وقام دالاس شخصيا بزيارة القاهرة والاجتماع بقادة الثورة المصرية ٠

كان يرأس المخابرات العسكرية الاسرائيلية فى ذلك الوقت ـ وهى غير المخابرات العامة أو الموساد ـ ضـــابط يدعى الكولونيل بنيامين جلبى ، اقتنع الكولونيل جلبى بأن التطورات الجديدة فى علاقات مصر مع الدول الغربية تعرض اسرائيل لخطر داهم ، ورأى أن أسلوب التجسس والتخابر الهادىء لم يجدى فى مواجهة هذا الخطر ، وقرر أن يتخذ اجراء مباشر لمواجهة هذا الوضع الجديد ٠

كانت خطته بسيطة وقاسية وتفتقر تماما الى الشرعية ٠٠ أن يستغل رجال الموساد فى مصر فى عمليـــات تدمير للمنشـــآت الأمريكية البريطانية فى القاهرة والاسكندرية ٠ وبالطبع سوف

تنسب هذه العمليات الى الشيوعيين أو الاخوان المسلمين ، وبالتالى يتولد فى كل من واشنطن ولندن شعور مناهض للمصريين ٠٠

وأسر الى كل من موردخاى بن زور وعميـــل آخـــر يدعى بول فرانك ـ وهما ضابطان سابقان فى قوة الدفاع الاسرائيلية ـ القيام بهذه العملية ، وكان فرانك يعمـــل فى مصر متخفيـا فى شخصية ضابط سابق فى قوات العاصفة النازية ، وقد مثل هذا الدور بنجاح لدرجة أنه كون صداقات وطيدة مع بعض كبار المصريين ومنهم قائد البحرية ووزير الداخلية كما استطاع أن يكسب ثقة النازيين السابقين الذين يعيشون فى مصر ويعملون كمستشارين للحكومة المصرية ، ولكن عندما أخبر فرانك أعضاء فريقة من اليهود المصريين الشبان عن المهمة المكلف بهـــا ، واجه فى بادىء الأمـر معارضة شديدة من جانبهم ، فقد كانوا يهودا ومصريين فى نفس الوقت ، وكانت فكرة قتل أبناء بلدهم بلا تمييز تثير غضبهم كما كانوا يخشون أن تكون لهذه العملية ردود فعـــل سـياسية فى اسرائيل ٠

غير أن الكولونيل بنيامين جلبى فى مكتبـــة بتـــل أبيب لم يتزحزح عن موقفه ، وصمم على تنفيذ خطته ، وأمام هذه الأوامر الحازمة لم يجد أعضاء الشبكة بدا من تنفيذ العملية ، فبدأ عدد من الشبان والشابات اليهود يزرعون القنابل والألغام فى عديد من المنشآت ، ومنها مكتبا هيئة الاستعلامات الأمريكية فى القاهرة والاسكندرية ، وعدة مطاعم فى وسط المدينتين ، كما انفجرت عدة طرود ناسفة فى مكتب البريد العام كانت فى طريقها الى ضحاياها عن طريق البريد ـ وأحدثت هذه الانفجارات حالة من الذعر العام فى مصر ، علاوة عما سببته من قلق بالغ لدى الحكومة المصرية ٠

اعتقال ومحاكمـــة

ولكن العملية التخريبية لم تكن متقنه بما فيه الكفاية ، وسواء كان ذلك لسبب عدم اقتناع الشبان اليهود بشرعية العملية أو عدم وجود خبرة كافية لديهم فى أعمال التخريب فقد ارتكب هذا الفريق من اليهود المصريين خطأ جسيم أدى الى سقوطهم ٠

والذى حدث أن شابا يهوديا يدعى فليب ناثان شوهد وهو يهرب من أحد المسارح ذات ليلة وسترته مشتعلة بالنيران ، فوقع فى أيدى رجال الشرطة الذين طرحوه أرضا وأخمدوا النار المشتعلة فى ملابسه ، وعندما فتشوه عثروا فى جيب سترته على علبة نظارة مليئة بالمفرقعـــات كانت هى السبب فى هذا الحريق الصغير ، وبتفتيش مسكنه وجدوا مجموعة كبيرة من الوثائق وقنابل مصنوعة يدويا ، وفى حجرة معتمة داخــــل بيته عثروا على صـــور للكبارى والمنشآت العسكرية ، وغيرها من الأهداف المحتمل تخريبها ، ظل ناثان ملتزما الصمت عدة أيام متمسكا بقصة التمويه الأصلية المتفق عليها سلفا فى حالة وقوع أحد أفراد الشبكة فى يد البوليس ، وهى أنه شيوعى يتلقى تعليماته من خليـــة سرية تضم جواسيس مدربين على أيدى الاتحاد السوفيتى ، ولم يتكلم فى النهاية الا عندما أخبره ضباط مكافحة الجاسوسية المصريين أن أمه محبوســـــة فى غرفة مجاورة وسوف يطلقون عليها الرصاص ٠ وعندئذ انهـــــار ناثان واعترف بكل شىء ٠

وبدأت السلطات المصرية بعـد أن أصبحت مسلحة بقائمـــة كاملة لأسماء شركاء ناثان فى القبض على أعضاء الجماعة الآخرين ٠

وقد ظلت مارسيل نينو بطلة الرياضة الأولمبية مختفية لفترة بفضل اتصالاتها الكثيرة وأصدقائها العديدين ولكنها وقد أصابها

القلق لشعورها بتعقب رجال المباحث المصرية لها لجأت أخيرا الى بيت ماكس بنيث صاحب محل الأطراف الصناعية والمسئول الأول الدائم عن عمليات المخابرات الاسرائيلية فى مصر ، وقد كان أيضا تحت مراقبة البوليس • وعندما هاجم ضباط مكافحة الجاسوسيه شقة بنيث ألقوا القبض عليه وهو يقوم بتجميع جهـــاز ارســـال استعدادا لتبليغ رسالة الى تل أبيب ، وكانت مارسيل نينو تقف بجواره تساعده •

ولكن ماكس بنيث خلافا لناثان قرر أن يظــل صامتـا حتى النهاية ، وخـوفا من أن ينهـــار تحت ضغط التعذيب على أيدى المصريين ، استطاع أن يرشوا أحد حراس السجن بنصف دجاجة مشوية بعثت بها اليه زوجته ، وحصل منه على شفرة حلاقة جديدة بحجة استخدامها فى حلاقة ذقنه ، ولكنه قطع بها شريان معصمه فمات فى الحال • وتمكن كل من ابراهام دار « جون دارلنج » وبول فرانك من الهرب من مصر قبل أن يتم القبض عليهما ، أما بقية أعضاء الخلية وعددهم ١١ شخصا من الرجال والنساء فقد سقطوا فى يد البوليس المصرى ، وجرى اســـتجوابهم فى صيف عام ١٩٥٤ ، وحاولت مارسيل نينو الانتحار مرتين أثناء استجوابها ، فشلت فى المرة الأولى ، ولكنها فى المرة الثانية نجحت فى القاء نفسها من النافذة أثناء انشغال مستجوبيها عنها ، غير أن الأطباء تمكنوا من انقاذها وتعرضت للمزيد من العذاب والتعذيب ، وفى النهاية انهار جميع أعضاء الشبكة نفسيا وجسديا واعترفوا بحقيقة نشاطهم : وأخبروا المصريين كيف قام رجال الموســاد ورجـال المخابرات العسكرية الاسرائيلية بتجنيدهم وتدريبهم ، وكيف قاموا بالتجسس ضد وطنهم الأصلى مصر منذ أكثر من سنتين ، وأخيرا كيف بدأوا حملة الارهاب والتخريب التى تم تخطيطها لتشويه سمعة مصر فى أعين الشعوب الغربية ، وادعو أنهم مصريون حقيقيون ولكنهم آلة صماء فى أيدى أسيادهم الاسرائيليين •

وقدم أعضاء الشبكة الى المحاكمة ، وصدر الحكم فى فيليب ناثان وشاب آخر بالسجن المؤبد ، كما حكم على مارسيل نينو وطالب آخر يدعى روبرت داسا بالسجن خمسة عشرة عاما ، أما بقية الأعضاء فقد حصلوا على أحكام مخففة ٠

ولكن اثنين منهم ، وهما صمويل عازر والدكتور موسى مرزوق ، حكم عليهما بالاعدام شنقا ، ونفذ فيهما الحكم فى العاشر من يناير عام ١٩٥٥ ٠

أما ايلى كوهين فقد استطاع بما لديه من دهاء وخبره أن يقنع مستجوبيه بأنه يجهل تماما معرفته بوجود شبكة التجسس والتخريب ، فما هو الا مدير وكالة سياحة تعمل فى نطاق القانون ، وأخيرا تم اطلاق سراحه ، وكانت هذه فى الواقع أكبر مفاجأة فى القضية بالنسبة للعارفين ببواطن الأمور !!

رفعت الجمال وايلى كوهين

« فى مذكراته التى نشرت بصحيفة (الأهرام ٩٤/٣/٢٦) أشار البطل المصرى رفعت الجمال الشهير ب « رأفت الهجان » ٠٠ الى دوره فى الكشف عن ايلى كوهين ومجموعته ٠ وكانت أولى المهام الناجحة لبطلنا قبيل سفره الى اسرائيل ٠ فيقول :

بدأت فترة تدريب مكثف ٠ شرحوا لى أهداف الثورة وفروع علم الاقتصاد وتعلمت سر نجاح الشركات المتعددة الجنسية وأساليب اخفاء الحقائق بالنسبة لمستحقات الضرائب ووسائل تهريب الأموال ٠ وتعلمت بالاضافة الى ذلك عادات اليهود وسلوكياتهم ٠ وتلقيت دروسا مكثفة فى اللغة العبرية كما تعلمت تاريخ اليهود فى مصر وأصول ديانتهم ٠ وعرفت كيف أمايز بين

اليهود الأشكناز والسفارد والشازيد وحفظت عن ظهر قلب الشعائر اليهودية وعطلاتهم الدينيـــة • وتدربت بعد هذا على جميع عادات الشرطة السرية للعمل بنجاح متخفيـــا وأخيرا تقمصت شخصيتى الجديدة وأصبحت منذ ذلك التـــاريخ جـــاك بيتون المولود فى ٢٣ أغسطس عام ١٩١٩ فى المنصورة ، من أب فرنسى وأم ايطالية ، وأن أسرتى تعيش الآن فى فرنسا بعد رحيلها من مصر وهى اسرة كانت لها مكانتها وميسورة الحال ، وديانتى هى يهودى اشكنازى وتسلمت وثائق تحمل اسمى الجديد والتواريخ الجديدة •

وخرجت الى العالم بهذه الشخصية الجديدة وبكل ما تعلمته قصدت الاسكندرية مباشرة كنت رسميا فى الرابعة والثلاثين من العمر انذاك وان كنت أبدو أصغر سنا •

وتسلمت رقم تليفون وتحدد لى موعد للاتصـــال عن طريقه والافادة بما لدى من معلومات •

وعثرت فى الاسكندرية على شقة صـغيرة جميلة فى حى من المدينة يكثر به اليهود وحصلت على وظيفة كاتب فى احدى شركات التأمين ورويدا رويدا تزايدت ثقتى بنفسى وزايلتنى مخاوفى وبدأت أقتنع بأننى يهودى • وبعد فترة قصيرة قابلت ليفى سلامة الذى زاملته فى زنزانة السجن وقتما كنت نزيلا به فى فترة سابقـــة باسم دافيد ارونسون ، حيانى كصديق قديم واصطحبنى ليقدمنى الى أصدقائه ، وعلى الرغـــم من حذرى الا اننى كنت على يقين من أنه صدقنى وسـلم بأن هذه هى حقيقتى ، وبذا كان مفتاحى الى قلب الطائفة اليهودية وحيث اننى لم أكن قد قلت اسمى قبل ذلك فلم أجد مشكلة فى تقديم نفسى له باسم جاك بيتون • وبعد ثلاثة أيام من لقائنا قابلنى بعد انتهاء العمل وقدمنى الى امرأة شـــابة تدعى

مارسيل نينو وكان واضحا فى ضوء ما تعلمته فى السابق ان القصد من اللقاء هو أن تتفحصنى بدقة نيابة عن ليفى سلامة وأصدقائه ، حيث أننى كنت أعرف الهدف جيدا من اللقاء فقد اجتهدت وسارت الأمور على ما يرام · كانت مارسيل امرأة جذابة ومن ثم لعبت عليها وبدأت علاقة معها · جذبت كل الخيوط التى أعرفهـــا وسرعان دا كسبتها الى صفى وقدمتنى لرجل كان يعمل لحســاب نفس المجموعة · كان اسمه ايلى كوهين ، أبواه من ســوريا ولذا كان يتحدث العربية بلكنة سورية وهو يهودى وعضو له مكانته وسط الطائفة اليهودية فى المدينة أصبحنا صديقين وبدأنا نقضى معا وقتا طويلا وكان سلامه قريبا منا أيضا · وذات يوم قلت له أننى أريد اخراج مبلغ كبير من أموال الأسرة الى خارج البلاد · وثبت صواب شكوكى من أن ســلامة متورط مع المسئولين المباشرين عن هذا ، اذ تلقف الكرة على الفور وأتانى بعروض عديدة رفضتها جميعا بحجة أنها غير جادة · وبالطبع كنت أبلغ حسن حسنى بانتظـام بكل ما أتوصـل اليه من معلومات · حاولت أن أتعقب سلامة لأكتشف قنوات نشاطه وأسلوب عمله · جاهد للتمويه على ، غير اننى فى النهاية ظفرت به · عرفت أن التنظيم يرأسه رجل أعمال انجليزى من سويسرا ، اسمه جون دارلنج ، وتلقيت من حسن حسنى مبلغا كبيرا من المال لأسلمه الى سلامة نجحت الخطة ووضع حسنى ، سلامه ، تحت المراقبة وتم القبض على كل المنظمة متلبسة فى مصر ، لم يكتشف أحد أمرى وقمت بدور الضحية ، اذ بدوت فى صورة شاب خسر ثروته وأصـبحنا صديقين بمرور الوقت ، ووثق بى كوهين وائتمنى على الكثير من أسراره ·

اكتشفت انه نشيط جدا فى مناهضة البريطانيين وانه يساعد اليهود على الهجرة من مصر الى اسرائيل · وعرفت أنه عضو نشيط لحساب مجموعة « العالياه بيت » المسئولة عن تنظيم عمليات الهجرة الى اسرائيل ·

وخـــلال هذه الفترة كانت المخابرات العســكرية السرية الاسرائيلية « أمان » قد بدأت تنشط داخل مصر ، وكان الكولونيل « افراهام دار » على رأس الوحدة الخاصة التى انشأتها فى مصر للشروع فى سلسلة من الأعمال التخريبية ضد المؤسسات الأجنبية لتبدو الأحداث فى صورة أعمال ارهابيـــة يرتكبهـــا الوطنيون المصريون ، وتم تجنيد ايلى ضمن هذه المجموعة · وبناء على أوامر من حسن حسنى عمدت الى اقناع كوهين بضمى الى هذه المجموعة أيضا وهكذا أصبح دورى الآن أخطر بكثير من السابق · فها انذا الآن أتعامل مع قضايا عسكرية وليس مع مواطنين عاديين يقترفون جريمة ما ، ثم أن المجموعة التى كنت أتابع حينذاك نشاطها متخفيا لم تكن تتورع عن قتل عدوها ، لا أدرى ما الذى حفزنى الى ذلك ، غير اننى كنت مقتنعا تماما بأن أعمل كل ما فى وسعى لكى أساعد بلدى · وحضر حسن حسنى بنفسه الى الاسكندرية لكى يسمع منى معلوماتى ، وما أن وصلت الى النقطة الخاصة باجتماعنا السرى حتى وجدته بصحبة رجل آخر · عرفنا كل منا بالآخر ، كان هذا الرجل هو « على غالى » المسئول فى مصر عن نشـــاط الجاسوســـية والجاسوسية المضادة · وحيث ان مهمتى الآن أصبح لها طابع دولى فقد أصبح غالى مسئولا عنى اذ كان حسن حسنى مسئولا فقط عن القضايا الداخلية · شكرنى حسنى على جهودى حتى الآن وتركنى مع على غالى وحدنا · قال لى غالى انه فخور بجهدى حتى الآن ويريدنى أن أبقى على العهد وأكون عند حسن الظن ، وأخبرنى أن الاستعدادات تجرى لتوسيع نشاط جهاز المخابرات المصرى ، وأضاف أننى الآن أصبحت واحدا من عملائه ويتوقع منى أن أستمر فى عملى مثلما كنت فى السابق ، اختلط على الأمر وان لم يهن عزمى وأيقنت انى انزلقت الى ميدان الجاسوسية · لم أدرك الفارق وفى عام ١٩٥٣ كنت ضمن مجموعة كولونيل أفراهام دار ومعى ايلى كوهين المعروفة باســم « الوحدة ١٣١ » وعندما أعدت هذه المجموعة عدتها للقيام بعمليات

تخريب واسعة أبلغت غالى ، وألقى القبض على ١٤ من أعضائها ، ومنهم ماكس بينيت مندوب المخابرات العسكرية الاسرائيلية « أمان » وتم اعدام اثنين منهم » .

فضيحة لافون

أثارت حملة التخريب هذه التى قامت بها الموساد فى مصر وما نشأ عنها وترتب عليها من أحداث مأساوية فضيحة كبرى فى اسرائيل ، فقد جاءت بعكس نتائجها تماما ، وبدلا من أن تسىء الى مصر فى أعين الغرب أساءت الى اسرائيل فكانت كرصاصة انطلقت فى صدر من أطلقها .

وقد عرفت هذه الفضيحة باسم (فضيحة لافون) نسبة الى بنحاس لافون وزير الدفاع الاسرائيلى الذى أعلن أنه المسئول عنها بصفته الرئيس الأعلى للمخابرات العسكرية الاسرائيلية ، وقدم بالتالى استقالته .

أدت الفضيحة الى تحطيم مستقبل البعض ، وحتى بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل ورجلها القوى تعرض للنقد الشديد .

وازدادت الأمور سوءا وتعقيدا عندما تبين أن بول فرانك العميل الذى تسبب فى فشل المهمة بسبب سوء توجيهاته كان عميلا مزدوجا يلعب على الوجهين .

فعندما غادر بول فرانك مصر ، تمت ترقيته فى اسرائيل وأوفد الى ألمانيا وهناك أصبح واضحا أنه على اتصال سرى بأحدى أصدقائه السابقين فى القاهرة يدعى اللواء سليمان ، وذلك على الرغم من الأوامر التى صدرت اليه بتجنيب الاتصال بأى شخص كان على صلة به فى مصر .

ولذلك فقد استدعى الى اسرائيل ظاهريا فى « مهمة روتينية لتقديم ملخص بمالديه من معلومات » ، ولكن ألقى القبض عليه وحوكم بتهمة الخيانة ، وخلال التضييق عليه فى المحاكمة اعترف بأنه كشف للمصريين عن حقيقة مهمته وقبض منهم ٤٠ ألف مارك ألمانى ، كما ثبت أنه خلال التحقيق فى فضيحة لافون فى اسرائيل قدم معلومات مزيفة أدت الى القاء اللوم بطريقة غير عادية على أكتاف بنحاس لافون وزير الدفاع مما اضطره الى تقديم استقالته نتيجة لهذا الاعتراف الكاذب .

وحكم على بول فرانك بالسجن لمدة اثنتى عشرة عاما ، وكانت هذه الأيام من أسود الأيام فى تاريخ الموساد على الاطلاق .

أما فى مصر فقد أسفرت كارثة عملية التخريب عن شن حملة مجددة ضد اليهود الباقين فى مصر وعددهم نحو ٤٥ ألف شخص ، وجرى تهريب معظمهم عن طريق شبكة « جوشين » السرية التى حلت محل وكالة جرونبيرج للسفريات بعد أن أغلقت بصفة رسمية . وكانت هذه الشبكة تتولى تهريب اليهود المصريين الى فرنسا وايطاليا ومنهما الى اسرائيل .

بعد اطلاق سراح ايلى كوهين ذهب للاقامة فى الاسكندرية وواصل عمله كجاسوس مقطوع لاسرائيل ، كان لا يزال يمتلك جهاز ارسال أمدته به الشبكة السابقة قبل تدميرها وبواسطة هذا الجهاز أخذ يرسل أى معلومات يستطيع جمعها ولو كانت بسيطة الى تل أبيب .

ولكن ايلى كوهين استطاع أيضا أن يرسل بعض التطورات المثيرة ومنها النفوذ المتزايد للنازيين السابقين ـ الذين منحوا حق اللجوء فى مصر ـ داخل حكومة عبد الناصر .

بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ نشطت عملية « جوشـين » بطريقة محمومة فى ترحيل اليهود الموجودين فى مصر ، وخلال أسابيع غادر مصر حوالى ١٠ آلاف يهودى فى طريقهم الى أوربا واسرائيل — أما الذين رفضوا الرحيل فكانوا أساسا من كبـار السن الذين لم يستطيعوا ترك الوطن الذى ولدوا وعاشوا فيه ، غير أن عدد هؤلاء لم يتجاوز عدة مئات ٠

وفى نوفمبر ألقى القبض على ايلى كوهين ، فقد كان نشاطه لصـالح القضية الصهيونيـة لسنوات عديدة أكبر من أن يمر بلا اكتشاف خاصة فى هذه المرحلة التى احتدت فيها مشاعر المصريين ضد اسرائيل ٠ ولكن مرة أخرى استطاع ايلى أن يخرج كالشعرة من العجين ، فقد استطاع أن يقنع مستجوبيه أنه صهيونى بالعقيدة فقط ، ولم يتمكن المحققون من اكتشاف أى دليـل يثبت نشاطه الصهيونى أو المعادى للبلاد ، بيد أنهم أبلغوه أنه سيتم طرده من مصـر !

وفى ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦ وجد ايلى كوهين نفسـه على ظهر سفينة لاجئين تابعة للصليب الأحمر الدولى أبحرت من الاسكندرية الى نابولى ، ومن هناك استقل مع عدد كبير من اللاجئين اليهـود المجتمعين هناك احدى الناقلات الايطالية الى ميناء حيفا ٠

فى نهاية عام ١٩٥٧ ، التحق بقسم مكافحة التجسس بوزارة الدفاع حيث كلف بترجمة الصحف العربية الى العبرية ، وكتابة تقارير تحليلية عن شخصيات صانعى القرارات السياسية العربية ٠٠ وفى أول مارس عام ١٩٦١ بدأ مهمته التجسسية فى دمشق ، باسم « كامل أمين ثابت » تاجر سورى مهاجر حيث برع فى هذه المهمة ، حتى أضحى مصدر ثقة وصداقة لصفوة المجتمع السورى من الشخصيات السياسية والعسكرية ، حتى أنه كان مرشحا لتولى

وزارة الاعلام ، أو وزيرا للدفاع كما اقترح الرئيس أمين الحافظ !!
الى أن اكتشف أمره ، وحكم عليه بالاعدام شنقا فى الثامن من مايو
عام ١٩٦٥ ٠٠ وكان مولده بحى اليهود بالاسكندرية فى ١٦ ديسمبر
عام ١٩٢٤ ٠٠ !

جاسوس الشمبانيـــا :

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تزايد الوجود الألمانى
النازى فى مصر، ممثلا فى عدد من العلماء وضباط الجستابو ورجال
الفيلق الأفريقى ممن عملوا تحت قيادة روميل، حيث منحوا اللجوء
السياسى ـ خاصة فى عهد عبد النـاصر ـ وانتحل معظمهم أسماء
عربيـــة ، بل ان بعضهم اعتنق الاسلام امعانا فى اخفاء هويتهم ،
فكان منهم العلماء الذين عملوا فى مجال تطوير صناعة الأسلحة فى
مصر ، بينما تولى بعض ضباط الجستابو السابقين مسئولية اعادة
تنظيم جهاز أمن الدولة ٠

وعندما اكتشفت اسرائيل فى بداية الستينات ، أن مصر قد
تبنت مشروعا طموحا لصناعة وانتاج صواريخ بعيدة المدى ، قادرة
على ضرب أهداف خارج حدودها ، قررت أن تحطمه دون اللجوء الى
حرب ، فاقتصرت على التخريب من قلب المواقع المصرية التى أنيط
بها تصميم وتصنيع هذه الصواريخ ـ تحت اشراف وزارة الدفاع
المصرية والاستخبارات العســكرية للقوات الجوية بالاســتعانة
بمجموعة من هؤلاء العلماء والخبراء الألمان النازيين الذين عملوا فى
بلادهم فى المجال نفســه ٠

ووضعت الاستخبارات الاسرائيلية خطة لتصفيتهم جســديا
قبل الشروع فى الانتــاج ، بواسطة الطرود الملغومة المرســلة من
الخارج ومن داخــل مصر أيضــا ، كما تعقبت واغتالت آخرين فى
أوروبا !

وبدأت الاستخبارات الاسرائيليـة بتنفيـذ خطتها مع بداية عام ١٩٦٣ ، حيث استعانت بعميل استخبارات ألمانى سابق هو : « أوتواسكورزينى » الذى تعاون مع جهاز « الموساد » عن طريق ضابط الاتصالات فى باريس آنذاك : اسحق يزرنتسكى « اسحق شامير » رئيس الحكومة الاسرائيلية الأسبق ، الذى نجح فى تجنيد « فولفجانج لوتز » لاتمام هذه المهمة ·

اشتهر « فولفجانـج لوتز ـ Wolfgange Lotz » بلقـب جاسوس الشمبانيا The Chamagne Spy لولعة المنهل بالشمبانيا وغيرها من أوجه الترف ·

ولد فى ألمانيا عام ١٩٢١ لأم يهودية وأب غير يهودى · ورغم أنه لم يختتن (مما ساعد ـ وفقا لما ذكره ـ على التدليل على صدق روايته التى كان يتستر خلفها) ، كما عمل فيما بعد على انقـاذ حيـاته عندما اكتشف أمره ، الا أنه كان يعتبر وفقـا للشريعة اليهودية يهوديا حيث يكتسب الطفل ـ طبقا لهذه الشريعة ـ ديانة أمـه ·

فى عام ١٩٣٣ هاجر لوتز الى فلسطين مع أمه · وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية التحق بالجيش البريطانى وأرسل الى مصر حيث اشترك بعد ذلك فى تهريب الأسلحة للهاجاناة ·

تميز لوتز بطول قامته الجرمانى وشعره الأشقر ، مما أسهم فى ادعائه بأنه من النازيين الذين يمقتون اليهود · وقبيل وصوله القاهرة ، صدرت اليه التعليمات لاستخدام اسمه الشخصى ، كما استبقى شهادة ميلاده ووثائق هويته مع ازالة أصل أمه اليهودى منها ، ثم قضى فترة التدريب الشـاق التى لابد منها لأى ملتحق بالموساد حتى لو كان يتمتع بخبرة سابقة فى عمليات التجسس ،

ثم وصل الى القاهرة مزودا برسائل توصية أمكن الحصول عليها ، اذ أن رؤساء أجهزة الاستخبارات الغربية الذين تظاهروا بالحياد التام تجاه اسرائيل ، كانوا ينظرون اليها كحليف سرى ينبغي مساعدته كلما أمكن ، وبشكل غير رسمي وفي أواخر الخمسينات تدفقت هذه المساعدات من قبل كل من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية « CIA » وهيئة الاستخبارات الألمانية الغربية ، التي قدم رئيسها الجنرال « جيهلين « Gehlen » كافة الضمانات والتسهيلات ٠

اتخذ لوتز هيئة رجل ثرى مهتم بالخيول ، واستغل المبلغ الضخم من المال الذى زوده به الاسرائيليون في انشاء مدرسة للفروسية ومزرعة للخيل في ضاحية الزمالك وقد أمر بأن « يستلقي » (Lie low) أو بتعبير آخر أن يبق « نائما » (To act as sleeper) لمدة عام قبل البدء في أنشطته التجسسية ٠

أقام لوتز صداقات مع بعض العلماء الألمان العاملين بمؤسسات أبحاث الصواريخ والطيران ، كذلك مع العديد من كبار الضباط في الجيش المصرى كان على رأسهم اللواء يوسف على غراب رئيس الشرطة العسكرية ! وبعض الشخصيات وثيقة الصلة بالرئيس عبد الناصر وبعد توطيد هويته وصلاته في مصر ، سافر « لوتز » الى أوربا لمقابلة رئيسه الاسرائيلى ٠

زعم لوتز أنه في ٣ يونيو ١٩٦١ قابل شقراء فاتنة في قطار ، فوقع في حبها وتزوجها سريعا وأقنع الاسرائيليين ـ رغم شكوكهم ـ بالسماح لها باصطحابه عند عودته الى مصر ومع ذلك فهناك رواية أخرى تؤكد أن خبراء الموساد الاسرائيلى ـ عند تحديدهم لأفضل طرق التعمية ـ كانوا يعتقدون اعتقادا جازما أنه سوف يساعد لوتز ويضيف الى مصداقية هويته المزعومة أن يتخذ الزوجة الأوربية النموذجية ان استطاع ، لكن كانت هناك عقبة

تتمثل فى وجود زوجة له بالفعل ، كانت ـ لسوء الحظ ـ نموذجا شمال أوربى لكنها فتاة اسرائيلية نمطية أنجب منها طفلين ، ومع هذا فان ترتيبات حذره قد نفذت ، وحينما أشير الى أن اجراءات معينة يجب أن تتخذ من أجل « شرف وأمن » اسرائيل ، فان الزوجة الوطنية ذات الولاء قد وافقت أخيرا على الزيجة المقترحة ! ومن ثم وافق زوجها على أن « يتزوج » من الألمانية الشقراء التى كان اسمها « فالتراود نويمان Wollraud Neumann ».

فى القـاهرة قابل « لوتز » رجـلا يدعى « هينريش بولتر Bolter Heinrich » وزوجته كارولين « Caroline » ، كان دكتور بولتر أثريا ألمانيا ورئيسا لبعثة من جامعة « ييل Yale » مما جعله يقضى شهورا طويلة فى صعيد مصر للبحث والتنقيب ، بينما كانت زوجته وطفلة الصغير يبقيان فى القاهرة فى فيلا تقع قرب مسكن « لوتز » وكانت الزوجة « كارولين » ، تزعم أنها نصف هولندية ونصف مجرية وتنفى وجود أى علاقة لها بألمانيا رغم أنها كانت تتحدث الألمانية بطلاقة !

وقد ارتاب فيها « لوتز » لأنها كانت تحاول دائما الحصول على معلومات عن الصواريخ لأنها كانت ، اذا سكرت قليلا ، تشرع فى التحدث بلغة « اليديش » وقد حاولت أيضا أن تقيم صداقة مع « ماريس كنوبفر Marlis Knupfer » زوجـة أحـد خبراء الصواريـخ الألمان القياديين والتحقت السيدة « بولتر » بنـادى هليوبولس الرياضى ، الذى كان يبعد حوالى ساعة بالسيارة عن منزلها ، ذلك لأن السـيدة « كنويفر » كانت عضـوا بـه ، لكنها السيدة « بولتر » لم تذهب مطلقا الى أى من النوادى القريبة من منزلها .

كان مكتب « كارل كنوبفر Karl Knupfler » يجاور منزله مباشرة ، ومن حجرة نومه كان يمكن للمرء أن يرى احدى حجرات مكتبه حيث كان يحتفظ برسومات تفصيلية لتصميمات الصواريخ !

وقد أبقى « كنوبفر » دائما شيش حجرة نومه مغلقا بالمفتاح لكنه كان يترك المفتاح فى الكالون !

وذات ليلة أسر كنوبفر الى لوتز أنه يعتقد أن « كارولين بولتر » جاسوسة اسرائيلية لأنها ، فى ذلك اليوم ، كانت قد قابلت زوجته فى النادى ، سألتها أن توصلها بالسيارة ، وقد تعلقت بالسيدة « كنوبفر » بطريقة لم تجد الأخيرة معها بدا من أن تدعوها للشراب · وبينما كانت السيدة « كنوبفر » فى المطبخ تعطى بعض التعليمات للطاهى الخاص ، اختفت « كارولين بولتر » من غرفة الاستقبال تحيرت السيدة « كنوبفر » وذهبت للبحث عنها فوجدتها فى غرفة النوم ، الباب مفتوح والشيش مفتوح ، والاكثر من ذلك أنها كانت تلتقط صورا فوتوغرافية من نافذة غرفة النوم ، وقد اعتذرت متلعثمة بأنها كانت تبحث عن كرة طفلها وقال « كونوبفر » أنه سوف يبلغ الأمر للسلطات المصرية ·

انتهى « لوتز » الى أن المرأة تعمل فى الغالب لصالح الاستخبارات الاسرائيلية ، والى أنه يجب أن يحول دون القبض عليها · وهكذا أخبر « كنوبفر » متعللا بأنه مادام لم يأخذ الفيلم من الكاميرا الخاصة بها فهوا لا يملك دليلا ومن ثم فانه سيطلب ممن لهم صلات به فى جهاز الأمن المصرى وضعها تحت المراقبة الى أن يتم التوصل الى « حبل يكفى لشنقها » ! وافق « كنوبفر » ، وفى الصباح التالى بعث « لوتز » برسالة لرؤساه فى اسرائيل عبر جهاز ارسال لاسلكى كان يخبئه داخل « تواليت » حمام

شقيقتـه ! قائلا انه من الواضـح أن المرأة تعمل لصـالح مؤسسة ما مقترحا أنها اذا كانت تعمل لصالح الاستخبارات الاسرائيليـة فيجب سحبها سريعـا !

في ظهر اليوم التالي تلقت السيدة برقية من عمتها في ألمانيا تقول أنها تعاني آلاما قاسية نتيجة مرض خبيث ألم بها ، وترجوها أن تعود سريعا لتراها قبل أن تفارق الحياة ٠

غادرت مصر بالفعل مع طفلها في تلك الليلة ! وفي صباح اليوم التالي تلقى « لوتز » رسالة شكر من اسرائيل !

أخيرا تم ضبط « لوتز » وهو يقوم بارسال معلوماته بعـد أربعين يوما فقط من اكتشاف الجاسوس المحترف « ايلي كوهين » في سوريا !

وقبض أيضا على زوجة لوتز وبعض وثيقي الصـلة بهما ٠ واستمرت المحاكمة من ٢٧ يوليو حتى ٢١ أغسطس ١٩٦٥ نجح « لوتز » في الافلات من عقوبة الاعدام بالاصرار على أنه ألماني وليس اسرائيليـا ٠ وقد حكم عليـه بالسجن المؤبد وعلى زوجتـه بثلاث سنوات (عندما أطلق سراحهما، عام ١٩٦٨ ، ذهبا الى اسرائيل)٠ خلال المحاكمة تبين أنه كانت في حوزته كمية من المتفجرات ، وقد أدين أيضا ب « التسبب في الأضرار البدني البالغ برعايا أجانب يخدمون حكومة الجمهورية العربية المتحدة » والشروع في قتـل رعايا أجانب يخدمون حكومة الجمهورية العربية المتحدة ومواطنين من الجمهورية العربية المتحدة بواسطة متفجرات خطرة » ٠

وخـلال المحاكمة شرح « لوتز » أن ضـابطا قد « دس لي المتفجرات التي وجدت في حوزتي ٠٠٠ » وشهد مدير مكتب بريد

« بأنه قد فقد عينا حينما انفجرت فى يده رسالة موجهة الى أحد العلماء الألمان » ورغم أن الاستخبارات المصرية قد استغرقت بعض الوقت لتتبع جهاز الارسال للوصول الى « لوتز » فان رسائله كلها قد سجلت ، وبعض هذه الرسائل قرئ جهرا فى المحكمة : احداها كانت الرسالة التى تنصح الاسرائيليين باستدعاء « كارولين بولتر » وأخرى يقول : لم تنفجر الرسالة التى بعثت الى كرمير Kirmeir وانفجرت رسالة أخرى فى مكتب بريد المعادى ، وكان لهذا أثر قوى على العلماء الألمان » .

وفى رسالة أخرى : « انى واثق بأننا نستطيع أن نرغم المزيد من العلماء الألمان على الرحيل بارسال المزيد من الرسائل .. » فى البداية أصر « لوتز » على أن الرسائل الحاوية للمتفجرات كانت مجرد خطابات تهديد ، لكنه فى النهاية عندما تذكر أن رسالته التى يطلب فيها المزيد من المتفجرات قد ضبطت ، اعترف بأن بعض الرسائل ربما كانت تحوى متفجرات . وفى المحاكمة ذكر ممثل الادعاء أيضا أن « لوتز » قد حل محل « جون ليون توماس John Leon Thomas » الجاسوس الاسرائيلى الذى أعدم : وقد ضبط فى الخامس من يونيو عام ١٩٦١ ووصل « لوتز » مصر بعد ذلك بيومين وأثناء وجوده بالسجن التقى « لوتز » بثلاثة جواسيس اسرائيليين آخرين كان محكوما عليهم بالحبس ، وصار صديقا مقربا لهم ، وهم روبرت داسا Robert Dassa و « فيكتور ليفى Victor Levy » وفيليب ناتانسون Philip Natonson كما التقت زوجته ب « مارسيل نينيو Marcell Nineo

فى سجن النساء وهؤلاء الأربعة كانوا شبكة التجسس التى تولت حملة التخريب والارهاب ضد وطنهم الأصلى مصر والتى اشتهرت باسم « فضيحة لافون » عام ١٩٥٤ ٠

وصدر الحكم بسجن لوتز مدى الحياة ، وثار جدل كبير فى اسرائيل حول مدى الاستفادة من مثل هذه العمليات الخاسرة وتكرار فشل مؤسسة « الموساد » فى قضية لافون غير أنه أفرج عن لوتز مع روبرت داسا وليفى ناتانسون ومارسيل فى عام ١٩٦٨ ، عقب اتفاق بمبادلتهم ب ٥ آلاف أسير مصرى ، وقعوا فى الأسر خلال حرب يونيو ١٩٦٧ ٠

يهـــود الاســكندرية

في نهاية القرن السابع عشر ٠٠ رحل مجموعة من الصيادين اليهود ، من رشيد وادكو ، تعثرت بهم سبل العيش ،الى الاسكندرية، لينضموا الى بضع مئات من اليهود ، كانوا أيضا في حال من البؤس والشقاء ٠٠ أقام هؤلاء الوافدين من رشيد وادكو ، خياما لهم في « حي الأنفوشي » بمحاذاة الشاطيء ، وبشارع الصيادين بالقرب من سوق السمك القديم ٠٠

فيما بعد أصبحت هذه الخيام أكواخا ٠٠ تحولت بدورهـا الى منازل ٠٠ مكونة حي اليهود بالاسكندرية ، أو ما يعرف بحارة اليهود ، ممتدة من حوش النجار وحوش الجعان وحوش الحنفي الى ميدان وشارع فرنســا ٠

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كانت الاسكندرية في « عصرها الذهبي » تعرض مشهدا غريبا صارخ الألوان للمدينة : جامعة لأجناس وجاليات متعددة ، متباينة في أنماط التفكير الثقافي والاجتماعي ، نتيجة اختلاط الهويات الجماعية ٠٠

فكانت المدينة أشبه ب « برج بابل » لليهود ، الذين لعبوا دور الوساطة بين هذه الجاليات المختلفة وبين أهل المدينة ٠٠ وفي نهاية القرن التاسع عشر كانت الاسكندرية قد اجتذبت المزيد من يهود القاهرة ، ومن تركيا والمغرب وأسبانيا ـ نتيجة للطفرة التي

حدثت فى التبادل التجارى بين الشرق والعرب ، ومع الانتعاش الاقتصادى للمدينة •• استقر بها نحو عشرة آلاف يهودى ، وفدوا من بلاد حوض البحر المتوسط ، وكانوا فى معظمهم ، من المغامرين والمضاربين والأفاقين ، تدفعهم شـهرة الكسب ، ويطأوا بأقدامهم قوانين البلاد فى ظل حماية القناصل •• !

وتشتهر المدينة•• كمركز لفروع وعمليات البنوك العالمية •• وكبرى بيوتات التجارة والمال •• ويشـير البروفيسور « روبير البير » الى أن •• « بعض العـائلات الثرية قد جعلت من المدينـة ـ عالم صغير ـ تحكمه قوانينه الخاصة ، مثل عائلة منشه والبارون زغيب ، وررولو وشبكة من العائلات تحكمها نظم معقدة ، تتوزع فيما بينها المكاسب والنفوذ » !

خلال الحرب العالمية الأولى ، تصاعد نجم العائلات اليهوديه بالاسكندرية وعلى الأخص ، عائلات : دى منشه ، أجيون ، جوهر ، رولو •• وتمتعت بالثروة والهيبة والنفوذ ـ كالصفوة اليهودية فى القاهرة ـ وأسرة « دى منشه » كانت بالطبع هى الأكثر شهرة ، وهم من اليهود السفارديـم ، نزحوا الى مصر عن طريق فلسطين والمغرب ، خلال القرن الثامن عشر ، مثـل أسرتى : « قطـاوى » و « موصيرى » •

وعميد العائلة « يعقوب دى منشة » ولد بالقاهرة عام ١٨٠٧، وتوفى بالاسـكندرية عـام ١٨٨٧ ، بدأ حيـاته بتجارة العملة ـ صرافا ـ بحارة اليهود بالقاهرة الى أن أصبح « صراف باشى » ـ المدير المالى للخاصة الخديوية فى عهد اسماعيل باشا ••

ويعقوب دى منشـة هو أحـد رجال المال والأعمال الأوائل ـ فى مصر الحديثة ـ الذين أدركوا قيمة الاستفادة من التجارة مع

أوربـا ، وأسس مع يعقوب قطـاوى بيتا للتجارة والمال · وكان للعائلة فروع فى مانشستر وليفربول ولندن وباريس ومارسيليا واستانبول ·

والبارون « ليفى دى منشة » ولد بالقاهرة عام ١٨٤٠ ، درس فى ايطاليا وانجلترا ، عقب عودته الى الاسكندرية ، أسس شركة للصرافة ، فى عام ١٨٦٨ ، تزوج « لولى بغدادلى » التى أنجبت له ولدا واحدا « جاك ايلى » وخمس بنات ، هن :

- استير ، تزوجت « الفرد اسمعلوم » ·
- لويز ، تزوجت « البرت اسمعلوم » ·
- شارلوت ، تزوجت « ايزاك بولاسكو » ·
- جان ، تزوجت « فيلكس جرين » ·
- ديانا ، تزوجت « موريس قطاوى » ·

واستعراض الأسماء ، يؤكد شهرة عائلة منشة فى حرصها الشديد على الارتباط بأقوى العائلات اليهودية بعلاقات الزواج !·

وبتشجيع من الخديو اسماعيل ، وبتدخل من شقيقه الأمير مصطفى فاضل ، أمكن تجاوز بعض الصعوبات ·· ليؤسس « البنك العثمانى المصرى » عام ١٨٧٢ · وكان لهذا البنك دور بارز فى عمليـات اقراض الخديو بفوائـد باهظـة ! ·· تمتع بالحمايـة النمساوية ·· وتوفى عام ١٩٠٢ ·

أما ولده البارون « جاك ايلى دى منشة « فقد ولد فى ٢٦ أغسطس عـام ١٨٧٢ ، تلقى علومه فى فيينـــا وباريس ، عقب

عودته ، أشركه والده فى ادارة بعض أعماله وممتلكاته ، التى كان من بينها ١٢ ألف فدان مخصصة لزراعة القطن وشركة للعقارات ، ووكالة صحفية باسم « المصريون الأحرار » ! ٠٠ وكان عضوا بارزا بعدد من الجمعيات اليهودية ، واشتهرت عنه هوايته فى تربية خيول السباق ٠٠ تزوج من « جابرييل » ابنة موريس أجيون أحد كبار رجال المال بالاسكندرية ٠٠ فى بداية عام ١٩٠٩ ، حصل على عضوية أرقى الأندية الأرستقراطية « نادى محمد على » ٠٠ وقد لعب دورا هاما فى تنمية التجارة المصرية النمساوية ، لينعم عليه الامبراطور « فرانسيس جوزيف » بلقب البارون ومنحه الجنسية النمساوية ٠

ويبرز اسم « جاك بيهور دى منشة » ١٨٥٠ ـ ١٩١٦ ، الذى بدأ نشاطه فى بورصة القطن ، وتجارة السكر ، وكان يمتلك الكثير من الأسهم العقارية فى الدلتا وصعيد مصر ٠٠ وتولى رئاسة مجلس الطائفة بالاسكندرية عام ١٨٩٠ ٠٠

وشقيقه « فيلكس بيهور دى منشة » ١٨٦٥ ـ ١٩٤٣ ، درس فى فيينا ، وكان أبرز وأنشط مؤيدى الحركة الصهيونية فى مصر ، بتشجيع من زوجته الثانية « روزيت » ٠٠ كما كان صديقا لحاييم وايزمان ، ورأس اللجنة الصهيونية المصرية التى تأسست عام ١٩١٨ ، وفى عام ١٩٢٠ كان ممثلا للصهيونية المصرية فى المؤتمر الصهيونى العالمى بلندن ، وكذلك فى مؤتمر كارلسباد عام ١٩٢١ ٠

وعائلة منشة : ثراء ، عالمية ، ثقافة أوربية ، نفوذ سياسى ، واقتصادى ، أسهمت فى انشاء عدد من المؤسسات الاجتماعية ، منها : جمعية « ازرات احيم » لمساعدة الفقراء ، عام ١٨٨٥ ، ومدرسة للأطفال « اميل توراة » عام ١٨٩٤ ، ومعبد ومدافن منشة ، كما أسس الاخوان : جاك وفيلكس والفرد ، مستشفى منشة عام

١٨٩٠ ، التي حازت شهرة في خدمة المرضى اليهود ، كما أسست العائلة ، مدرسة مشتركة عام ١٩٠٧ ، وبالتنسيق مع رابطة « بناى بريت » أسست الاتحاد اليهودى للتعليم ، وخلال بضع سنوات ، افتتحت مدرسة ثانوية وليسية الاتحاد اليهودى بحى محرم بك ، ثم مدرسة « ابن ميمون » الثانوية عام ١٩٤٣ .

وقد سيطرت عائلة منشة على مجلس الطائفة « المنتخب » بالاسكندرية ، واشتهر عن ـ جاك بيهور دى منشة ـ الذى رأس الطائفة لأكثر من ربع قرن : تشدده واستبداده وانفراده بالرأى .. وأعضاء المجلس كانوا ممن ارتبطوا به بعلاقات القربى أو بالزواج أو ينتمون الى دائرة الأصدقاء المقربين .. حتى أطلق عليه « مجلس العائلة » !! ..

وخلفه في رئاسة مجلس الطائفة بالاسكندرية : « ادجار سوارس » ١٩١٤ ـ ١٩١٧ و « فيلكس بك طوبى » ١٩١٧ ـ ١٩٢٥ و « الفرد تيلش » ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ و « فيلكس دى منشة » ١٩٢٦ ـ ١٩٣٤ و « روبرت رولو » ١٩٣٤ ـ ١٩٤٨ و « ادوين جوهر » ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ .

ومن أعضاء المجلس البارزين ، الذين حظوا برضاء عائلة منشه ، وكان لهم نشاط ونفوذ فى مجالات التجارة وأعمال البورصة والبنوك والصناعة والمهن الحرة ، خاصة المحاماة والطب : روبرت وابرام وماكس رولو ، رافائيل توريل ، ادوين وجاك جوهر ، جوزيف ايلى دى بتشيوتو ، فيلكس بك بادوا أجيون ، تيلش .

ـ ادوين جوهر : ولد عام ١٨٧٥ ، كان من اهم المصدرين بالاسكندرية كما كان عضوا بمجلس اكثر من شركة لتجارة الأخشاب ، تلقى علومه بسويسرا وتزوج من عائلة « بيجا » ..

تولى رئاسة محفل « الياهوهانبى » وشغل لعدة سنوات منصب نائب رئيس الطائفة ، حتى تولى رئاستها بالفعل فى الفترة ١٩٤٨ — ١٩٥٦ .

— جاك جوهر : ولد عام ١٨٨٧ ، تلقى تعليمه فى ايطاليا ، وخلال الحرب العالمية الأولى ، كان ضابطا بالجيش البريطانى برتبة « كولونيل » .. اقترن بـ « سيلين عدس » .. وأسرتها كانت من اشهر واغنى العائلات اليهودية فى مصر .. ارتبط بصداقة وطيدة بالملك فؤاد ثم الملك فاروق .. كما كان نائبا لرئيس المنظمة اليهودية العالمية و « المكابى » .. ونائباً لرئيس نادى السيارات الملكى .

— جوزيف ايلى دى بتشيوتو : كان عضوا بمجلس الطائفة ، كما كان له نشاط سياسى من خلال حزب الوفد ، حتى أصبح عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٢٤ رأس محفل « الياهوهانبى » فى الفترة من ١٩١٧ — ١٩٢٥ ، ورأس لجنة المدارس بالاسكندرية، ونائباً لرئيس اللجنة الصهيونية عام ١٩١٨ .

— رافائيل توريل : رجل أعمال بارز ، انتخب عضواً بمجلس الطائفة ، وهو من عائلة تركز نشاطها فى تصدير القطن ، وكانت تمتلك نحو خمسة آلاف فدان عام ١٩٣٠ ، وفى نهاية نفس السنة ، عمل سكرتيرا متطوعا بمجلس الطائفة . ولأكثر من ثلاثين عاما كان عضوا بالمجلس البلدى لمدينة الاسكندرية .

— الفرد نسيم كوهين : ولد بتونس عام ١٨٨١ ، بدأ حياته مدرسا بمدرسة الاليانس الاسرائيلى العالمى بالاسكندرية .. ثم اتجه الى المضاربة فى البورصة ، أسس مع : حاييم بيريز ، وأوفاديا سالم « شركة التسليفات التجارية » وفروعها بالقاهرة ولندن والسودان .

ـ جاييم درة : ولد بدمشق عام ١٨٩٨ ، هاجر الى مصر فى العشرينيات من هذا القرن ، واستقر بالاسكندرية ، حتى أصبح واحدا من ملوك تجارة المنسوجات .

ـ ماركو نادلر : من أشهر رجال الصناعة الأثرياء ، وهو صاحب مصانع الحلوى الشهيرة باسمه حتى اليوم .

ـ د. هيرمان شلزنجر : هاجر الى مصر من رومانيا عام ١٩٠٧ ، اشتهر كطبيب ولفترة طويلة كان عضواً بمجلس الطائفة ، كما اسهم بدور فعال فى دعم نشاط الحركة الصهيونية بالاسكندرية .

ـ موسى بك ديشى : السكرتير المالى بوزارة الداخلية ، ولد ٨ أكتوبر عام ١٨٩١ بالقاهرة ، شغل منصب المراقب العام لمجلس بلدى الاسكندرية ، والمدير العام المساعد لشركة السكر المصرية اقترن بـ « سوزان اسمعلون » مواليد ١٩١٤ . ابنة ماكس اسمعلون ، وكان موسى بك مقيما فى ٢٩ ش صالح أيوب بالزمالك ، ابنه الوحيد « سمير ايلى كلود » ! ولد فى ٩ يناير ١٩٤٢ وأشرف على ولادته « سعادة الدكتور نجيب باشا محفوظ » !

ـ فيلكس بن زاقين : اشهر محامى يهودى بالاسكندرية ، كان معروفاً بنشاطه الصهيونى ومع ذلك كلفه النقراشى باشا بتشكيل لجنة تمثل يهود مصر ، للسفر الى أمريكا ، والتباحث مع زعماء اليهود حول انشاء « دولة فيدرالية » للعرب واليهود فى فلسطين ، لكن زعماء الطائفة فى القاهرة والاسكندرية ، نصحوه بعدم التدخل فى مثل هذه الموضوعات !

واشهر من تولوا رئاسة الحاخامخانه بالاسكندرية :

« رافائيل ديللا برجولا » ١٩١٠ ــ ١٩٣٢ ، و « دافيد براتو » ١٩٢٧ ــ ١٩٣٦ الذى ولد بفلورنسا و « موشى فنتورا » ١٩٣٧ ــ ١٩٤٨ ، وهو من يهود أزمير .. وقد كان لهؤلاء الثلاثة نشاط بارز فى دعم النشاط الصهيونى بالاسكندرية ! .. وتجدر الاشارة الى أن « فنتورا » كان وزيراً للأديان والطوائف فى أول وزارة اسرائيلية !

وقد تزامن التطور الاجتماعى ليهود الاسكندرية مع التطور التاريخى للمدينة نفسها ، خاصة تلك الفترة التى شهدت ــ انفتاحاً اقتصادياً ــ هائلا بعد الحرب العالمية الثانية ، فكانت ذروة التألق والنشاط للطائفة اليهودية بالاسكندرية ، لم نشهد له مثيلا منذ العصر اليونانى ــ الرومانى .

تركزت الطبقة الارستقراطية بوسط المدينة ، بالقرب من شارع النبى دانيال ومحفل الياهوهانبى ، وتوسعت أملاكها فى حى الرمل ، الذى زحفت اليه الطبقة المتوسطة فى الثلاثينيات من القرن العشرين .. البعض منهم عاشوا داخل القوقعة التى صنعوها لأنفسهم ، منفصلين عما حولهم ، وعن الثقافة التى كان يجسدها الطابع » الكوزموبوليتانى » للمدينة .

وتزايدت الأنشطة التجارية والحرفية واعمال البنوك ، وسيطر السماسرة وكبار رجال المال على البورصة ، حتى أنها كانت تغلق ابوابها فى جميع الأعياد اليهودية .. وانتشرت بوسط المدينة وميدان محمد على : المحلات الكبرى مثل هانو ، بنزيون وعدس .. محلات المجوهرات ، وشركات التأمين ، وشركات الملاحة اليهودية ، بشوارع شريف وتوفيق وسيزوستريس وانطونيادس واستانبول .. وسيطر المحامون اليهود على المحاكم

المختلطة .. وشارع فؤاد ، وكانت تنتشر به مكاتب كبار تجـار القطن وسماسرة البورصة ، وحلوانى بودرو ، والمكتبة الفرنسية ، وتجار الأدوات والأجهزة الكهربائية ، ومكاتب بعض الصحف والمجلات اليهودية .. وفى شارع سعد زغلول ، انتشرت محلات الأحذية والملابس ولعب الأطفال وبعض المكتبات ..

فى الطرف الآخر من المدينة ، نشط يهود الاسكندرية فى الميناء البحرى ، وكان سماسرة البورصة دائمى الحركة بين بالات القطن وأكياس البصل والأرز المعدة للتصدير ٠

وكان أبرز نشاط عمرانى شهده ثغر الاسكندرية ، ذلك الذى قام به « جوزيف سموحه » عميد عائلة سموحة ، التى تعود أصولها الى بغداد ، وقد هاجر الى مصر عام ١٩١٧ ، قادما من مدينة مانشستر ، فأسس شركة لتجفيف الأراضى عام ١٩٣٠ ، واشترى منطقة مستنقعات قديمة فى سيدى جابر ٠ وبلغت مساحة الأراضى المجففة سدس مدينة الاسكندرية : ٤٢٥ فدانا ، وشيد فى كل قسم منها فيلات للسكن ، والباقى حدائق للفاكهة ، وسميت « مدينة سموحة » ٠٠ وكان جوزيف سموحه معروفا بصداقته للملك فؤاد واشتهر بسخائه فى تمويل مشروعات الخدمات الاجتماعية للطائفة ، وعلى رأسها المستشفى الاسرائيلى بسيدى جابر ، والتى أسهمت فى تأسيسها أيضا عائلات منشه ، سوارس وعاداه ٠

وعن ذكرياته بالاسكندرية ، يقول الأديب الاسرائيلى « اسحق جورمزانو » أن يهود الاسكندرية كانوا يقضون قسما من أوقات فراغهم فى مضمار سباق الخيل والسهرات الخاصة ولعب الورق « ٠٠ تكلموا لغات كثيرة ، لم تكن لديهم لغة خاصة بهم ، يملكون حسن التصرف ٠٠ يأخذون مكانهم وسط الشعوب التى يعيشون بينها بسرعة فائقة » ! ..

وقال أنهم قد وجدوا العمـــل بسرعة نسبية فى اسرائيل « وصنعوا المال من العدم ! ٠٠ بسبب ذكائهم الذى منحته لهم البيئة وكثرة السفر والتنقل ، وبسبب هذا الذكاء ، وصلوا لأعلى درجات السلم الاقتصادى ٠٠ وعند قدومهم لاسرائيل احتفلوا بكل الاعياد التى يعرفونها ، يهودية كانت أو مسيحية ، حتى أعياد المسلمين أخذوا منها ! ٠٠ » ٠

عبد الله ٠٠ الشحاذ اليهودى !

بينما كانت العائلات اليهـــودية الثرية : منشـــة ، رولو ، أجيون ، عاداه ٠٠ تمثل صفوة المجتمع الارستقراطى بالاسكندرية ، سماسرة القطن وملوك البورصة ، يرتادون الأماكن الراقية مثل : نادى اليخت الملكى ، ونـادى سبورتنج ، وفنـــدق سيســـل ، وباسترودس ويونيون بار مونسنيور ٠٠ كان هناك ، فى قاع المدينة من هم فى عداد الأحياء وما هم بأحياء ! ٠٠ فقراء ضاقت بهـــم أرزاقهم ، وعاطلون ومتشردون ، وشحاذون ٠

وقد جسد المؤرخ اليهودى « موريس مزراحى » بؤس وشقاء هذه الفئة فى صورة « سليمان أو عبد الله اليهودى » شحاذ شارع التتويج بالاسكندرية عام ١٩٤٦ ، فيقول عنه :

« ٠٠ العينـــان أكلتهمـا التراكوما (الرمـد الحبيبى) والطربوش قد حال لونه بفعل الزمن والعرق والقذارة ، فأصـــبح أقرب الى اللون الأسود ، يعتلى رأسا التهمتها لحية كبيرة مشعسة ، الجلباب بالكاد تتبين أنه كان أبيضا ! ٠٠ تغطية بقع الطعام وكل قذارة المدينة ، يرتدى جاكته كالحة فوق الجلباب ، وفى قدميه حذاء كبير بال ، فقد رباطه منذ زمن بعيد ٠٠ لا تخطئه عين ، حتى أصبح من معالم المكان ٠٠ أنه سليمان أو عبد الله اليهودى ! » ٠

وتحت عنوان « حادث يدعو للأسف » ! ٠٠ نشرت صحيفة « المنبر اليهودى » الصهيونية الناطقة بالفرنسية ، واحدى الصحف اليهودية التى كانت تصدر بالقاهرة والاسكندرية فى عددها الصادر بتاريخ ٦ ديسمبر عام ١٩٣٩ ، هذا الخبر التالى :

« فى غضون الاسبوع الماضى ، وقع حادث يندى له الجبين ، فى مقر طائفتنا بالاسكندرية ، حيث تجمهر مجموعة من العاطلين اليهود أمام مقر مجلس الطائفة ٠ وأمام مكاتب بعض أعيان اليهود بالمدينة ٠٠ كانت حالتهم غاية فى البؤس ، ويبدو من الصعب ايجاد حل لمشكلتهم ، معظمهم من الشباب الذى يكاد يعرف القراءة والكتابة ولا توجد فرص عمل لهؤلاء العاطلين من حارة اليهود ٠٠ التى تكدر عليهم حياتهم دائما ! » ٠

المؤسسات الاجتماعية اليهودية بالاسكندرية

شهدت الاسكندرية نشاطا ملحوظا فى مجال الخدمات الاجتماعية ، حيث أسهمت العائلات اليهودية فى انشاء عدد من المؤسسات الاجتماعية لخدمة أبناء طائفة بالمدينة ، منها :

- الجمعية الخيرية الاسرائيلية ، التى تأسست عام ١٩٨٥ ٠
- مستشفى « منشة » التى أسسها الاخوان : جاك وفيلكس والفريد دى منشة عام ١٨٩٠ ٠
- المبرة الاسرائيلية ، التى تأسست عام ١٨٩٤ ، وكانت تعنى بتقديم الوجبات الغذائية والكساء لتلاميذ المدارس المجانية للطائفة بالاسكندرية ، ونظمت برامج لتعليم اللغة العبرية ٠
- جمعية « بخور هوليم » تأسست عام ١٩١٠ ٠

- مبرة « حساء المرضى » الاسرائيلية ، تأسست عام ١٩١١ ، وعنيت بتقديم الألبان ، والأغذية للمرضى من فقراء اليهود ·
- جمعية « سيدا كاباستسر » تأسست عام ١٩١٣ . وكانت تقدم معونات مادية للأسر الفقيرة من اليهود ·
- جمعية رعاية الأمومة الاسرائيلية ، تأسست عام ١٩١٤ ، وتولت رعاية الأمهات الفقيرات فى فترات الحمـــل والولادة وتقديم العون المادى لهن ·
- جمعية « نقطة اللبن » بالاسكندرية تأسست عام ١٩١٧ ·
- الجمعية الخيرية لليهود الاشكنازيم ، تأسست عام ١٩٣٠ ·
- ملجأ محرم بك للمسنين ، أنشىء عام ١٩٣٠ ·
- المستشفى الاسرائيلى : وقد تعاونت فى انشـــائه عائلات « منشة » « وقطاوى » و « سوارس » عام ١٩٣٢ ، بشـــارع

أبو قير بحي سبورتنج وتولى ادارته : د · « أو بالدو بورجى »·

مدارس الطائفة اليهودية بالاسكندرية

لا جدال فى أهمية دور المدرســـة وتأثيرها على حياة الفرد والأمة ، وهو ما أدركه جيداً رؤساء الطائفة اليهودية بالاسكندرية ، فوجهوا جانبا من نشاطهم الى العناية بمدارس الطائفة وتعديل برامج التعليم فيها ، وانشاء مدارس جديدة لمختلف مراحـل التعليم تتعهد التلميذ اليهودى بنشأة يهودية خالصة ، تتلاءم مع الأهداف المرجوة منه مستقبلا ! ··

وأولى المدارس التى تأسست بمدينـــة الاسكندرية : كانت مدارس « أجيون ــ Ias Ecoles Aghion » للبنين والبنـــات

عام ١٨٧٥ ، وأسس البارون « يعقوب منشة » مدرسة باسمه عام ١٩٨٥ ، كما أسست الطائفة مدرسة للفنون والصنائع فى ٢ فبراير عام ١٨٩٧ ، وأسس الاليانس الاسرائيلى A.I.U مدرسة مشتركة عام ١٨٩٥ .

كما أسس مجلس الطائفة بالتعاون مع الحاخامانه الاسرائيلية مدرسة خاصة بأطفال الفقراء من اليهود باسم « مدرسة المأوى » عام ١٩٠٤ ، وتأسست مدرسة « اتزهام » ملحقة بمعبد زراديـــل عام ١٩١١ ، ومدرسة جمعية « نقطة اللبن » عام ١٩١٧ ومدرسة « ديللا برجولا Della Pergola » عـــام ١٩١٩ ومدرســـة « جـــان يلاديم Gan Yeladim » عام ١٩٢٣ ، ومدرســـة « يهود النهضـــة Hatehiah » .

وفى عـــام ١٩٢٥ ، تأسست مدرســـة مدام « جابيـــه Mme Jabes » وليسية « الاتحاد اليهودى للتعليم » ومدرسة « تلمود توراه » للبنين ، ومدرسة « شادى يعزورChadai Yaazor » للبنات ، وبدءا من ذلك العام تشكلت « لجنة المدارس » بالاسكندرية، برئاسة البارون « دى منشة » والتى تمكنت من جمع حصيلة طيبة من التبرعات ، أقامت بها عددا من المدارس ، منها ليسيه الرمل بحى كامب شيزار ، ليسيه محرم بك ، ليسيه سبورتنج ، ومدرسة بيت الطفولة اليهودية ، ومدرسة ابن ميمون الثانوية .

كذلك أسس الاليانس الاسرائيلى مدرســـة بمدينـــة طنطا عام ١٩٠٥ وفى بورسعيد تأسست مدرسة « زيكرون موشى » .. ومدرسة « تلمود توراه » بمدينة المنصورة .

المعابد اليهودية بالاسكندرية

مع تزايد أعداد اليهود الأوربيين الذين هاجروا الى الاسكندرية خلال الحرب العالمية الأولى ، تزايد عدد المعابد اليهودية بالمدينـة ، حتى أشارت بعض المصادر الى وجود ٢٩ معبدا خـلال القرن التاسع عشر ٠

● معبد « الياهو هانبى » أقدم معابد الاسكندرية ، والمعبد الرئيسى للطائفة اليهودية بها ، وهو المعبد الوحيد الذى تقام به شعائر الصلاة ٠٠ ومقره بشارع النبى دانيال رقم ٦٩ بوسـط المدينـة ٠

ويعد هذا المعبد مزارا مقدسا بما يمثله من أهميـة دينيـة وتاريخية ، نتيجة للاعتقاد اليهودى فى أسطورة تذكر أن النبى « الياهو » ظهر ـ عقب وفاته ـ لعدد من الحاخامات فى نفس الموقع المشيد عليه المعبد الآن ! ٠٠ وقد ورد فى رحلة « فولتيرا Voltera » أن هذا المعبد قد شيد للمرة الأولى عام ١٣٥٤ م ، وتهدم لبناء القديم ابان الحملة الفرنسية ، عندما أمر نابليون بقصفة بالقنابل ، لاقامة حاجز رمايه للمدفعية بين حصن كوم الدكة والبحر ، فى عام ١٨١٥ وبتوجيه من محمد على باشا ، أعيد بناؤه ٠٠ ثم هدم وأنشىء المبنى الحالى ، كما تشير اللوحة التذكارية ، فى سـنة ٥٦٤١ بالتقويم العبرى / ١٨٨١ م ٠

ويضم المعبد : مقر الطائفة الاسرائيلية بالاسكندرية ، ومبنى المحكمة اليهودية ، والمعبد على شـكل بنـاء مستطيل (حـوالى ٤٠ × ٢٥ م) ويعد من المعابـد الفخمة معماريا ـ على الطـراز البازليكى ـ الطابق الثانى به شرفة السيدات ، والمدخل الرئيسى فى الواجهة الغربية ، تعلوه النجمة السداسية وكتابات عبرية ،

والمبنى من الداخل يتكون من ثلاث أروقة ، تحتوى صفين من الأعمدة، أكبرها الرواق الأوسط، والهيكل كالمعتاد بالجهة الشرقية مصنوع من الرخام الفاخر ، على جانبيه أعمدة رخامية تحمل عقدا نصف دائرى ، وبجوارها أعمدة معدنية وزخارف معدنية ، وبداخل المقصورة المقدسة : لفائف من الجلد والورق من أسفار التوراه ، أمام الهيكل : المنصة المخصصة للصلاة ، وداخل القاعة صفوف من المقاعد الخشبية ، والسقف تتدلى منه ثريات من الزجاج والفضة .

فى عام ١٩٢٨، تأسس بالمعبد قسم خاص لموسيقى الصلوات تحت ادارة « البرتو حمصى » وقد امتد نشاط الجوقة الموسيقية الى الاحتفاء بالأعياد اليهودية ومناسبات الزواج ، ولم يقتصر القسم الموسيقى على التأليف فحسب بل قام بعمل دراسات عن الفولكلور اليهودى الاسبانى ، ودراسات عن الموسيقى الكلاسيكية ليهود مصر ٠

وقد أعدت مكتبة التراث اليهودى بالمبنى المحلق بالمعبد ، على غرار مكتبة التراث اليهودى بمعبد شعار هاشمايم بالقاهرة ٠

وقد سجل معبد الياهو هانبى كأثر عام ١٩٨٧ ٠

- معبد « زارادـيـل Zaradel » أنشـأته عائلة زاراديل عام ١٣٩١ م وظل قائما نحو خمسة قرون ، اذ تداعى بنيانه عام ١٨٨٠ ، فأعيد بناؤه مرة أخرى ، ومقره بشارع عمرام بحارة اليهود ، بسـوق السمك القـديم ، يحتفظ المعبد بمخطوطتين نادرتين للتوراه بحروف أشورية ٠

- معبد « منشة » أسسه البارون يعقوب دى منشة عام ١٨٦٠ ، بميدان المنشية أجريت له عملية ترميم وتوسعه عام ١٩١٢ ، والمبنى مستطيل حوالى ٤٠ × ٢٠ م ويتميز بالبسـاطة فى

طرازه المعمارى وزخارفه ، ويتكون من طابقين ، المدخل فى الركن الشمالى الغربى والهيكل فى الجهة الشرقية ، مصنوع من الرخام يعلوه نصف قبة ، وعلى جانبيه نوافذ للاضاءة وشرفة السيدات بالطابق الثانى .

- معبد « الياهو حزان » بشارع فاطمة اليوسف ، بحى سبورتنج ، أنشىء عام ١٩٢٨ ، المبنى مستطيل الشكل ٤٠ × ١٥ م ، المدخل فى منتصف الجدار الغربى ، تعلوه نجمه داود ، والهيكل فى الجهة الشرقية ، تعلوه خمس نوافذ من الزجاج الملون ، والمعبد خال من الأثاثات وأسفار التوراة .. ! وقد شيد المعبد على قطعة أرض وهبتها عائلة « بارسيلون » .
- معبد « عزوز » لايعرف تاريخ انشائه على وجه التحديد ، وقد أعيد بناؤه أكثر من مرة ، كان آخرها عام ١٨٥٣ .
- معبد « جرين » شيدته عائلة جرين بحى محرم بك عام ١٩٠١.
- معبد « يعقوب ساسون » أنشىء عام ١٩١٠ بحى جليمونوبلو.
- معبد « كاسترو » أنشأه « موسى كاسترو » بحى محرم بك عام ١٩٢٠ .
- معبد « نزاح اسرائيل » الاشكنازى تأسس عام ١٩٢٠ .
- معبد « شعار تفيلة » أسسة عائلتا « انزاروت » و « شاربيه » عام ١٩٢٢ ، بحى كامب شيزار .

ـ هذا الى جانب بعض المعابد التى هدمت واندثرت مثل : معبد جوهر ، كنيس المغاربة ، معبد جيميلوت حساديم ، معبد بن بورات يوسف ، معبد سلامة ، معبد صافنات بعانيا ، معبد طبول ، معبد حلب .

ازدهار .. وتدهـور !

(دراسة تاريخية : اميل جابى ، ليفانا مزراحى)

عقب رحيل الفرنسيون ، عانى الأعيان المصريين من كثرة الخلافات مع الحكومة التركية تارة ، ومع المماليك تارة أخرى ، فاختارو محمد على ونصبوه واليـا وباشـا على مصر فى مايـو سنة ١٨٠٥ .

حتى عام ١٨٨٢ ، ظلت البلاد من الناحية القانونية ولايـة عثمانية ولكنها اكتسبت بالتدرج استقلالها . الأسرة التى أسسها محمد على باشا ظلت تحكم مصر حتى سنة ١٩٥٢ م .

حتى عام ١٨٠٧ ظل محمد على يكرس جهوده للتخلص من المماليك بقتل أكثرهم أهمية ، أما فى الخارج فقد قام بعدة حروب زادت من هيبته فى العالم الاسلامى أما بالداخل بدأت ولمدة قرابة نصف قرن — تغيرات جذرية بانشاء ادارة مركزية وانشاء نظام احتكار الدولة لجميع فروع الانشطة الاقتصادية .. حرية اقامـة مشروعـات فى الفترة من عـام ١٨٣٠ الـى عـام ١٨٤٠ . التجار الذين عملوا فى التجارة الخارجية يمثلوا طبقة غنية مـن الأجانب يفضلها محمد على على الوطنيين لانها توفر له مصـادر تمويل المنشآت اللازمة للصناعة الناشئة فى مصر . وفى نفس الوقت ، نجح فى الزام المواطنين بكبح جماح كل مظاهر كراهية

الأجانب ، وألغى جميع مظاهر التمييز الدينى ، بالاضافة الى الغاء الجزية المفروضة على غير المسلمين .

أهم عملاء مصر : حسب ترتيب أهميتهم — النمسا — تركيا — انجلترا — فرنسا لحماية الصفقات التجارية الأجنبية وانشئت فى القاهرة والاسكندرية منذ عام ١٨٢٦ محاكم مختلطة تترافع باللغة الفرنسية (وقد أدت هذه الاحتياطات الى تدفق الكثير من يهود منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط الى مصر . بعض من هؤلاء المهاجرين وكذلك اليهود المقيمين فى مصر سيتخذوا جنسيات اجنبية حيث أن النمسا وفرنسا وانجلترا وايطاليا حرصا على أن يكون لها أكبر عدد من المواطنين داخل مصر . ستمنحهم هذه الجنسيات بكل يسر .

انتهى حكم محمد على فى ١٨٤٨ ومن نتائج سياسته التى قامت على الاستدانة المتزايدة ، تدخل أجنبى متزايد فى أحوال البلاد . فى ١٨٨٢ ، تحتل انجلترا مصر احتلالا عسكريا اتخذ — الصفة الشرعية — بعد ذلك باتفاق ثنائى سوف يدوم حتى ١٩٢٢ تحت ضغط الاحتلال الانجليزى — أبطأ خلفاء محمد على التقدم المهنى فى مصر — ومع ذلك بدأ فى نفس الوقت ادخال الأفكار الجديدة وتنامى النزعة القومية .

تحت حكم محمد على ، تمتع يهود مصر وعددهم ٧٠٠٠ بأكبر قدر من التقدير . ومع تدفق اليهود المهاجرين سيصل عددهم الى ٣٠٫٠٠٠ فى عام ١٨٨٢ ، ولكنهم لم يكونوا مجموعة متجانسة ، تجمعاتهم كانت حسب فواصل لغوية — اجتماعية وفواصل خاصة بالأصل . نجد فى القاهرة ، ثلاث طوائف أساسية : شرقية ، اشكينازية ، وقرائية .. الاتصال بين الربانيين والقرائين كان معدوماً آنذاك اليهود الشرقيون الذين

اختلطوا مع المجتمع المحيط بهم كانوا صفوة المجتمع وهم من أغلبية تتحدث اللغة العربية وأقلية تتحدث لغة اللادينو الاشكيناز الذى وصلوا فى فترة لاحقة استطاعوا أيضاً الاندماج مع المجتمع الشرقى .

ابتداءاً من عام ١٨٨٢ تكونت طبقة يهودية متوسطة ازدادت أهميتها بالتدريج وطبقة أخرى مزدهرة وغنية ـــ اليهودية المصرية لو نظرنا اليها نظرة خارجية تعتبر الأكثر ازدهارا فى الشرق الأوسط . الارتقاء السريع نسبيا لهذه الطبقة الجديدة من رجال الأعمال والجامعيين تستند على المستوى الثقافى المرتفع لهذه الأوساط . فى واقع الأمر كانت نسبة اليهود الذين يتعلمون فى المدارس عالية جداً . ونالت اللغة الفرنسية شيوعا قوياً ، وسجلات الحاخامخانة تكتب باللغة الفرنسية منذ بداية القرن العشرين فى القاهرة والاسكندرية .

من الناحية السياسية ناضل اليهود المصريين فى مختلف التنظيمات الوطنية وقد أظهر بعضهم أحساسا شديداً بالوطنية مثل « فيكتور زاراديل صنوا » الشهير بـ « أبو نظارة » الكاتب الصحفى .

من ١٨٨٢ وحتى ١٩١٤ الموقف القانونى فى مصر لم يتغير ولكنه فى الواقع كان البلد مستقلا بالنسبة للباب العالى ـــ أثناء حرب ١٩١٤ ـــ ١٩١٨ التى أدت الى تفكك الامبراطورية العثمانية ـــ بدأت مجموعات وطنية تتكون للمطالبة باستقلال البلاد بزعامة سعد زغلول كونوا حزب الوفد الذى سوف يصبح فيما بعد أهم حزب سياسى فيما بين الحربين . واذا كان أعضاء الوفد تكونوا من جميع طبقات المجتمع ومن بينهم اليهود الا أن زعماء الحزب كانوا من الأعيان والمثقفين .

فى هذه الاثناء تضاعف عدد أفراد المجتمع اليهودى من ٣٠٫٠٠٠ الى ٦٠٫٠٠٠ بين ١٨٩٠ — ١٩١٨ . وواكبت الحياة الاجتماعية تطور البلد ، فقد تضاعفت عدد المعابد اليهودية : ١٥ فى الاسكندرية ، ٣٠ فى القاهرة ، ٤ فى طنطا ، ٢ فى المنصورة ، وغالباً واحداً فى كل قرية صغيرة فى الدلتا بها مجتمع يهودى (!!)

فى ظل العلاقات الاجتماعية ، أقيمت المدارس والمؤسسات الخيرية — المستشفيات المستوصفات — النوادى الرياضية .

فى عام ١٩٢٢ اعتبرت انجلترا مصر مملكة مستقلة وفى ١٥ مارس ١٩٢٣ ، لقب السلطان فؤاد بـ « الملك » وتحت ضغط الأحزاب السياسية ، وضع دستور يمنح السلطة التشريعية لمجلسين : مجلس الشيوخ ومجلس النواب ، بينما السلطة التنفيذية ظلت فى أيدى الملك ووزرائه .

أحرز حزب الوفد تقدما ، لكن الملك ينشىء حزبا مناوئا ليحجم نشاط الوفد عام ١٩٣٠ ثم يلغى المجلسين ، ويوقف العمل بالدستور فى الفترة من عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣٥ م وبالرغم من هذه المحاولات ، الا أن الوفد استطاع أن يفوز فى الانتخابات التشريعية فى ٢ مايو سنة ١٩٣٦ بعد وفاة الملك فؤاد ببضعة أيام ، وقد وقعت مصر التى يحكمها الوفد فى مايو ١٩٣٧ اتفاقية « مونترو » التى انهت نظام الامتيازات تجاه القوى العظمى الاوربية ، الغى الوضع القانونى المتميز للأجانب ، كما انتقلت اختصاصات المحاكم المختلطة والتجارية الى المحاكم الوطنية . هذه الاتفاقات تتعلق بعدد كبير من اليهود المصريين الذين اكتسبوا جنسية أجنبية .. واستمر العمل بقانون الأحوال الشخصية أمام المحاكم الشرعية .

ومن سمات حكم الملك فؤاد ، مبادلات اقتصادية هـــامة مع أوروبا وحماس ثقافى كبير ، وقد أسهمت الطائفة اليهودية فى هذه الفترة ، وعلى نطاق واسع فى الازدهار الثقافى والاقتصادى والسياسى للمملكة ، فى مجال الفن والمسرح ، ازدهـــر المسرح الشعبى المصرى فى الثلاثينات ، مستمدا أصوله من أعمال « جيمس زراديل صنوا » وقد أدخل توجـــو مـــزراحى فن السينما الى مصر (!!) وظهرت فى الطائفة اليهودية كتاب يكتبون باللغـــة الفرنسية مثل : ادمون جـــابيس ، البـــرت عـــدس ، البرت جوزيبوفيشى ، اليان فينبرت ، جورج قطاوى ، روبرت بـــلوم وكارلو سوارس .

وبدأت الاسكندرية فى ۱۹۲۰ تنافس باريس فى الصالونات الأدبية والمسارح العديدة .. كما نشط الاليـــانس الفـــرنسى والاتيلييه .. ! ونجد بالاضافة الى الصحف اليهودية باللغـــة الفرنسية مثل « اسرائيل » أو « كاديما » مجلات أدبية مثـــل « أتينيه » و « رسائل الشرق » يديرها يهود ـــ وقد كان لليهود أيضا مكانتهم فى مؤسسات الدولة فى مجلس الشيوخ ومجـــلس النواب ـــ هكذا أصبح يوسف أصلان قطاوى باشا رئيس الطائفة اليهودية فى القاهرة نائباً وعضوا بمجلس الشيوخ ثم وزيراً .. وقد ناضلوا فى الأحزاب السياسية ، المحامى فيلكس بنزاقـــين كان مناضلا بالوفد ، وفى نفس الوقت مناضلا صهيـــونيا ! .. و « ليون كاسترو » رئيس المنظمة الصهيونية فى القاهرة كـــان مستشارا لسعد زغلول ! ورئيساً لجريدة « الحرية » التى طالبت باستقلال مصر والكاتب « اليان فينبرت » ناضل أيضاً الى جانب سعد زغلول ضد الانجليز وطرد فى النهاية من مصر . وعلى رأس التنظيمات الشيوعية التى تكونت مرة أخرى فى مصر أثناء الحرب العالمية الثانية نجد أعضاء من أصل يهـــودى مثل : جـــوزيف روزنتال ، هنرى كـــورييل وشوارتز حتى منتصف الثلاثينيـــات

« تتساوى الصهيونية والمد الوطنى فى النضال ضد عدو مشترك : هو انجلترا » (!!) لكن بدأ الموقف يتدهور مع اقتراب الحرب العالمة الثانية ، اذ ان الوطنية الليبرالية ، التى تبناها الوفد ، وشكلت مصر منذ العصر الفرعونى ، وضعاً تاريخياً مستقلا ، بدأت تتراجع أمام فكرة « وحدة الوطن العربى » التى اعتبرت امتداداً حديثاً للأمة الاسلامية ، هذا الاتجاه الجديد للنزعة القومية ، كان له تأثير سيىء على الأقليات الغير عربية والغير اسلامية ، خاصة اليهود !

أثناء الحرب العالمية الثانية كانت حاشية الملك فاروق ، الذى حكم بعد الملك فؤاد فى سنة ١٩٣٦ ، موالون للألمان — أما الوفد فكان ضد النازية وبمساندة الانجليز وصل الى الحكم فى ١٩٤٢ ثم طرده الملك مرة اخرى فى ١٩٤٤ . ولم يعلن الملك الحرب على الألمان واليابان الا فى عام ١٩٤٥ — نضال اليهود فى مصر ضد النازية كان فى اطار « الرابطة الدولية ضد مناهضة السامية » نجحت فى عام ١٩٣٣ م ، بفضل جهود : ليون كاسترو وموريس مزراحى فى حملة المقاطعة التجارية للمنتجات الألمانية فى مصر .

بعد ١٩٤٥ م ، كان للتوتر المتزايد فى فلسطين والحروب الاسرائيلية العربية المتعددة ، أثار وخيمة على الطائفة اليهودية فى مصر (!!)

بعد انشاء دولة اسرائيل يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ دخلت الجيوش العربية والمصرية فى حرب ضد الدولة الجديدة ، وفى اضطراب تام أمرت الحكومة المصرية فى عام ١٩٤٨ م — ١٩٤٩ بالقبض على مئات اليهود المتهمين بالصهيونية والشيوعية

لمساندتهم للدولة الاسرائيلية . وكان هذا أول محاكمة ضد اليهود وأول حراسة على أملاكهم ، وأول ترحيل .

من شهر يوليو الى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٩ هاجمت المظاهرات العنيفة الأحياء .. اليهودية فى القاهرة والاسكندرية ، حيث كون السكان مجموعات دفاع ذاتى فى القاهرة والاسكندرية ، وحرق المعبد الاشكينازى بعد هجمات نسبت الى الاخوان المسلمين كما دمر معبد « منشه » بالاسكندرية وترك البلاد ٠٠٠ر١٥ من ٠٠٠ر٧٠ يهودى الذين احصوا فى بداية الحرب العالمية الثانية .

بسقوط الملكية ووصول الضباط الأحرار فى ١٩٥٢ ، لم يتغير كثيراً وضع اليهود فى مصر . وقد اتبع محمد نجيب فى السنتين التى حكم فيهما الدولة سياسة المساواة القانونية لكل المواطنين المصريين أيا كانت أصولهم .. منذ ١٩٥٤ اتخذ جمال عبد الناصر اتجاها راديكاليا داعيا الى وحدة العرب ، وعادت من جديد القضايا السياسية ضد اليهود وخاصة الشيوعيين .

وتبعها عملية طردهم من البلاد.فى يوم ٥ من يناير سنة ١٩٥٥ يهوديان مصريان صمويل عزار وموسى مرزوق حكم عليهما بالاعدام شنقا فى سجن القاهرة . كانا مرتبطان بالتنظيم السرى الاسرائيلى الذى دفعهما الى وضع قنابل فى المساكن الامريكية بغرض عرقلة حصول المصريين على الأسلحة الأمريكية (عملية لافون) .

وفى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ أمم جمال عبد الناصر قناة السويس ، وتتوتر العلاقات مع انجلترا ، فرنسا واسرائيل وفى ٢٦ اكتوبر هاجمت اسرائيل سيناء وتبعتها بعد يومين الجيوش الفرنسية والانجليزية . وانتهى هذا الانتشار للقوى فى ٦ نوفمبر تحت ضغط الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بوقف اطلاق النار ، ظلت مصر تتحكم فى قناة السويس ، وانسحبت اسرائيل

من سيناء ولكنها فتحت ميناء ايلات للملاحة الى البحر الأحمر بينما ضباط الأمم المتحدة توسطوا المصريين والاسرائيليين .

فى مصر تعرض اليهود منذ بدأ العمليات الحربية الى حملة اعتقالات واسعة ، شملت نوعيات متباينة من أثرياء ، فقراء ، غير معينى الجنسية ، أجانب . غادر ٣٠٫٠٠٠ يهودى البلاد فى بضعة اشهر . ظل منهم ٧٠٠٠ حتى حرب الأيام الستة عـــام ١٩٦٧ م ، أصبحوا بضع مئات اليوم . ثلث اليهود المصريين ذهبوا الى اسرائيل . وتفرق الباقى بين فرنسا (١٠٫٠٠٠) البرازيل (١٥٫٠٠٠) الولايات المتحدة (٩٫٠٠٠) الارجنتين (٩٫٠٠٠) انجلترا (٤٫٠٠٠) ايطاليا واستراليا وكندا وسويسرا وبلجيكـــا ومختلف بلاد أمريكا اللاتينية ، وجنوب أفريقيا .

● تعقيب وتصحيح !

فى هذه الدراسة ، التى أعدها « اميل جـــابى » المـــولود بالاسكندرية و « ليفانا مزراحى » التى ولدت بالقاهرة .. مجموعة من الادعـــاءات والمغالطـــات ــ المقصـــودة ــ كعادة الباحثين الاسرائيليين دائماً ! .. نجملها فيما يلى :

١ ــ الادعاء بوجود معبد فى كل قرية بالدلتا بها طائفة يهودية !

٢ ــ الادعاء بأن توجو مزراحى « أدخل فن السينما فى مصر » !

٣ ــ الادعاء بمساهمة اليهود فى النضال السياسى ضد عـــدو مشترك ! .. والمغالطـــة المفضوحـــة فى المســـاواة بين الصهيونية والوطنية المصرية !!

٤ ــ الاشارة بأن الأوضاع فى فلسطين ، والحروب العربية ــ الاسرائيلية كانت لها آثار وخيمة على الطائفة اليهودية فى مصر !

٥ ــ الادعاء بقيام السلطات المصرية ، عقب حرب ١٩٥٦ ، بحملات اعتقال واسعة وعمليات طرد لليهود شملت نوعيات متباينة !

● بالنسبة للادعاء الأول ، لم نسمع عن وجود معبد فى كل قرية بالدلتا أو بغيرها ، فهو من قبيل الكلام المرسل هكذا دون سند ! .. وبفرض صحته ، فان دل على شىء ، فانما يدل على أن « جغرافية التسامح » طبقاً لتعبير أديبنا الكبير « جمال الغيطانى » كانت على أوسع نطاق ! .. ومدى تمتع يهود مصر بحرية ممارسة عقيدتهم ، وحرية انشاء معابدهم فى مختلف مدن مصر .. بينما اعتداءاتهم وجرائمهم ضد المقدسات الاسلامية فى فلسطين لم يعرفها تاريخ البشرية ، أقلها حصد أرواح الساجدين بالرشاشات !

وبالاضافة الى مجموعة المعابد والمحافل التى سبق أن ذكرتها ، فى مدينتى القاهرة والاسكندرية ، كان لهم عدة معابد فى بعض المدن التى عاشت بها تجمعات يهودية :

ــ طنطا : كان بها محفل « أوهيل موشى » وكنيس المغاربة ،

ــ المنصورة : بها محفل « ماجن دافيد » الذى شيد فى بداية القرن العشرين ، ومعبد « حسون » الذى شيده ابراهام حسون عام ١٨٩٨ ، ومعبد « كوهين » شيده مخلوف كوهين وزوجته سيمحا ١٩١٣ .

ـ المحلة : بها معبد « الاستاذ » الذى شيد بحى خوخة اليهود ، منذ ستة قرون تقريباً ، وأعيد بناؤه وترميمه عدة مرات . وينسب الى الحبر « فضيل بن أبى آوى بن حنانيل الأمشاطى .

ـ بورسعيد : كان بها محفل « اسرائيل » تأسس عـــام ١٨٩٨ ، ومعبد « سوكات شالوم » ومعبد « بينان » .

ـ بالاضافة الى معبد « سوارس » بدمنهور ، و « هارون جباى » بالزقازيق ، و « كليمان باردو » بميت غمر .

● « توجو مزراحى » والاكذوبة بأنه « ادخل فن السينما فى مصر » ! والأصوب انه « أدخل التجارة على فن السينما » ! فهو صاحب المقولة الشهيرة ، والتى كان يرددها دائماً ، بأنــه « ليس هناك من يستطيع أن يدخل السيمنا بدون تذكرة » !

الحقيقة التاريخية التى تغافل عنها الباحثان اليهـــوديان : أن مصر كانت من أولى بلاد العالم التى عرفت فن السينما ، فأول عرض سينمائى تجارى فى العالم ، كان فى ٢٨ ديسمبر ١٨٩٥ فى الصالون الهندى بمقهى « جران كافيه » بشـــارع كابـــوسين بباريس ، بعد أسبوع واحد ، فى يناير ١٨٩٦ ، شهدت مصر أول عرض سينمائى ، بمقهى « زوانى » بالاسكندرية ، أما أول عرض بالقاهرة ، فكان فى ٢٨ يناير ١٨٩٦ ، بسينما سانتى بالقرب من فندق شبرد القديم بشارع الجمهورية حالياً ، أى « قبل مولـــد توجو مزراحى نفسه بسنوات عديدة » !

● الادعاء بـ « النضال السياسى » ضد « عدو مشترك » !. فى الوقت الذى كان فيه الاحتلال البريطانى ـ حليفاً رئيسياً ـ للصهيونية فى مصر ! .. ومنح لزعمائها تسهيلات هائلة من أجل

دعم نشاطهم ، كما كان للامتيازات الأجنبية الفضل فى فتح مجالات الثراء والنفوذ لزعماء الطائفة .

وهذا الادعاء ، مكشوف الهدف ، وهو اضفاء صفات القومية والوطنية على الحركة الصهيونية ، وهو أيضاً ما سعت اليه الصحف اليهودية فى مصر ، مع جهل المسئولين بالأهداف والنوايا الخبيثة للاتجاهات الصهيونية .. وانتماء بعض الكتاب والصحفيين اليهود لحزب الوفد — حزب الأغلبية آنذاك — كان الهدف منه ، الظهور بمظهر الولاء للوطن الذى يعيشون فيه ، دون الدخول فى خصومة سياسية ، بتأييد مطلق لسياسة القصر ورئيس الحكومة والجميع على السواء ! .. والترحيب والاشادة بكل رئيس حكومة جديد « بعد أن طالت فترة انتظار الأمة الى حكومة ترضى عنها » !!

و « ليون كاسترو » مؤسس المنظمة الصهيونية فى مصر ، لم يكن « مستشاراً لسعد زغلول » وعندما انضم الى وفد المفاوضات ، لم يكن دوره يتعدى دور المترجم من العربية الى الفرنسية والعكس ، فزعيم الأمة عندما رفع شعار الوحدة الوطنية واسقاط عامل الدين فى التفرقة بين أبناء الشعب ، استفاد اليهود كثيراً من هذا الاتجاه ، فبادروا بالانضمام الى حزب الوفد ، كما استفادت الحركة الصهيونية من اكتساب « كاسترو » لثقة سعد زغلول ، ليعطوا انطباعاً بعدم تعارض النشاط الصهيونى مع النضال الوطنى المصرى ، باعتبار أن كليهما موجه ضد بريطانيا . واضفاء المظهر الوطنى على يهود مصر ، ودرء شبه عدم انتماءهم لهذا الوطن ، فى محاولة لكسب تأييد الرأى العام المصرى ، واكتساب صداقة الحكام ، وعدم اغضاب أى هيئة أو حزب ، باتباع سياسة الحياد وعدم

● أما عن الادعاء بأن الحرب العربية ـ الاسرائيلية كانت لها آثار وخيمة على الطائفة اليهودية فى مصر .. وقيام السلطات المصرية بحملات اعتقال وعمليات طرد لليهود ..

فعند نشوب حرب ١٩٤٨ ، التى كشفت القناع عن الوجه القبيح للصهيونية ، عاشت الطائفة اليهودية فى مصر ، فترة عصيبة من القلق والترقب ، تحسباً لحدوث موجة من الانتقام ، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث .. واستمر اليهود فى ممارسة حياتهم اليومية بشكل عادى تماماً ، كما استمر أقطاب العائلات اليهودية فى نشاطهم وعلاقاتهم القوية بالقصر ومراكز النفوذ السياسى والاقتصادى .. واستمر كذلك اقبال الأهالى على متاجر اليهود : سيكوريل ، عدس ، جاتينيو ، بونتريمولى ... وعلى أطبائهم ومحاميهم دون تمييز أو تعصب .

وفى أغسطس ١٩٤٩ ، صدر قرار الحكومة المصرية ، بالغاء شرط الحصول على جواز سفر خاص للخروج من مصر ، وبدأت هجرة بعض اليهود الذين تأثروا بالدعاية الصهيونية . ولم تتخذ حكومة الثورة أية اجراءات جماعية ضد اليهود ، سواء عقب قيامها أو خلال حرب ١٩٥٦ ، سوى اعتقال بعض المشتبه فى خطورتهم على أمن الدولة ، وبعض ممن قاموا بنشاط تخريبى (فضيحة لافون) ولم يمنع اليهود من الهجرة الى اسرائيل ، بتوجيه من وكالة الهجرة اليهودية ، الى كل يهود العالم ـ خاصة العناصر الشابة ـ فى اطار مخطط منظم لم تنتبه له السلطات المصرية والحكومات العربية فى ذلك الوقت .

بعد ذلك لم تعتقل الحكومة أحداً من اليهود ، فقط كانت تكتفى بقرارات ابعاد أو ترحيل للبعض منهم ، أى لم تكن هنـاك « حملات اعتقال واسعة » أو حتى ضيقة ! .. وطبقاً لتصريح د. حاتم وزير الاعلام (الأهرام فى ١٨ ديسمبر ١٩٥٦) ان : عدد اليهود غير المعينى الجنسية نحو ٧ آلاف ، و ٣٥ ألفاً يحملون الجنسية المصرية ، و « طلبت الحكومة الى ٢٨٠ شخصاً منهم مغادرة البلاد » .. أى أن عدد اليهود فى مصر حتى نهاية عام ١٩٥٥ كان نحو ٤٢ ألفاً . وفى ٣٠ يوليو ١٩٦٢ ، أسقطت الجنسية عن ٢٤٨ يهودياً غادروا البلاد ولم يعـودوا ، وقد أنذرتهم وزارة الداخلية بالعودة خلال ثلاثة شهور . فالأمـر لم يتجاوز حالات فردية ولم يصل الى حد « عمليات طرد » !

لقد صورت الدعاية الصهيونية « الهجرات اليهودية التى تم تدبيرها باحكام » بأنها عملية اضطهاد لكل اليهود ، بغض النظر عن تكوينهم الاجتماعى أو الطبقى ، وأنه لا مجال لدفع هذا الاضطهاد أو لتعايش اليهود واندماجهم فى المجتمعات الأخرى ، ماداموا مشتتين ويفتقدون الهوية القومية ، التى لا يمكن أن تتحقق الا بتأسيس وطن أو دولة يهودية . واصبحت محاربة اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها جوهر عمل الحركـة الصهيونية وهدف رئيسى ، وقد أكد « ناحوم جولدمان » رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، على حرص الصهيونية وحذرها من اندماج اليهود فى شعوب العالم ، فى خطاب ألقاه فى ١٦ مارس ١٩٦٣ بقوله :

« انالاندماج هو الخطر الأكبر الذى يهددنا منذ اللحظـة التى خرجنا فيها من الجيتو » !

أخيراً ، كنت أتمنى أن يحدثنا « أميل » و « ليفانا » عن : اليهود المصريين الذين رحلوا الى الدولة اليهودية .. فلم نسمع عن أحد منهم واصل صعوده فى عالم المال والاقتصاد والسياسة والشهرة .. مثلما تحقق لهم فى مصر ، وجعلهم صفوة المجتمع المصرى ! .. لم يكن لأحد منهم شأن فى قيادة المجتمع الاسرائيلى، وفقدوا بريق النفوذ الاقتصادى والسياسى .. وهم الذين وصفهم « حاييم كوهين » فى كتابه عن يهود الشرق الأوسط :

« ان يهود مصر ، كانوا فى منتصف القرن العشرين ، أغنى الطوائف اليهودية فى الشرق الأوسط وأكثرها استقراراً » .

هربوا بأموالهم الى هناك ، وعاشوا بلا قيمة ! .. كأنهم عبيد للسادة من يهود أوربا وأميركا !!

أوهام غزو التاريخ (★) .. !

الفكر الصهيونى : مغرق فى عدائه للتاريخ .. وتزييفه وتسخيره لخدمة الرؤية والأهداف الصهيونية ! ..

وليس أدل على ذلك من المحاولات اليائسة لزعماء دولة الارهاب ومؤرخيها ، لمحو الشعب الفلسطينى بكامله من القراءة الصهيونية للتاريخ !!

وليصبح الفلسطينيون من « الجوييم » .. ويهود الشتات « أرقى الشعوب » فى التاريخ قديماً وحديثاً . وفلسطين العربية هى « أرض الميعاد » .. و « أرض الحليب والعسل » و .. الوطن الأسمى !!

وعقد معاهدة سلام بين الكيان الصهيونى والحكومة المصرية ، أوحى لكثير من الباحثين والمؤرخين الاسرائيليين ؛ بالبحث والاستقصاء — بأساليب ملتوية — لاختلاق علاقات وهمية بين المصريين وما يسمى بـ « يهود اسرائيل » عبر العصور المختلفة !

ولنستعرض معاً ، ونتأمل ، كيف يكتب التاريخ من وجهة نظر اسرائيلية .. !!

---

(١) مجلة القاهرة — مارس — ١٩٩٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ففى دراسة للبروفيسور « شيمون شامير » (١) السفير الاسرائيلى الأسبق بالقاهرة ، نشرت بمجلة المركز الأكاديمى الاسرائيلى ـ ١٩٩٢ ، بعنوان : « العلاقات بين المجتمع المصرى واليشوف اليهودى فى فلسطين قبل ١٩٤٨ » (٢) . قال فيها :

« .. لقد أثار تطور العلاقات بين المجتمع المصري والمجتمع الاسرائيلى ، التى كان لى شرف متابعتها عن كثب ، فى خطواتها الأولى ، آثار لدى حب الاستطلاع حول السؤال ، هل كانت هناك خلال هذا القرن الذى نعيشه ، روابط من التعاون بين المجتمعين ، قبل بدء النزاع المسلح بينهما عام ١٩٤٨ ؟ وان كان الرد ايجابياً فما هو مداها ومميزاتها ؟! » .

ولهذه الغاية ـ النبيلة ـ قصد شامير أرشيف عدة مراكز علمية ، ودور وأقسام الوثائق فى المؤسسات السياسية ، والجامعة العبرية ، وجمعيات رياضية وشركات ومؤسسات ثقافية وفنية ، وبعد رحلة بحث مضنية ، وجد اجابة سؤاله !

واتضح له « .. كانت هناك بالفعل ، علاقات متشعبة ومتعددة الضروب والأشكال وبصورة لم تخطر لى على بال » !

وقال بأن « جميع زعماء المجتمع اليهودى فى فلسطين » خلال فترة الانتداب البريطانى ، قد قاموا بزيارات لمصر .. « اذ كانت مصر بالنسبة لهذا المجتمع ، الذى نطلق عليه اليشوف : المركز الرئيسى للمنطقة ، ونقطة انطلاق نحو آفاق الدنيا الواسعة » !

واشار الى مرور زعماء اليشوف عبر مصر ، فى طريقهم الى دول الغرب ، وفى طريق عودتهم منها ، وجولاتهم بمصر ،

و .. « كانت بالطبع الزيارات الخاصة لمصر ، ذات أهمية أكثر ، والغاية منها مقابلـة زعمـاء الطائفـة اليهـودية فى القاهـرة والاسكندرية ، ومقابلـة سيـاسيين مصريين وممثلى السلطـات البريطانية » !

ويضيف : « .. كذلك وفد زعماء مصريون الى — الديـار المقدسة — لزيارتها ، وقابلوا أبناء المجتمع اليهودى ، وبامكاننـا أن نشير — على سبيل المثال — الى السيدين مصطفى النحاس وسيد مرعى » !!

وفى اشارة واضحة — لا تخلو من مأرب خبيث — يؤكد شامير على وجود « اتصالات سرية » بين زعماء اليهـود والسياسيين المصريين ، فيقول :

« .. ومن الناحية التاريخية ، فقد تمت الاتصالات السياسية — السرية — بين ممثلى اليبشوف وسياسيين مصريين ، وكـانت على جانب كبير من الأهمية ، استهدفت ايجاد حلول وسط للنزاع بين اليهود والفلسطينيين ، من شأنها الحيلولة دون الوقـوع أو نشوب المواجهة المسلحة بينهما » !

وحول هذا الموضوع ، يشير الى وجود مستندات ووثائـق بدور الحفظ بالقدس ولندن ، ومن بين السياسيين المصريين الذين شاركوا فى هذه الاتصالات ، طبقاً لمزاعمه : رئيسان للوزراء همـا اسماعيل صدقى وعلى ماهر ، والوزير محمد على علوبة ، ورئيس مجلس الشيوخ محمد حسين هيكل ، والأمين العـام للجـامعة العربية ، عبد الرحمن عزام !!

وقد تمت المباحثات بين الجانبين ، فى مختلف امكانات الحل كالتقسيم او الاتحاد الكونفدرالى ! .

ويقول انه — بامكانه — أن يعرب عن اسفه « على أن هذه المحادثات لم تؤد الى نتائج عملية ملموسة ، وعلى أن هـؤلاء السياسيين لم يتمكنوا من منع الأحداث التراجيدية التى حدثت فيما بعد فى الأراضى المقدسة » !!

ويؤكد شامير على أن السنوات التى كانت فيها العلاقات بين « الشعبين » اكثر متانة ووثوقاً ، هى سنوات ما بين الحربين العالميتين !

ففى الحرب العالمية الأولى ، قامت السلطات العثمانية بطرد نحو أحد عشر ألف « مواطن » .. كانت مصر لهم ملجأ ، وحظوا بمساعدة يهود القاهرة والاسكندرية والسلطات المصرية ، اما فى الحرب الثانية ، فقد ازداد زوار مصر ، و « .. نمت حركة نشيطة بين البلدين » ! وكذلك « تزايد النشاط التجارى بين البلدين » ! .. وذلك لأن ظروف الحرب قد فرضت فى مصر ، ازدياد الطلب كثيراً على مختلف السلع الاستهلاكية التى كان « .. فى مقدور الصناعة والزراعة لدى الييشوف تجهيزها بها »!!

بعد الحرب العالمية الأولى ، تأسست الجامعة العبرية بالقدس ، وبالرغم من أن التعاون بينها وبين جامعة فؤاد الأول (القاهرة) لم يكن آنذاك رسمياً ودائماً ، الا ان علاقات مختلفة كانت تربط بينهما :

« .. ففى حفل افتتاح الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٢٥ ، شارك من مصر : احمد لطفى السيد ، رئيس جامعة القاهرة ،

والذى أصبح بعد ثلاثة أعوام من هذا التاريخ ، وزيراً للمعـــارف المصرية » !

ثم تحدث عن استضافة الجامعة العبرية لشخصيات مصرية بارزة ، ففى عام ١٩٤٣ ، استضاف البروفيسور « ماجنس » رئيس الجامعة العبرية ، عدداً من الأدباء المصريين ، كان عـــلى راسهم : طه حسين وحسين فوزى !

ويشير شامير الى زيارات الباحثين بالجامعة العبرية ، الى مصر ، الذين تخصصوا فى دراسة : الحضارتين الفرعونيـــة ، والاسلامية ، والعصر الهيلينى ، واللغات الشرقية وآدابها ، وانهم شاركوا بالكتابة فى المجلات المصرية ، كما كانوا يتلقون دعـــوات للاشتراك فى مؤتمرات وجمعيات علمية مصرية ، منهم على سبيل المثال « ابراهام برافر » عميد الجغرافيين الاسرائيليين ، الذى تلقى عدة دعوات فى العشرينيات والثلاثينيات ، مـــن الجمعيـــة الجغرافية المصرية ، والذى « .. استضاف فى بيته عديداً من علماء الجغرافية المصريين » !

واذا كان شامير قد حاول أن يذكرنا بـ « الكرم اليهودى » الشائع والمألوف !! .. الا أنه تناسى أن الجمعيـــة الجغرافيـــة المصرية فى تلك الفترة ، كان يراسها اليهودى « فوكار » وسكرتيرها العام « أدولف قطاوى » أحد أقطاب عائلة قطـــاوى اليهوديـــة الشهيرة !

ويشير أيضاً الى « يسرائيل ولفنســـون » أستاذ اللغـــات السامية بكلية دار العلوم بالقاهرة ، ودوره الخاص فى « تطويـــر هذه العلاقات » ومبادرته الى تنظيم الاحتفالات بذكرى مرور ٨٠٠ عام على مولد « ابن ميمون » فى أوائل عام ١٩٣٥ ، ومراسلاتـــه

بهذا الشأن مع شيخ الأزهر ووزير المعارف اللذين « أبديا اهتماماً جماً بهذا النشاط الثقافى .. والتعــاون الحضــارى فى مصر بين اليهود والمسلمين » !

وكان بين أعضاء اللجنة التنظيمية للاحتفالات : الأمير عمر طوسون وحسين صبرى باشا .

ثم تحدث عن العلاقات الرياضية بين « الشعب العبرى » والشعب المصرى ، والدور المهم الذى لعبته بهذا الصدد ، منظمة الرياضة اليهودية العالمية « مكابى » .. مختتماً هذه الدراســة بتعليق احدى صحف تل أبيب ، على المباريــات التى أجــريت بين « منتخبى البلدين » عام ١٩٣٨ :

« فلتنتقل هذه الروح الودية القائمة فى حقول الرياضة ، الى حقول الحياة أيضاً ، لما فى ذلك سعادة وفرحة للشعبين الشقيقين، ولفرحة كل من يطمح للســلام ، ولاكتمال الأخــوة والزمالة بين الشعوب » !

وفى هذا الاتجاه أيضاً ، نجتزىء بعضاً مما ورد فى محاضرة بعنوان : « الجوانب الاقتصادية للعلاقات بين يهود مصر ويهــود أرض اسرائيل (٣) » القاها افراهام دافيد أستاذ التاريخ اليهودى ، بالجامعة العبرية بالقدس ، قال :

« .. لقد كان البلدان واقعين — لفترة طويلة — تحت حكم سياسى واحد ، وفى عصر حكم المماليــك ، ازداد ارتبــاط أرض اسرائيل بمصر سياسياً واقتصادياً ، نتيجة لوجود الحكم المركزى فيها » ..

« .. ويستطيع كل من يطلع على المجموعة الكبيرة من الرسائل الخاصة والعامة ، التى تبودلت بين يهود مصر ويهود — أرض اسرائيل — فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، معرفة مدى العلاقة التى كانت قائمة بين البلدين » .. !!

و .. « يتضح من المصادر اليهودية المختلفة ، التى عثر عليها فى وثائق الجنيزة ، أن علاقات تجارية واسعة كانت تربط بين البلدين » !

وفى احدى مطبوعات السفارة الاسرائيلية بالقاهرة ، الصادرة عن مكتب المستشار الاعلامى ، بعنوان « اسرائيل القديمة المتجددة » ! .. تتوالى الأكاذيب المفضوحة .. ونقرأ :

« ... وهناك على سطح هذه المعمورة ، أبناء شعبين فقط أحياء يرزقون ، بامكانهم مخاطبة بعضهم بعضا قائلين : ان علاقاتنا الحضارية والثقافية التجارية وغيرها ، يرجع تاريخها الى أربعة آلاف عام ، هذان الشعبان هما : الشعب المصرى والشعب الاسرائيلى . هذه هى الأبعاد التى تقف من وراء العلاقات المتجددة ، بما فيها من علاقات اقتصادية وتجارية وتبادل تكنولوجيا العصر ، والتى بدأت هى أيضاً مع ابرام معاهدة السلام » !!

وفى احدى نشرات مركز الاعلام الاسرائيلى بالقدس (٤) ، بعنوان : « اسرائيل اليوم » .. تبدأ بالتعريف بدولة اسرائيل — الشرق الأوسطية — وموقعها ، ومساحتها الأقل « من مساحة محافظة الاسكندرية » ! .. ونشأة — الشعب الاسرائيلى — فى هذه الرقعة قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ! و .. « الذكريات التاريخية المشتركة بين الدولتين المتجاورتين » !!

ويمضى صناع هذه المطبوعة فى ترهاتهم ، وحديثهم عن التفاعل العربى الاسرائيلى « .. هو بمثابة تفاعل مقومات عربية شرقية اصيلة مع محيط اسرائيلى معاصر حضارياً وفنياً وعلمياً ، حصيلة هذا التفاعل قد تشكل همزة وصل ، وجسراً للتفاهم ، وتوثيق عرى السلام بين الدول العربية واسرائيل » !

و .. « هكذا يمكننا القول — بفخر واعتزاز — أن شعبى اسرائيل ومصر يمكنهما مخاطبة بعضهما بعضاً ، ليؤكدا أنهما الشعبان الوحيدان فى العالم ، اللذان كانت تربطهما علاقات تاريخية وحضارية وانسانية منذ آلاف السنين » !!

وتستمر القرصنة التاريخية لحساب الأيديولوجية العنصرية الصهيونية ، فى عبارات مسمومة ودعاوى زائفة ، لافتعال تاريخ لما يسمى بـ « الشعب الاسرائيلى » واصطناع حضارة اسرائيلية — فأحلام الصهاينة المدمرة التوسعية الاجرامية .. تتلازم مع أحلامهم فى غزو التاريخ .. !!

الهـــوامش

(١) البروفيسور « شيمون شامير » ٠

كان ثالث سفير لاسرائيل فى القـاهرة (١٩٨٨ ـ ١٩٩٠) وهو مؤسس المركز الأكاديمى الاسرائيلى وأول مدير له (١٩٨٢ ـ ١٩٨٤) ٠٠ ولد فى رومانيا فى ١٥ ديسمبر ١٩٢٣ ، وهاجر مع أسرته الى فلسطين ١٩٤٠ ، درس الاستشراق بالجامعة العبرية بالقدس ، ونال درجة الدكتوراه من جامعة برينستون الأمريكية ، شغل منصب أستاذ التاريخ الحديث للشرق الأوسط ورئيسا لقسم « كابلان » لتاريخ مصر واسرائيل بجامعة تل أبيب ٠٠

أهم مؤلفاته : « التاريخ المعاصر للعرب فى الشرق الأوسط ، ١٩٦٥ بالعبرية ؛ و « مصر تحت حكم الســادات » ١٩٧٨ بالعبرية ، و « الرؤية الذاتية من خلال البعد التاريخى فى مصر واسرائيل » ١٩٨١ بالانجليزية ، و « اليهود فى مصر : مجتمع شرق ـ أوسطى فى العصر الحديث » بالانجليزية ، ١٩٨٧ ، وله العـديد من الأبحاث والدراسات التى تناولت تاريخ مصر المعاصر ، والطوائف اليهودية ، والتيارات الفكرية التى سادت عصر الدولة العثمانية ، وابحاثا ميدانية عن المجتمع الفلسطينى ، ويشغل حاليا مدير معهد دراسات السلام بجامعة تل أبيب ٠

(٢) Sh. Shamir : « Relations between Egyptian Society and the Jewish Yishuv of Palestine before 1948 » B.I.A.C.C. no 16, May 1992, pp. 5-9.

(٣) A. David : « New Sources in the History of the Jews of Egypt and Their Ties with the Land of israel » B.I.A.C.C. no 13, July 1990, pp. 10-15.

(٤) تعتمد السياسة الاعلامية الاسرائيليـة ـ الخاضـعة لاشراف وزارة الخارجية ـ على عدة محاور أساسية : أ ـ تعزيز مكانة اسرائيل فى المجتمع العالمى وخلق المناخ الضامن لاستمرارها ٠ ب ـ ضمـان أمن اسرائيـل ٠

جـ ـ التذكير المتواصل بأن اسرائيل هى تحقيق لنبوءة دينية · د ـ التذكير المتواصل بالكارثة النازية واضطهاد اليهود عبر التاريخ · هـ ـ التأكيد على التطور الحضارى والمعجزات التى حققتهـا اسرائيـل فى أرض الميعـــاد · و ـ تحريف كل الحقائق التاريخية واعادة صياغتهـا لتنـاسب التوجهـات الصهيونية · ويمكننا استخلاص هذه المحاور بوضوح ، فى مطبوعات « مركز الاعلام الاسرائيلى ، بالقدس » ، وأهم اصداراته : نشرة « اسرائيل اليوم » بالعربية والانجليزية ، وسلسة « حقائق عن اسرائيل » !

مصطلحات يهودية

أب بيت دين : رئيس محكمة شرعية يهودية .

اشكنازيم : كلمة « اشكناز » فى الأصل : اسم لأحد أحفاد نوح ، وقد أطلقت على الشعوب التى ورد ذكرها فى سفر التكوين « ١٠ — ٣ » وفى مصادر القرون الوسطى ، كانت تطلق على المانيا ؛ ثم أطلقت كلمة أشكنازيم على اليهود الألمان بشكل خاص ، ثم على يهود أوربا الغربية بشكل أعم ويتميز الأشكنازيون عن السفرديين بمحافظتهم على لغتهم « اليديش » التى تطورت عن الألمانية ودخلتها كلمات عبرية . كما يتميز أشكنازيو أوربا الشرقية عن أشكنازيى أوربا الغربية ، بتمسكهم الحرفى بنصوص التوراة والتزمت فى الطقوس الدينية وفى نمط الحياة . ويعتبر الأشكنازيم المؤسسين للحركة الصهيونية،وحتى أوائل الخمسينيات كانوا يشكلون الغالبية العظمى من اليهود فى فلسطين، ويشغلوا الآن المراكز السياسية والاقتصادية والادارية فى الكيان الصهيونى ، وقد حافظوا على أسلوب معيشتهم الأوربى ، ومازلوا ينظرون باستعلاء الى السفرديم ، وبقى لهم حاخام أكبر مستقل وعدد آخر من الحاخامات للشئون الدينية .

الـــــوف : لقب رئيس الطائفة فى العصور الوسطى ، كما كــان يطلق على القضاة الشرعيين لليهود فى مصر والعراق .

باروخيت : ستار من القطيفة أو من الحرير ، مطــرز بفخامـــة بخيوط فضية أو ذهبية ، يوضع على التابوت المحتوى لأسفار التوراة ، وتحمل هذه القطعة عادة اسم صاحب الهبة ، تخليدا لذكراه .

بصـــح : الفصح اليهودى .

بـــلانة : خادمة الحمام ، وهى التى تتولى القيام بطقوس الحمام الدينى .

بنى بريث : تنظيم ماسونى يهودى ، أسسه الصـــهيونى هنـــرى جونس عام ١٨٤٣ فى نيويورك ، وأول رئيس له هو ديتنهوفر ، وتعنى « أبناء العهد » وهى أكبر وأقـــدم التنظيمات الصهيونية ، وكان أهدافه توحيد اليهـــود ونشر التراث اليهودى وتحقيق فكرة « أرض اسرائيل » وتقديم كل العون ليهود الشتات والدفاع عن حقوقهم ، وقد وضع هذا التنظيم نفسه فى خدمـــة الحركـــــة الصهيونية ثم السياسة الاسرائيلية ، ويعقد مؤتمـــر العام كل ثلاث سنوات .. وقد أسس هذا التنظيـــم محفل القاهرة الأول « ابن ميمون » بأغلبية مصريـــة عام ١٩١١ ، وكانت الندوات والمحاضرات تعقد بلغـــة البيدش .

بـــوريم : عيد الفوز ، وهو من الأعياد المستحدثة والتى اختص بها يهود مصر ، فكان يقال « بوريم القاهرة » ويبدأ بما

يسمى « صوم استير » فى اليوم الثالث عشر من شهر مارس (آذار) .

بيت دين : محكمة شرعية يهودية تفصل فى القانون المدنى والأحوال الشخصية .

بيراشـــة : الجزء من أسفار موسى الخمس ، يقرأ بالمعبد فى صباح السبت من كل أسبوع .

تتراجرام : يرمز لها بالحروف الأربعة : (I.H.V.H.) وهى بالعبرية يود — هى — فاف — هى ، غير منغمة ، وتشير الى كل ما يتعلق بالذات الالهية فى التراتيل .

تلمـــود : شروح حاخامية مقننة للتوراة ، وتلمود تعنى فى العبرية تعليم ، ويتضمن مجموعة القوانين والأحكام والوصايا الدينية والسياسية ، مع التفسـيرات التى كــــان يتداولها الحاخامات وأتباعهم فى بادىء الأمر ، حـــتى أطلق عليه « التوراة الشفهية » وبعد أن اتسع نطاق هذه التفسيرات بالاضافات المتلاحقة لها ، بات متعذراً الاعتماد على « المشافهة » فقام مجموعة من الأحبار بتدوينها ، لتصبح « دستورا » ينظم للجماعات اليهودية حياتها بعيداً عن أى مؤثرات خارجيـــة . والتلمـــود اثنان : ١ — التلمود الأورشليمى ، نسبة الى بيت المقدس . ٢ — التلمود البابلى ، نسبة الى مدينة بابل وهو الأكثر انتشاراً بين اليهود ويتكون التلمود مـــن ستة أقسام ، تحتوى على ٦٣ مبحثاً ، تقع فى ٥٢٤

فصلا وقد قسم التلمود الى قسمين : الأول مجموعة قوانين المشنا والجمارا ، والثانى الاجادة « الأخيار » وهى مجموعة أمثال وقصص واساطير . ويمثل التلمود تراثاً يهودياً دينيا ، وكان له التأثير الأقوى فى بروز ظاهرة « التعصب القومى » لدى اليهود الذين يفضلون قراءته والايمان به عن التوراة . ويتضمن التلمود كما هائلا من المغالطات والافتراءات ، بالتركيز على أن اليهود هم « شعب الله المختار » وأن روح اليهود هى جزء من روح الله ! وأن الجنة لن يدخلها غير اليهود ! والنار مثوى لكل من عداهم من المسلمين والمسيحيين ، والتلمود يتضمن طعناً صريحاً فى المسيح والمسيحية وفى السيدة العذراء ! ونعتهم جميعا بالكفر وأحط الصفات ثم تنبهوا لخطورة مثل هذه العبارات — لأغراض سياسية ، فقاموا بحذفها وترك مكانها فراغا ، واتفق على تلقينها مشافهة لتلاميذ المدارس الدينية ! ويزعم التمود أن الله لا عمل له فى الليل سوى « قراءة التلمود مع الملائكة » !! والاعلان عن شدة ندمه ، عندما « تغاضى » عن هدم هيكل القدس !!

توبشبا : اليوم الخامس عشر من شهر شباط « فبراير » : اليوم الأول من بداية سنة الأشجار وتشمل طقوس الوليمة : ٢٦ صنفا من الفواكه الجافة أو الطازجة .

توراة : كتاب اليهود المقدس ، ويتضمن تاريخهم وشرائعهم وعقائدهم ، وكلمة التوراة تعنى فى العبرية : الارشاد أو الهداية . وتتألف من خمسة أسفار : ١ — سفر

التكوين : ويشمل ٥٠ فصلا وكل فصل يسمى « اصحاح » وكل اصحاح مقسم الى آيات ، ويتضمن قصة بدء الخلق وتاريخ سيدنا آدم ، ونوح والطوفان ، حتى مجيء النبى يعقوب الى مصر . ٢ — سفر الخروج : ويشمل ٤٠ اصحاح تحكى قصة خروج بنى اسرائيل من مصر ونزول الوصايا العشر على النبى موسى ، وتمرد الشعب اليهودى عليه . ٣ — سفر اللاويين : ويشمل ٢٧ اصحاح ، ويسمى أيضاً فى الأحبار ، ويتضمن الطقوس والواجبات الدينية . ٤ — سفر العدد : ويشمل ٣٦ اصحاح ، ويتضمن الاحصاءات الشرعية التى كان يقوم بها الحاخامات تأهبأ للحروب . ٥ — سفر التثنية : وهو سرد للاحكام الدينية ، التى تعلق بالكيان السياسى والاجتماعى والقضائى لليهود وتشير المصادر الى أن اقدم قراءة للتوراة كانت عام ٤٤٤ ق.م عندما دعا النبى عزرا ، الجماعات اليهودية الى سماع بعض منها ، وبعد الانتهاء . أقسم المجتمعون على اطاعة ما جاء فيها . . وتذكر أن موسى بعد تلقيه أوامر الرب على جبل سيناء، كتب هذه الأوامر وسلمها الى « اللاويين » لحفظها فى تابوت العهد فى « شيلوه » وأمر بقراءتها أمام كل بنى اسرائيل بعد سبع سنوات فى عيد « المظال » وقام يشوع — خليفته — بتفيذ هذه الوصية ، ثم فقدت هذه الأسفار خلال حربهم من الفلسطينيين ، وبعد تدمير بيت المقدس بسبعين عاماً ، خرج المدعو عزرا زاعماً عثوره على تلك الأسفار ! ولما كان عدد من روايات الأسفار قد انتقل مشافهة ، فان معظم المؤرخين

يرجحون تعرضها ، خلال جيل أو أكثر ، لما تتعرض له عادة ، الأقوال المنقولة شفاهة ، فنشأ كثير من التناقض والشك فى صحة كثير من الآيات والكثير من الاضافات مما يؤكد أن التوراة المعاصرة ، ليست هى التوراة الأصلية .

تيفلين : هو نوع من التمائم ، عبارة عن سيور من الجلد ، بداخلها آيات من التوراة ، تعلق على الجبهة ، مفصد الكوع الأيسر ، ويطلق عليه يهود أوربا : « بارمتزفا — Barmitzva » وهذا الطقس الدينى يحتفل به فى المعبد ، لمن بلغ سن الثالثة عشرة من الذكور ، حيث يبدأ فى تلقى أسرار التعاليم اليهودية وكان هذا الاحتفال فى مصر ، يعقد فى يومى الاثنين والخميس .

تيكون حاسوت : احتفال خاص بالقباليين أو المخلصين — فى الشرق — والهدف منه : « ارضاء الذات الالهية التى أضيرت بعملية الخلق » ! فكان المؤمنون يستيقظون فى الفجر ، ويتلاقون بالمعبد ، ثم يجلسون الى الأرض ، ذاكرين حزن « الوالدتين راشيل وليئا » المحزونتين بسبب الاضطهاد الذى عانته ذريتهما !

سفرحاتان : سفر فى البيراشة ، يقراه فى المعبد المتزوج حديثاً ، فى أول يوم سبت بعد زواجه .

حاخام : وتعنى حكيم ، والحاخام الأكبر هو الرئيس الدينى للطائفة ، ويتمتع بسلطات غير محدودة ، وهو ممثل الطائفة أمام النظام الحاكم .

حارة اليهود : الحى اليهودى الشهير بالقاهرة ، وكان يمثل أكبر تجمع يهودى فى مصر - حتى بداية الخمسينيات - ومنه خرجت أشهر العائلات اليهودية المصرية وكان به الكثير من المعابد والمدارس والجمعيات الهيودية ولم يتبق منها سوى ثلاث معابد - أعيد ترميمها - ويتميز هذا المجتمع بقربه من متاجر حى الموسكى ووسط القاهرة ، ومازالت شوارع الحى تحمل نفس الاسماء ، منها : شارع كنيسة القرائين ، شارع قطاوى ، شارع الصقالبة ، حارة قاعة الفضة ، حوش الصوف ، شارع سوق الفراخ ، حارة زمردة ... كما كان بمدينة الاسكندرية ، حارة لليهود بسوق السمك القديم ، فى وسطها معبد زراديل .

حاليصاة : وتعنى الخلاص برفض الرجل زواج امرأة أخيه المتوفى، وفى هذه الحال ، ترمى المرأة بالنعل أو الحذاء فى وجه الأخ وتبصق عليه ، اعلاناً برفضه الزواج منها !

حبرة : غطاء نسائى للرأس ، كان شائعا بمصر حتى الثلاثينيات من هذا القرن ، وكان من الأصل خاصاً باليهود وأقباط مصر .

حدير : ترادف معنى كلمة « كتاب » وهو نوع من التعليم الابتدائى ، يشرف عليه معلمون عينهم مجلس الطائفة، ويتركز على تعليم الكتابة والقراءة والحساب ، ومعرفة قواعد الصلاة فى الكنس ، وبعض تعاليم التلمود ، وكان الأثرياء يتكفلون بمصروفات الأيتام وأبناء الفقراء .

حـــزان : الكاهن الذى يؤم الصلوات بالمعبد والاشراف عـــلى حفل القداس ، كما يقوم بالوعظ والخطابة ، ويشترط فيه الالمام بأحكام التلمود .

حـــــلة : قطعة من خبز يابس ، اثنتا عشر قطعة من الخبز تعد على المائدة ، فى مساء يوم الجمعة ، ثمانية لصباح يوم السبت ، وأربعة لبعد الظهر منه .

جـــاؤن : رئيس المعهد الدينى ، ومرسوم تعيينه فى هذا المنصب يؤكد حقوقاً تأصلت فى تقاليد الطائفة اليهودية ، اذ يتمتع بالسلطة الدينية العليا ، وحق تفسير التوراة فى الخطبة الدينية . والاشراف على الســـلوك الـــدينى والأخلاقى لليهود ، وشئون الزواج والطلاق ، وتعيين أو اقالة الخطباء والحزانين والجزارين الشرعـــيين ، وحق فرض الحرمان « حيرم » ومراقبة أعمال المحاكم الشرعية وتحديد صلاحيات القضاة الشرعيين ، وكانت قراراته فى الأمور الدينية والادارية نافذة لا رجعـــة فيها .

جبـــاى : مدير المعبد .

جمـــارا : مجموعة تفاسير وتعليقات تبسط قواعد المشنـــا ، ومطابقتها على حالات واقعية أو افتراضية لم يعالجها الحاخامات ومصحوبة بأمثلة وقصص وأخبار .

جنيـــز ة : طبقا للتقاليد اليهودية ، تطلق هذه الكلمـــة عـــلى مستودع الأوراق المالية البالية من الكتابات اليهودية

المقدسة التى لا يجوز ابادتها ، ولما يفترض من وجود اسم الله فى ثناياها ، وقد جرت العادة على تخزين هذه الأوراق فى مكان مخصص بالكنيس — بصفة مؤقتة — ومن وقت لآخر ، يتم تفريغ « غرفة الجنيزة » وتنقل محتويات المقبرة ، حيث تدفن نهائياً ، وبفضل هـذا التقليد اليهودى أمكن الاحتفاظ بكنز هائـل من هـذه المخطوطات « بمعبد ابن عزرا » منذ العصور الوسطى حتى اكتشافها فى التاسـع عشر ، وتنقسـم هـذه المخطوطات الى نوعين مصادر وثائقية ومصادر أدبية .

داروش : مجموعة شروح تفسيرية للتوراة .

درور : منظمة صهيونية عمالية ، أساسها «الطاعة الرهبانية!» وكان لها نشاط بمصر الى ان انجلت فى مارس ١٩٥٣، حيث أصدر موجهوها — أبرزهم هنرى كوريل توصية الى أعضائها بالانضمام — حسب اختيارهم الى الحزب الشيوعى الفرنسى (Parti Communiste Francais أو الحزب الشيوعى الاسرائيلى Maki « حدتو «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى المصرى .

ديـان : بمعنى : قاض ، وهى اختصار لكلمة « أب بيت دين » ويساعده فى مهمته اثنان من الشيوخ للتوقيـع على الأحكام ، ويتولى النظر فى الأحكام القضائية وعقـود الزواج والطلاق ، وتعيين الحزانين والاشراف على الخدمات الاجتماعية ، ولابد أن يكون عـالما بأحكـام التلمود وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميـلادى : كان رئيس معهد أورشليم هو الـذى يعين قضـاة الطائفة بمصر وبتصديق من الحكومة الفاطمية .

ديروشيم : دروس دينية مطبوعة توزع بالمعابد ، بعد الظهر من أيام السبت .

ديسيزويونير : حاخام عالم بالأحكام التلمودية ، ويتمتع بثقافة رفيعة ، وله اجتهاداته الخاصة فى الشروح ، فتصبح فتاواه فى مختلف الأمور الدينية والاجتماعية لها قوة القانون .

راب : يحمل هذا اللقب كبار رجال الدين اليهودى ، وبفضل سعة علمهم ، يصدرون الاحكام الدينية والاجابة عن الاسئلة الموجهة اليهم ، وهؤلاء فى المجتمع اليهودى يماثل دورهم : وظيفة المستشار القضائى فى الامبراطورية الرومانية ، والمفتى فى دول الاسلام . ويمكن اعتبار من يحملون لقب « راب » .. هيئة أو سلطة قضائية خارجة عن نطاق القضاء المنظم .

الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية : منظمة مصرية شبه علنية معادية للصهيونية ، اقتصرت عضويتها على اليهود الشيوعيين فى مصر . ومع تنامى الخطر الصهيونى فى الأربعينيات ، نضجت فى مصر فكرة تكوين تنظيم يؤكد الاختلاف بين اليهودية كدين ، والصهيونية كحركة سياسية موالية للاستعمار ومعادية للحركة الوطنية المصرية ، وتأسس هذا التنظيم فى صيف عام ١٩٤٦ ، واستمر نشاطه أقل من عامين . وكان مؤسسو هذه الرابطة من يهود منظمة « ايسكرا » الماركسية المصرية السرية ، وضمت اللجنة التأسيسية : عزرا هرارى ، مارسيل اسرائيل ، ادوارد متالون ، هانزين كاسفلت ،

وادوارد ليفى . وقد وجه سكرتير الرابطة عزرا هرارى بياناً نشر فى جريدة « صوت الأمة » الوفدية فى ٦ أكتوبر ١٩٤٦ ، جاء فيه : « انها ترمى الى محاربة العنصرية ومكافحة الاستعمار وربيبته الصهيونية » .

وأدانت الرابطة سياسة الهجرة الى فلسطين ، وأشارت فى بياناتها الى اعتبار الصهيونية « أخطر حركة ظهرت فى تاريخ اليهود وعقبة فى طريق حل المشكلة اليهودية » ! وأعلنت فى بيان صدر فى يونيو عام ١٩٤٧ عن أهم أهدافها وهو : الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التى تتعارض مع مصالح كل من اليهود والعرب ، ونددت بالارهاب الصهيونى فى فلسطين ، وواصلت حملاتها ضد ما أسمته : « أوكار الصهيونية فى مصر » كما كشفت الرابطة فى صراعها مع اليهود الصهاينة ، عن استخدام المدارس والأندية اليهودية فى النشاط الصهيونى ، وحفلات جمع الأموال للمساعدة فى تهريب اليهود الى فلسطين . فى منتصف يونيو عام ١٩٤٧ ، أبلغت وزارة الشئون الاجتماعية — سكرتير الرابطة — عدم الموافقة على تكوين الرابطة لأسباب « تتعلق بالأمن » ! وفى منتصف مارس عام ١٩٤٨ ، ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على أعضاء اللجنة التأسيسية للرابطة — الذين أدوا دوراً فى مكافحة الصهيونية — وأمرت بترحيل معظمهم الى خارج البلاد !!

ربانيت ، ربانيون : أكبر طائفة يهودية عدداً وانتشار؛ ، فى التاريخ القديم والحديث ، واسم الطائفة مشتق من كلمة

« رابى » بمعنى حبر ، فيطلق عليهم أيضا «الحاخاميون» و « الربيون » وهم يؤمنون بأسفار موسى والتلمود وشروحه وكانت الحكومة المصرية تتخير — رئيس الطائفة — من الربانيين ، ليكون ممثلا رسمياً عن الطوائف اليهودية فى مصر .

روش هاشناه : عيد رأس السنة العبرية « سبتمبر الى اكتوبر » ويحتفل به أيضاً تخليداً لذكرى خروج بنى اسرائيل من مصر ، وخلاصهم من عبودية وعذاب فرعون ، وهناك بعض الخلاف فى مظاهر الاحتفال بهذا العيد ، بين كل من القرائين والربانيين .

روش هقهال : لقب فى العبرية القديمة ، ويعنى : رئيس الجماعة و « روش هقهيلوت » رئيس الجماعات ، وينطوى هذا اللقب على أزدواجية فى الدلالة ، حيث يرى « اشترو » أن : روش هقهال كان رئيساً على الحاخامات أما « جويتين » فيذهب الى أن هذا اللقب، قد استبدل باللقب القديم « روش هاكنيست » أى رئيس الكنيس ، وهو لقب فخرى لا ينطوى على أية مسئولية ادارية .

روش هوديش : اليوم الأول من الشهر العبرى ويعتبر — نصف عطلة — وكان الأتقياء من يهود مصر يصومونه بدءا من مغرب اليوم السابق له .

روش يشيفا : رئيس مدرسة تلمودية .

زوهـــار : كتاب « الاشراق » فى التصوف اليهودى ، ينسب الـــى الحاخام شيمون بار يوحاى ، وقد شكل التصـــوف الاسلامى — فى العصور الوسطى — تأثيراً قـــوياً فى الحياة الفكرية لليهود . وقد اعتبرها البعض نوع من محاولات التكيف لدى يهود مصر ، وبازدهار الطـــرق الصوفية برعاية السلاطين ، تشكلت حلقات صوفيـــة يهودية فى القاهرة والاسكندرية ، ضمت عدداً مـــــن الحاخامات والاطباء والقضاة .. على رأسهم «ابراهام ابن ميمون » فى العصر الأيوبى ، والذى اتهم بمحاولته ادخال « البدع » الى الديانة اليهودية ! وقد أصـــدر كتاباً باللغة العربية فى التصوف اليهودى أسمـــــاه « كفاية العابدين » .

سامريون : طائفة يهودية اشتق اسمها من السامرة — عاصمـــة مملكة اسرائيل القديمة — الى الشمال من نابلس ، وهناك هوة عميقة من الخـــلافات الدينيـــة تفصـــل السامريين « شمرونيم » عن بقية الطوائف اليهودية ، وهم لا يؤمنون الا بأسفار موسى الخمسة وقد يضاف اليها سفر يوشع بن نون ، ولا يعترفون بالأنبيــــاء ولا بالكتب السماوية الأخرى بل ويعتبرونها من صنع البشر ! ويحرم القانون اليهودى الاختلاط بالسامريين والزواج بهم ، ولا يعترف هؤلاء بقدسية جبل صهيون وانما جبلهم المقدس هو « جبل جرزيم » أو الطور ، حيث اقام أجدادهم هيكلهم الخاص ، ويقولون بأنهـــم والزواج بهم ، ولا يعترف هؤلاء بقدسية جبل صهيون، ينحدرون من قبيلتى : منشة وافرايم ، وعددهم الآن نحو خمسمائة يقطن اكثرهم فى نابلس ومستعمـــــرة حولون بتل أبيت ، ويرأسهم كبير الكهنة « كوهـــــير

جادول » ويستخدمون العبرية فى صلواتهم ، والعربية فى أحاديثهم ويؤمنون بالمسيح المخلص الذى سيعود الى جبل جرزيم ، حيث يقدمون قرابينهم الفصحية !

سفر : كتاب ، ومخطوط لأحد أسفار التوراة ، منسوخ على ورق ويحفظ فى علب اسطوانية من الخشب ، مغطاة بالفضة أو النحاس أو القطيفة ، ويوجد بمعبد بن عزرا ، علبة من هذا النوع محفوظ بها اقدم مخطوط للتوراة فى مصر ، وعند الربانيين : لا يحمل المخطوط اى علامات ترقيم أو علامات موسيقية .

سفرديم : السفرديون ، هم أصلا يهود أسبانيا وحوض البحر المتوسط ، ويطلق هذا التعبير الآن على كل اليهود الشرقيين ، والطقوس الدينية للسفرديم هى استمرار للتقاليد الدينية التى نشأت وتطورت فى بابل ، واللغة العبرية للسفرديم متأثرة باللغة العربية ، وبالنسبة لليهود العرب ، فاللغة العربية هى لغة التخاطب ومصطلح «يهودى» كان يعنى بالنسبة لزعماء الحركة الصهيونية وبشكل محدد : اليهودى الأشكنازى حتى أن — آرثر روبين — عالم الاجتماع الصهيونى ، اشار فى دراساته الى انه من الصعب اعتبار السفرديم يهوداً ! ويعانى هؤلاء فى الكيان الصهيونى كل مظاهر التفرقة العنصرية !

سوفير : كاتب ، وهو موظف مساعد فى جهاز المحكمة الشرعية ، ويقوم بتحرير الصكوك والعقود والبراءات ونسخ عقود الزواج والطلاق وتسجيل الشهادات القضائية .

سوكة : كابينة تعد قبل بدء « عيد المظال » أو المظلة فى اليوم الخامس بعد يوم « كيبور » يوضع فوقها سعف النخيل الأخضر وأغصان الزيتون ، تذكاراً للغمام الذى أظلهم به الله فى سنوات التيه ، ويمضى اليهود الثمانية أيام — مدة العيد — معتكفين داخل هذه الكبائن .

سيدر : حفل دينى عائلى أو جماعى ، يعقد فى الليلة الأولى والثانية من عيد الفصح اليهودى وتذكر فيها : قصة الخروج من مصر فى أدق تفاصيلها !

سيدر التوحيد : حفل دينى يعقد فى ليلة أول نيسان — رأس السنة العبرية فى عصر ما قبل النفى — اختص به يهود مصر ، وتتلى فيه مزامير وأناشيد بالعبرية والعربية ، ومقدمة نص مكتوب بالعربية ، على غرار الابتهالات الصوفية ويذكر فيه الـ ٩٩ صفة الالهية ، منسوب الى ابراهام بن ميمون .

سيمحت توراة : وتعني سرور أو بهجة التوراة ، وهو عيد يختتم به دورة أعياد شهر تشرين « سبتمبر — أكتوبر » ويحتفل به فى المعابد بالرقصات والأغانى .

شماش : احدى الوظائف الدينية ، وهو المشرف المباشر على المعبد ويعرف بـ « خادم الكنيس » وكان له نفوذ كبير باعتباره مشرفاً على اهم منشأة عامة لدى أبناء الطائفة وقد يقوم — أحياناً — بمساعدة القاضى الشرعى ، خاصة فى العصور الوسطى ، حيث كانت جلسات المحكمة تعقد بالمعبد .

شـــوحيط : جزار شرعى ، يمارس عمله طبقاً لارشادات دينية محددة .

شـــوفار : بوق على هيئة قرن كبش ، وتستخدم « التروعاه » أى النفخ فى البوق ، فى بعض المناسبات الاحتفاليـــة بالمعبد ، خاصة فى عيد رأس السنة العبرية وفى نهاية يوم كيبور . وقديماً كان يستخدم للاعلان عن بـــدء الأعياد والصوم والحروب ، وتكريس الملك الجديد ، وقد أعيد هذا التقليد الدينى القديم فينفخ فى الشوفار ، حين يؤدى رئيس دولة اسرائيل اليمين الدستورية !

شـــومير : بمعنى الحارس ، وهو الذى يتولى مراقبة الصلاحية الشرعية للمأكل « الكشروت » فى المطاعم والمجـــازر والمخابز ومنتجات الألبان ، والمعروض منها للبيـــع ، ومدى مطابقتها للمواصفات والشروط الدينية .

صدوقيـــم : الصدوقيون ، فرقة من اليهود ينتسبـــون الـــى « صادق » الكاهن الأعظم فى زمن الملك سليمـــان ، وظهرت هذه الفرقة فى عهد المكابيين ، وكانت تضـــم كبار الكهنة فى القدس وبعـــض الـــكتاب المســالمين للرومان ، وكانوا محافظين مـــن الوجهـــة الدينيـــة ويتمسكون بأسفار موسى ويرفضون الروايات الشفهية وينكرون الأنبياء وفكرة البعث والقيامة ، حريصـــون على امتيازاتهم ونظامهم الطبقى ، وكانـــوا يؤلفـــون تكتلا قوياً فى مجلس « السنهدريم » أعلى سلطـــة دينية وسياسية فى المجتمع اليهودى .

طيبــة : قمطر بوسط المعبد ، يجلس اليه الحاخام أو الحزان .

عميـداه : الصلاة الرئيسية بالمعبد .

فـرناس : وظيفة تطوعية ، اذ يتخير زعماء الطائفة ، واحد من أبناء الطبقة الثرية ، موضع ثقة ومشهود لـه بالاستقامة ، حيث يتولى رعايـة شئـون الفقـراء والمحتاجين وتوفير الخدمات الاجتماعية لهم ، وادارة ممتلكات الأوقاف وحسابات الطائفة ، وفى العصـور الوسطى ، كان هذا اللقب يطلق فى أوربا على رئيس الطائفة اليهودية .

قدمونيـم : وتعنى : القدماء أو الأقدم لغوياً ، والمقصـود : مخطوطان للتوراة يرجع تاريخهما الى عام ١٣٦٤ م ، كتبهما « دافيد هاكوهين كوتينا » وكانا محفوظين فى تابوت خاص لقداستهما بمعبد « زراديل » بالاسكندرية منذ عام ١٥٢٥ م ، وكانا يطاف بهما فى موكب المعبـد ، خلال الازمات وفى عيد « سيمحت توراة » .. ولكـن تم تهريبهما عقب « معاهدة السلام » حيث توجـد واحدة الآن فى القدس ، والأخرى فى نيويورك .. !

قـدوش : احتفال يفصل بين الدنيوى والمقدس ، ويتم عمـل هذا « التبريك » على النبيذ أو عصير العنب ، خـلال وجبات يوم السبت وفى الأعياد .

قـديش : صلاة كانت تدعو الى « الخلاص » وتتضمن الدعاء لرئيس الطائفة أو الحاخام الأكبر ، مؤكدين الولاء له وأن يتم الخلاص فى عهده ، تماماً مثلما كانت ـــ خطبة

الجمعة — تتضمن الدعاء لخليفة المسلمين ، وتمثل واحدة من تأثيرات البيئة الاسلامية في فكر الجماعات اليهودية .

قراؤون : تأتى هذه الطائفة في المرتبة الثانية ، بعد طائفة الربانيون ، ولكنهم اكثر ثراء ، ويطلق عليهم : اصحاب الدعوة و « بنى همكراه » أبناء القراءة الخاصة بالتوراة ، التى يؤمنون بها فقط ، رافضين القانون الشفهى : التلمود وشروحه ويتمسكون بنصوص الكتب الأربعة والعشرين للتوراة « تانساخ » وهذا الانشقاق التاريخى حول التلمود والمشنا على يد « عنان بن داود هاناسى » في النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى ، وكان لهم بمصر طائفة ومنزلة كبيرة، وكانت لهم عناية فائقة بعلوم اللغة والفلسفة والفقه . وهناك بعض الخلافات الفقهية بينهم وبين الربانيين مثل حرمة السبت والخمر والقصاص والمواريث ، وفي قواعد الصلاة : حيث القراؤون يركعون ويسجدون ، بينما الربانيون ينحنون قليلا دون ركوع أو سجود .

تهال : جماعة المصلون في الكنيس .

كتوبة : عقد زواج يحرر باللغة الآرامية ، ولدى القراءين باللغة العبرية ، ويحمل تاريخ الزواج واسما الزوجان وقيمة الدوطة .

كندر جارتن : روضة أطفال ، اسلوب تربوى نشأ في المانيا ثم انتشر في أوربا وفي مصر مع بداية القرن العشرين .

كنيـــس : واحد من خمس تعبيرات أو مصطلحات ، كـــــانت معروفة فى مصر ، واطلقت على المكان المخصص لعبادة اليهود : كنيس ، كنيست ، كاهال ، معبد ، سيناجوج طبقاً للوسط الاجتماعى اللغوى أو الأصول الثقافية .

كولنيدر : لفظة آرامية الأصل وتعنى : كل الأمنيات أو النذور ، تلاوة تبدأ بها صلوات ليلة « كيبور » تحل اليهود من كل النذور ، التى تعهدوا أو الزموا انفسهم بها « دون وعى أو ادراك » !! خلال ما مضى من العام .. وكانت تلفظ فى مصر : كال نيدره « كل نذره » .

ماسورا : منهج صوتيات فى العبرية ــ التى يغلب عليها الحروف الصامتة ــ أعده ابن أشير وابن تفتالى من مدرسة طبرية ، فى القرن التاسع الميلادى ، ويوجد واحد من اسفار موسى الخمسة ، أعده ابن أشير طبقاً لهـــذا المنهج ، بالمعبد الكبير للقرائين بالعباسية .

مدراش : تفسير للتوراة ، كما تستخدم بمعنى : مدرسة دينيـــة لتعليم التلمود .

مــزراح : وتعنى « شرق » نص توراتى مزخرف ، يعلق عـــلى الحائط الشرقى للمعابد والمساكن ، ييسر تحديد اتجاه المصلى أثناء تأدية صلاته .

مازالطوف : وتعنى : اشارة طيبة أو دليل خير ، عبارة تصاحـــب الأحداث السعيدة عادة ، وفى مصر ، كان معظم اليهود يستخدمون تعبير « سيمانتوب » التى تـــؤدى نفس المعنى .

مزامريم : أعضاء جوقة موسيقية « كورس » غالباً ما تكون من الأطفال الصغار .

مشنــاه : القسم الأساسى من التلمود ، وهى مجموعة قــوانين دينية وسياسية واجتماعية فى اطار مبادىء عامـــة تنقسم الى ستة اقسام :

١ ـ البذور ، ويتضمن الزراعة مسبوقة بقواعد تعبدية .

٢ ـ الفصول ، بحث فى الأعياد اليهودية .

٣ ـ النساء ، قوانين الزواج والطلاق والوصايـــا والنذور .

٤ ـ العقوبات ، وتشمل التشريعات المدنية والادارية والجزاءات .

٥ ـ الشئون المقدسة ، وتتضمن الحديث عن هيكل بيت المقدس والقرابين والأضحيات .

٦ ـ الطهارة ، ويشمل كل ما يتعلق ببنود الطهـــارة والنجاسة .

مكفــاه : حمام دينى ، يؤديه ـ طبقاً لطقوس خاصة ـ الرجال من اليهود فى ليلة السبت من كل اسبوع وفى الأعيــاد ومناسبة الزواج ، وكذلك يقمن به السيدات فى اليوم الثانى عشر من بدء الدورة الشهرية ، وقبيل الزواج .

نئمان بيت هادين : امين محكمة شرعية ، والمسئول عن أمـــوال الودائع ، ويتولى الحجز على ممتلكات المدينين ، ودفع النفقات للمطلقات لاعالة أنفسهن وأولادهن الصغار ، ومنح القروض للمحتاجين من الودائع .

ناجـد : لقب أطلق على رئيس الجماعة اليهودية فى مصر ، وطبقاً لوثائق الجنيزة ، فانه لم يعتمد كلقب رسمى للسلطة المركزية على يهود الدولة الفاطمية الا فى نهاية القرن الحادى عشر ، وظل مستخدماً حتى ألغى هذا المنصب عقب الاحتلال العثمانى لمصر عام ١٥١٧، ويعرف فى المصادر العربية ـ « رئيس اليهود » وكانت له سلطات دينية وادارية وقضائية واسعة على الطوائف اليهودية جميعها ، وهو المسئول عن تنظيم علاقاتها بالدولة ، وكان له حق تعيين وكلاء محليين لادارة شئون الجماعة اليهودية .

هاجاداه : نص يروى قصة الخروج من مصر ، مترجماً الى اللغة المحلية ، يقرأ فى مساء عيد الفصح .

هاداساه : شجرة الآس ، منظمة صهيونية نسائية ، تأسست فى أميركا عام ١٩١٢ ، أقامت عدداً من المؤسسات الصحية فى فلسطين ، أصبحت فيما بعد تحت ادارة السلطات الاسرائيلية ، وشاركت الجامعة العبرية فى تأسيس كلية العلوم عام ١٩٢٥ كما أسست مركز هاداساه الطبى بالجامعة العبرية عام ١٩٣٦ ، وخصصت ٤٠٪ من ميزانيتها السنوية ، لتأهيل وتهجير شباب اليهود من أوربا وأميركا الى فلسطين كما شاركت منذ عام ١٩٢٥ فى نشاطات الصندوق القومى اليهودى « كيرين كايميت » وأشرفت على اصلاح أكثر من ١٥٠ ألف فدان فى وادى عربة والجليل الأوسط ولها نحو ١٤٠٠ فرع فى مختلف أرجاء العالم ، وتوجه اهتماماتها الى تنمية الأبحاث

الطبية ، وتشجيع دراسة التاريخ والتراث اليهودى واللغة العبرية . وكان للهاداساة فرعان بالمستشفى الاسرائيلى بالقاهرة والاسكندرية .

هالاخاه : التشريع القانونى للديانة اليهودية أو « الشريعة اليهودية » .

هقديش : الأوقاف من البيوت والعقارات ، وهو ما يماثل نظام الوقف الاسلامى ، وكان يمثل مصدراً هاماً لايرادات الطائفة ، والمحكمة الشرعية هى التى تتولى ادارته بصفة رسمية ، ويجدر بالذكر ، أن « الهقديش » فى فترة الجنيزة ، كان يطلق عليه ايضاً ، نفس مصطلح البيئة الاسلامية : « الوقف » أو « الحبس » ج : احباس .

هيكل : تقويسه أو تابوت مقدس بداخل المعابد ، يحتوى على لفائف التوراة ، ويسمى أيضاً : أرون كوديش .

يشيفا ؛ يشيفوت : مدرسة تلمودية عالية « معهد تلمودى » كان منها فى مصر نحو ١٧ مدرسة ، حتى نهاية الأربعينيات، حيث كانت تلفظ : يشيبا .

يوم كيبور : عيد الغفران ، اليوم العاشر من تشرى ، ووجب صومه على الرجال والنساء والاولاد فى سن الثالثة عشر ، والفتيات فى سن الحادية عشر ، بالرغم من أن أسفار موسى لم تذكر شيئا عن الصوم ، ولكن اعتبر اليهود كلمة « تذلل نفسك » بمعنى الصوم ! وفى هذا اليوم

يحرم العمل وايقاد النار والاغتسال والتطيب وممارسة الجنس ، بالاضافة الى الامتناع عن الطعام والشراب، ويجب التضحية بكبش أو ثور وتوزع الصدقات ، والذهاب الى المعابد حفاة الأقدام واعلان التوبة والندم ! واذا وافق مجيئه يوم السبت ، يسمى « السبت الكبير » وهو اليوم الذى يدخل فيه الحاخام الأكبر الى « قدس الأقداس » غرفة مظلمة بالمعبد الكبير ! وهو اليوم الوحيد الذى يذهب فيه جميع اليهود — بدون استثناء — للصلاة فى المعابد ، وتبدأ الصلاة فى مغرب اليوم السابق بتلاوة « كل نذره » يتحللون بها من كل ما تعهدوا بوفائه !!

مصادر دراسة تاريخ يهـود مصر

فى القرن التاسع عشر

تشكل مصادر دراسة تاريخ يهود مصر فى القرن التاسع عشر أهمية خاصة — تتباين مع التوظيف السياسى — للمؤلفات اليهودية الحديثة .

وذلك فى مجالين رئيسيين :

فالأول : يخص مجموع مظاهر تاريخ اليهود المصريين فى هذا العصر ، فمن الطبيعى أن يشكل جزءاً كاملا من التاريخ العـام لمصر .

وأما الثانى : فيضم بعض المظاهر الأخرى من تاريخ مصر فى هذا الوقت ، الا أنه أقل ايضاحاً ، ومؤرخو مصر الحديثة — فى مصر وفى الخارج — قد استخدموا هـذه المصـادر استخـداماً محدوداً .

ويبدو أن السبب فى ذلك ، أن هؤلاء المؤرخين قد اكتفـوا بالماديات الأكثر قبولا والتى تخص مصر الحديثة .

حينئذ ، فالمصادر اليهودية توافق جيداً المجالين السـابق ذكرهما ، ومن الأهمية أن نشير اليها وأن نتفحـص المـاديات

الصالحة ، وان نقيم فوائدها من خلال البحث والتنقيب للمصادر التالية : وثائق ، رسائل ، مذكرات ، أسفار ، والكتابات الحاخامية، وأيضاً الصحف ، والدراسات الاحادية .

١ ــ الوثائق اليهودية :

تعتبر الوثائق اليهودية قليلة الأهمية ، كمصدر لدراسة تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر ، عن المصادر الرسمية التاريخية أو القانونية ، فى مصر أو مجتمعات أخرى (١) .

من بين المجموعات اليهودية ، التى تحتوى على معلومات مفيدة ، أربعة مجموعات تجدر الاشارة اليها : فالأولى من الوثائق الخاصة ، أما الثلاثة الأخريات فهى عامة .

مجموعة وثائق « سير موزيس مونتيفيور ــ « Moses Montefiore » (١٧٨٩ ــ ١٨٨٥) وهو أحد الشخصيات اللامعة لليهودية البريطانية فى القرن التاسع عشر .

وكتالوج هذه المجموعة ، الذى يوجد فى رامسجات Ramsgate (جزء لا بأس به قد انتقل فى سنة ١٨٩٩ ، الى الكلية اليهودية ــ Jews college بجامعة لندن)تتضمن ٥٨٠ باب ، يحتوى عدد كبير منها على كثير من الوثائق .

زار منتيفيور فلسطين سبع مرات ، وفيما بين عامى ١٨٣٠ و ١٨٤٠ جاء الى مصر وتبادل الحديث مع محمد على عن وضع اليهود فى مصر ، وفى فلسطين ، وفى سوريا .

وتحتوى مجموعة منتيفيور على عدد من الرسائل ، ووثائق اخرى ، قادمة من مصر تختص بأعمال مصرية ، وتستحق البحث بدقة .

ومن بين الوثائق العامة ، توجد وثائق : الرابطة الانجليزية Anglo Jewish Association والتحالف الاسرائيلى الدولى Alliance Israelite Universelle وارشيف المراكز الصهيونية .

فالأولى والثانية ، كانت منظمات تزعم أن هدفها هو :

« العمل فى سبيل الانسانية » .. ورفع المستوى الثقافى عند اليهود فى بلاد الاسلام ، وأيضاً مساعدتهم تحت أى ظرف اذا ما تعرض أمنهم للتهديد (٢) .

وكان تركيز التحالف الاسرائيلى العالمى هو عمل دراسات فى مختلف الموضوعات بالاضافة الى ذلك ، فقد نشر « بول ديمونت — Paul Dumont » دراسة جيدة فى هذا الموضوع (٣) ، تناول فى جزء منها : مصر فى القرن التاسع عشر .

وعدد لا بأس به من نتائج هذه الدراسات قد طبقته الرابطة اليهودية الانجليزية فى اعمالها فى مصر ، وفى دول أخرى فى الشرق الأوسط !

وقد نشرت بعض التقارير الثقافية عن هذه الدول فى أجهزة الصحافة التابعة لهذه المنظمات : التقرير السنوى للجمعية الانجليزية اليهودية ، ونشرات التحالف الاسرائيلى وقد ظل جزء كبير « دون طباعة » فى أرشيف لندن وباريس !!

كثير من هذه الوثائق ، يسهم فى دراسة التاريخ العام ليهود مصر ، خاصة فى مجال الثقافة ، والتعليم العام ، وأيضاً فى المجال الاجتماعى — الاقتصادي الذى يشكل مجالى نشاط هذه المنظمات .

وهذا مثال من بين أمثلة أخرى ، بعض التقارير الصادرة من مصر بمعرفة هاتين المنظمتين ، تتناول المدارس اليهودية التى أسستها ، ومنها نستقى بعض معلومات لا بأس بها عن التعليم الغير يهودى ، خاصة فيما يختص بنشاط المجموعات المختلفة للارساليات المسيحية !

وقد اجتذبت الارساليات بنجاح الطلبة اليهود ، وذلك كان أحد الأسباب التى حثت المنظمات اليهودية على اقامة مدارس يهودية فى مصر وفى بلاد غيرها .

وطبيعى كان هناك حالات تشغل هذه المنظمات ، ولهذا فان الباحث سيجد فى هذه التقارير كمية من المعلومات الغير مباشرة عن نشاط الارساليات فى مصر (٤) .

وتحتوى « الوثائق الصهيونية المركزية » فى القدس على مواد هامة جداً عن بداية الحركة الصهيونية فى مصر فى نهاية القرن التاسع عشر .

فى الحقيقة ان معظم هذه الملفات يرجع الى نشاط المنظمات الصهيونية ، بيد ان العديد من الوثائق قد اثار مشاكل ادارية ، التى تعكس بطريقة معبرة ، الصعوبات المحلية للتنظيم عند اليهود أكثر منها عند غير اليهود (٥) .

وبايجاز .. فان ظاهرة « عدم التجانس » بين الطوائف اليهودية فى مصر ، جعل منها طبقة منفصلة : اشكناز ، وسفارديم، ويمنيين ، ومغاربة ، ومستوطنين ، ومهاجرين جدد .

تناقضات اجتماعية حادة الى حد ما ، كبرج بابل للغات !

وبالمثل أيضاً ، تذكر هذه التقارير الصعوبات المرئيـــة التى ترتبط بكل محاولة لتنظيم اليهود فى مصر .

ايضاً الى جانب — المشاكل اليهودية الخالصة — تشير الى ظواهر التكاسل والتراخ ، وعدم القدرة على التنظيم ، دون أى مبادرة ادارية عليا ، مشاكل وراثية تقريباً ، بالنسبة الى المجتمـــع المصرى فى هذا الوقت .

٢ — الرســائـــل :

تعتبر الرسائل مصدراً هاماً أيضاً للمعلومات لا يمكن اغفاله ، من قديم الزمان ، وتلك « عادة يهـــودية مزمنـــــة » هى أن تكتب بدقـــــة .

هذا الاتجاه صار ضرورة ، فقديما ، عندما كانوا مشتتين فى أنحاء الأرض ، لجأ اليهود الى هذه الوسيلة الخاصة للاتصال ، لأسباب عائلية أو عملية . كثير من الرسائل مرسلة من الشرق الأوسط ، عاشت ، بعضها طبع ، والبعض الآخر ظل على حالته اليدوية .

وعلى سبيل المثال ، تم اختيار ثلاثة وتسعون رســـــالة ، جمعها : « ياعارى (٦) — « Ya'ari » أحد هواة جمع الكتب ، كان يعمل فى المكتبة الوطنية فى القدس والذى نشر ايضاً دراسات : عن تاريخ المطبعة العبرية فى الامبراطورية العثمانية . فى كتابـــه « رسائل من فلسطين » يتضمن رسائل صادرة من فلسطين فى عام ١٨٣٠ ، ويستقى منها شواهد ثقافية عن الادارة المصريـــــة فى فلسطين ، والثورات التى قامت فى هذا البلد .

وحتماً سوف تجرى أبحاث مستقبلية وقد تكتشف أيضاً رسائل صادرة من مصر نفسها .

٣ ـ المذكرات :

والمذكرات يمكنها أيضاً أن تقدم عوناً كمصادر ومع ذلك يبدو أن بعض من هذه المذكرات قد دونت فى مصر القرن التاسع عشر ، والبعض الآخر الذى يعود الى القرن العشرين ، لا ريب أنها قد سجلت مواد تنتسب الى القرن التاسع عشر . (مصر بلدى ــ Mon Egypte) (٧) بقلم « راشيل مكابى » يمكن أن تفيدنا على سبيل المثال .

هذا الكتاب يحتوى على معلومات مفيدة جداً كان يتبادلها افراد اسرة المؤلفة ، تختص بنشاط الوالدين فى بلدية الاسكندرية ، وعادات اليهود وغير اليهود فى مصر ، وكذلك علاقاتهم الاجتماعية .

وتفصيلات أخرى من نفس النوع نجدها فى طبعة اخرى ، باللغة الفرنسية منشور تحت اسم مستعار « يهودية مصرية ــ « Une Juive Egyptienne » (٨) .

وتنصب ملاحظاتنا على الجزء الخاص بالقرن التاسع عشر ، بينما مذكرات المؤلفة تتناول فى معظمها أحداثاً وقعت فى القرن العشرين .

كتب أحد المعلمين فى المدارس العبرية بالاسكندرية ويدعى « تاراجان ــ Taragan » بحماس مدعم بخبرته الشخصية فى هذه المدينة حوالى نهاية القرن التاسع عشر .

وقد صدر كتابه باللغة الفرنسية تحت عنوان : « الطوائف الاسرائيلية فى الاسكندرية » ويفيد كذلك جزئياً فى التاريخ العام لمصر

فى القرن التاسع عشر — والأكثر أهمية من هذه الأعمال هى « الفتاوى — Responsa » التى كتبها الحاخامات وتشمل الاجابات عن المسائل القانونية وعن أسئلة مرسلة اليهم .

وكان البروفيسور « برنارد لويس » من أوائل من لفت الأنظار الى اهمية هذا المصدر(١٤) — كما يحاول«يعقوب لانداو» ابراز أهمية أدب الـ Responsa فى دراسة التاريخ الاجتماعى — الاقتصادى للامبراطورية العثمانية من وجهة النظر الاسرائيلية !

ومن الملاحظ أن أدب الفتاوى ، الجزء الخاص بمصر فى القرن التاسع عشر : الاجابات ذات طبيعة قانونية ، كانت مخصصة اساساً لتفسير القانون المكتوب . ومع ذلك كان مضمونها يتعدى دائماً هذا المظهر .. وفى الواقع كانت الأسئلة الموجهة الى الحاخامات تختص بكل نواحى الحياة اليومية ، ومن خلال الاجابات على هذه المشاكل ، يستطيع المؤرخ أن يجد منجماً من المعلومات ، وترجع قيمتها الى العناصر الآتية :

(أ) الريسبونزا مصدر متنوع ، يتناول موضوعات ذات أهمية خاصة لأصحاب الأسئلة ، ولكنها تمثل طبيعة عامة بالنسبة لجمهور عريض .

(ب) بما ان هذه المواد لم تكن مخصصة للتعميم ، لكنها تطلعنا بصفة خاصة على العديد من التفصيلات المباشرة .

(ج) بفضل الصفة القانونية للأسئلة والأجوبة ، هذا الأدب مصاغ بدقة ووضوح ، وذلك ما يرفع من قيمته .

وفى أعمال حاخامات الامبراطورية العثمانية وبعض الدول الأوربية نجد أن بعضهم قد دون كثيراً من الفتاوى ليهود مصر ولعدة قرون .

أضف الى ذلك ، سلسلة من الكتب شديدة الشبه بالفتاوى جمعها « موشى باردو — Moche Pardo » ، المولود فى القدس ، وتولى العمل فى الاسكندرية كحاخام اكبر من عام ١٨٧١ الى عام ١٨٨٣ ، ونشر فى هذه الفترة مؤلفاً بعنوان « اسمه موسى (١٦) — Son nom est Moise » والذى يتضمن فتاوى حررها هو بنفسه مع آخرين من الحاخامات . فى هذا المجلد المكون من ٤٤٠ صفحة من القطع الكبيرة ، وكان من الطبيعى أن يركز باردو على الموضوعات القانونية التى تخص اليهود ، ولكن بامكاننا استخراج كثير من المعلومات تحت مظاهر أخرى غير قانونية .

ومن كل النواحى ، يتميز هذا الكتاب بأهمية خاصة عندما يناقش — ليس فقط المشاكل التى ولدت الانعكاس الثقافى للحاخامات طوال أجيال — ولكن أيضاً عندما يتناول المسائل التى اثارها التحديث ، منها على سبيل المثال عما اذا كان مسموحاً لليهود أن يركبوا القطار يوم السبت (١٧) ! جزء كبير من الاجابات تناول العلاقات بين اليهود وغير اليهود ، مشكلة ملحة فى مجتمع مختلط مثل مصر فى القرن التاسع عشر . مثال مميز يوجد فى احدى الفتاوى والذى يجب أن يقرر ما اذا كان اليهود يستطيعوا أن يستخدموا غير اليهود ليعزفوا الموسيقى يوم السبت (١٨) ! ربما تكون الفتاوى الأكثر ملاءمة من الناحية التاريخية ، تلك التى تهتم بالنزاع بين اليهود وغير اليهود ، سواء أمام المحكمة الحاخامية او أمام أى محكمة أخرى .

وكان الحاخامات يفضلون دائماً أن يعرض النزاع على المحاكم الحاخامية ، ولكن الحياة فى مصر كانت تقرر دائماً خلاف ذلك !

وكانت لمحكمة كل طائفة دينية سلطات واضحة التحديد — قد تكون قاصرة فى بعض حالات المشاكل الشخصية ، ولكن بصفة عامة كانت المنازعات اليهودية وغير اليهودية تنظر أمام المحـــاكم غير اليهودية . وكان مما يثير حنق الحاخامات أن بعض اليهود ، كانوا يقاضون اخوانهم فى الدين أمام المحاكم الغير طائفية . ويذكر منها « باردو » بعض الأمثلة التى تتعلق بالأعمال والعقــــود التجارية !

ولا تشكل الفتاوى الا جانباً من النشاط الثقافى للحاخامات فى مصر فى القرن التاسع عشر ، وسنوضح بعض الأمثلة عـــــن نشاطهم فى مجالات أخرى ، كمصدر تاريخى فى هذه الفترة .

تشير بعض الكتابات الى عادات اليهود المصريين وخاصـــة مظاهرها المميزة . فمن المؤكد ، أن المقدمات المنطقية للحاخامات تظل دائماً قانونية — لاهوتية ، لذلك يجب البحث فيما اذا كانت هذه العادات تتفق مع القواعد الدينية .

ومع ذلك نجد فى مداولاتها مادة فكرية تهم الباحثين فمثـــلا « يوم طوف يسرائيل _Yom Tov Yisrael » كان كبير الحاخامات فى القاهرة من عام ١٨٦٦ الى ١٨٩٠ ، قد نشر فى سنة ١٨٧٣ كتيباً بعنوان « عادات مصر » .

فالباحث فى تاريخ المجتمع المصرى سيلاحظ — دون عناء — التأثير الكبير للعادات الشعبية على اليهود (١٩) . ومن بين الأمثلة التى ذكرها فى كتابه : « يوم طوف يسرائيل » .

فنجده يسرد بالتفصيل عادة شرب القهوة ، وعـادة قـص الشعر الأسبوعية .. وفى نصوص : « بيخور الياهو حـازان ـ Bekhor Elyyaho Hazzan » (٢٠) الذى شمل أعمال الحاخام الكبير فى الاسكندرية من ١٨٨٨ حتى ١٩٠٨ ، كتب مؤلفـاً عـن عادات اليهود فى مصر ثم يأتى : « رافائيل آهارون بن شيمون » ، كبير الحاخامات فى القاهرة من عام ١٨٩١ حتى ١٩٢٠ ، ليصـدر فى نفس الموضوع كتاباً بعنوان « النهـر المصرى » « أو : نهـر القاهرة » ونشر عام ١٩٠٨ (٢١) . ومجموعة أخرى من الأعمال الحاخامية تخص أسماء اليهود . ويرجع السبب فى هذه الأعمال الى المراقبة الجادة للقانون الدينى ، فى هذه الحالة ، يتعلق الأمر بعقود طلاق وبصلاحية اى عقد ، ليس فقط بالنص الذى كـان معياراً ، ولكن على وجه الخصوص بالتفصيلات ، التى من بينهـا الأشخاص المشار اليهم .

ونتعرف على كتابين من هذا النوع ، سجلت فيها العديد من اسماء الرجال والنساء مرتبة أبجدياً . الأول كتاب : « قـرار المحكمة » لموشى باردو (٢٢) ، ثم كتاب « الياهو » مستوحى مـن مؤلف « بيخور الياهور حازان » تحت عنوان « أسرار القلب »(٢٣).

ويتضمن الكتابان قوائم بمئات الأسماء ، وبعض النصـوص القانونية والأدبية وشروح فقهية ولغوية .

ينتمى جزء من هذه الأسماء الى أصول عبرية ، غير أن الجزء الأكبر منها يرد الى اصول عبرية ، لاتينية « يهودى ـ أسبانى » أو عربية .

ويترتب على ذلك ، أن هذه الأعمال يمكن الافادة منها كمصدر هام لاعداد أبحاث عن أسماء اليهود فى مصر ودراسة الأصول التى انحدرت منها هذه الأسماء .

بعض حاخامات مصر تركز اهتمامهم على الكتابات القانونية المطلوبة للجمعيات الدينية التابعة للطوائف اليهودية .

ويبدو أن الأكثر شيوعاً ، هو كتاب « شالومو هزان » ، كبير حاخامات الاسكندرية فى عام ١٨٣٢ حتى عام ١٨٥٦ بعنوان : مرتقى سالومون « أو : فضائل سالومون » (٢٤) . هذا المؤلف عبارة عن سجل مفسر لأعمال كتبها حاخامات معاصرون ومن أجيال سالفة . واهميتها لا تكمن فقط فى الموضوع ذاته ، ولكن أيضاً فى أنها تعتبر وثيقة لتاريخ الطباعة بصفة عامة .

ثم أعد الحاخام « رافائيل آهارون بن شيمون » دراسة عن الحاخامات الذين عملوا بمصر فى عهود سابقة ، تحت عنـــوان : « صلاح مصر » أو « ثروة مصر » (٢٥) يعتبر كتاباً مفصلا عـــن الحاخامات ، حياتهم وكتاباتهم وأعمالهم وأوضاع الطائفة اليهودية فى عهودهم ، وجانب من هذه المعلومات قد يكون مفيداً فى دراسة تاريخية عن مصر .

بالاضافة الى ما سبق فان هذا الكتاب يحتوى أيضاً عـــلى مقدمة تناولت المعابد اليهودية القديمة والحديثة،فى القاهرة فى عصر « بن شيمون » .. الى جانب اشارات عن حياة المدينة فى نهاية القرن التاسع عشر .

تناولت المصادر الحاخامية بكثير من التوسع وصلتها الوثيقة بالموضوع . لأنها تمثل الكم الأكبر من المعلومات عن يهود مصر فى القرن التاسع عشر . وفى هذا الصدد ، تجدر الاشارة الى المشاكل اللغوية عند يهود مصر فى ذلك العصر ، والتعددية اللغوية — حتى ولو كانت هامة بالنسبة الى أعمالهم ، فانها مثلت مشكلة ليهـــود مصر على الصعيد الثقافى والتعليم العام . وترتبط جميع الأقليات

العرقية فى مصر بلغة مشتركة ، فيما عدا اليهود . والغالبية من اليونانيين والايطاليين والأرمن ، وحتى ولو كانوا على دراية بلغات اخرى ، يتحدثون بلهجتهم القومية . أما اليهود على العكس من ذلك ليس لديهم لغة اجتماعية . البعض يعرفون العبرية ، والعربية ، واليهودية والأسبانية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والروسية ، والرومانية ، أو الألمانية ولكن ليست هناك لهجة جماعية مشتركة بينهم .

وكان من نتيجة هذا الموقف الشاذ الاضرار بكل ما كتب ونشر اليهود ، طالما ان جزء صغير فقط هو الذى يستطيع أن يقرأ باللغة التى نشرت بها هذه المؤلفات ، هذه الحالة قد حددت القراء ، وبالتالى المشترون ؟

٦ ــ الصحافة

احدى نتائج هذا الوضع ، كان عدم وجود صحافة خاصة بيهود مصر فى القرن التاسع عشر ، على النقيض من الانتاج الأدبى لليهود فى مجالات أخرى . فالدورية الأولى « نشرة » اليهودية التى ظهرت فى مصر كانت « المبعوث الصهيونى » « باللغة الفرنسية » نشرت منذ ١٩٠٢ ، ثم « مصراييم » « باللغة اليهودية ــ الأسبانية » والعربية ، وعربى « بالحروف العبرية » منذ ١٩٠٤ ، وتبعتها اخريات باللغة اليهودية الأسبانية وخاصة « الفارا ــ Lavara » فى ١٩٠٥ ــ ١٩٠٨ . هذه المطبوعات الدورية تقدم أيضاً معلومات عن يهود مصر ، وخاصة فى فترة نهاية القرن التاسع عشر . وعلاوة على ذلك فالنصف الثانى من القرن التاسع عشر ، كان بعض اليهود المصريين يرسلون بانتظام تقارير فى شكل « خطابات القراء » الى عدد من الدوريات اليهودية التى تصدر بالخارج : منذ ١٨٤٠ منها : Allegemeine Zeit Des

الوقـــائع اليهودية « ١٨٣٧ نشرت فى برلين منذ Judenthums »
باللغة « مجيد ـ ها » ١٨٥٠ لندن منذ » The Jewish Chronicle
العبريـــة » Lyck منذ ١٨٥٦ » ، ها ــ ليفانون « بالعبرية ، باريس
ثم ماينس منذ ١٨٦٤ » و Die Welt « فيينا منذ ١٨٩٧ » .

وقد أشرت هنا الى الدوريات الأكثر اهمية فحسب وتساعدنا التقارير المكتوبة على اتساع نطاق معرفتنا عن يهود مصر . وكذلك عن علاقاتهم مع غير اليهود ، وتمدنا بكثير من المعلومات عن الحالة العامة فى مصر فى هذا الزمان . خاصة على الصعيد الاقتصادى ، وايضاً على الصعيد السياسى ، والصحة العامة والكثافة السكانية، وكل المعلومات مقدمة من وجهة نظر لها قيمتها للمراقب الداخلى !

٧ ــ الدراسات الاحادية :

اعد بعض اليهود المصريين دراسات متنوعة على مستويين مختلفين عن أوضاع يهود مصر ، بصفة عامة فى القرن التاســع عشر ، منها :

كتاب : « موريس فارجيون » بعنوان « اليهود فى مصر ــ منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا » (٢٦) تاريخ عام متبوعاً بلمحــة وثائقية خصص عدد كبير من الصفحات لمصر فى القرن التاســع عشر ، ويمثل هذا الكتاب أهمية خاصة بسبب تحليله المفصل عن تطور العديد من المدن الصغيرة والمعلومات الاحصائية التى تتعلق بهذه المدن . وكتاب آخر لنفس المؤلف ، « أطباء ومحامون يهود فى خدمة مصر » (٢٧) ومع مجموعة السير الذاتية التى كتبهـــا بالتفصيل ، تساعد على عمل الدراسات عن هاتين المهنتين فى القرن التاسع عشر ، والعشرون .

توفيق سليمان أبو هيف « الاسم المستعار لمسيو فارجيون »
أعد دراسة بعنوان : « العلاقات بين مصريين ويهـود » (٢٨)
تضمنت كماً هائلا من المعلومات عن هذا الموضوع . والدراسات
الأحادية التى قام بها نورى فرحى ، بعنوان : « الطائفة اليهودية
بالاسكندرية القديمة حتى يومنا هذا » (٢٩) واهتم بصفة خاصة
بالقرن التاسع عشر ، وفضلا عن ذلك تحتوى على بعض الوثائق
الهامة .

بنسيون تارجان ، سبق ذكره ، كتب أيضاً كتاب عنوانه :
« اربعون عاماً من اليهودية السكندرية » (٣٠) عام ١٩٠٦ الى
١٩٤٦ .

تناول الفصل الأول القرن التاسع عشر ، ويتضمن معلومات
عن الطائفة اليهودية بالاسكندرية ومعابدها ومؤسساتها
الاجتماعية .

ومؤلف موريس مزراحى ، بعنوان : « مصر ويهودها ـ الزمن
التام » (٣١) .

تناول مصر فى القرن العشرين « حيث عاش المؤلف خمس
وخمسون عاماً » ، بيد أن ـ الكتاب لا يجهل القرن التاسع عشر
ويهوده ، خاصة العلاقات بينهم وبين غير اليهـود ، فى مختلف
المجالات .

أحد الأمور الطريفة انه لم يهتم فقط بالمجالات المعروفة
للاقتصاد ، والثقافة ولكنه لم يتردد فى أن يطرق مجالات أخرى
كالأنشطة الرياضية .

ولدينا فيما عدا ذلك الدراسات الحديثة ، بالعبرية ، مثل كتاب « مارتن سيليجر » بعنوان « سياسة أوربا فى الشرق الأوسط : وبلورة هذه السياسة فى اطار محدد فى عصر محمد على ، ثم مؤلفات جبريل بيرعن « التاريخ الاجتماعى لمصر » .

ثم دراسة للباحثة : ايرين جندزيز بجامعة كمبريدج ، عن « يعقوب صنوع » كواحد من اليهود القلائل الذين انغمسوا فى الحياة السياسية فى مصر .

وآخر المصادر الحديثة ، كتاب البروفيسور « شيمون شامير » أول مدير للمركز الأكاديمى الاسرائيلى والسفير الاسرائيلى الأسبق بالقاهرة ، بعنوان « يهود مصر » (٣٢) ، هذه المصادر القديمة والحديثة أسهمت فى تشكيل صورة عامة عن يهود مصر فى القرن التاسع عشر فى المجالات القانونية والقضائية ، والاقتصادية، والتجارية والتعليمية وكذلك فى مجال العلاقات بين مختلف الجماعات العرقية .

BIBLIOGRAPHIE

1. André Raymond, « Les documents du Mahkama comme source pour l'histoire économique et sociale de l'Egypte au XVIII[e] siècle » dans Les Arabes par leurs archives (XVI[e] - XX[e] siècle), Paris, CNRS, 1976, pp. 125-129 ;

2. Narcisse Levin, Cinquante ans d'histoire : L'Alliance Israelite universalle (1860-1910), 2 tomes, Paris, Alcan, 1911-1920.

3. Paul Dumont, « Jewish communities of Turkey during the last decades of the nineteenth century in the light of archives of the Alliance Israelite universelle », préparé pour la « Princeton Millet Confrance » de Juin 1978.

4. J. M. Landau, Jews in nineteenth century Egypt, New York University Press 1969, pp. 159-160, 272-274, 310-311.

5. Ibid, pp. 191-194, 239-241, 312-314, 322-326.

6. A. Ya'ari, Iguerot Erets-Israel. Tel Aviv, Gazit, 1943 ; 2[e] edition, 1950.

7. En Hébreu : R. Makkabi, Mitsrayim chelli, Merkhavya, Sifriyyat, Poalim, 1968.

8. Genève, Editions de l'Avenir 1971.

9. Alexandrie, Editions Juives d'Egypte, 1932.

10. Michel Levy, Cinq année de voyages en Orient, 1846-1851, Paris, 1856.

11. J. J. Benjamin, Acht jahre in Asien und Afrika von 1846 bis 1955.
Hannover, publié par l'auteur, 1858

12. Ibid, pp. 311-322.

13. En Hébreu : E. Deunard, Massa be-erets ha-qedem, Preeburg, Levy et Alcalay, 1882/3.

14. Bernard Lewis, « Sources for the economic history of the middle east » dans MA. Cook, éd., studies in the economic history of the middle east from the rise of Islam to the present day,, Londres, Oxford University Press 1970, particulièrement, p. 91.

15. Der Islam, tome 54, no. 2, 1977, pp. 205 ff.

16. En hébreu : Sefer W-chemo Moche, Smyrne, Imprimerie Ben Sion Benjamin, 1874.

17. Ibid pp. 21 verso ff.

18. Ibid, pp. 32 ff.

19. En hébreu : Yom-Tov Yisra'el, Sefer Minhoguey Mitsrayim, Jérusalem, Imprimerie Yo'el Moche, 1873.

20. En hébreu : Eliyyahu Hazzan, Sefer Kaveh Chalom, Alexandre, Imprimerie Farag Hayyim Mizrahi, 1894 : 2 edition, Alexandrie.

21. En hébreu : Ref'el Aharon Ben Chim'on, Nehar Mitsrayim, Alexandrie, Imprimerie Farag Hayyim Mizrahi, 1908.

22. En hébreu : Moche Pardo, Sefer hora'a de-veyt din, Smyrne, Imprimerie Ben Sion Benyamin, 1872.

23. En hébreu : Eliyyahu Hazzan, Sefer devar Eliyyahu, Alexandrie, Imprimerie Farag Hayyim Mizrahi, 1900.

24. En hébreu : Chelomo Hazzan, Sefer ha-ma'alot li-chelomo, Alexandrie, Imprimerie Farag Hayyim Mizrahi, 1894.

25. En hébreu : Aharon Ben Chim,on' Sefer tuv Mitsrayim, Jerusalem, Imprimerie Zuckerman, 1908.

26. Le Caire, Maurice Sananès Editeur, Imprimerie Paul Barbey, 1938.

27. Le Caire, Imprimerie Lencioni, 1939 Cet ouvrage fut publié, parait - il, en deux tomes, desquels j'ai pu consultté seulement celui sur les medicins.

28. T. S. Abu Heif, « M. Fargeon » : Les relations entre Egyptiens et Juifs, Alex. imprimerie Salah El Dine, 1939.

29. Noury Farhi : La communité Juive d'Alexandrie de l'Antiquité à nos jours, Alex. 1945.

30. Ben Sion Taragen : Quarante ans du Judaisme Alexandrin, Alex. impr. Palombo 1947.

31. M. Mizrahi : L'Egypte et ses Juifs, le temps sévolu, Lausanne, 1977.

32. Shimon Shamir : The Jews of Egypt - A mediterranean society in modern times, London, 1988.

الأيـــام الأخـــيرة

وبعد أن انقضى « العصر الذهبى » ليهـود مصر .. كيف يعشيى ما تبقى منهم « أيامهم الأخيرة » .. بعد ما شهدته الطائفة من ازدهار اقتصادى واجتماعى فى أحضان مصر ؟!

بدءاً من ١٢ نوفمبر عام ١٩٥٦ بدأت أوسع هجرة لليهود من مصر ، وكان ذلك أمراً متوقعاً بعد شن انجـلترا وفرنسـا واسرائيل حرباً على مصر فى اكتوبر من العام نفسه ، ففى أول نوفمبر عام ١٩٥٦ صدر أمر عسكرى يخول للحارس العام على ممتلكات المتغيبين عن البلاد الاشراف على ممتلكات المسجـونين السياسيين بل وبيعها ، وبعد أيام قلائل أعلن عن اعتقال مئات من اليهود وتحويل ممتلكاتهم الى الحارس العام ، وكـان مـن بين المعتقلين بعض من اغنى رجال الطائفة اليهودية ، ونتج عن هذا أن الوفا من اليهود غادروا البلاد فجأة دون مال ، وخلال الأيام الأولى من نوفمبر صدرت أوامر لليهود بتحزيم جانب صغير مـن متعلقاتهم ومغادرة البلاد خلال بضعة أيام ولم يسمح لأى منهـم بأخذ أى شيء من متعلقاتهم سوى ٣٠جنيها مصرياً نقداً،وما يساوى ١٤٠ جنيها من المجوهرات ، وما لا حد له من البضائع المصرية مثل الملابس والأحذية ، وخلال الفترة من منتصف نوفمبر ١٩٥٦ وحتى سبتمبر ١٩٥٧ أبعد بهذه الطريقة أكثر من ٢١ ألف يهـودى ، واستمرت عملية الترحيل ببطء فى السنوات التالية وغادر البـلاد كثيرون من اليهود بناء على رغبتهم بعد أن سدت سبل العيش فى وجـوههم .

وفى عام ١٩٥٧ صدر القانون رقم ٢٤ الذى قضى بوقف نشاطات الوكالات التجارية ، وكان ذلك احد العوامل المساعدة على دفع اغنياء اليهود للهجرة من مصر ، وفيما بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٠ اتضح أن عدد اليهود الذين خرجوا من مصر قد وصل الى أكثر من ٦٥ الف يهودى حيث يبين احصاء عام ١٩٦٠ أن عددهم فى مصر قد تجاوز الثمانية آلاف ، ومن بين هؤلاء جميعاً وخلال الفترة نفسها وصل الى اسرائيل ٢٥ الف مهاجر يهودى مصرى فقط ، أما الباقى والذى يصل الى أكثر من ٤٠ ألف مهاجر فقد ذهبوا الى بلدان أوربا والامريكتين ، وحتى من تبقى من اليهود فى مصر بعد كل هذه الاجراءات فقد تعرض بدوره للمصادرة والتأميم بعد القرارات الاشتراكية بين عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ويقدر عدد من خضعت أموالهم للمصادرات فى هذه الفترة بحوالى خمسة آلاف يهودى . وتذكر الموسوعة اليهودية ان معظم الجمعيات اليهودية والمدارس قد أغلقت فى أعقاب الهجرة الجماعية لليهود عام ١٩٥٧ ولم يعد لهم تجمعاتطائفية ، وأصبح رئيس حاخامات القاهرة هو رئيس الطائفة اليهودية فى مصر كلها .

كان من الواضح اذن أن المراحل الأخيرة لتاريخ اليهود فى مصر قد بدات منذ أوائل الستينات ، ففى احصاء عام ١٩٦٠ كان عدد اليهود فى مصر ٨٥٦١ شخصاً موزعين على محافظات مصر .

وتذكر الموسوعة اليهودية أن عدد من بقى من اليهود فى مصر عام ١٩٦٠ من الاشكناز لا يزيد عن ٥٠ شخصا أما الباقى من السفارديم ، ومن بين العدد الكلى لليهود والبالغ ٨٥٦١ شخصاً فى هذا الاحصاء كان عدد الحاصلين على الجنسية المصرية ٣١٣٥ شخصا والباقى ٥٤٢٦ اجنبيا بدون جنسية ومن الواضح أن اليهود الذين كانوا يعيشون فى مصر والذين حرموا من العمل فى المؤسسات العامة ، كانوا يعملون فى الأعمال الحرة كتجار ، ولان طائفة اليهود

القرائين هى التى عملت فى هذه المهن (تجارة الذهب والفضة والملابس) فيبدو أن الغالب على اليهود المصريين آنذاك أنهم كانوا ينتمون لطائفة القرائين ، أما الأجانب منهم فلا يعرف شيء عن انتمائهم المذهبى . ومن المهم ابراز حقيقة أن معظم من هاجروا من مصر لم يذهبوا الى اسرائيل ، وتشير الاحصاءات الاسرائيلية الى هذه الحقيقة بوضوح فبين عام ١٩٤٨ ، وعام ١٩٨٧ بلغ عدد اليهود الاسرائيليين من ذوى الأصول المصرية والسودانية ٣٠١٠٢ ، اى أن عدد من ذهب الى اسرائيل من بين قرابة ٧٥ الف يهودى عاشوا فى مصر حتى عام ١٩٤٧ لا يزيد عن ٤٠٪ ، وقد شكل هؤلاء نسبة ٦٨ر١٪ من المجموع العام للمهاجرين اليهود فى الفترة نفسها من شتى أنحاء العالم .

وعندما وقعت هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ كان عدد اليهود فى مصر يتراوح ما بين ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ شخص ، أما الاحصاء الرسمى فقد قدرهم عام ١٩٦٨ بـ ٢٥٠٠ شخص ، وقبل ذلك بأربع سنوات وفى ٢٤ فبراير عام ١٩٦٤ نشرت مجلة المصور مقابلة مع وكيل الحاخام حاييم دويك ، جاء فيها أن عدد اليهود وقتها بلغ خمسة آلاف نسمة ، أما الاحصاء الرسمى الصادر عام ١٩٦٦ فقد قدر عدد اليهود بـ ٢٤٨٤ شخصاً . وقد تسببت حرب عام ١٩٦٧ فى القاء القبض على عدد من اليهود لأسباب تتعلق بأمن الدولة ، وفيما قدرهم حاييم دويك حاخام اليهود آنذاك بحوالى ٤٠٠ معتقل ، صرح وزير الداخلية المصرى فى ١٩٦٧/١/٢٢ بأن عدد المعتقلين من اليهود بلغ ٢٥٧ شخصاً من جملة ٢٥٠٠ يهودى مصرى .

والواضح ان الأرقام متضاربة سواء فى تقدير عدد اليهود الذين كانوا يعيشون فى مصر حتى ذلك الوقت ، أو عدد المعتقلين فى اوساطهم لأسباب امنية ، وعلى اية حال فقد أفرج عن معظم

المعتقلين اليهود عام ١٩٧٠ . واستمرت حركة الهجرة بين شباب اليهود ولم يعد يعيش فى مصر سوى العجائز وكبار السن،وتختلف التقديرات اختلافاً كبيراً فى هذا الشأن ففى ١٩٧٧/٧/٢١ نشرت جريدة الجمهورية مقابلة مع رئيس مجـلس الطائفـة فى مصر « فيلكس سامباتورى » ، جاء فيها أن عدد اليهود فى مصر ٣٠٠ شخص ، منهم ١٤ فقط كانوا يعيشون فى حارة اليهود !

وبصفة عامة ، لم يعد هناك اليوم سوى عدد من كبار السن يزيد قليلا عن مائة شخص يعيشون اما على بيع ممتلكـاتهم أو ممتلكات الطائفة ، بالاضافة الى المساعدات التى يتلقونها من منظمة « الجيونت » وهى منظمة دولية يهودية تتولى تقديم العون لكـل الطوائف اليهودية بالعالم ، كما يوجد بعض اليهود الذين يحصلون على « معاشات » من الجهات التى كانوا يعملون بها قبل بلوغهم سن المعاش ! .

وفى لقاء مع « كارمن ونشتاين » رئيس الطائفة الربانيـة بالقاهرة (تقرير الحالة الدينية فى مصر ــ الأهرام ــ ١٩٩٨) وكانت الجمعية العمومية للطائفة بالقاهرة قد قررت فى نهاية عام ١٩٩٥ اقالة رئيسها : « اميل روسو » بسبب سوء ادارته لأموال الطائفة وتسببه فى ضياع بعض ممتلكاتها ، أو بيعها بثمن أقل من قيمتها الحقيقية ، واستخدمت قضية بيعه لمعبد بورسعيد كسبب رئيسى للاقالة ، وقد اختارت الطائفة الربانية مدام « ونشتاين » . التى ترفض اجراء أى مقابلات مع الباحثين . لتحل محل اميل روسو ولكن نظراً لكبر سنها فان ابنتها كارمن ونشتـاين تولت ادارة الطائفة بالانابة عنها .

تقول « كارمن » كانت الحياة الدينية لليهود تسير على خير ما يرام معظم الأحيان ، وكان هناك ٣٤ معبداً بالقاهرة وحدها ،

١٢ معبداً فى حارة اليهود ، ولم يكن المصريون يتعرضون لليهـــود فى ممارسة شعائرهم الدينية وحتى عندما احرق بعض المتطرفين معبداً للطائفة الاسكنازية عام ١٩٤٧ عرضت الحكومة المصريـــة اعادة بنائه على نفقاتها الخاصة ولكن فى مكان آخر (لم تذكر كارمن مكان هذا المعبد المحترق) ، الا ان رئيس الطائفة رفض وقامت الطائفة باصلاح المعبد على نفقتها فى المكان نفسه . ومـــع مرور الوقت ومع اضطراد هجرة اليهود خارج مصر أهملت هذه المعابد واصبح معبد موسى بن ميمون مهددا بالانهيار بسبب زيادة منسوب المياه الجوفية اسفله .

وبالنسبة للأطعمة اليهودية الخاصة أو طعام « الكوشير » أى المجهز على الطريقة الشرعية وفق التقاليد الدينية اليهوديـــة فتقول كارمن ان الطائفة كانت تقيم مخابز خاصة بها لانتاج الخبز والفطائر الملائمة لكل الأعياد الدينية اليهودية وكان هناك مخبز فى ميت غمر ينتج « الماتسا » وهو خبز غير مخمر كان يتناوله اليهود المتدينون طيلة الوقت ، أما اليهود غير المتدينين فكانوا يستعملونه فقط فى الأعياد الخاصة بذلك وخاصة فى عيد الفصح أو « البيسح »، كما كان هناك فرن آخر أيضا فى حارة اليهود لخدمة ما يزيد عـــلى سبعة آلاف يهودى هم سكان الحارة والطعـــام « الكوشـــير » لا يقتصر فقط على الخبز بل يتعداه الى اللحوم حيث لم يكن مسموح لليهودى بتناول لحوم مذبوحة على غير الطريقة اليهودية ، وكان أحد الحاخامات يتولى الاشراف على هذه الذبائح للتأكد من مطابقتها للشريعة اليهودية ، ويحرم اليهود اكل الخنزير والجمال والأرانب والسمك غير المغطى بالقشر وانواعاً معينـــة من السمك مثل سمك الثعبان .

أما عن طقوس الصلاة فتقول كارمن : ان عدداً قليلا مـــن اليهود كان ملتزماً بالفعل بهذه الطقوس ، ويؤدى اليهود الصلاة

مرتين فى الصباح والمغرب ويمكن تأديتها فى المنزل ، ولكن الصلاة الجماعية تتم فقط يوم السبت ويلزمها عشرة رجال على الأقل لتصبح مقبولة شرعاً ، وقد توقفت هذه الصلوات الجماعية منذ ما يزيد على عشر سنوات ، أما بسبب كبر سن معظم من بقى من اليهود وصعوبة انتقالهم من الأحياء التى يعيشون فيها الى مكان واحد داخل القاهرة لأداء الصلاة ، وأما لعدم حرص بقايا الطائفة على هذه الطقوس بسبب انتشار الأفكار العلمانية بينهم ، ومع ذلك فان الاحتفال بالأعياد اليهودية يظل آخر العلامات الباقية على وجود الطائفة اليهودية ، حيث يأتى أحد الحاخامات من اسرائيل كل عام فى عيد رأس السنة اليهودية لاقامة الصلاة الخاصة بهذا اليوم ويتم استكمال العدد القانونى من اليهود اللازمين لاقامة الصلاة الجماعية بالاستعانة بالسياح الاسرائيليين الذين يتواجدون فى مصر فى ذلك الوقت والفارق الأساسى بين صلوات الاشكناز والسفارديم أن الاشكناز يصلون باللغة اليديشية ، والسفارديم يصلون باللغة العبرية .

وتضيف كارمن : حتى أواسط الخمسينات كانت رئاسة الطائفة بالانتخاب ولكن مع نزوح اعداد كبيرة من اليهود خارج مصر أصبحت رئاسة الطائفة تتم عبر ترشيح شخص واحد للاستفتاء عليه ، وعادة ما كان يتم اختياره على أسس مستوى التعليم والمكانة المهنية والاجتماعية وبعد سفر معظم الاشكناز وهجرتهم من مصر أصبحت رئاسة الطائفة فى السفارديم . ويتولى رئيس الطائفة عملية ادارة المصالح المالية والممتلكات الباقية للطائفة وكذلك الجمعية الوحيدة التى مازالت قائمة وهى جمعية « قطرة اللبن » التى تأسست عام ١٩٢٠ ، وتقوم هذه الجمعية بمساعدة المحتاجين والفقراء من أبناء الطائفة ، والجمعية مسجلة فى الشئون الاجتماعية وتخضع لقانون الجمعيات الأهلية .

ورغم أن المراجع التاريخية تشير الى أن الاشكناز والسفارديم التابعين للطائفة الربانية قد توحدوا عام ١٩٤٧ واصبحت لهم ادارة واحدة ، الا أن كارمن وينشتاين تنفى ذلك وتقول أن ما كان حادثاً بالفعل هو انفصال الطائفتين بدليل انه فى أعقاب عام ١٩٦٧ هاجر عدد كبير من الاشكناز الباقين ولم يعد هناك سوى بضع عشرات منهم فأعلنوا انضمامهم للسفارديم ، كما تبرع الاشكناز الذين هاجروا بما تبقى لهم من ممتلكات الى السفارديم ، وهذا يؤكد أن الطائفتين كانتا منفصلتين حتى عام ١٩٦٧ ، وكان لكل منهما حاخامها الخاص ورئيسها الخاص أيضاً ، وتؤكد كارمن على ان احتكار الاشكناز لرئاسة الطائفة لسنوات طويلة جاء لأسباب عديدة كان اهمها أن الاشكناز كانوا أكثر ثقافة من السفارديم ، وكانت الأنشطة الفكرية والثقافية للطائفة اليهودية محصورة — الا باستثناءات قليلة — فى أوساط الاشكناز وحدهم دون السفارديم والقرئين ، وعن الانفصال الذى قام بين الربانيين — بمن فيهم الاشكناز والسفارديم — وبين القرائين ، تقول كارمن : أن العامل الحاسم فى نظر الربانيين الى القرائين على انهم غير يهود أو أنهم خارجون على الملة اليهودية هو كتابات موسى بن ميمون التى أدانتهم وأوضحت مدى خطأ معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم !! .

وفى حديث اجرى مع السيدة « فينيت » رئيس الطائفة اليهودية السابقة فى القاهرة فى شهر أكتوبر عام ١٩٨٧ قالت أن عدد اليهود فى مصر الآن لا يزيد عن ١٢٠ شخصاً اغلبهم من كبار السن وهم أفراد متناثرون بمعنى الكلمة اذ أن الأسر تكاد تكون غير موجودة باستثناء أسرتين أو ثلاث ، هؤلاء الـ ١٢٠ يعيشون على بيع بعض ممتلكاتهم أو على الاعانة التى خصصتها احد المنظمات اليهودية الدولية وهى لا تتعدى ٥٠ جنيهاً مصرياً لكل فرد ، وعن حياتهم فى مصر قالت فينيت : « نحن نعيش فى مصر كأى فرد من أفراد الشعب ونختلط بجيراننا المسلمين والمسيحيين ولنا صداقات

كثيرة ، ولا نشعر بتفرقة من أى نوع ، والمشكلة الوحيدة التى نعانيها اننا أصبحنا طائفة على وشك الانقراض فلا توجد اسر لكى تتناسل وتعوض من يموتون ، وحتى المعابد الباقية وعددهم ١٢ معبداً أصبحت معابد مهجورة واحياناً ما تقام الصلاة فى معبدين او ثلاثة من هذه المعابد .. وحتى المعابد لا تفتح فى ايام السبت لان الصلوات الجماعية تشترط عدداً من الرجال لا يقل عن عشرة افراد أو اثنى عشر عند طوائف أخرى ، هذا العـــدد يصعـــب استكماله فى مواعيد الصلاة الأسبوعية نظراً لان عدد الرجـــال فى الطائفة قليل بالنسبة لعدد النساء ، كما أن الحالة الصحيـــة لمعظمهم لا تسمح لهم بالذهاب لاقامة الصلوات » !!

ويقول « روبير نحمان » سكرتير الطائفة اليهودية بالقاهرة ، والذى يقوم أيضاً بمهمة رعاية الشئون الدينية ــ حيث لا يوجـــد حالياً حاخام للطائفة ــ فقط فى المناسبات الدينية الكبرى يحضر حاخام من اسرائيل ! يقول « الخواجه روبير » أن بالقاهرة ١٩٤ امرأة يهودية و ٤ رجال فقط ، اما عددهم فى الاسكندرية فلا يزيـــد عن ١٥ يهودياً ! ...

ولا يوجد شباب يهـــودى فى مصر فى ســـن الثلاثين أو حتى الخمسين ومنذ ٣٥ عام شهدت القاهرة آخر حفل زواج يهودى ، كل الرجال اليهود سافروا خـــارج مصر حتى يؤمنون مستقبـــل أولادهم .

ولا يوجد حاخام ليهود القاهرة وكان آخر حاخـــام منذ ٢٥ عاماً ، واقوم بدوره لو كانت هناك صلاة جماعية ، وفى اغلـــب المناسبات والاحتفالات الدينية اليهودية يحضر الينا حاخـــام مـــن اسرائيل مرتين أو أكثر فى السنة وبرفقته بعض اليهود حتى يكتمل العدد عشرة أشخاص لاقامة صلاة الجماعة ويصلى يهود القاهرة

صلاة فردية عادية فى معظم الأوقات . ولم نحتفل منذ اربعين عاما بعيد ميلاد فليس لدينا أطفال يهود صغار .

ومعظم اليهوديات متزوجات من مسلمين أو أقباط وبعضهن مازلن على الديانة اليهودية . وتساعدهن الطائفة مادياً ومعنوياً ولدينا ست سيدات اعتنقن الاسلام والمسيحية .

وليست لنا مطالب من الدولة فعددنا بسيط ولا نعمل فى السياسة والطائفة غنية وتنفق علينا .. أنا شخصيا أتلقى ٢٥٠ جنيها شهريا اعانة من الطائفة ، اما السيدات اللواتى لا يعملن اغلبهن يحصلن على مساعدة مالية قدرها ٢٠٠ جنيه كل شهر .

وغير صحيح اننا – كطائفة – طالبنا وزارة الثقافة بانشاء معبد أو متحف جديد أو حائط مبكى فى القاهرة كما ردد البعض فى الآونة الأخيرة كيف نطلب هذا بينما لا يوجد فى القاهرة رجال يهود سوى اربعة فقط .. أنا واحد منهم ! لم نطلب شيئاً من اى جهة رسمية على الاطلاق ! ..

ومعظم العاملين بالمركز الأكاديمى الاسرائيلى وبالسفارة الاسرائيلية يحضرون للصلاة فى المعبد اليهودى بشارع عدلى والسفير الاميريكى دانيال كيتزر يأتى مع زوجته فى المناسبات الدينية الكبيرة وكذلك السفير الاسرائيلى ولكن كل بمفرده .

المركز الأكاديمى الاسرائيلى يمنحنا فى الأعياد الدينية التى تستمر ثمانية أيام عيش الكاشير ورقاقا ولحوماً وعلبا غذائية يهودية معينة تأتى الينا من اسرائيل ، قبل ذلك كنا نأخذ تلك المعونات من الولايات المتحدة الامريكية ثم من فرنسا .

كل الأدوية واجور العلاج لليهود بالمستشفيات تدفعها اسرائيل عن طريق الأصدقاء القادمين من الولايات المتحدة الأمريكية من منظمة يهود امريكا ، انا شخصياً اتسلم من ٥٠ الى ٦٠ جنيهاً شهرياً كأدوية نظراً لاصابتى بالقلب .

بالمناسبة السيدة هيلارى كلينتون فى زيارتها للقاهرة منحت الأقباط عدة ملايين من الدولارات رغم اننا كيهود نحتاج أكثر منهم ! ولكن مدام كارمن لم تتحدث معها فى هذا الأمر !!

معبد القربى بمصر الجديدة لا نقوم بأداء الشعائر والصلوات فيه ، نصلى فى معبد المعادى الذى قامت الطائفة باصلاحه وترميمه على نفقتها الخاصة .

بطلنا ندفن موتى اليهود فى مقابر الطور بسبب مشكلة المياه الجوفية هناك الآن ندفن فى مقابر اليهود بالبساتين التى اشتريناها بـ ٢ مليم للمتر منذ سنوات طويلة شوف دلوقت المتر هنا بكام ! نحن لا نبيع أو نشترى فيها ... هناك يهود خارج اطار الطائفة عددهم من ٢٠ الى ٣٠ ليست لهم علاقة بالطائفة .

لم أر السيدة « ليا » زوجة د. بطرس غالى مرة واحدة فى المعبد فهى لا تأتى للصلاة عندنا !!

ويعتقد «جو هرارى»رئيس الطائفة اليهودية بالاسكندرية :

ان من كتبوا عن معاناة اليهود فى مصر خلال السنوات الأخيرة من الأربعينيات وحتى نهاية الستينيات قد بالغوا كثيراً فى تصوير هذه المعاناة وخلطوا بين معاملة الدولة لليهود الأجانب وبين معاملتها لليهود المصريين . ويقول هرارى الذى ولد فى ١٣ ابريل عام

١٩١٢ فى حى وكالة الليمون أحد أفقر أحياء الاسكندرية ، انه عاش طيلة حياته فى مصر دون مشاكل ، وحتى كونه من أسرة سورية نزحت لمصر فى منتصف القرن التاسع عشر ولم تحصل على الجنسية المصرية وهذا لم يخلق له مشكلة حقيقية ، فعندما بلغ سن التجنيد دفع ما كان يسمى « بالبدل » وقيمته عشرون جنيها حتى لا يتم تجنيده ، وهو تقليد كان شائعاً فى مصر قبل توقيع معاهدة عام ١٩٣٦ ، وقد استخدم جو هرارى وثيقة البدل لكى يثبت جنسيته المصرية ، وعندما تعرض اليهود الأجانب أو الذين صنفوا على انهم بدون جنسية للطرد بعد حرب عام ١٩٥٦ لم يسر هذا الاجراء على هرارى الذى ظل يعمل فى الدكان الذى يملكه والمتخصص فى تجارة أدوات الخياطة .

ولا يتذكر هرارى أنه تعرض لأى نوع من المضايقات من جيرانه حتى فى أحلك الأوقات خاصة بعد هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، وعن وصوله لمنصب رئيس الطائفة اليهودية بالاسكندرية رغم أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب وان كان يتحدث العربية والفرنسية يقول هرارى : « لقد ظللت عضوا بالجمعية اليهودية ـــ الاسم الذى استخدمه بدلا من الطائفة ـــ لمدة أربعين عاماً ، وخلال هذه السنوات كانت أعداد اليهود فى مصر تتناقص بسبب الهجرات الكبيرة للشباب اليهودى فى مصر وكذلك بسبب معدل الوفيات الطبيعى ، ولا تعرف الطائفة منذ عام ١٩٥٦ أى نظام انتخابى لاختيار رئيس الطائفة بل يتم اختيار أحد الأشخاص الذين يحظون بقبول معظم اليهود ، ويقول هرارى أن موت أغلب رجال الطائفة من أصحاب المهن المرموقة مثل الأطباء والمهندسين والمحاسبين قد مكنه فى النهاية من الوصول لمنصب رئاسة الطائفة رغم انه لم يتلق أى نوع من التعليم !

وحاليا لم يعد هناك سوى ٥٠ يهودياً فى الاسكندرية منهم ٤٥ امراة وخمسة رجال ، ولان الشريعة اليهودية تشترط اقامة صلوات السبت فى وجود عشرة رجال على الأقل فان اليهود الذين مازالوا على قيد الحياة لا يؤدون صلوات جماعية ويقوم كل منهم بالصلاة بمفرده ورغم ذلك يقول هرارى أنه لم يكن متديناً طيلة حياته ولم يتزوج ايضا ويعتقد أن الصلاة اليهودية الآن تقتصر على الأعياد والمناسبات الدينية ، ويقوم حاخام اسرائيلى اسمه « البير شيرازى » بالحضور الى مصر فى عيد رأس السنة العبرية وعيد الفصح لاقامة شعائر الاحتفال حيث لا يوجد بالاسكندرية أى شخص يمكن أن يتولى منصب الحاخامية . وتدلل سكرتيرة الطائفة لينا متاتيا ، وهى من أسرة يونانية سكنت الاسكندرية منذ القرن الماضى على عدم اعتناء اليهود بالمسائل الدينية بقولها : اننا نأكل أكل الطريق ، أى اكلا عادياً فى مقابل الطعام « الكوشير » أى المحلل دينياً والذى يجب أن تجرى عليه طقوس دينية خاصة بالنسبة للحوم والخبز » ويقول هرارى : « نحن نعيش كمصريين مسلمين أو مسيحيين وناكل من اكل السوق شأن أى أسرة مصرية والطعام « الكوشير » نتناوله مرة او مرتين فى السنة. عندما يأتى الحاخام شيرازى من اسرائيل لاقامة الصلوات فى الأعياد » .

عن الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية للطائفة ، يقول هرارى : لم يعد لليهود فى الاسكندرية اى نشاط يذكر فقد اغلقت كل النوادى والجمعيات اليهودية بل والمستشفيات والمدارس أيضاً منذ أوائل الستينيات ، وحاليا أصبح جميع افرادها من كبار السن وبعضهم فقير تقوم الطائفة بالأنفاق عليه وعلاجه وبعضهم دخل بيوت المسنين ليعيش فيها ايامه الأخيرة نظراً لعجزه عن خدمة نفسه . وتتلقى الطائفة معونات من بعض المؤسسات اليهودية الخيرية الى جانب الدخل الذى تحصل عليه من املاكها وهى عبارة عن بعض العمارات التى تؤجرها الطائفة منذ سنوات طويلة

لسكان لا يدفعون سوى ايجارات قليلة وهناك بعض اليهود أيضا يتلقون معاشات من الأعمال التى كانوا ملتحقين بها سواء فى القطاع العام أو الخاص .

وعن علاقة الطائفة بالاسكندرية بنظيرتها فى القاهرة ، قال هرارى : « ليست هناك علاقات بين الطائفتين ، هناك زيارات كان رئيس الطائفة القرائية فى القاهرة يوسف القدسى يقوم بها من حين لآخر للاسكندرية ، ولكنه لم يكن يقبل الصلاة فى معابد الطائفة التى تنتمى للربانيين وقبل وفاة القدسى عام ١٩٩٦ حضر الى الاسكندرية وتحدث عن مشكلة مقابر اليهود فى القاهرة والتى قامت الدولة بنقل بعضها حتى لا تعترض الطريق الدائرى الجديد للقاهرة ، ويقول هرارى : ان الطائفة بالاسكندرية لا تعانى هذه المشكلة حيث تمتلك الطائفة ثلاث مقابر ، واحدة فى الازاريطة والأخريات فى الشاطبى ، ومعبد فى المنشية غير مستغل على الاطلاق ، ويخشى هرارى أن يموت اليهود الباقون جميعا ، ويتساءل كيهودى يؤمن بضرورة الحفاظ على عظام الموتى كاملة على مر الزمان « ما هو مصير عظامنا بعد أن تنتهى الطائفة بالكامل » ؟!!

BIBLIOGRAPHIE

1. Bulletin of the Israeli Academic Center in Cairo.
2. Cohen, Mark : « Jewish Life in Medieval Egypt 641-1382 » Tel Aviv Unv., 1987.
3. Fargeon, Maurice : Les Juifs d'Egypte, Depuis les origines Jusqu'à Ce Jour, le Caire, imprmerie paul Barbey, 1938.
4. Farhi, Noury : La communauté Juive d'Alexandrie à nos Jours, Conférences à l'ouvroir des Ecoles de la Communauté Israelite d'Alexandrie, 1945.
5. Goitein S. D. : A Medítterranean Society, the Jewish communities as Portayed in the Documents of the Cairo Geniza, Univ. of California press - Los Angeles London, 1967 - 1983.
6. Hassoun, Jacques : « a Mosaïques Egyptiennes » in combat pour la Diaspora, n 3, 1980.
7. Hassoun, Jacques : « Juifs d'Egypte, Images et textes » contributions de Zivie A., Morabia A., Stambouli J., Gabbai E., Krämer G., Harari E., 1984.
8. Hayyim Cohen : Jews of the Middle East, Jerusalem, 1973.
9. Landau Jacob : Jews in nineteenth century Egypt, New York Univ. Press, 1969.

10. Lewis, Bernard : The Jews of Islam, Princeton, 1984.

11. Lilienthal, Alfred : What price Israel ? Chicago, 1953.

12. Mann, Jacob : Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, London, 1970.

13. Masri, Jean : le Judaisme Egyptien, Vol 1 : La communauté d'Alexandrie, Alexandrie, 1948.

14. Memmi, Albert : Juifs et Arabes, Paris, 1975.

15. Mizrahi, Maurice : l'Egypte et ses Juifs, Le temps revolu xixè et xxè siècles, Geneve, 1977.

16. Najar, Albert : Rapport sur l'Egypte Presented to the President of the Aillance Israélite Universelle, 1901.

17. Memoy, Leon : A modern Egyptian Manual of the Karaite Faith, Jewish Quarterly Rev. 62, 1971-72.

18. Owen E., Roger J. : Cotton and the Egyptian Economy 1820-1914, A study in trade and development, Oxford 1969.

19. Peretz, Don : Egyptian Jews Today, London, 1981.

20. Prato, David : Cinque annidi Rabbinato, Alexandria, 1933.

21. Roumani, Maurice : The case of the Jews from Arab countries, A Neglected Issue, Tel Aviv, 1978.

22. Samuel, Sydney : Jewish life in the East, London, 1881.

23. Shamir, Shimon : The Jews of Egypt : A Mediterranean society in modern times, Boulder, 1987.

24. Taragan, Bension : Les Communutés israélites d'Alexandr,e, A percu historique, depuis les temps des ptolémées Jusqu'à nos Jours. Alexandrie, 1932.

25. Woolfson, Marion : Prophets in Babylon : Jews in the Arab World, London, 1980.

المراجـــع العربيـــة

١ ــ د. رشاد الشامى : الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية ــ سلسلة « عالم المعرفة » عدد ١٠٢ ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت .

٢ ــ سهام نصار : اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم عن رسالة ماجستير قدمتها بعنوان « صحافة اليهود العربية فى مصر » عام ١٩٧٤ .

٣ ــ د. على شلش : اليهود والماسون فى مصر ــ دراسة تاريخية ، كتاب الزهراء ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٤ ــ عرفه عبده على : دراسات منشورة بمجلة « الهلال » :

ــ « المحافل والمعابد اليهودية فى مصر » نوفمبر ١٩٨٩ .

ــ « مقابر اليهود وتهريب وثائق الجنيزه » فبراير ١٩٩٠ .

ــ « يهود مصر من الاندماج الى الهجرة » مايو ١٩٩٠ .

ــ « حكاية وثائق جنيزة القاهرة واهميتها التاريخية » اغسطس ١٩٩٠ .

ــ « اثر الثقافة العربية فى ثقافات الجماعات اليهودية » مارس ١٩٩١ .

ـــ « يهود فى تاريخ الفن المصرى » مجلة (المجلة) عدد ٦٤٤ ، لندن ، ١٠ ـــ ١٦ يهنيو ١٩٩٢

ـــ « يهود مصر فى العصر الحديث ـــ منذ عصر محمد على باشا حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ » (١٠ حلقات) ١٣ سبتمبر ـــ ٦ نوفمبر ١٩٩٣ بجريدة « الشرق » القطرية .

الأشكال

النحاس باشا رئيس الوزراء يحيى « شلوموليز طوق » قائد الاوركسترا
وبينهما فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية وسكرتير حزب الوفد
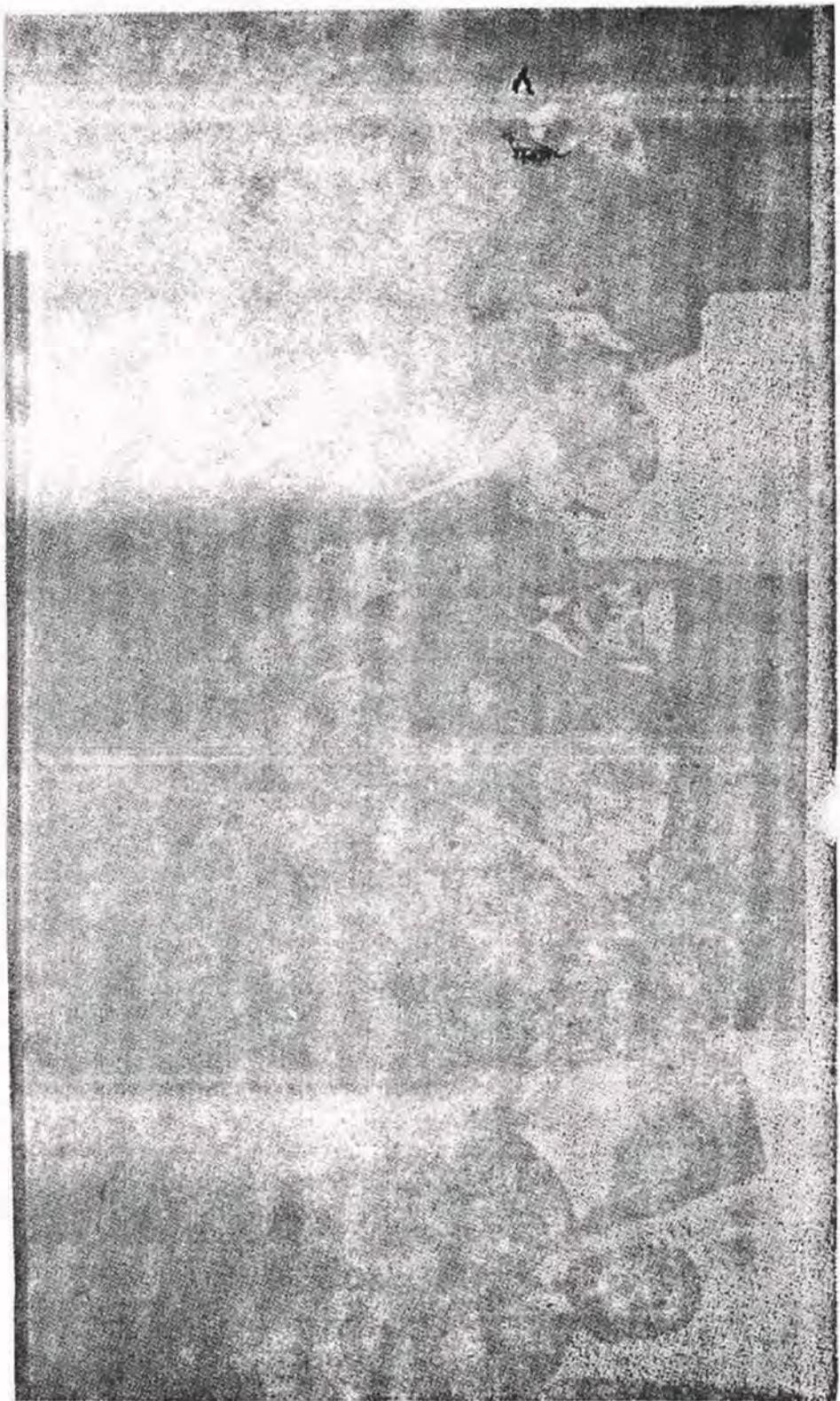
الملك فاروق ورئيس « مكابي مصر » (١٩٤٠)

يعقوب صنوا « أبو نضاره »

(العدد ١٧٢) القاهرة فى ١٣ حشفان سنة ٥٧١٣ — أول نوفمبر سنة ١٩٥٢ (السنة الثامنة)

8 me Année — No. 172

الاشتراكات

الادارة

صاحب الامتياز
الشبان الاسرائيليين
القرائين
رئيس التحرير
يوسف كمال

(AL-KALIM Revue Israelite Caraime)

15, Rue Torsina — Le Caire - Egypte

الرئيس اللواء محمد نجيب يزور كنيس الطائفة

حديث ودى بين الرئيس القائد والحاخام الأكبر فى غرفة الاستقبال

زيارة الرئيس الراحل محمد نجيب الى معبد طائفة القرائين « موسى الدرعى »
تتصدر غلاف مجلة « الكليم »

حاييم ناحوم افندى الحاخام الأكبر وعضو مجمع اللغة العربية
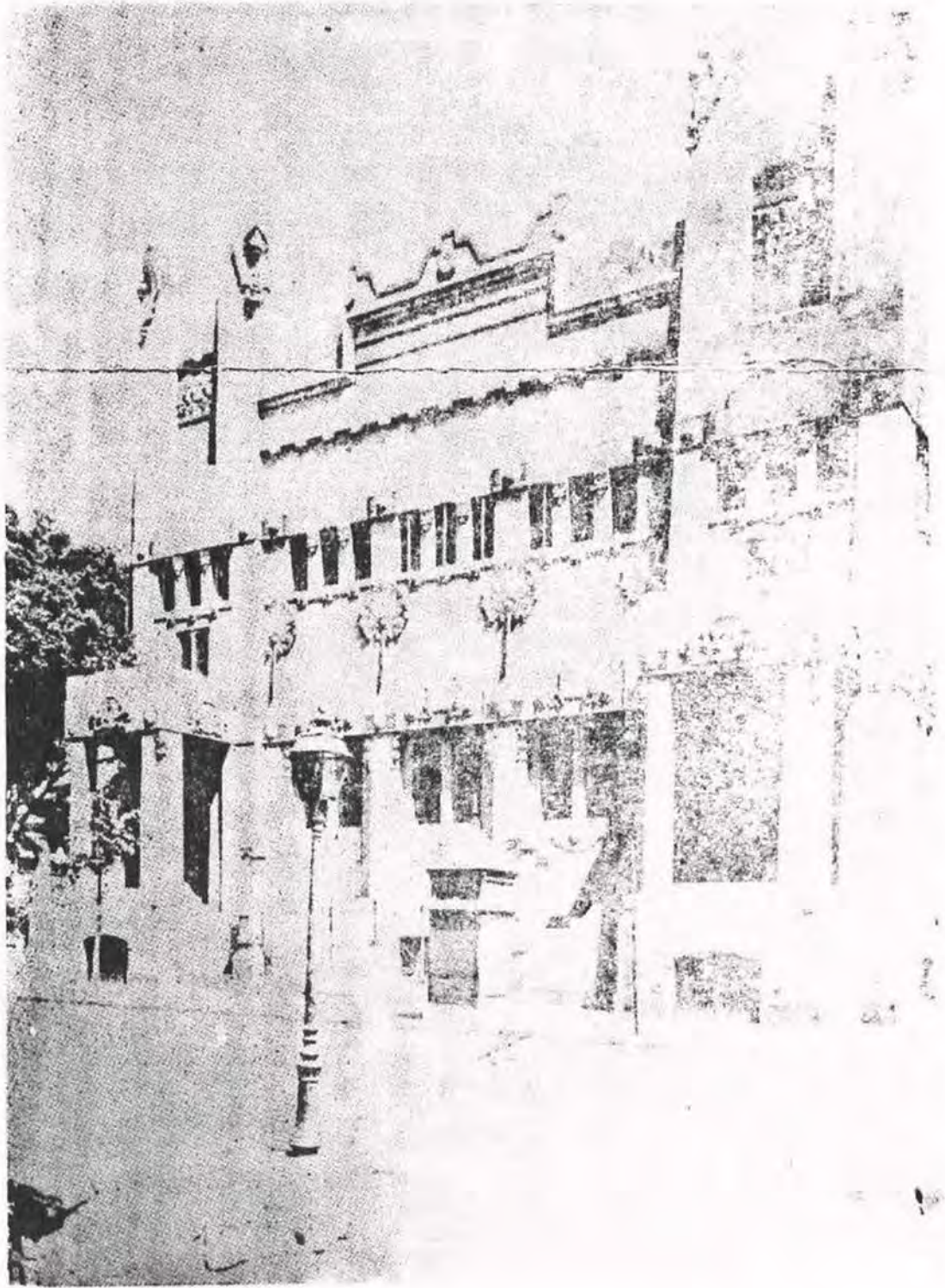
صورة نادرة لمعبد شعار هاشاميم (أبواب السماء) بشارع عدلى عام ١٩٢٠

يهود من الطبقة الثرية بالاسكندرية فى يوم الاحتفال بعيد « البوريم »

معبد الباردين « دى منشه » بحى محرم بك

واجهة معبد باحاد اسحق
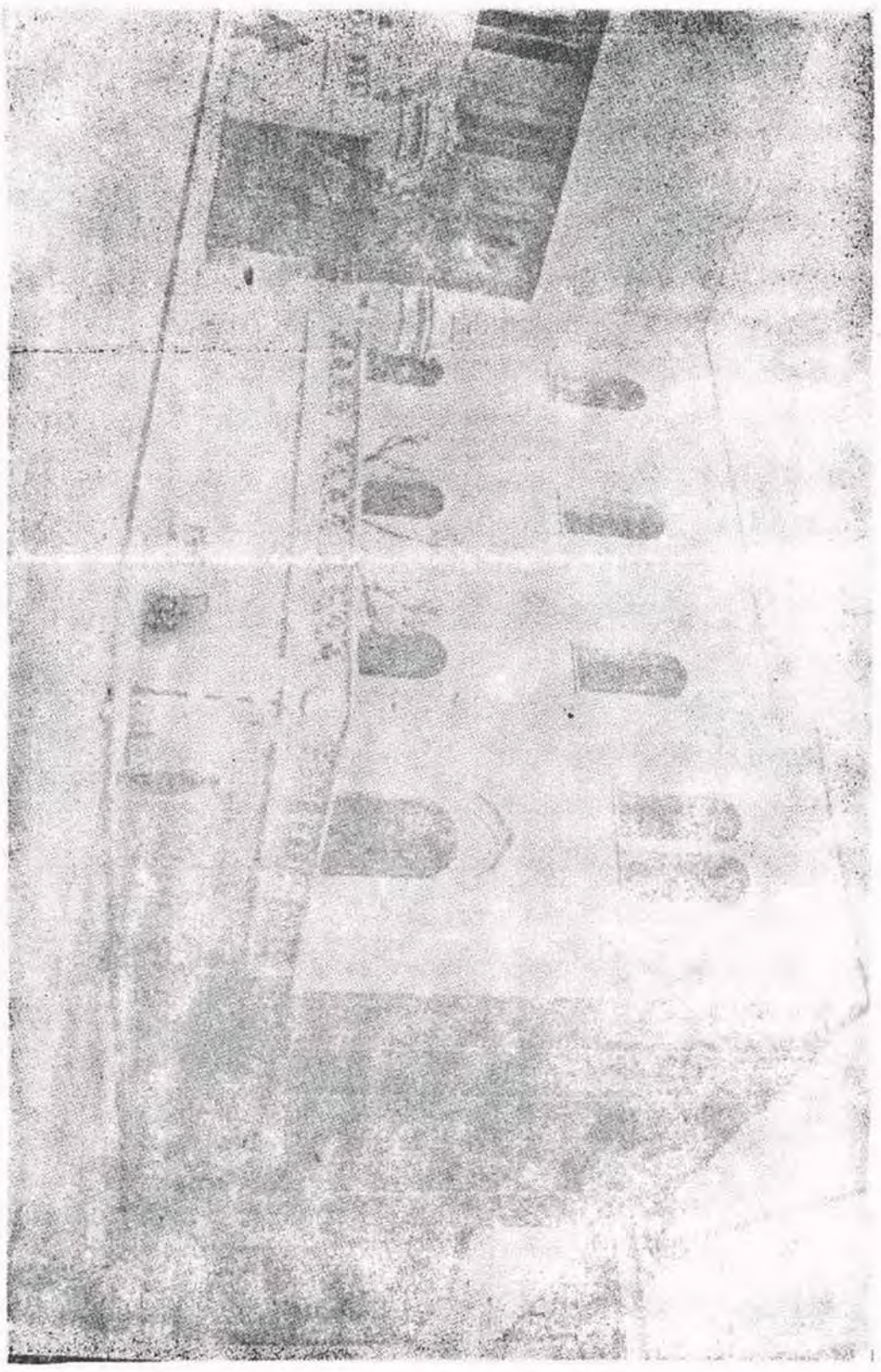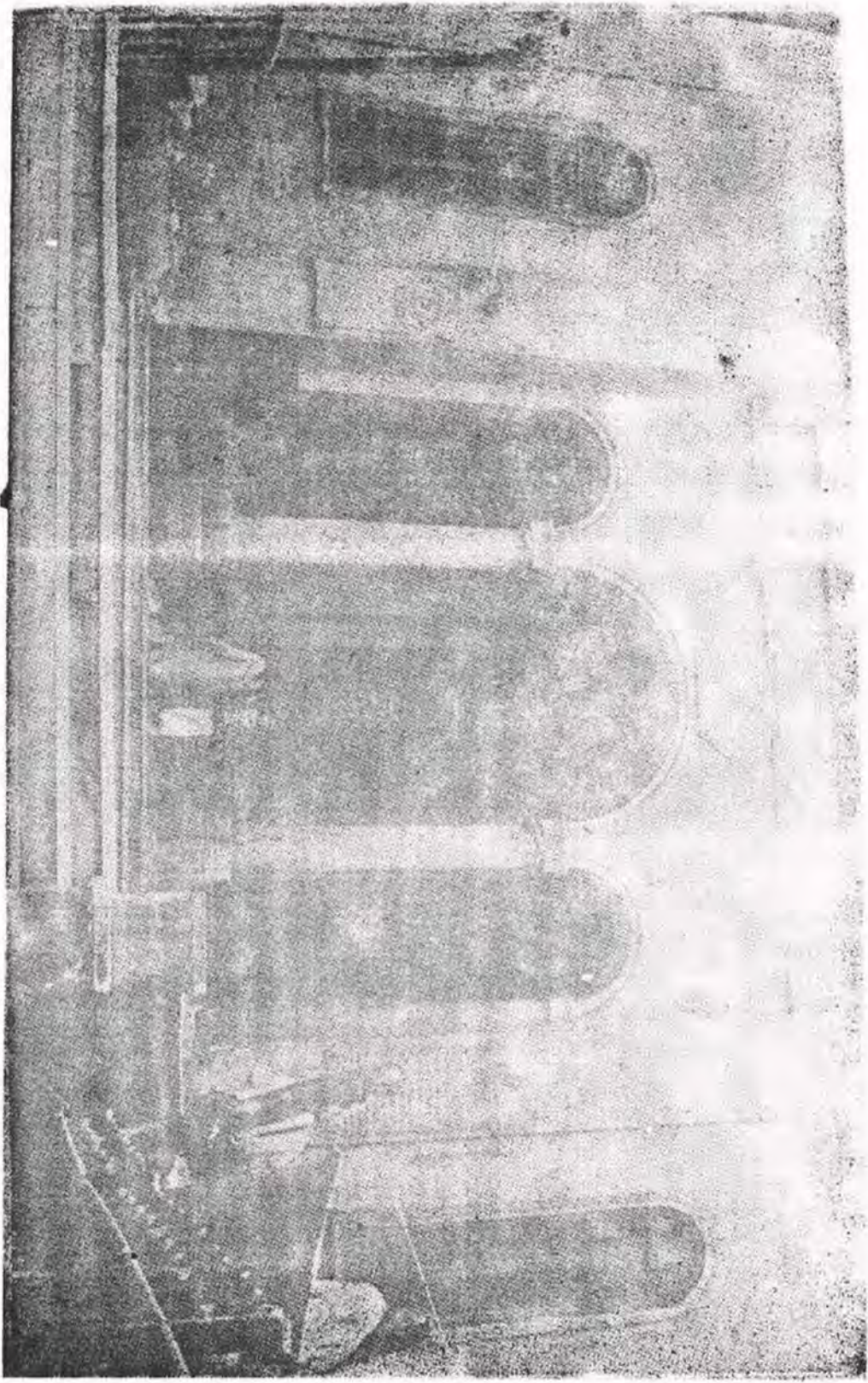
واجهة معبد بن عزرا بمصر القديمة
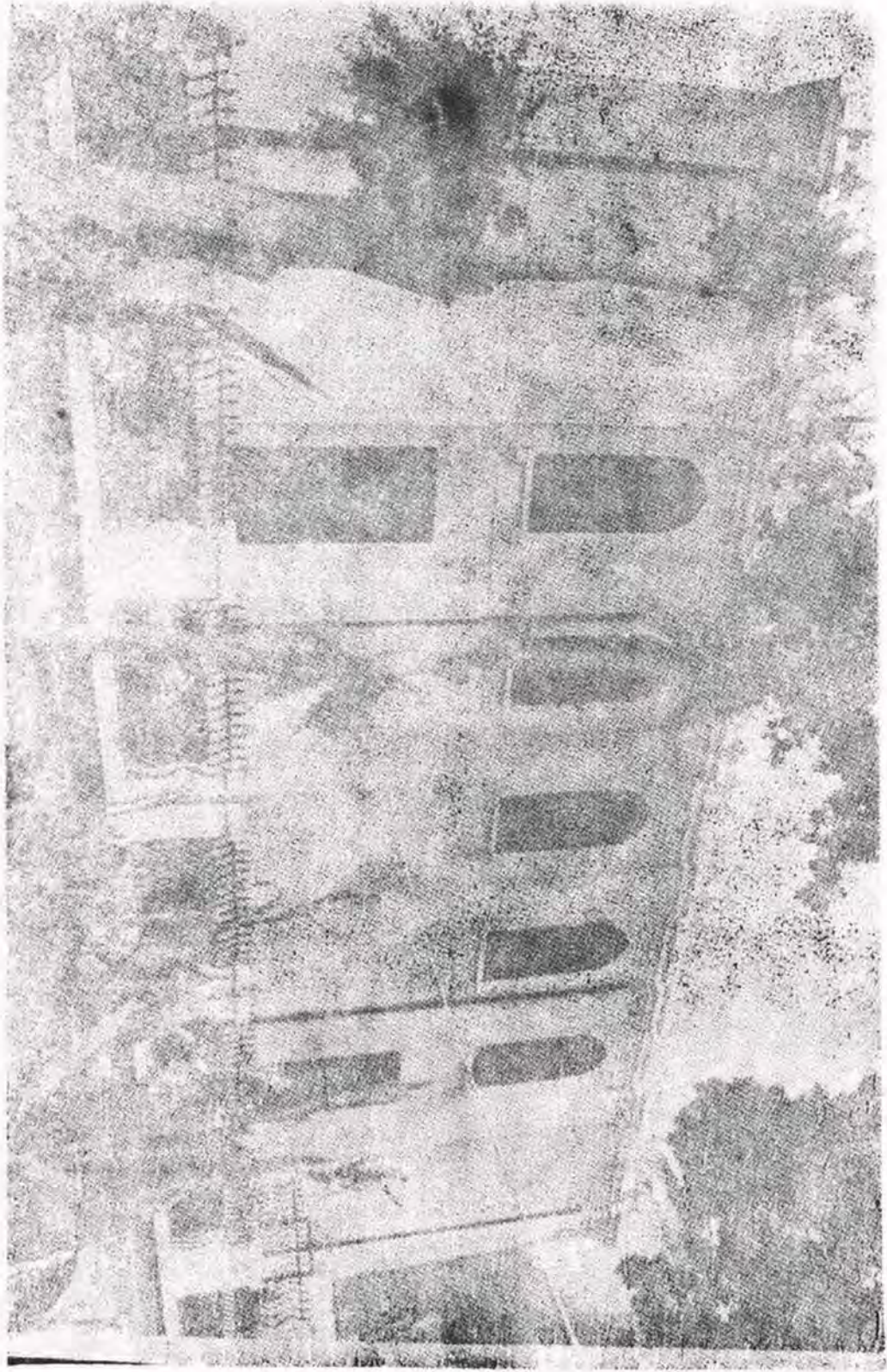
عروس عقب الحمام الدینی

معبد اليهود القرائين
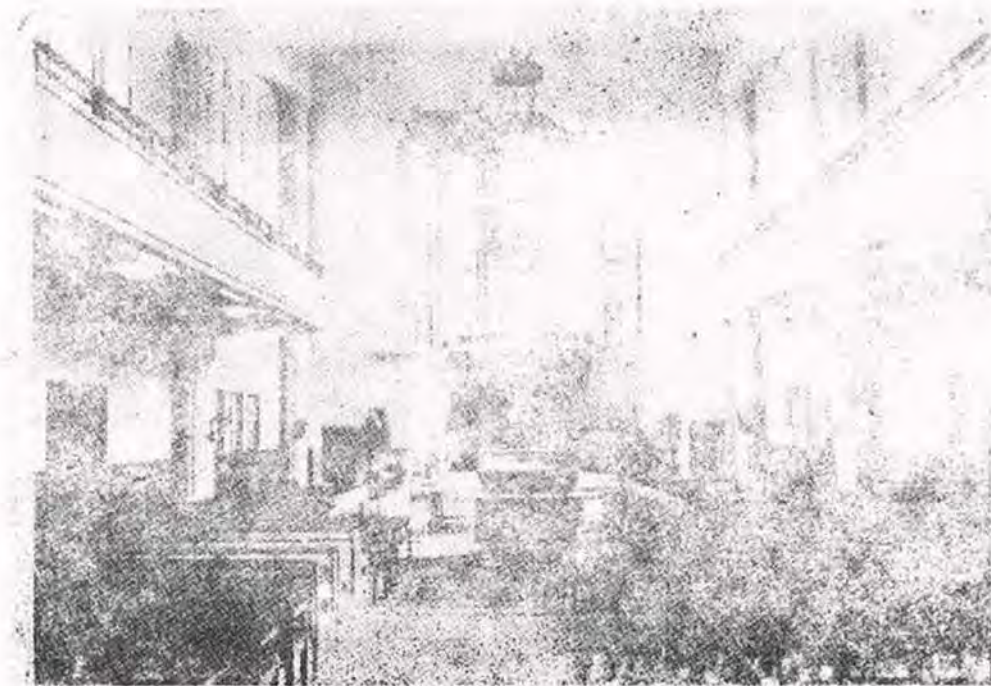
داخل معبد « زاراديل » بحارة اليهود بسوق السمك القديم بالاسكندرية

حاييم موسى دويك الحاخام الأكبر بالقاهرة (١٩٦٠ - ١٩٧٢)

حاييم موسى دويك الحاخام الأكبر بالقاهرة (١٩٦٠ - ١٩٧٢)

الياهو اسرائيل الحاخام الأكبر بالقاهرة (١٨٤٧ ـ ١٨٦٦) وقد تقلد ابنه « يوم طوق اسرائيل » هذا المنصب فى الفترة (١٨٦٩ ـ ١٨٩٠)

موشى باردو : الحاخام الأكبر للاسكندرية (١٨٧٢ - ١٨٨٨)

الحاخام ابراهام ابو خزير رئيس محكمة اليهود الربانيين بالاسكندرية
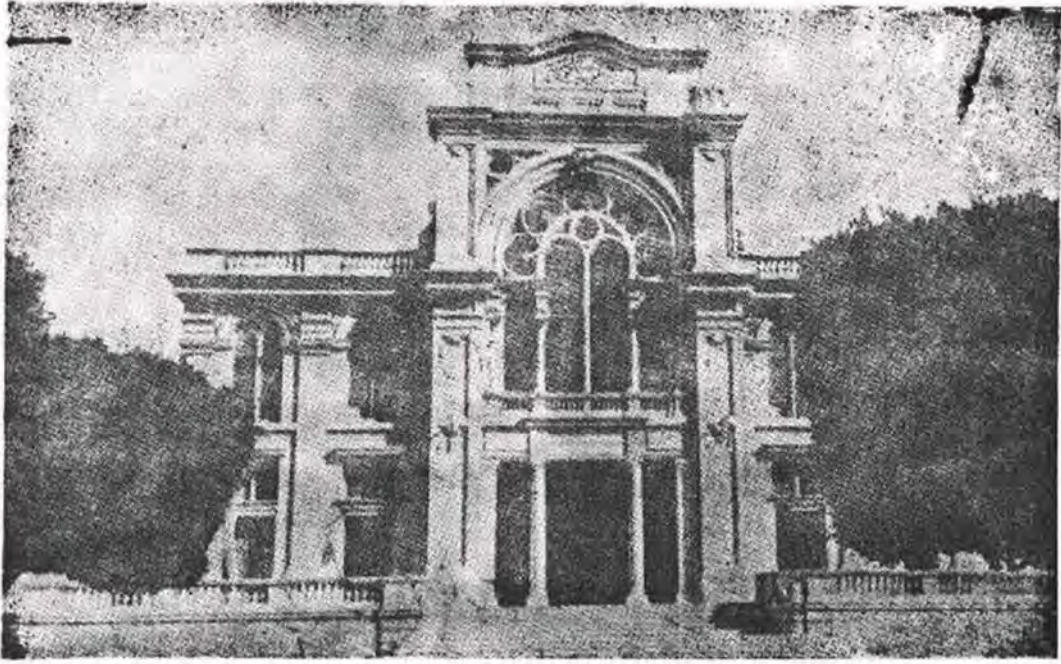
محفل « الياهو هانبى » بالاسكندرية

عرض أسفار التوراه بمعبد
الياهو هانبى بالاسكندرية

ختان طفل یهودی

فى ليبيا، الاتحاد اليهودى للبنات عام ١٩٤٢

أمام الهيكل المقدس بمعبد بن عزرا بمصر القديمة
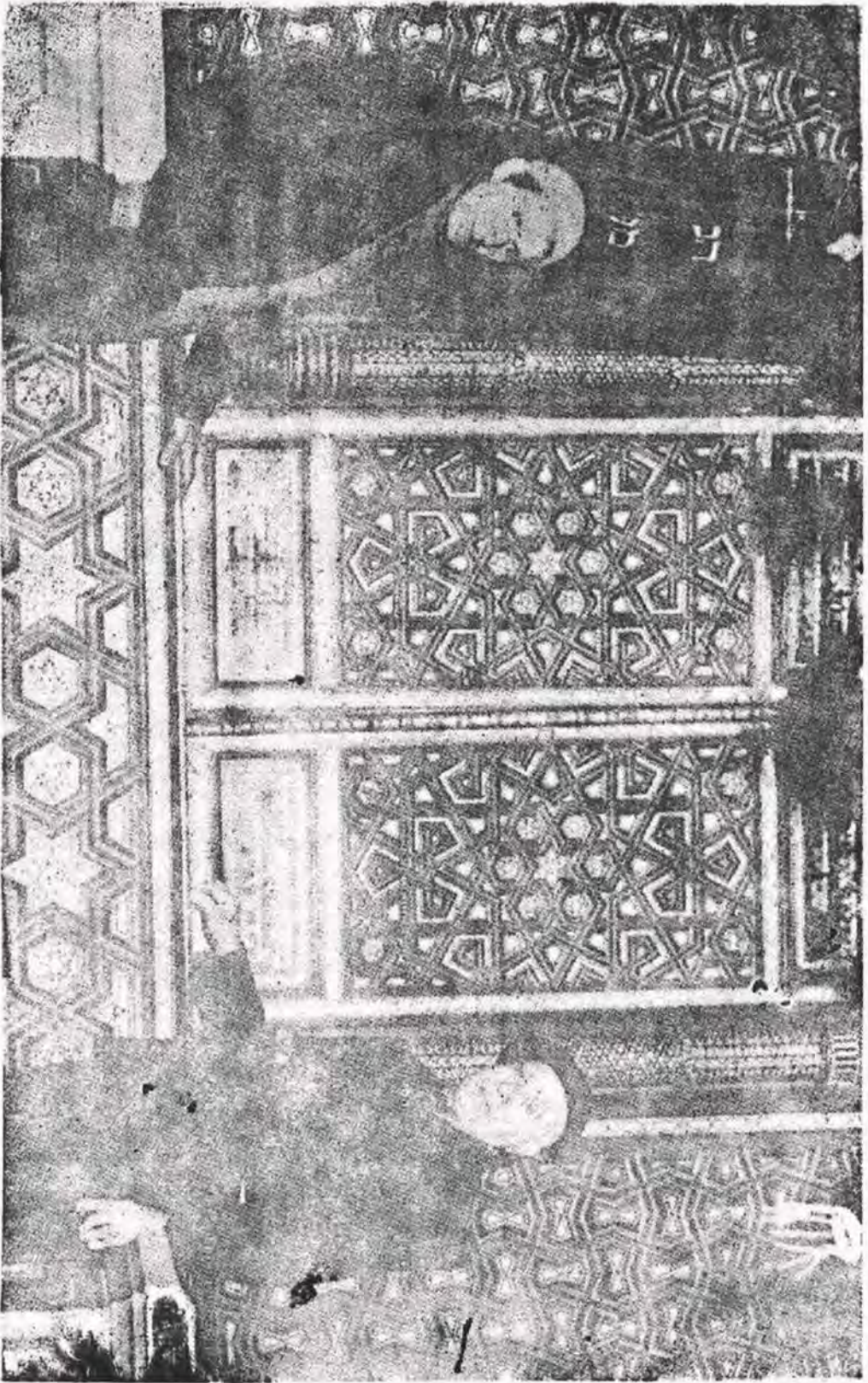
بعض من أسرة « سوارس » بقصرهم بالاسكندرية

مدفن الحاخام الأكبر للطائفة اليهودية « حاييم ناحوم أفندي »

مدفن عائلة قطاوى

فهـــــرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

صدر فى هذه السلسلة

١ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.

٢ - على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧ .

٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧ .

٤ - التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧ .

٥ - غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى،
د. علية عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧ .

٦ - هؤلاء الرجال من مصر جـ١ ،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧ .

٧ - صلاح الدين الأيوبى،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧ .

٨ - رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية ،
د . على بركات، ١٩٨٧ .

٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧ .

١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزى، ١٩٨٧ .

١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧ .

١٢ - هدى شعراوى وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨ .

١٣ - أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية ،
د . عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤

١٤ - مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨ .

١٥ - المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨ .

١٦ - فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢) ،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨ .

١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨ .

١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨ .

١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨ .

٢٠ - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى ،
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨ .

٢١ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ١ ،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨ .

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر،
جمال بدوى، ١٩٨٨.
٢٣ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ٢، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.
٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ـ١٩٣٦)،
د . نجوى كامل، ١٩٨٩.
٢٥ ـ المجتمع الإسلامى والغرب،
تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.
٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩.
٢٧ ـ فتح العرب لمصر جـ١،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
٢٨ ـ فتح العرب لمصر جـ٢،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
٢٩ ـ مصر فى عهد الإخشيديين،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.
٣٠ـ الموظفون فى مصر فى عهد محمد على،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠.
٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٩.
٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٢،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩.
٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الأفريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية،
د . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩.
٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢،
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.

٣٥ ـ أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠.
٣٦ ـ المجتمع الإسلامى والغرب جـ ٢،
تأليف : هاملتون بووين، ترجمة : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠.
٣٧ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠.
٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠.
٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ـ١٨٢٧)،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠.
٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨،
د . عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠.
٤١ ـ محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١.
٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غربال، ط ٢، ١٩٩٠.
٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠.
٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩١.
٤٥ ـ الحروب الصليبية جـ ١،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشى، ١٩٩١.
٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧)،
ترجمة: د . عبدالرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩١.

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث،
د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .
٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،
د . زبيدة عطا، ١٩٩١ .
٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩) ،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ـ١٩٥٤) ،
د . سهير اسكندر، ١٩٩٣ .
٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)،
أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،
د . إلهام محمد على ذهنى، ١٩٩٢ .
٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،
د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢ .
٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩٢ .
٥٥ ـ الحروب الصليبية جـ٢ ،
تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٢ .
٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢ .
٥٧ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة ،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢ .
٥٨ ـ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة،
د . إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣ .
٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧ـ١٩٦١) ،
د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .
٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣ .
٦١ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣ ،
لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .
٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية ،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر:
د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٤ ـ مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية ،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .
٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ـ١٩١٧) ،
د . سهام نصار، ١٩٩٣ .
٦٦ ـ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ،
د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .
٦٧ ـ مساعى السلام العربية الإسرائيلية : الأصول التاريخية ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٨ ـ الحروب الصليبية جـ٣ ،
تأليف : وليم الصورى
ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣
٦٩ ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ـ١٩٥١) ،
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤

٧٠- أهل الذمة في الإسلام،
تأليف: أ. س. ترتون،
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ط ٢، ١٩٩٤.

٧١- مذكرات اللورد كيلرن (١٩٣٤-١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة: د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.

٧٢- رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية في العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ)،
د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.

٧٣- تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.

٧٤- تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، في العصر الفرعوني،
د. سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤.

٧٥- أهل الذمة في مصر، في العصر الفاطمي الأول،
د. سلام شافعي محمود، ١٩٩٥.

٧٦- دور التعليم المصري في النضال الوطني (زمن الاحتلال البريطاني)،
د. سعيد إسماعيل علي، ١٩٩٥.

٧٧- الحروب الصليبية جـ١،
تأليف: وليم الصوري، ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ١٩٩٤.

٧٨- تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نعمات أحمد عتمان، ١٩٩٥.

٧٩- تاريخ الطرق الصوفية في مصر، في القرن التاسع عشر،
تأليف: فريد دي يونج، ترجمة: عبد الحميد فهمي الجمال، ١٩٩٥.

٨٠- قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوربي (١٨٨٢-١٩٠٤)،
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.

٨١- تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د. رمزي ميخائيل، ١٩٩٥.

٨٢- مصر في فجر الإسلام، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٣- مذكراتي في نصف قرن جـ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٤- مذكراتي في نصف قرن جـ٢ - القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥.

٨٥- تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢)،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٥.

٨٦- تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ - ١٩١٤)،
د. أحمد الشربيني، ١٩٩٥.

٨٧- مذكرات اللورد كيلرن، جـ ٢، (١٩٣٤ - ١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق: د. عبدالرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٥.

٨٨- التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحميد توفيق زكي، ١٩٩٥.

٨٩- تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥.

٩٠- مساهمة غير المسلمين في الدولة الإسلامية،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦.

٩١- تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمي الجمال، ١٩٩٦.

٩٢- الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)،
جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.

٩٣ - قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ - ١٩٥٨)،

د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.

٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)،

د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.

٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،

إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ - عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)،

تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ - العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،

د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية،

د. محمد سيد محمد.

٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى - الرومانى) جـ ٢،

د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،

أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى، أ. د. فاروق القاضى، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،

اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالمجيد كفافى، اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢

د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ - رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره

د. على بركات

١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)

د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ - السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ - ١٩٨٧ .

د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن).

د. سليمان صالح

١٠٧ - الأصولية الإسلامية.

تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ - مصر للمصريين جـ ٤ .

سليم النقاش

١٠٩ - مصر للمصريين جـ ٥ .

سليم النقاش

١١٠ - مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١ .

د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١١ - مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢ .

د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ - إسماعيل باشا صدقى

د. محمد محمد الجوادى.

١١٣ - الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)

د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ - دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى

تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ ٣.
أحمد شفيق باشا.
١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)
علاء الدين وحيد
١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية
(١٥١٧ ـ ١٧٩٨)
عبد الرزاق إبراهيم عيسى
١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام
د. البيومى اسماعيل الشربينى
١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف
١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس
١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوى
١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦
سليم خليل النقاش
١٢٣ ـ السيد أحمد البدوى
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن
د. محمد نعمان جلال
١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧
سليم خليل النقاش
١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش
١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم .
١٢٨ ـ معارك صحفية،
بقلم/ جمال بدوى.
١٢٩ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الدين المصرى) (١٨٧٦-١٩٤٣).
د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧-١٩٩٧).
سمير فريد.
١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م.
ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر.
١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١.
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢.
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للداوندلى.
بقلم/ عزت حسن أفندى الداوندلى
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى.
١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية
(فى ضوء وثائق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. [illegible]
محمد الرقاد
١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان
١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر
السيد يوسف
١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم محمد قابيل
١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ / ١٨١١ ـ ١٨٤٨م.
طارق عبد العاطى غنيم بيومى
١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك.
ليلى أحمد نصار
١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثالث والأول ق . م
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل
د. عبدالعليم خلاف
١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
١٤٧ ـ حسن البنا متى.. كيف .. ولماذا؟
د. رفعت السعيد
١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى
١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية
فى القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال
١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف
١٥٢ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محاسن محمد الوقاد
١٥٣ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٤ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٥ـ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ ـ ١٨٨٣م)
د. عبد الحميد البطريق
١٥٦ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
فى العصر الإسلامى
د. سمير يحيى الجمال
١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الرابع
فى العصر الإسلامى والحديث
د. سمير يحيى الجمال
١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٥٩ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
١٦٠ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الثانى
د. محمد فريد حشيش
١٦١ـ السيف والنار فى السودان
تأليف / سلاطين باشا
١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)
د. تمام همام تمام
١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوى
١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٧م.
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
١٦٥ـ التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر
(فى القرن التاسع عشر)
سامى سليمان محمد السهم

١٦٦ـ مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ مصر)
السيد يوسف

١٦٧ـ الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية
د. صفى على محمد عبدالله

١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
يسرى عبد الغنى

١٦٩ـ مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
د. صفى على محمد عبد الله

١٧٠ـ القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
مجدى عبد الرشيد بحر

١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رفعت

١٧٢ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٣ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الثانى
تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٤ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م
د. أحمد عبد الحليم دراز

١٧٥ ـ محمد توفيق نسيم باشا ودوره فى الحياة السياسية
عادل إبراهيم الطويل

١٧٦ ـ الملاحة النيلية فى مصر العثمانية ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م
د. عبدالحميد حامد سليمان

١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية ازاء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم

١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى فى القرن الثامن عشر
د. سحر على حنفى

١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية فى تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد العبد

١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس
بقلم / د. عبدالعظيم رمضان

١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى

١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى

١٨٣ ـ شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفى جمعة

١٨٤ ـ المنوفية فى القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محاريق

١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى
د. أحمد أحمد سيد أحمد

١٨٦ ـ العقائد الدينية فى مصر الاسلامية (بين الاسلام والتصوف)

د٠ أحمد صبحى منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) ج ١

د٠ عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) ج ٢

د٠ عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٩ ـ يهـود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ م

عرفه عبده على

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٠٩٢٦/٢٠٠٠

ISBN — 977 — 01 — 6814 — 9